

مِنْهَا كَوْثَرٌ

فِي شَرْحِ مَنْجَ الْبَلَاغَةِ

لِيُقْلِفِي

الْعَالَمُ الْمُحْقَقُ الْحَاجُ زَيْنُ الْحَسَنِ

إِلَهَى شَعْيَ الْجَوَافِي قَدْسَتْهُ

مِنْ مَشْوَرَاتِ

بِيَرْبَكِ لَامِ السَّكِينَ



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 012793442

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.

H. Hashimi al-Khu'i

مِنْهَا حَاجَةٌ إِلَيْهِ

في شرح هجّ البلاعنة

مؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا جندي الدين الهاشمي الخوئي قدس سره

عني بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل : السيد ابراهيم الميانجي

الطبعة الرابعة

الجزء العاشر

مركز فروش

الناشر :



مَنْسُورَاتِ قَدِ الْمُجْرَةِ
ایران - فرد



مُوسَسَ : مَدْبُوْحَى جَانَى تَهْرَانِ - ۱۳۶۰
تَهْرَانِ : كَتَابَخانَه مَسْجِدِ لَكَ تَفَنِ ۳۱۲۶۲۱

طبع في المطبعة الاسلامية بطهران

2264

1067

754

1985

١٠ جزء ٢٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و من كلام له عليهما و هو المأة و الواحد
و الستون من المختار في باب الخطب

وهو مروي في إرشاد المفید وفي البحر من عمل الشرایع وأمالی الصدقوق
على اختلاف تعریفه ، قال عليهما السلام بعض أصحابه وقد سأله عليهما السلام كيف دفعكم فومكم عن
هذا المقام وأنتم أحق به ، فقال :

يا أخاً بني أسد إإنك لقلقُ الوظينِ تُرسِلُ في غيرِ سَدَدٍ وَكَلَّ بَعْدُ
ذِمامَةِ الصَّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْتَلَةِ ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاغْلَمْ أَمَا الْإِسْتِبْدَادُ
عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسْبًا ، وَالْأَشْدُونَ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بَوْطًا فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثْرَةَ شَحَّتْ عَلَيْهَا تُقْوُسُ قَوْمٍ وَسَخَّتْ عَنْهَا تُقْوُسُ
آخْرِينَ ، وَالْحَكْمُ لِلَّهِ وَالْمَوْدُ إِلَيْهِ الْقِيمَةُ . وَدَعْ(١) عَنْكَ تَهْبِيَ صِبَحَ
فِي حَجَرِ اِتَّهِـ

وَهُلْمُ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفِيَّانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِنَدَ إِبْكَاةً
وَلَا غَرَوَ وَاللَّهِ فِي الْأَلْهَمَ خَطْبًا يَسْتَفِرُ غَيْرَ الْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ ، حَاوَلَ
الْقَوْمُ إِلْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَ فَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَجَدُّهُوا
لَيْنِي وَلَيْنِهِمْ شِرْبَاً وَبَيْئَاً ، فَإِنْ تَرَقِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مَحْنُ الْبَلْوِي أَنْحِلْهُمْ
مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى « فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
خَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » .

اللغة

(قلق) فلقاً من باب تعب اضطراب فهو قلق ككتف و (الوضين) كما عن النهاية بطان منسوج بعضها على بعض يشد به الرحل على البعير كالحزام المسرج و (الارسال) الاطلاق واهمال التوجيه و (السد) محركة كالسداد الصواب والاستقامة و (الذمامنة) بكسر الذال المعجمة: الحرمة و (الصهر) القرابة قال ابن السكينة : كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو أعمامه فهو الأهم ومن كان من قبل المرأة فهو الأخنان، وتجمع الصنفين الأصحاب.

و (استبد) في الامر انفرد به من غير مشارك له فيه ورجل (يستاثر) على أصحابه أى يختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثره محركة والأثره بالضم والكسر والأثرى كالحسنى و (المعود) إما اسم لمكان العود أو مصدر بمعناه . و في بعض النسخ يوم القيمة باضافة يوم و (الحجرات) النواحي جمع حجرة كجمرة وجرات و (هلم) اسم فعل يستعمل بمعنى هات و تعال ، فعلى الأول متعد وعلى الثاني لازم يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون هلماً او هلموا .

و (الأود) محركة الاعوجاج و (فوار) الينبوع يفتح الفاء وتشديد الواو

ثقب البئر والفوار بالضم ^٢ والتخفيف ما يغور من حر ^٣ القدر وبهما فرقه و الأول أظهره و (جدهه) يجدهه من باب منع خلطه ومزجه و (الشرب) بالكسر المحظى من الماء قال تعالى : « لَهَا شُرْبٌ وَ لَكُمْ شُرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ » و (الوبى) ذو الوباء والمرض .

الاعراب

قوله نقلق الوضين صفة حذف موصوفها للعلم به ، وجملة ترسّل ، في محل ^١ الرفع عطف بيان ، ولك خبر مقدم ^٢ و ذمامه الصهر و حق المسألة مرفوعان على الابتداء ، وبعد ، ظرف لغو متعلق بذمامته تقديميه عليه للتوسيع ، وجملة و نحن الآعلون في محل النصب على الحال ، ونسبة و نوطاً منصوبان على التميز ، وتعدية سخت بعن لتضمين معنى الاعراض ، والقيامة في بعض النسخ بالرفع وفي بعضها بالنصب ، فالأول مبني على أنه خبر لمعود وجعله اسم مكان ، والثاني على كونه ظرفأله وجعله مصدرأ .

والبيت أعني قوله : ودع عنك نهباً صيح في حجراته ، مطلع قصيدة لأمرء القيس ابن حجر الكندي وتمامه : ولكن حديثاً ما حديث الرواحل ، وقد أثبت المصراع الثاني أيضاً في بعض النسخ ، والظاهر أنه سوء من النسخ ، وأنه لم يتمثل إلا بصدر البيت وأقام قوله : وهلم الخطب ، مقام المصراع الثاني كما نبه عليه الشارح المعترضي وغيره .

وكيف كان فقوله : حديثاما اه – انقضب حديثاً باضمار فعل أي حدثني أو أسمع أوهات ، ويروى بالرفع على أنه خبر محدود المبتدأه أى غرضي حديث وما هي هنا تتحقق أن تكون ابهامية وهي التي إذا افترنت بنكرة زادته إبهاماً وشياعاً كقولك : اعطني كتاباً ما ، قرير ، أى أى كتاب كان ، وتحتمل أن تكون صلة مؤكدة كما في قوله تعالى « فيما نقضهم ميشاقهم »

وأما حديث الثاني فقد ينصب على البدل من الأول ، وقد يرفع على أن

كلامه وقد سئل كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام

يكون ما موصولة وصلتها الجملة أي الذي هو حديث الرّواحد، ثم حذف صدر الصّلة كما في «اتماما على الذي أحسن» أو على أن تكون استفهامية بمعنى أي قوله: ولآخر، لأنّي الجنس ممحظوظ خبرها، قوله: فياله خطباً النساء للتعجب والتّفجّع وخطباً منصوب على التّمييز من الضمير.

المعنى

وَكَيْفَ كَانَ فَلَمَّا اعْتَرَضَ عَلَى السَّائِلِ يَكُونُ سُؤَالُهُ فِي غَيْرِ مَوْقِعِهِ
الْمُنَاسِبِ، وَلَمَا كَانَ ذَلِكَ مَطْنَةً لَا يَنْكُسِرُ مِنْهُ قَلْبُ السَّائِلِ أَسْتَدْرَكَ طَلْقًا ذَلِكَ بِمَقْمَضِي
سُودَدِهِ وَمَكَارِمِ خَلْقِهِ فَقَالَ اسْتَعْطَافًا وَتَلْطِيفًا: (وَلَكَ بَعْدَ ذِمَّةِ الْمَهْرِ وَحْقَ الْمَسْئَلَةِ)
أَيْ حِرْمَةِ الْفِرَابَةِ وَحْقَ السُّؤَالِ.

قال الشارح المعتزلي : وإنما قال: لك بعد ذمامنة الصَّهْر لأنَّ زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ كانت أسدية ، وشمع الشارح على القطب الرأوني

(٦)

المختار المائة والواحد والستون

(ج) ١٠)

حيث علّ ذلك بأنّ أمير المؤمنين قد تزوج فيبني أسد بن أبي أسد لأنّ علياً لم يتزوج فيبني أسد البشّة . ثم فصل أولاً وآزواجه ، ثم قال: فهو لا أولاً وآلاه وليس فيهم أحد من أسدية ولا بلغنا أنّه تزوج فيبني أسد ولم يولد .

وردد الشّارح البحرياني بأن الانكار لا معنى له إذ ليس كل ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقاً ويلزم أن لا يصل إلى غيره .

أقول : الحق مع البحرياني ! إذ عدم نقل التزوّج إلينا لا يكون دليلا على العدم ! لكنّه يبعده كما لا يخفى هذا .

وأمّا حق المسئلة فلان للمرعية من الإمام حق السؤال وإن لم يفرض عليه الجواب لو لم يكن فيه المصلحة .

يدل على ذلك ما رواه في الكافي عن الحسين بن محمد عن معلى بن عثمان عن الوشا قال : سألت الرضا عليه السلام فقلت له جعلت فداك

«فَاسْتَلُو أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» -

فقال عليه السلام : نحن أهل الذكر و نحن المسؤولون ، قلت : فأنت المسؤولون و نحن السائلون ؟ قال : نعم فقلت : حقاً علينا أن نسئلكم ؟ قال : نعم ، قلت : حقاً عليناكم أن نجيبونا ؛ قال : لا ، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل أما تسمع قول الله تبارك وتعالى :

«هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» .

وما معناه أخبار كثيرة مروية في الكافي وغيره .

ثم تصدّى لجواب السائل لما علم المصلحة في الجواب فقال (وقد استعملت فاعلم) أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام) أي استقلال الغاصبين للخلافة و تفردهم بهذا المقام الذي هو مقام الأولياء والأوصياء (و نحن الأعلمون نسباً و الأشدون بالرسول (عليه السلام) أي مع كوننا أولى منهم بهذه المقام وأحق به بشرافة النسب و شدة التعمق واللصوق برسول الله (عليه السلام) أمّا شرافته النسب فقد مر في ديباجة

(ج) ١٠)

كلامه وقد سُئلَ كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ؟

الشرح ، وأما شدة العلاقة فيكفي في الدليل على إجماع النبي ﷺ له منه بمنزلة هارون من موسى وتنزيله منزلة نفسه في آية أنفسنا مضافاً إلى سائر ما تضمنه ذلك المعنى مما عرفتها في تضاعيف الشرح وتعرفها بعد ذلك إنشاء الله تعالى .

(فانها) أي الخلافة المعلومة من السياق (كانت اثرة) أي شيئاً مرغوباً يتنافس فيه التقوس ويزيد به كلّ لنفسه وأن يخصّ به من دون مشاركة الغير (شجّت) أي بخلت (عليها نفوس قوم) أراد بهم أهل السقيفة (وسخت عنها) أي جادت بها وتركتها معرضة عنها (نفوس آخرين) أراد بهم أهل البيت علیهم السلام وإعراضهم عنها لعدم رغبتهم في الخلافة من حيث إنّها سلطنة ظاهرية وأمارة على الخلق . كما يدل عليه قوله عليه السلام لابن عباس في عنوان الخطبة الثالثة والثلاثين : والله لھ أحب إلى من امرتكم إلا أن أُقيم حقاً أو أدفع باطلاً .

نعم لو كان مت可能存在 من الخلافة وإقامة مراسمه على ما هو حقّها لرغم فيه البطلة لكنه لم يتمكن منها لعدم وجود الناصر كما يومي إليه قوله عليه السلام في الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشيقية : وطفقت أرتأى بين أن أصول بيد جدّه وأصبر على طخية عميماء ، وقوله في الخطبة السادسة والعشرين : فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضلت بهم عن الموت أه ، وغير ذلك مما تضمن هذا المعنى .

(والحكم) الحق والحاكم العدل هو (الله) سبحانه (المعود إليه القيمة)

كما قال :

« ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فيتبسمون بما كنتم تعلمون »

ويقضي بين الخلق بالحق و يجعل لعنته على الظالمين ، و تمثل عليه السلام بقول أمره القيس فقال :

(ودع عنك نهياً صبح في حجراته) ولكن حدثنا محدث الحديث البر واحد

وكان من قصة هذا الشعر أنّ أمره القيس لما انتقل في أحياه العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جذيلة طيسى، يقال له: طريف فأحسن جواره فمدحه فأقام

عندـه ، تـم إـنـتـهـة لـم يـولـه نـصـيـبـاً فـي الجـبـلـيـن : اـجـاه وـسـلـمـي ، فـخـاف أـن لاـيـكـون لـه هـنـدـة فـتـحـوـلـلـ فـنـزـلـ عـلـى خـالـدـ بـن سـدـوـسـ بـن اـصـمـعـ النـبـهـانـي فـأـغـارـتـ بـنـوـجـذـيلـةـ عـلـى اـمـرـهـ الـقـيـسـ وـهـوـ فـي جـوـارـ خـالـدـ بـن سـدـوـسـ فـذـهـبـوا بـابـلـهـ وـكـانـ الـذـي أـغـارـ عـلـيـهـ مـنـهـمـ باـعـثـ بـنـ حـوـيـصـ ، فـلـمـا أـتـى اـمـرـهـ الـقـيـسـ الـخـبـرـ ذـكـرـ ذـلـكـ لـجـارـهـ ، فـقـالـ لـهـ : اـعـطـنـي روـاحـلـكـ الـحـقـ عـلـيـهـا الـقـوـمـ فـأـرـدـ عـلـيـكـ اـبـلـكـ ، فـفـعـلـ فـرـكـبـ خـالـدـ فـي أـتـرـ الـقـوـمـ حـتـىـ أـدـرـ كـهـمـ فـقـالـ : يـا بـنـي جـذـيـلـةـ أـغـرـتـمـ عـلـى اـبـلـ جـارـىـ ؟ فـالـلـوـاـ : مـا هـوـلـكـ بـجـارـ ، فـقـالـ : بـلـيـ وـالـهـ وـهـذـهـ روـاحـلـهـ ، فـالـلـوـاـ : كـذـلـكـ ، فـقـالـ : نـعـمـ ، فـرـجـعـوـا إـلـيـهـ فـأـنـزـلـوـهـ عـنـهـنـ وـذـهـبـوا بـهـنـ وـبـالـأـبـلـ ، وـقـيـلـ بـلـ اـنـطـوـيـ خـالـدـ عـلـى الـأـبـلـ فـذـهـبـ بـهـ ، فـقـالـ اـمـرـهـ الـقـيـسـ : دـعـ عـنـكـ ذـهـبـاـ ، القـصـيـدـةـ . أـىـ اـتـرـكـ عـنـكـ مـنـهـوـبـاـ يـعـنـي غـنـيـمـةـ صـيـحـ فـي جـوـانـبـهـ وـزـوـاحـيـهـ صـيـاحـ الـغـارـةـ ، وـلـكـنـ هـاتـ حـدـيـثـاـ الـذـي هـوـ حـدـيـثـ الرـوـاحـلـ أـىـ النـسـقـ الـتـيـ تـصلـحـ لـأـنـ يـشـدـ الرـحلـ عـلـى ظـهـرـهـاـ .

يقول تعالى : دع عنك ذكر تلك الغارة و حديثها و لا تسئل عنها فانه نهب
صحيح في حجراته ومضي وانقضى (ولكن هلم الخطب في ابن أبي سفيان) أى لكن
هات ذكر الحديث الجليل و الا من العظيم الذي نحن مبتدئ به الآن في منازعة
معاوية بن أبي سفيان و طمعه في الخلافة ، فانه حديث عجيب ينبغي أن يتحدث
ويذاكر ويستمع (فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه) أى صرت ضاحكاً ضحك تعجب
من تصرفات الدهر وتقلباته وتربيته لأرادل الناس وجعله مثل ابن النّابة الأكلة
للأكباد والطليق ابن الطليق منازعالي في الخلافة ، ومعارضاً على في الرّياضة مع
غاية بعده عنها وانحطاط رتبته عن الطمع في مثلها بعد ما كانت بي من الكآبة والحزن
لتقدم من سلف .

(ج) ١٠)

كلامه وقد سئل كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ؟

(٩١) ومحصل المراد أن الدّهر أضحكني من فرط التعجب بعد ما أحزني لآنه(١) أنزلني ثم أنزلني حتى قيل معاوية وعلى (ولا غرو والله) أي لا عجب والله من تقلبات الدّهر وأحواله وفوة الباطل وغلبة أهله فيه مما بي نزل وإضاها كه بي بعد إبكائه ، لأن عادته قد جرت دائمًا على وضع الأشراف ورفع الأراذل حتى صار سجية له ومجبولة عليها ، وإليه ينظر قول مولانا الحسين عليهما السلام في ليلة العاشر :

يا دهر اف لك من خليل
كم لك بالاشراق والاصيل

(فياله خطبا يستفرغ العجب) كلام مستأنف لاستعظام هذا الامر ، وعلى

هذا فالوقف على الله ، ويجوز أن لا يكون استينافا بل وصلا على سابقه و تفسيراً له فانه عليكما أشار إلى أن الدّهر أعجبه أتباه بقوله : و لا غرو ، أي ليس ذلك بعجب وفسّر هذا بقوله : فياله خطبا يستفرغ العجب ، أي يستنفده ويقنه أي قد صار العجب لا عجب لأن هذا الخطب قد استغرق المتّعجب فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجب ، وهذا من باب الأغراب والمبالغة في المبالغة أي هذا أمر يجعل عن التّعجب

كقول ابن هاني :

قد صرت في الميدان يوم طرادهم
فتعجبت حتى كدت لا أتعجب
هذا (و) وصف الخطب أيضاً بأنه (يكثر الأود) لأن كل امرء بعد عن
الشريعة ازداد الامر به اعوجاجاً (حاول القوم) أراد به معاوية و اتباهه (إطفاء
نور الله من مصابحه) أراد بنور الله الولاية والخلافة وبمصابحه نفسه الشّريف الحامل
لذلك النّور ، يعني أن معاوية ومن تبعه أرادوا إطفاء نور الولاية وإزالة الامر عن
الحق به كما أن من تقدم عليهم من المتخالفين الثلاث وأشياعهم وطلحة والزبير
وأتباعهما كان غرضهم إطفاء النّور هذا .

(وسدّ فواره من ينبوّعه) أي سدّ مجرأه و منبعه (وجدوا) أي مزجوا
وخلطاوا (بيني وبينهم شرّاً و بئراً) أراد بالشرب الوبى الفتنة الحاصلة من عدم
انقيادهم له كالشرب المخلوط بالسم .

(١٠)

المختار المائة والواحد والستون .

و قال الشارح البحرياني : استعما لفظ الشرب لذلك الأمر و لفظ الجدح للقدر الواقع بينهم والمجاذبة لهذا الأمر ، واستعما وصف الوبى له باعتبار كونه سببا للهلاك و القتل بينهم (فان ترتفع عننا و عنهم محن البلوى) و يجتمعوا على رأى و يتبعوا أمري (أحدهم من الحق على محضه) أى خالصه الذى لا يشو به شبهه ورب (وإن تكن الأخرى) أى وإن لم يكشف الله هذه الغمة وكانت الدولة والغلبة لأهل الضلال (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله علیم بما يصنعون) اقتباس من الآية الشريفة في سورة الفاطر قال :

« أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءٌ عَمِلَهُ فَرَاهُ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ » الآية .

أى لاتهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم و ضلالهم و إصرارهم على التكذيب « إن الله علیم بما يصنعون » فيجازيهم عليه .

وفي الصافي عن القمي مرفوعا قال : نزلت في زريق وحيتر ، وعليه فالاقتباس بها غير خال من اللطف والمناسبة .

لطيفة

قال الشارح المعتزلي بعد الفراغ من شرح هذا الكلام : وسألت أبا جعفر رحمي ابن محمد العلوى نقىب البصرة وقت قرأته عليه عن هذا الكلام وكان على ما يذهب عليه من مذهب العلوية من صفا وافر العقل فقلت له : من يعني طلاق بقوله : كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين ؟ و من القوم الذين عناهم الأسى بقوله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى ؟ فقال : يوم السقيفة فقلت : إن نفسى لاتسامى بمنى أن أنساب إلى الصحابة عصيان الرسول و دفع النص ، فقال : وأنا فلاتسا محنى نفسى أن أنساب الرسول إلى إهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس سدى مهملين ، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميرا وهو حى ليس بالبعيد عنها ، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث ؟

ثم قال : ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله ﷺ كان عاقلاً كامل العقل أمّا المسلمين فاعتقادهم فيه معلوم ، وأمّا اليهود والنصارى وال فلاسفة فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة سديد الرأى أقام ملة وشرع شريعة فاستجد ملكاً عظيماً بعقله وتدبره ، وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرايزهم و طلبهم بالثارات والذّ حول (١) ولو بعد الأزمان المتطاولة ، وكان يقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر ، فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلبون القاتل ليقتلنوه حتى يدر كوا ثارهم منه ، فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله فإن لم يظفروا بأحد them فقتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة وإن لم يكونوا رهطه الأدرين ، والاسلام لم يحل طباعهم ولا غير هذه السجية المركوزة في أخلاقهم والغرائز بحالها .

فكيف يتوهم لبيب أن هذا العاقل وتر العرب وعلى الخصوص قريشاً وساعدته على سفك الدماء وإزهاق الأنفس وتقلد الصغارين ابن عميه الأدرين وصهره وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس ويتركه بعده وعنه ابنته ولد منها ابنيان يجريان عنه مجرى ابنيين من ظهره حمنا عليهم ما ومحبته لهم ، ويعدل عنه في الأمور بعده ولا ينصل عليه ولا يستخلفه ، فيتحققن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه .

ألا يعلم هذا العاقل الكامل أنت إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقه رعيبة فقد عرض دماءهم للارادة بعده ، بل يكون هو الذي قتله وأشاط بدمائهم ، لأنّهم لا يعتقدون بعده بأمر يحميهم ، وإنّما يكونون مضغة للأكل وفريسة للمفترس يتخطّفهم الناس ويببلغ فيهم الأغراض .

فأمّا إذا جعل السلطان فيهم والأمر إليهم فاته يكون قد عصّهم وحقّن دماءهم بالرّياضة التي يصلون بها ، ويرتدّع الناس عنهم لأجلها ، و مثل هذا معلوم بالتجربة .

ألا ترى أنَّ ملك بغداد أو غيرها من البلاد لقتل الناس ووترهم وأبقى في

(١) النحل: الثار أو طلب مكافأة بعنابة جنبت عليك أو عداوة اتيت اليك ، أو هو العداوة

والحق ، جمعه اذلال وذلول .

نقوسهم الأَحقاد العظيمة عليه ثم أَهمل أمر ولده وذرّيته من بعده ، وفسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرضهم وواحداً منهم ، وجعل بنيه سوقة كبعض العامة ، لكان بنوه بعده قليلاً بقاوئهم سريعاً هلاكهم ، ولو ثبّ عليهم الناس ذروالاحقاد والتراط من كل جهة يقتلونهم ويشردونهم كل شرد .

ولو أَنْه عين ولداً من أولاده للملك ، وقام خواصمه وخدمه ، وخوله (١) بأمرة بعده ، لحقفت دماء أهل بيته ولم تطل يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك وابهه السلطنة وقوّة الرّياسة وحرمة الامارة .

أفترى ذهب عن رسول الله هذا المعنى أم أحبّ أن يستأصل أهله وذريته من بعده وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة إلى قلبه؟! أتقول : إنه أحبّ أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتکفف الناس؟! وأن يجعل عليناً المكرّم المعظام عنده الذي كانت حاله معه معلومة كأبي هريرة الدّوسي وأنس بن مالك الأنصاري يحكم الأمّراء في دمه وعرضه ونفسه وولده فلا يستطيع الامتناع وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول يتلذّذ أكباد أصحابها عليه ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم ويأكلوا لحمه بأسيافهم قد قتل أبنائهم وأخوانهم وأباءهم وأعمامهم ، والعهد لم يبطل ، والقروح لم تنفرق ، والجروح لم تندمل؟!

فقلت : لقد أحسنت فيما قلت : إلا أن لفظه يُلْتَلِّهُ يدل على أنه لم يكن نصّ عليه ، ألا تراه يقول : ونحن الأعلمون نسباً وأشدّ ون بالرسول نوطاً ، فجعل الاحتجاج بالنسب وشدّة القرب ، فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك : وأنا المنصوص على المخطوط باسمي .

فقال : إنّما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل ، ألا ترى أنه سأله فقال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ، فهو إنّما سأله عن دفعهم عنه وهم أحق به من جهة اللّحمة والعترة ، ولم يكن الأسد يتصور النص ولا يعتقد ولا يخطر بباله ، لأنّه لو كان هذا في نفسه لقال له : لم دفعك الناس عن هذا المقام

وقد نصَّ عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ هَذَا، وَإِنَّمَا قَالَ كَلَامًا عَامًّا لِبَنِي هَاشِمَ كَافِةً : كَيْفَ دَفَعْتُمْ قَوْمَكُمْ عَنْ هَذَا وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ أَيِّ بِاعْتِبَارِ الْهَاشِمِيَّةِ وَالْقَرْبَى ، فَأَجَابَهُ بِجَوابٍ أَعْدَ قَبْلَهُ الْمُعْنَى الَّذِي تَعْلَقُ بِهِ الْأَسْدِيُّ بِعِينِهِ تَهْمِيدًا لِلْجَوابِ، فَقَالَ: إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَعَ أَنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِنَا لَأَنَّهُمْ اسْتَأْثَرُوا عَلَيْنَا وَلَوْقَالَ لَهُ: أَنَا الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ الْمَخْطُوبُ بِاسْمِي فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا كَانَ .. قَدْ أَجَابَهُ، لَأَنَّهُ مَاسَّهُ هُلْ أَنْتَ مَنْصُوصٌ عَلَيْكَ أَمْ لَا ، وَلَا هُنْ نَصَّ رَسُولُ اللَّهِ بِالْخَلَافَةِ عَلَى أَحَدٍ أَمْ لَا ، وَإِنَّمَا قَالَ: لَمْ دَفَعْتُمْ قَوْمَكُمْ عَنِ الْأَمْرِ وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ إِلَى يَنْبُوعِهِ وَمَعْدِنِهِ مِنْهُمْ ، فَأَجَابَهُ جَوابًا يَنْتَطِقُ عَلَى السُّؤَالِ وَيَلِيهِ .

وَأَيْضًا فَلَوْ أَخْذَ يَصْرَحَ لَهُ بِالنَّصَّ وَيَعْرُّفُ فِيهِ تَفَاصِيلَ بَاطِنِ الْأَمْرِ لِنَفْرَعُنَّهُ وَاتَّهِمَهُ وَلَمْ يَقْبِلْ قَوْلَهُ وَلَمْ يَتَجَذَّبْ إِلَى تَصْدِيقِهِ فَكَانَ أُولَى الْأَمْرَوْنَ فِي حُكْمِ السِّيَاسَةِ وَتَدْبِيرِ النَّاسِ أَنْ يَجْعِيبَ بِمَا لَا نَفْرَةَ مِنْهُ وَلَا مَطْعَنَ عَلَيْهِ فِيهِ اِنْتَهَى .

أَقُولُ : وَلَلَّهِ دُرُّ النَّقِيبِ الْعُلُوِّيِّ فَلَقَدْ أَجَادَ فِيمَا أَفَادَ ، وَنَهَجَ مِنْهُجَ الرَّشَادِ ، وَرَاقِبَ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافِ ، وَجَانِبَ الْعَصَبَيَّةِ وَالْاعْتِسَافِ ، وَكَشَفَ الظَّلَامَ عَنْ وَجْهِ الْمَرَامِ وَأَوْضَحَ الْمَقَامَ بِكَلَامٍ لَيْسَ فَوْقَهُ كَلَامٌ ، أَوْدَعَهُ مِنَ الْبَيَانِ وَالْبَرَهَانِ مَا يَجْلِي الْغَشَاوَةَ عَنْ أَبْصَارِ مَتَّمِثِلِهِ ، وَالْعُمَى عَنْ عَيْنَيْهِ مَتَّهَاوْلِيَّهُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ فَانْكَانَ إِذْعَانَهُ عَلَى طَبِقَ بِيَانِهِ فَأَجَزَلَ اللَّهُ لَهُ الْجَزَاءَ فِي دَارِ خَلْدَهُ وَجَنَانَهُ ، وَإِلَّا فَلَيُضَاعِفَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ ، وَلَكِنْ يَبْعُدُ جَدًّا مَعَ هَذَا التَّحْقِيقِ أَنْ يَنْكُونَ مُعْتَقَدَهُ خَالِفُ الْمَذَهَبِ الْحَقِّ ، بَلْ الظَّاهِرُ مِنَ الشَّارِحِ الْمَعْتَزَلِيِّ أَيْضًا حِيثُ نَقْلَ هَذَا التَّفَصِيلَ عَنِ النَّقِيبِ وَسَكَتَ مَضَا فَإِلَى نَظَائِرِهِ الْكَثِيرَةِ فِي تَضَاعِيفِ الشَّرْحِ أَنَّ مُعْتَقَدَهُ أَيْضًا ذَلِكَ ، وَلَوْلَا تَصْرِيْحُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ شَرْحِهِ بَعْدِ النَّصِّ فِي الْخَلَافَةِ لِحَكْمِنَا بِكُونِهِ مِنَ الْفَرَقَةِ النَّاجِيَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي ظَمِّنَ بَعْضَ أَصْحَابِنَا فِي حَقِّهِ وَقَالَ: إِنَّ الشَّارِحَ شَيْعِيًّا الْمَذَهَبُ إِلَّا أَنَّهُ سَلَكَ فِي الشَّرْحِ مَسْلَكَ أَهْلِ السَّنَةِ مِنْ بَابِ الْإِجَاهِ وَالْتَّقْيَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِسُرَائِرِ الْعِيَادِ وَالْمَجَازِيِّ كَلَامًا مَا يَسْتَحِقُهُ يَوْمُ التَّنَادِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَصْمَةَ وَالسَّدَادَ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الزَّلَلِ وَالْفَسَادِ فِي الْمَذَهَبِ وَالْإِعْقَادِ .

تكميلة

قد أشرنا إلى أن هذا الكلام مروي عنه عليهما السلام بطرق عديدة مختلفة أحببت أن أوردها جرياً على عادتنا المستمرة فأقول :

قال المقيد (ره) في الارشاد: روى نقلة الآثار أن رجلاً من بنى أسد وقف على أمير المؤمنين عليهما السلام فقال له : يا أمير المؤمنين العجب فيكم يا بنى هاشم كيف غدل بهذا الأمر عنكم وأنتم الأعلون نسباً وسبباً ونوطاً بالرسول ﷺ وفهمما للكتاب ؟ فقال أمير المؤمنين عليهما السلام : يا ابن دودان إني لقلق الوظيفين ، ضيق المحرم ترسل غير ذي مسد لك ذمامه الصهر وحق المسئلة ، وقد استعملت فاعلم : كانت اثرة سخت بها نفوس قوم وشحنت عليهها نفوس آخرين فدع عنك ذهباصبح في حجراته وهلّم الخطب في أمر ابن أبي سفيان ، فلقد أضحكنى الدهر بعد إبكائه ولا غرو ، بئس القوم والله من خفضني وهيستني وحاولوا الإدّهان في ذات الله ، و هيئات ذلك منسي وقد جدوا بيئي وبينهم شرباً وبيئاً ، فان تتحسن عننا محن البلوى أحملهم من الحق على محضه ، وإن تكون الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلا تأس على القوم الفاسقين .

وفي البخار من علل الشريعة والأهمي عن الحسين بن عبد الله العسكري عن إبراهيم بن رعد الع بشمي ، عن ثابت بن محمد ، عن أبي الأجوص المصري عمّ حدّثه عن آبائه عن أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام عن جماعة من أهل العلم ، عن الصادق ع جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهما السلام قال :

بينما أمير المؤمنين عليهما السلام في أصعب موقف بصفين اذ قام إليه رجل من بنى دودان فقال : ما بال قومكم دفعوك عن هذا الأمر وأنتم الأعلون نسباً واسداً نوطاً بالرسول ﷺ وفهمما بالكتاب والسنة ؟ فقال عليهما السلام : سئلت يا أخا بنى دودان ولكل حق المسئلة وذمام الصهر وإني لقلق الوظيفين ترسل عن ذي مسد إنها إمرة شحنت عليها نفوس قوم وساخت عنها نفوس آخرين ، ونعم الحكم الله فدع عنك ذهباصبح في حجراته -

وهلم الخطب في ابن أبي سفيان فلقد أضحكنى الدّهر بعد إبكائه و لا أغزو إلا جاري و سؤالها الأهل لنا أهل سألت كذلك بئس القوم من خفوني و حاولوا الادهان في دين الله ، فإن ترفع عنّا محن البلوى أحملهم من الحق على محضه ، وإن تكون الأخرى فلا تأس على « عن خل » القوم الفاسقين ، إليك عني يا أخي بنى سيدان .
بيان

لما في هاتين الروايتين من الألفاظ الغريبة التي لم تكن في رواية السيد (ره) فأقول :

« دودان » بن أسد بن خزيمة بالضم أبو قبيلة فلا ينافي ما في رواية السيد أنه كان من بنى أسد و « المحرزم » بالحاء المهملة وزان منير والمحزم كمكمة و الحزام ككتاب ما حزم به قيل : و يقال للرجل المضطرب في أمره أنه قلق الوظين أي مضطرب شاك فيه ولعل ضيق المحرزم كناية عن عدم طرفيته (١).

و « المسد » حبل مفتول من ليف محكم الفتل ويقال على نفس اللّيف قال سبحانه : في جيدها حبل من مسد ، فقوله في رواية الارشاد : « ترسل غير ذي مسد » أراد به أنك تطلق عنان كلامك من غير تأمل ، وقوله في رواية البحار « ترسل عن ذي مسد » أراد به أنك تطلق حيوانا له مسد ربط به ، فيكون كناية عن التكلّم بماله مانع عن التكلّم به .

و « هينني » أي أهانني واستهان و « حسر » الشيء فانحرس كشفه فانكشف و « امرأة » في رواية الـ مالي لعله تصحيف امرة بالكسر أي امارة و قوم « جارة » وجورة أي جائزون و « الادهان » كالداهنة إظهار خلاف ما تضرر والغش .

الترجمة

ازحمله كلام آن امام انامست ببعض أصحاب خود درحالتي كه سؤال کرد از آن بزرگوار چگونه دفع کردند شمارا قوم شما از مقام خلافت وحال آنکه شما سزاوار تریدیان ؟ .

پس فرمود آی برادر بنی اسد بدرستی که تو مردی هستی که پاردم تو

(١) بل الصحيح ما قدمناه وهو المخرج بالغا المعجمة والراو، موضع القلادة من الانف والمعنى واضح .

(١٦) المختار المائة والثانية والستون (ج) (١٠)

مفترض ومتصرّف كـسـت ، رـهـا مـيـكـنـي أـفـسـارـ گـفـتـارـ خـودـرـا درـغـيرـ صـوـابـ ، يـعـنـي درـغـيرـ موقعـ منـاسـبـ سـؤـالـ مـيـنـائـيـ وـبـاـوـجـودـ اـيـنـكـهـ مـرـتـورـ اـسـتـ حـرـمـتـ قـرـابـتـ وـحـقـ مـسـأـلـ

وـبـتـحـقـيقـ كـهـ تـوـطـلـ آـگـاهـيـ نـمـوـدـيـ پـسـ بـداـنـ وـآـگـاهـ باـشـ .

أـمـاـ إـسـتـقـلـالـ اـيـشـانـ بـرـضـرـ ماـ بـمـقـامـ خـلـافـتـ وـحـالـ آـنـكـهـ مـاـبـلـنـدـتـرـيمـ اـزـ اـيـشـانـ

اـزـ حـيـثـيـتـ نـسـبـ وـمـحـكـمـ تـرـيمـ بـحـضـرـتـ رسـالـتـ اـزـ حـيـثـيـتـ عـلـاقـهـ وـقـرـبـ مـنـزلـتـ ، پـسـ

جـهـتـشـ اـيـنـسـتـ كـهـ بـوـدـ خـلـافـتـ چـيـزـ مـرـغـوـبـيـ بـخـيـلـيـ كـرـدـ بـاـنـ نـفـوسـ خـسـيـسـهـ طـائـفـهـ ،

وـسـخـاوـتـ كـرـدـ وـاعـرـاضـ نـمـوـدـ اـزـ آـنـ نـفـوسـ نـفـيـسـهـ طـائـفـهـ دـيـگـرـ ، وـحـاـكـمـ بـحـقـ خـدـاـيـ

مـتـعـالـسـتـ وـبـازـ گـشتـ بـسـوـىـ اوـ درـقـيـامـتـ اـسـتـ ، وـتـرـكـ بـكـنـ اـزـ خـودـ غـارـتـيـ رـاـ كـهـ

درـأـطـرافـ آـنـ صـدـاـ بـلـنـدـ شـدـ يـعـنـيـ غـارـتـ خـلـافـتـ زـاـ كـهـ پـيـشـ اـزـ اـيـنـ اـبـوـبـكـرـ وـعـمـرـ

وـعـمـهـانـ غـارـتـ كـرـدـنـ .

وـبـيـارـ اـمـرـ عـظـيمـ رـاـيـاـيـنـكـهـ بـيـاـ بـأـمـرـ عـظـيمـ درـخـصـوصـ پـسـ أـبـوـسـفـيـانـ مـلـعـونـ ،

پـسـ بـذـرـسـتـيـ كـهـ خـنـدـانـيـدـ مـرـاـ رـوزـ گـارـ بـدـ رـفـتـارـ بـعـدـازـ گـرـيـانـدـنـ اوـ ، وـهـيـجـ تعـجـبـ

نـيـسـتـ قـسـمـ بـخـدـاـ خـنـدـانـيـدـ بـعـدـازـ گـرـيـانـدـنـ ، پـسـ بـيـائـيـدـ تعـجـبـ كـنـيـدـ بـايـنـ اـمـرـ

عـظـيمـ وـعـجـيـبـ كـهـ فـانـيـ كـنـدـ تعـجـبـ رـاـ ، وـبـسـيـارـ مـيـ كـنـدـ كـجـروـيـ رـاـ ، طـلـبـ كـرـدـنـ

مـخـالـفـانـ قـرـيـشـ خـامـوشـ كـرـدـنـ نـورـ خـداـونـدـرـاـ اـزـ چـراـغـ اوـ ، وـبـسـتـنـ فـواـءـ آـنـ اـزـ

چـشـمـهـ آـنـ ، وـآـمـيـختـمـدـ مـيـانـ مـنـ وـمـيـانـ اـيـشـانـ شـرـبـتـ وـبـاـ آـورـدهـ ، پـسـ اـگـرـ بـرـداـشـتـهـ

شـودـ اـزـ مـاـ وـاـزـ اـيـشـانـ مـحـمـنـهـاـ بـلاـهـ حـمـلـ مـيـ كـنـمـ اـيـشـانـ رـاـ اـزـ دـيـنـ حـقـ بـرـخـالـصـ

آـنـ ، وـاـگـرـ باـشـ آـنـ حـالـتـ دـيـگـرـ يـعـنـيـ غـلـبـهـ أـهـلـ ضـلـالـتـ وـسـلـطـنـتـ اـيـشـانـ پـسـ بـاـيـدـ

كـهـ هـلـاـكـ نـشـوـدـ نـقـسـ توـ بـرـكـارـ اـيـشـانـ اـزـ جـهـهـ حـسـرـتـهاـ بـرـضـلـالـ اـيـشـانـ ، بـذـرـسـتـيـ كـهـ

خـداـونـدـ عـالـمـسـتـ بـآـنـجـهـ كـهـمـيـ كـنـنـدـ وـالـبـتـهـ جـزاـ خـواـهـ دـادـ بـرـقـبـاـيـعـ أـعـمـالـ اـيـشـانـ .

وـ مـنـ خـطـبـةـ لـهـ بـلـيـلـهـ وـهـيـ الـمـائـةـ وـالـثـانـيـةـ

وـ السـتـونـ مـنـ الـمـختارـ فـيـ بـابـ الـخـطـبـ

الـحـمـدـ لـلـهـ خـالـقـ الـعـبـادـ ، وـ سـاطـحـ الـيمـادـ ، وـ مـسـيـلـ الـوـهـادـ ، وـ

مُحَصِّبُ النَّجَادِ ، لَيْسَ لَا وَلَيْتَهُ ابْتَدَأَ ، وَلَا لَازِلَيْتَهُ تَقْضَاهُ ، هُوَ
 الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ ، خَرَّتْ لَهُ الْجِيَاهُ ، وَوَحْدَتْهُ
 الشَّفَاهُ ، حَدَّ الْأَثْنَيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَهِهَا ، لَا تُقْدِرُهُ
 الْأَوْهَامُ بِالْعُدُودِ وَالْعَرَكَاتِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ ، لَا يُقْالُ
 لَهُ مَتَى ، وَلَا يُضَربُ لَهُ أَمْدٌ بَعْتَى ، الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مَمَا ، وَالْبَاطِنُ
 لَا يُقَالُ فِيمَا ، لَا شَبَحٌ فِيَّتَقْضِي ، وَلَا مَخْجُوبٌ فِيَّخُوَى ، لَمْ يَقْرَبْ
 مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقِ ، وَلَمْ يَمْعَذْ عَنْهَا بِالْفَرَاقِ ، لَا يَغْفِي عَلَيْهِ مِنْ
 عِبَادِهِ شُعُوضُ لَحْظَةٍ ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ ، وَلَا زِدَلَافُ زَبَوَةٍ ،
 وَلَا أَبْسَاطُ خَطْوَةٍ ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَرَرُ
 الْمُنْبِرُ ، وَتَقْبِيَّهُ الشَّمْسُ ذَاتِ النُّورِ ، فِي الْأَفْوَلِ وَالْكُرُورِ ، وَتَقْلِيبُ
 الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِذْبَارِ نَهَارٍ مُذْبِرٍ ، قَبْلَ
 كُلِّ غَاشِيَةٍ وَمُدَّةٍ ، وَكُلُّ إِنْحَصَاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعَالَى عَمَّا يُنْحِلُهُ الْمُحَدَّدُونَ
 مِنْ صَفَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَنَهَيَايَاتِ الْأَقْطَارِ ، وَتَأْمُلِ الْمَسَاكِينِ ، وَتَمْكِنُ
 الْأَمَاكِينِ ، فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ ، لَمْ يَخْلُقْ
 الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزْلِيَّةً ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبْدِيَّةً ، خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقامَ
 حَدَّهُ ، وَصَوَرَ مَا صَوَرَ فَأَنْحَسَنَ صُورَتَهُ ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ

وَلَا لَهُ بِطَاعَةٍ شَيْءٌ اِنْتِفَاعٌ ، عِلْمُهُ بِالاَمْوَاتِ الْمَاضِينَ ، كَعِلْمِهِ بِالاَحْيَاءِ
الْبَاقِيَنَ ، وَعِلْمُهُ بِاِنْفُسِ السَّمَاوَاتِ الْعُلُوِّ ، كَعِلْمِهِ بِاِنْفُسِ الْأَرَضِينَ السُّفْلَىِ .

عندها

أَيْهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي طُلُبَاتِ الْأَرْحَامِ ،
وَمُضاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ ، بُدِّئَتْ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، وَوُضُفتَ فِي قَرَارٍ
مَكْيَنٍ ، إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ، وَأَجْلِ مَقْسُومٍ ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينَـا ،
لَا تَجِدُ دُعَاءً ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً ثُمَّ أَخْرَجَتْ مِنْ مَقْرُوكَ إِلَى دَارِ لَمْ تَشَهَّدْهَا
وَلَمْ تَعْرِفْ سُبْلَ مَنَا فِيهَا ، فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ نَدْيِ أُمَّكَ ،
وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ ، هَيْهَاتٌ لِّإِنْ مَنْ يَعْجِزُ
عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيَّةِ وَالْأَدَوَاتِ ، فَهُوَ مِنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ، وَمِنْ
تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقَيْنَ أَبَعْدُ .

اللغة

(المهد) بالكسر الفراش و الجمع مهد ككتاب و كتب و (سال) الماء
سيلا و سيلانا إذا طغا و جرى وأسلته اسالة أجريته و (الوهاد) جمع و هدة و هي
الأرض المنخفضة و (النجد) الأرض المرتفعة رالجمع أنجاه ونجاد ونجود و (شخص)
الرجل بصره إذا فتح عينيه لا يطرف و (ازدلف) وتزلف أى تقدّم واقترب والمزدلفة
موقع بين عرفات و منى سمى بها لأنّه يتقرّب فيها إلى الله أو لاقتراب الناس إلى
منى بعد الافاضة أو لمجيء الناس إليها في زلف من الليل .

و (الربوة) بضم الراء و كسرها و الفتح لغة بنى تميم المكان المرتفع

و (الغسل) محرّكة الظّلام أو ظلمة أوّل الليل و (تفيّاء) الظلّ تقلب ورجم من جانب إلى جانب قال سبحانه : « يَتَفَيَّأُ ظَلَالُهُ » و (عقبت) زيداً عقباً من باب قتل و عقوباً و عقبته بالتشديد جئت بعده ، و منه سمي رسول الله ﷺ العاقد لأنّه عقب من كان قبله من الأنبياء أي جاء بعدهم ، و تعلق الشّمس مضارع عقب بالتحقيق و يروى عقبه مضارع عقب بالتضييف وفي نسخة الشارح المعتزلي تعلق به قال الشارح أي تعلق به فيحذف إحدى التائين كما قال سبحانه : « الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ » و (تأثّل) المال اكتسبه و (أثار) جواباً يحيره ردّه .

الاعراب

من في قوله : من عباده ، ابتدائية ، و قوله : في ليل ، متعلق بقوله : يخفى ، أو بالشخص ، والكرور والازدلاف والانبساط على سبيل التنازع والثاني أظهر وأولى كما لا يخفى ، و قوله : في الاول والكرور ، ظرف لغومتعلق بتعقب ، وقال الشارح المعتزلي : ظرف مستقر في موضع نصب على الحال ، أي و تعقبه كاراً و آفالاً ومن في قوله : من افبال ، بيان التقليب .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة الشريفة مسوقة للثناء على الله سبحانه وتعظيمه وتمجيده بجملة من نعمت جماله وصفات جلاله .

قال الشارح المعتزلي : اعلم أن هذا الفن هو الذي بان به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة ، واستحق به الفضل والتقدّم عليهم أجمعين ، وذلك لأنّ الخاصة التي يتميّز بها الإنسان عن البهائم هي العقل و العلم ، ألا ترى أنه يشار كغيره من الحيوانات في اللحمية و الدموية و القوة و القدرة و الحركة الكائنة على سبيل الارادة و الاختيار ، فليس الامتياز إلا بالقوة الناطقة أي العاقلة ، فكلّما كان الإنسان أكثر حظاً منها كانت انسانيته أتمّ .

و معلوم أن هذا الرجل انفرد بهذا الفن وهو أشرف العلوم ، لأنّ معلومه أشرف المعلومات ، ولم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد

و لا كانت أذهانهم يصل إلى هذا ولا يفهمونه ، فهو بهذا الفن منفرد وبغيره من الفنون وهى العلوم الشرعية مشارك لهم وأرجح عليهم ، فكان أكمل منهم ، لأننا قد بينا أن الأعلم أدخل في صورة الإنسانية ، وهذا هو معنى الأفضلية انتهى .

أقول : قد مر غير مرّة أنه بعد الاعتراف والاذعان بكونه عليه أضل وأكمل من غيره كيف يجوز تقديم غيره عليه ؟ و بعد الاقرار باختصاص العلم الالهي به عليه وباشتراكه مع غيره ورجحانه عليهم في سائر العلوم كيف يسوغ القول بحقيقة امامية غيره ؟ وبالحال أن ترجمح المرجوح على الرأي بقبح عقلا على أصول العدالة فضلا عن النقل قال تعالى :

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » وقال أيضاً :

« أَقْعُنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى » .

فياعجباً عجباً يقوم بالخلافة من لا يعرف معنى عبنا وأباً ، ويتعزز في جنح بيته من عنده علم الكتاب وله الفضل على غيره من كل باب وإلى الله الشكوى من دهر يربى الجهل والضلال ، و يتحقق الفضل والكمال فلنرجع إلى شرح كلامه فأقول :

إنه حمد الله سبحانه وأثنى عليه بأوصاف كمالية فقال (الحمد لله خالق العباد) أي الملائكة والأنس والجن وتخصيصهم من سائر المخلوقات بالذكر مع أنه خالق كل شيء تشرفهم بشرف التكليف (واسطح المهد) أي جعل الأرض فرشاً وبساطاً للناس وسطحها على الماء بقدرته الكاملة ورحمته الساغبة ، وفي ذلك من دلائل القدرة وآثار الكبرياء والعظمة ما لا يحصى ، ومن الفوائد التامة والعوايد العامة التي للناس مالا يلخصها حسبما مررت الاشارة إليها في شرح الفصل السادس من الخطبة التسعين المعروفة بالأشباح .

(ومسيل الوهاد ومحصب النجاد) أي مجرى لمسيل في الأرض المنخفضة وجاء المرتفعة ذات خصب ورفاه ليكمل معاش الإنسان والدواب بما أنبت فيها

من الحب والنسبات والفوائد والجنات .

(ليس لاً ولسته ابتداء ولا لأزليته انقضاء) لأنّه تعالى واجب الوجود لذاته فلو كان لكونه أو لا للأشياء حد توقف عنده أو لميته وتنتهي به لكن محدثاً ولا شيء من المحدث بواجب الوجود ، لأن المحدث ما كان مسيقاً بالعدم وواجب الوجود يستحيل عليه العدم أى ذاته لا يقبل العدم ، ومن ذلك علم أيضاً أنه ليس لأزليته انقضاء إذ كل مثبت قدمه امتنع عدمه ، والأزليّة عبارة عن القدم ، وربما يفسر بأنّها المصاحبة لجميع الثابتات المستمرة الوجود في الزمان .

(هو الأول لم ينزل والباقي بلا أجل) وغاية و هاتان الجملتان مؤكّدتان لسابقتيهما يعني أنه سبحانه لم ينزل ولا يزال إذ وجوده أصل الحقيقة و ذاته عن البقاء ، وهو الأول والآخر لأنّه مبدئ كل شيء وغايته لا الأول لا ولسته ولا غایة لبقاءه (خرت له الجياب ووحدته الشفاه) أى سقطت الجياب ساجدة له ، ونطقت الشفاه بتوحيدكم الوهيم وعظمته واستحقاقه للعبودية واحتراصه بالفردانية (حد الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها) وإبانة لها من شبهه وقد تقدّم توضيح ذلك وتحقيقه في شرح الخطبة المأة والثانية والخمسين فليراجع ثمة .

(لانقدر إلا وهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والأدوات) لما كان شأن الوهم بالنسبة إلى مدركاته أن يدركها بحد أو حركة أو جارحة أو أداة ، وكان الله سبحانه منها عنها كلّها ، لكنّها من عوالم الأجسام ، صح بذلك سلب إدراك إلا وهام وتقديرها أي تعينها وتشخيصها له تعالى ، وقد قال الباقي ~~إلا~~ كلّما ميّز تموه بأوهامكم في أدق معانيه مصنوع مثلّكم مردود إليكم ، وقد مر في شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى توضيح هذا المعنى .

(ولا يقال له حتى ولا يضرّ له أحد بحتمي) وقد تقدّم تحقيق ذلك أيضاً هنالك ، فليراجع إليه .

(الظاهر لا يقال مما والباطل لا يقال فيما) يعني أن اتصافه بالظهور و الباطل ليس بالمعنى المتبادر منهما في غيره ، فإن المتبادر من ظهور الأجسام

كونها ظاهرة بارزة من مادة وأصل ، ومن بطونها اختفائها في حيز و مكان ، والله سبحانه عنه عن ذلك ، بل اطلاق الظاهر والباطن عليه واتساعه تعالى بهما باعتبار آخر عرفته تفصيلا في شرح الخطبة الرابعة والستين .

(لا شبح فيتفضي ولا محجوب فيخوى) أى ليس بجسم و شخص فيتطرق إليه الفباء والانفاس ، ولامستور بمحجوب جسماني حتى يكون المحجوب حاويا له و ساترا .

(لم يقرب من الأشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق) إشارة إلى أن قريبه وبعده بالنسبة إلى الأشياء ليس على نحو الالتصاق والافتراق كما هو المتصور في الأجسام ، بل على وجه آخر تقدم تحقيقه في شرح الفصل الخامس والبسادس من الخطبة الأولى ، وفي شرح الخطبة التاسعة والأربعين .

(لا يخفى عليه) سبحانه شيء من مخلوقاته ، بل هو عالم بها كلياتها وجزئياتها ، ذواتها و ماهياتها ، عوارضها وكيفياتها ، وصفاتها وحالاتها ، فلا يعزب عنه (من عباده شخص لحظة) أى مد البصر من دون حركة جفن (ولا كرور لفظة) أى رجوعها وعادتها (ولا ازدلاف ربواه) الظاهر أن المراد مجئه الإنسان إليها في زلف من الليل أو تقدّم مهم أى صعودهم إليها .

قال الشّارح البحرياني : ازدلاف الرّبواه تقدّمها وأراد الرّبواه المتقدّمة أى في النّظر والباديّة عند مد العين ، فأنّ الرّبى أول ما يقع في العين من الأرض انتهى وهو تفسير بارد سخيف ، والمتبادر ما قبلناه مضافاً إلى أن سوق كلام المفید لكون الشخص والكرور والبساط في قوله (ولا انبساط خطوة) صفة للعباد كون الازدلاف أيضاً من صفاتهم لا من صفات نفس الرّبواه كما هو مقتضى تفسير الشّارح على أنّ غرض أمير المؤمنين عليه السلام من تعداد هذه الصفات الاشارة إلى خفايا أوصاف العباد وحالاتهم ، وتقدّم الرّبواه في النظر ليس شيئاً مخفياً فافهم (١)

(١) إشارة إلى أن عدم خفاء تقدم الربواه في الناظر بالنسبة إلى نفس الناظر ، وأما ادراك غير الناظر لذلك التقدم فلا ، بل هو أخفى شيء بالنسبة إليه كما لا يخفى منه وهو .

وبالجملة فالمعنى بذلك كله تمجيد الله باعتبار إحاطة علمه وعدم خفاء شيء من هذه الأمور عليه سبحانه (في ليل داج) ظلماني (لاغنسق ساج) ساكن كما يخفى فيهما على غيره تعالى، وذلك لأن معرفة غيره تعالى بهذه الأشياء من العباد و إدراكه لها إنما هو بواسطة آلات جسمانية كالباصرة (١) والسامعة و نحوها، وأقويهما الباصرة، والظلمة مانعة عن ادراكها البنت، وأمام الله الحي القيوم فلا يتفاوت علمه بالنسبة إلى نهار وليل، وشهادة وغيب بل يعلم السر وأخفي «وَعِنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَجَةٌ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

(يتفاوت عليه القمر المنير) أي يتقلب على الغسق القمر المنير ذاهباً وجائياً في حالي أخذه في الضوء إلى التبدد وأخذه في النقص إلى المحادق (وعقبه) أي القمر (الشمس ذات التحور) أي تعاقبه (في الأفول والكروز) يعني أنها تطلع عند أفوله ويطلع عند أفولها (وتقليل الأذمة والدهور من إقبال ليل مقبل وإدار نهار مدبر) أي أنهما يتعاقبان ويتجانسان أحدهما بعد الآخر ويقلبان الأزمان و يجعلان الليل نهاراً والنهر ليلاً.

ثم عاد إلى وصفه سبحانه أيضاً بقوله (قبل كل غاية و مدة و كل إحصاء وعدة) لأنـه سبحانه خالق الكل و موجده ومبدئه فوجب تقدمه و قبليته عليه جميعاً (تعالى) و تقدس (عما ينحله) ويعطيه (المجد دون) الجاعلون له حدوداً من المشبهة والمجسمة (من صفات الأقدار) أي المقادير (ونهايات الأقطار) طولاً وعرضـاً وصغرـاً للمحبـم وكبيرـاً (وتتأشـل المساـ肯 وتمـكـن الأمـاكن) أي اكتساب

(١) ادراك الباصرة بالنسبة إلى شخص الملاحظة. وازدلاف الرؤبة وانبساط الخطوة، وادراك السامعة بالنسبة إلى كرور اللغة، ويمكن ادراك بعضها باللامسة أيضاً في الجملة كما لا يخفى واليه أشرنا بقولنا ونحوها، منه رحمة الله.

المساكن وأستقرار الأحياز ونحوها مما هومن صفات المخلوقات المنزه المتعالي عنها خالق الأرض والسماءات تنزعها ذاتياً وعلوًّا كبيراً.

(فالحمد لخالقه مضرور وإلى غيره منسوب) يعني أنه سبحانه جاعل الحدود والنهايات ومبدها وموجدها فأبدعها وضربها لمخلوقاته وأضافها إلى مبدعاته وجعل لكل منها حداً معيناً وقدرًا معلوماً، فهى أوصاف للممكناط وحضره القدس مبرأة منها.

روى في الكافي عن سهل بن زياد عن بشير بن بشير التيشابوري قال : كتبت إلى الرجل أن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول إنّه جسم ومنهم من يقول إنّه صورة ، فكتب عليه سبحان من لا يحدّ و لا يوصف و لا يشبهه شيء وليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

(لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ولامن أوائل أبدية) قال العلامة المجلسي رد على الفلاسفة القائلين بالعقل والهيوان القديمة .

وقال الشارح المعتزلي : الرد في هذا على أصحاب الهيوان والطينة التي يزعمون قدمها وقيل : إن معناه ليس لما خلق أصل أزلي أبدى خلق منه من مادة صورة كما زعمت الفلاسفة .

وقال الشارح البحرياني : إنّه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون أصلاً ومحصل ما ذكروه أنّ خلقه للأشياء على محض الإبداع والاختراع وأنّ لا يبدع لصنيعه إلا ذاته ، إذ لو كان خلقه لها مسبوقاً بمادة أو مثال فان كانوا قد يدينون لزم تعدد القدماء ، وإلا لزم التسلسل في الأمثلة والمواد .

وأوضح هذا المعنى بقوله (بل خلق ما خلق فأقام حدّ وصوّر ما صور فأحسن صورته) يعني أنّه المخترع لاقامة حدود الأشياء على ما هي عليه من المقادير والأشكال والنهايات والأجال والغايات على أبلغ نظام . وصوّرها على أحسن اتقان وإحكام (ليس لشيء منه امتئاع) لعموم قدرته وغاية قهره وقوّته (و لا له بطاعة شيء انتفاع) إذ هو الغني المطلق عما عداه و المتعالي عن الافتقار إلى ماسواه ،

فلو كان منتفقاً بطاقة مخلوقاته لزم أن يكون مستكملاً بغيره فاقداً للكمال بذاته.
وهو أيضاً (علمه بالأمور الماضية كعلمه بالأحياء الباقيين) لأنَّه لا يتفاوت
علمه بالنسبة إلى الحاضرين الموجودين والغائبين المعدومين كما يتفاوت في حقّنا
وذلك لأنَّ علمنا بالأشياء من الأشياء كما أنَّا نعلم قبل وجود زيد لأنَّ زيداً معدوم، فإذا وجد
نعلم أنَّه موجود ثمَّ إذا عدم بعد وجوده نعلم أنَّه كان موجوداً فقد تغيَّر علمنا
بتغيير المعلوم وحصل التفاوت بين الحالين ومن شأن ذلك أنَّ علمنا زمانياً لأنَّه مستفاد من
الموجودات وأحوالها وأمارات الله الحسنى القيمة فهو إنْتَما يعلم كلَّ شيء جزئيًّا أو كليًّا
من ذاته ولا يجوز أن يكون يعلم الأشياء من الأشياء، وإلاًّ يلزم أن يستفيده علمه من
غيره ويكون لولا أمور من خارج لم يكن عالماً فيكون لغيره تأثير في ذاته، والأصول
الآلية تبطل ذلك مصافاً إلى استلزماته التغيير في ذاته بتغيير معلوماتاته.

(و) من ذلك علم أيضاً أنَّ (علمه بما في السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كعلمه بما في الأَرْضِينِ السَّفَلَى) من دون تفاوتٍ بينهما وَأَمَّا غيره تعالى من أهل الأَرْضِ فعلمهم بما في الأَرْضِينِ أقوى من علمهم بما في السَّمَاوَاتِ، كما أنَّ أهل السَّمَاوَاتِ أعلم بهامن أهل الأَرْضِ، ومنشأ ذلك التفاوت تفاوت الْأَمْكَنَةِ كما أنَّ منشأ التفاوت فيما سبق تفاوت الأَزْمَنَةِ قرباً وبعداً.

و بالجملة لما كان نسبة ذات الباري إلى جميع أجزاء الزمان والزمانيات
و جميع أصوات المكان والمكانيات على حد سواء ، كان علمه بالنسبة إلى الجميع كذلك
ثم خاطب الإنسان بما فيه من بدايات الصناع و عجائب الابداع ليختلص منه
إلى عظمة المبدع سبحانه و كمال قدرته و جلاله فقال (أيها المخلوق السوى) أى
مستقيم القامة معتقد الخلقة (والمنشاء المرعى) المحفوظ (في ظلمات الأرحام
ومضاعفات الأستار) العطف كالتفسير والمراد بها ما أشير إليه في قوله : « يخلقكم في
بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلث ، أى ظلمة البطن والرحم
والمشيمة أو الصليب والرحم والبطن والأول مروي عن أبي جعفر عليه السلام .

(بدأت من سلالة من طين و وضعت في قرارمكين) قال الشادح المعتزلي

الكلام الأول لآدم الذي هو أصل البشر ، والثاني لذرّيته .

أقول : بل كلامهما لذرّيته كما عرفته في شرح الفصل السابع من فصول الخطبة الثانية والثمانين ، والمراد بالقرار المكين الرّحْم متمكّنة في موضعها برباطاتها ، لأنّها لو كانت متتحرّكة لتعذر العلوق أى وضعت في الرّحْم منتهايا إلى قدر معلوم وأجل مقسوم) قال الشّارح المعتزلي : أى مقدار معلوم طوله وشكله إلى أجل مقسوم مدة حياته .

أقول : بل الظّاهرأنّ المراد بالأجل المقسوم هو المدة المضروبة لبقاءه في الرّحْم من سبعة أشهر أو تسعه و نحوهما ، وبالقدر المعلوم هو صغر حجمه و كبره ومقدار قطره طولاً و عرضاً إذ كان جنيناً في بطن أمّه ، لا الحياة المقسوم له في الدّنيا و مقداره المعلوم فيها كما زعمه الشّارح لأنّه لم ينتقل بعد إلى بيان نشأته الدّنياوية كما يؤمّي إليه قوله (تمور في بطن أمّك جنيناً) أى تضطرب وتتتحرّك فيه (لا تحيّر دعاء ولا تسمع نداء) أى لا تقدر على أن تردّ جواباً لدعوة من دعاك ، وعلى محاورته كما لا تقدر على سماع ندائها .

(ثم أخرجت من مقرّك) أى القرار المكين (إلى دار لم تشهدها) أى الدّار التي لم تكون شاهدتها قبل خروجك إليها (و لم تعرف سبل منازعها) ثم اهتدت إليها .

(فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمّك) ولاتقان حلمة الثدي وامتصاصها (وعرّفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك) ومعلوم أنّ الهدادي لاجترار المعرف لمحاجال الطلب ليس إلا الله سبحانه ، فالغرض من الاستفهام التّنبئية على وجود الخالق الهدادي إلى المطالب ، والمرشد إلى المأرب ، وهذا القدر من العلم بالصانع ضروري في النّقوس وإن احتاج إلى أدنى تنبئيه وما وراء ذلك بمعنى صفات الكمال ونوعات الجلال أمور لا تطلع عليها العقول البشرية بالكتنه .

وإليه أشار بقوله (هيئات) أي بعد الوصول إلى كنه معرفة الخالق والغور في قيمار بحار جلاله وكثيريائه فـ (انّ من يعجز عن) معرفة (صفات) نفسه في حال

تخلیقه والاطلاع علی منافع أجزاءه و أعضائه ومعرفة من هو مثله من سایر (ذی الہیمة والادوات) و الجوارح و الآلات مع کونها محسوسة مشاهدة له (فهو عن) معرفة (صفات خالقه) التي هي أبعد الأشياء مناسبة له (أعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين) وإدرا که له سبحانه بالمقاييس إليهم والتشبيه بهم (أبعد) كما هو ظاهر بالعيان ، غنی عن البينة والبرهان .

التترجمة

از جمله خطب شریفه آن حضرتست در حمد و ثنای خداوند ذو الجلال ووصف او با صفات عز و کمال می فرماید :

حمد و ستایش معبد بحقی را سزاست که خالق بند کانست و گستراننده زمین ، و روان کمنده زمینهای نشیب است بیاران ، و فراغ سالی دهنده زمینهای بلند است برو بیانیدن گیاهان ، نیست اولیت اورا ابتدائی ، و نه از لیست اورا نهایت و انتهائی ، او است اول بی زوال ، و باقی بی غایت ، افتادند از برای سجده او پیشانیهای مکلفان ، و بتوحید او مشغول شد لبها پیران و جوانان ، حد معینی فرارداد همه اشیاء را هنگام آفریدن آنها بجهة ابداء مباینة وجودی خود از مشابهت آنها ، تقدیر و تشخیص نمیتواند بکند اورا وهمها بنهایتها وحر کنها ، و نه بعضوها و آلتها ، گفته نمی شود که او از کیست بجهة تنز او از احاطه زمان ، وزده نمی شود از برای او مدّتی بكلمه حتی که افاده انتقام و انتهای می نماید ، ظاهر است گفته نمی شود از چه ظاهر شد بجهت اینکه منز هست از ماد و امکان ، و پنهان است گفته نمی شود که در چه پنهان است بجهة اینکه مبر است از مکان ، نه جسم و جسمی است که فانی ومنقضی بشود ، و نه مستور است و محجوب که چیزی برا او احاطه نماید نزدیک نیست بأشیاء بچسبیدن ، و دور نیست از آنها ب جدا شدن ، پنهان نمی ماند برا او از بند گان مد بصری ، و نه مکر ر کردن لفظی و خبری ، و نه بلند شدن ایشان به پشته کوهی : و نه گستردن گامی در شب تاریک ، و نه در ظلمت برقرار که بر می گردد بآن ظلمت وتاریکی ماه نور بخش و در عقب ماه می آید آفتاب صاحب نور

در غروب و رجوع ، و در بر گردانیدن آن زمانها و روز گارها که عبارتست از اقبال کردن شب اقبال گفته شد ، وازاد بار نمودن (وزاد بار نماینده) موجود است پروردگار عالم پیش از هر نهایتی و مددتی ، و قبل از هر شمردنی و تعدادی ، منزه است از آنچه که بخش می گفته باو تحدید گفته ای او از صفات های مقدارها ، واژ جوانب قطرها واژ کسب نمودن مسکنهای ، و تمکن یافتن وطنها ، پس حد و نهایت مرخلق او را زده شده و بسوی غیر او نسبت داده شده ، نیافرید چیزها را از اصلهای که از لی باشد ، و نه از او نهای که ابدی باشد ، بلکه آفرید آنچه که آفرید پس بر پا داشت حد آنرا ، و تصویر نمود آنچه که تصویر فرمود پس نیکو گردد نماید صورت آنرا ، نیست هیچ چیز را از امر او امتناعی ، و نیست هر اورا بطاعت چیزی انتفاعی علم او بر مردم گان گذشتگان مثل علم او است بروزگان باقی ماندگان ، و احاطه او با آن چیزی که در آسمانهای بلندها است مثل احاطه او است بچیزهای که در زمینهای پسته هاست .

از جمله فقرات این خطبه است می فرماید :

ای مخلوقی که مستوی الأعضاء است و ایجاد شده که محفوظ بوده است در ظلمهای رحمها و در پردهای متناعه ، ابتدا کرده شدی از خلاصه گل ، و نهاده شدی در قرار محکم تا اندازه معلوم و مددت قسمت کرده شده در حالتی که مضطرب بودی در شکم مادر خود در حالت بچگی که نمی توانستی جواب بدی دعوت گفته شد که نمی توانستی بشنوی طلب نماینده را ، پس از آن بیرون آورده شدی از قرارگاه خودت بسوی خانه که ندیده بودی آن را ، و نه شناخته بودی راههای منافع آنرا پس که هدایت نمود اترا بد کشیدن غذا از پستان مادرت ؟ و شناساند تو را هنگام احتیاج تو مواضع طلب تو وارد این تورا ؟ خیالی دور است معرفت ذات او از جهت اینکه کسی که عاجز بشود از معرفت صفات صاحب صورت و اعضا ، پس از معرفت صفات آفرینشده خود عاجز تر است ، و از ادراک ذات او بحدود و نهایاتی که مخلوقات راست ذور تر و مهجور تر .

وَمِنْ كَلَامِهِ ^{بِالْفُلُولِ} وَهُوَ الْمَائَةُ وَالثَّالِتُ
وَالسَّتُونُ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطُبِ

وقد رواه في شرح المعتزلي عن أبي جعفر ثقل بن جرير الطبرى مثل ما أورده
السيد هنا مع إضافات تطلىع عليه ، وقد تكلم بذلك الكلام لما اجتمع الناس عليه
وشكوا مما نقوم به على عثمان ، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم ، فدخل ^{بِالْفُلُولِ}
عليه فقال :

إِنَّ النَّاسَ وَرَأَيْ وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَوَاللهِ مَا
أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ، مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهِلُهُ ، وَلَا أَدْرِكُ عَلَى أَمْرٍ لَا
تَعْرِفُهُ ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَتُخْبِرَكَ عَنْهُ ،
وَلَا خَلَوْنَا فَنْبَلَغَكَ ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا
وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَحِبْنَا ، وَمَا أَبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا أَبْنُ
الْخَطَابَ أَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَشِيجَةَ رَحِمِ مِنْهُمَا ، وَقَدْ نَلَتْ مِنْ صَهْرِهِ مَا لَمْ يَنْسَأْ ، فَاللهُ اللهُ فِي
نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَاللهِ مَا تُبَصِّرُ مِنْ عَمَى ، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهَنَّمِ ، وَإِنَّ
الْطَّرُقَ لَواضِحةً ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةً ، فَاعْلَمْ أَنْ أَفْضَلَ عِبَادَ اللهِ
عِنْدَ اللهِ إِمامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهُدِيَ ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدَعَةً

مَجْهُولَةٌ، وَإِنَّ السُّنَّةَ لَنَفِرَةٌ لِهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لِهَا أَعْلَامٌ،
وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِزٌ ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً
وَأَحْيى بِدْعَةً مَتْرُوكَةً.

وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يُؤْتَى يَوْمَ القيمةِ بِالْإِيمَانِ
الْجَاهِزِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَادِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا
تَدُورُ الرَّحْيُ ثُمَّ يُرْتَبَطُ فِي قَعْدَهَا.

وَإِنِّي أَشِدُّكَ أَنْ تَكُونَ إِماماً هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ فَإِنَّهُ كَانَ يُقالُ :
يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ إِلَى يَوْمِ القيمةِ وَ
يُلْبَسُ أُمُورُهَا عَلَيْهَا وَيَئُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلَا يُبَصِّرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ،
يَمْوُجُونَ فِيهَا مَوْجًا ، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا ، فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَاتَ
سَيِّقَةَ يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَلِ السُّنَّةِ وَتَقْضِي الْعُمُرِ .

فَقَالَ لَهُ عَنْمَاتٌ : كَلَمُ النَّاسِ فِي أَنْ يَؤْجُلُونِي حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْهِمْ مِنْ

مَظَالِّمِهِمْ ، فَقَالَ ﷺ :

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلَهُ وَصُولَ
أَمْرُكَ إِلَيْهِ .

اللغة

(نقمت) عليه أمره و نقمت منه نقاً من باب ضرب و نقوماً ومن باب تعب لغة إذا عتبته و كرهته أشد الكراهة لسوء فعله و (الاستعتاب) طلب العتبى وهو الرضا والرجوع و (الوشيعة) عرق الشجرة و الواشجة الرحيم المشتبكة وقد وشجت بك قرابة فلان ، والاسم الوشيع كما عن الصحاح و (يرتبط) أي يشدّ عن بعض النسخ يرتبك بدلها أي ينشب و (يلبس) أمرورها من التلبيس وفي بعض النسخ تلبس أمرورها من اللبس بالضم وهو الاشكال و (مرج) أمره اختلط واضطرب ومنه الهرج و المرج و (السيقة) بتشدد الياء المكسورة ما استيقنه العدو من الدواب و (جل) يجعل حملة وجلاً أسن .

الاعراب

الواو في قوله : وأنت أقرب ، للحال و تحتمل العطف ، و الجملة في معنى التعليم السابقة كما هو ظاهر ، و وشيعة رحم منسوب على التمييز ، والله الله منصوبان على التحذير ، و جملة يموجون فيها او تأكيد معنوي لسابقتها ولذلك ترك العاطف والفاء في قوله : فلاتكونن ، فصيحة .

المعنى

اعلم أنه قد تقدم في شرح الفصل الرابع من الخطبة الثالثة والتذليل الثاني من شرح الكلام الثالث والأربعين أن عثمان أحدث في الدين أحداثاً ، و أبدع بدعا ، واستعمل الفساق وأرباب الظلم على الأمسار ، وتقدم في شرح الكلام الثلاثين أنه لما شاع الظلم والفساد منه ومن عماله في المدينة وسائر البلاد أوجب ذلك إجلاب الناس عليه وتحريض بعضهم بعضاً على خلعه من الخلافة وقتلها وأقول هنا : إنه لما تکاثرت أحداثه و تکاثر طمع الناس فيه كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالافق إنكم كنتم تريدون الجهاد فهمموا إلينا فان دين محمد قد أفسده خليفةكم فاخلعوه ، فاختلف إليه القلوب وجاء المcriون وغيرهم إلى المدينة فاجتمعوا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلّمه و سأله أن يكلّم عثمان .

و(لما اجتمع الناس اليه وشكوا مآنقموه) وكرهوه (على عثمان وسألوا منه عَلَيْهِ السَّلَامُ) (مخاطبته عنهم واستعتابه لهم) أى أن يطلب لهم منه الرّجوع إلى الحقّ و الارتداد عن أحداته والاقلاع عن بدعه ، استجواب عَلَيْهِ السَّلَامُ مسئلتهم (فدخل عليه) و كلامه بما أورده السيد (ره) في الكتاب .

و قد رواه عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً محب بن جرير الطبرى في تاريخه الكبير كما في شرح المعترض قال : إنّ نفراً من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تكابوا فكتب بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإنّ "الجهاد بالمدينة لا بالرّوم ، فاستطال الناس على عثمان وتالوا منه في سنة أربع وثلاثين ولم يكن أحد من الصحابة يذبّ عنه ولا ينهر إلّا نفر منهم زيد بن ثابت وأبوأسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ، فاجتمع الناس فكلّموا عليّ بن أبي طالب وسائلوه أى يكلّم عثمان فدخل عليه (فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ له) (إنّ الناس ورأى وفدا سفروني) أى اتّخذوني سفيراً (بينك وبينهم والله ما أدرى ما أقول لك) و بأى لسان أتكلّم معك يؤثّر فيك (ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدّلك على أمر لا تعرفه) يعني أنّ قبائح هذه الأفعال وفضائح تلك البدعات ليست بحيث تختفى على أحد ، بل هي واضحة للصبيان غريبة عن التنبيه والمبيان .

و هذا هو مراده أيضاً بقوله (إنك لتعلم ما نعلم) أى تعلم من شناعة تلك الأحداث خاصةً مانعلمه ، وليس المراد بيان وفور علمه وأنه يعلم كلّما عَلَيْهِ السَّلَامُ كما توعّمه البحرانى حيث قال : و حاصل الكلام استعتابه باللين من القول فائت له منزلته من العلم أى بأحكام الشريعة والسنن المتداولة بينهم في زمان الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ والظهور على كلّ ماظهر عليه من مرئي وسموع .

(وما سبقناك إلّى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبليغكه) يعني أنك قد أدركت من صحبة الرّسول ما أدر كناه ، وعرفت من سيره وسلوكه وسياسات المدنية ما عرفناه ، لم نكن منفردین بذلك ، و لم تكن غايباً عن شيء منه حتى نبلغكه وندلك عليه .

(ج) ١٠)

في سفارة على ^{عليه} بين عثمان والثائرين عليه

وأكَّد ذلك بقوله (وقد رأيْت كما رأيْنا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} كماصحمنا) ثم خرج إلى ذكر الشيفيين تهيباً جاله والهابا فقال (وما) أبو بكر (ابن أبي فحافة ولا) عمر (ابن الخطاب بأولى بعمل الخير) و في بعض النسخ بعمل الحق (منك و) ذلك لأنك (أنت أقرب إلى رسول الله ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وشيبة رحم منها) أي من حيث النسب فأنت أولى بالنأسى به من غيره والآخذ بسننته ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} و سيرته .

وإذما جعله أقرب نسبياً لاشتراكه مع رسول الله ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} في الجد الأدنى أعني عبد مناف ، فإن رسول الله ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} هو ابن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وعثمان هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأما هما فيبشران كأن معهم ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} في الجد الأعلى أعني كعب بن لوى ، فإن عبد مناف هو ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ، وأبا بكر بن أبي فحافة: عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ، وعمرو بن الخطاب: ابن نقييل ابن عبدالله بن رياح بن عبد الله بن قوط بن زراح بن عدي بن كعب ، هذا .

ولا يخفى عليك أن تشريك الثلاثة مع النبي ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} في النسب إنما هو بحسب الظاهر ومن باب المماشة وجريا بما هو المعروف عند الناس ، وإلا فقد علمت في شرح الفصل الثاني من الخطبة الشائلة الطعن في نسب عمر ، وفي شرح الكلام السادس والسبعين الطعن في نسب عثمان وسايربني أمية فتذكرة .

ثم أثبت له القرب بالمحاورة فقال (وقد نلت من صهره ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} ما لم ينالا) لأنّه قد تزوج رقية بنت النبي ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وبعد موتها عقد على بنته الأخرى أم كلثوم ، ولذلك لقب عند العامة بدئ النورين ، وأمامعند أصحابنا فظلمه في حقهما مشهور والأخبار بذلك عن طريق أهل البيت مأثور .

قال المحدث الجزائري : إن طوایف العامة والخاصة رووا أن عثمان قد ضرب رقية زوجته ضرباً مبرحاً يؤلم حتى أثرت السياط في بدنها على غير جنائية تستحقها ولما أتت النبي ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} شاكية تكلم عليها ، وقال ^{صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} : لا يليق بالمرأة أن تشكو

من زوجها وأمرها بالرّجوع إلى منزله ، ثم كرّر عليه الضرب فأقتلت النبي ﷺ ثم ردّها ، ثم ضربها الضرب الذي كان السبب في موتها فأمر النبي ﷺ علّمه عملياً أن يخرجها من منزل عثمان فأتى بها إلى بيت النبي ﷺ وما تمت فيه .

ثم حذره ﷺ من الله سبحانه وحده من عقابه فقال (فالله الله في) شأن (نفسك فإنك والله ماتبصّر من عمى ولا تعلم من جهل) أى لا تحتاج إلى التبصرة والتعليم (و) الحال (أى الطرق) أى طرق الشرع المبين (لواضحة وأنّ أعلام الدين لقائمة) والاتيان بالجملات مؤكدة بـ«اللام» وغيرهم العدم جرى المخاطب بمقتضى علمه .

ولذلك شدّ دالتاً كيد بالتبنيه على فضل الامام العادل على الامام الجائز تنفيزاً له عن الجور وترغيباً إلى العدل فقال (فاعلم أنّ أفضل عباد الله إمام عادل هدي) بنور الحق (و هدي) غيره كما قيل سبحانه : «وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » قال أبو عبد الله عليه السلام في رواية عبد الله بن سنان : هم الأئمة صلوات الله عليهم (فأقام سنة معلومة) بالتصديق على حقيقة هداه القيام بوظائفها (و أمات بدعة مجاهولة) بالتبنيه على بطلانها و الارتداد عنها (و أنّ السنن) النبوية و الشريعة المصطفوية (لنير لها أعلام) ومنار (و أنّ البدع) المستحدثة (لظاهرها لها أعلام) و آثار لا يخفى ما في حسن التعبير والخطابة بالنير في السنن وبالظاهر في البدع .

(وان شر الناس عند الله إمام جائز ضل) في نفسه (وضل) غيره (به) كما قال تعالى : « ومن أضلّ ممّن اتّبع هويه بغير هدي من الله » قال الصادق عليه السلام في رواية معلى بن خنيس : هو من يتّخذ دينه برأيه بغير هدي إمام من أئمة الهدى (فآيات سنة ماخوذة) وسعى في إطفاء نور الحق (وأحياناً بدعة متروكة) وجد في ترويج الباطل ، هذا .

و تقسيم الامام على القسمين أعني الامام العادل و الامام الجائز قد ورد في الكتاب العزيز وغير واحد من الأخبار .

مثل ما رواه في البخاري من تفسير علي بن ابراهيم باسناده عن جعفر بن محمد

عن أبيه عليهما السلام قال : الأئمة في كتاب الله إمامان : إمام عدل و إمام جور ، قال الله : وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا ، لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم ، وقال وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار يقدّمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله ويأخذون بأهوائهم خلافاً لما في كتاب الله .

وفيه من بصائر الدرجات مسندأ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : لا يصلح الناس إلا إمام عادل و إمام فاجر إن الله عن وجّل قال : وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا ، وقال : وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار .

ثم إنّه شدّ التّنفّير عن الجور بالتنبيه على عقوبة الإمام الجائر بما رواه عن النبي عليهما السلام فقال (وإنّي سمعت رسول الله عليهما السلام يقول : يؤتى يوم القيمة بالأمام الجائر وليس معه نصير) ينجيه من نار الجحيم (ولا عاذر) يدفع عنه العذاب الأليم (فيلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرّيح ثم يرتبط) ويشدّ (في قعرها) فلا يكون له مخلص ولا منجاً عنها .

ثم حذّره عن القتل بما لاح له عليهما السلام من الأسباب المؤدية إليه فقال : (وإنّي انشدك الله) أي أسئلك وأقسم عليك (أن تكون إمام هذه الأمة المقتول) أراد الإمام الدّاعي إلى الناس (فأنّه كان يقال) الظّاهرون " القائل هو النبي عليهما السلام وأبهم لاقضاه المصحة (يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليهما) أي على هذه الأمة (بباب القتل والقتل إلى يوم القيمة) بقتله (ويلبسه أمورها عليهما) أي يدلّس ذلك الإمام ويلبسه أمور الأمة عليهم ويوقعهم في اللّبس والاشكال (ويبث الفتنة) وينشرها (فيها فلا يتصرون الحق من الباطل يموجون فيها) أي في تلك الفتنة (موجاً ويموجون) أي يختلطون ويضطربون (فيها مرجاً) .

أقول : وقد وقع مصداق هذا الخبر الذي رواه أمير المؤمنين عن النبي عليهما السلام على طبق ما رواه ، فإنّ عثمان لما ولّي وأوطاً رقاب الناس بنى أبي معيط وبني أمية وولاّهم على البلاد انتشر الهرج والفساد ، وتطاير الفتنة ، وانجدن حبل الدين ، وتزعزع سواري اليقين ، وحمل الهوى ، وشعل المعنى ، وضاق المصدر

وعمي المخرج ، حتى اشتد الظلم و المحن والبلوى ، وبلغ الغاية القصوى كما قال عز من قائل « فهل (١) عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم ».

إلى أن انتكث على عثمان فتلته ، واجهز عليه عمله ، وكبت به بطنه ، وقتل شر قتلة ، فكان قتلهم عنواناً للناكثين والقاسطين والمارقين ، وانفتح على الأمة باب القتل والقتال والتحاصل والجدال إلى أن قام ابن أبي سفيان وآل حرب حزب الشيطان بالخلافة ، واستقل بالامارة ، فمنحه الدنيا ذرّها ، وأوردها صفوها ، فقامادى في الظلم والطفيان ، ولم يدع الله محرماً إلا استحله ، ولا عقداً إلا حلّه ، حتى لم يبق بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمه ، ونبا به سوء رعيه ، فقتل من المهاجر والأنصار وساير المسلمين مائة ألف أو يزيدون ، وهذا حذوه أبناء اللعين ، فقتل بالطف سبط سيد المرسلين وأنصاره المظلومين ، وتبعهم ساير بنى أمية وبني مروان « الذين بدّلوا نعمة الله كفروا وأحلوا (٢) قومهم دار البوار جهنّم يصلونها وبئس القرار » .

ثم إنّه لما محض النصح لعثمان وأراه وجه الصواب والسداد ودلّه على نهج الحق و الرشاد و حذره من القتل ، و كان مروان بن الحكم اللعين طريد رسول رب العالمين أقوى الأسباب الباعثة لنكيمه عن طريق الحق إلى الباطل والضلال ، ولا يقاه في المعاطب والمهالك . لاجرم نهاه عن اتباعه والرجوع إليه والأخذ برأيه وقال (فلا تكون سيقة لمروان يسوقك حيث شاء بعد جلال السن) وكبره (وتفصي العمر) وفنائه .

(فقال له عثمان كلام الناس في أن يؤجلوني) أي يمهلوني (حتى أخرج اليهم من مظالمهم) وأرد ظلامتهم (فثار عليه ما كان بالمدينة فلا أجل فيه و ماغاب) (١) في البحار عن الثعلبي في قوله : « فهل عسيتم ان توليتم » الآية نزلت في بنى امية وبنى هاشم .

أقول : يعني من بنى هاشم بنى المباس خاصة كما هو ظاهر منه .
(٢) في البحار عن العياشي عن مسلم المنشوف عن علي بن أبي طالب (ع) في قوله تعالى وأحلوا قومهم دار البوار قال هما الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة منه .

فأجله وصول أمرك اليه) قال الشارح المعتزلي: هذا كلام فسيح لأنَّ الحاضر أي معنى لتأجيله و الغائب فلا عذر بعد وصول الْأَمْر في تأخيره، لأنَّ السلطان لا يؤخر أمره .

تكميلة

في الشرح بعد روايته عن محمد بن جرير الطبرى في تاريخه تمام هذه المخاطبة بين أمير المؤمنين عليهما السلام وبين عثمان حسبما أشرت إليه وأنهاها إلى آخرها قال :

فقال عثمان : وقد علمت أنك لتقولن ما قلت أما والله لو كنت مكانى ما عندك
ولاعبت عليك ولم آت منكرا إنما وصلت رحمة وسدت خلة وأؤيت ضائعاً ولو لست
شبيهاً بمن كان عمر يولئه ، انشدك الله يا علي " إلا تعلم أنَّ" مغيرة بن شعبة ليس
هناك ؟ قال : بلى ، قال : أفلاتعلم أنَّ عمر ولاه ؟ قال : بلى ، قال : فلم تلومنى
إن ولست ابن عامر في رحمه وقربته .

فقال علي عليهما السلام إنَّ عمر كان يطأ على صمالة من يولئه ثم يبلغ منه إن
أنكر منه أمراً أقصى العقوبة وأنت فلا تفعل ضعفت ورقت على أقربائك .

قال عثمان : أفلاتعلم أنَّ عمر ولسى معاوية فقد ولست به .

قال علي عليهما السلام انشدك الله ألا تعلم أنَّ معاوية كان أخوف لعمر من يرفاه غلامه
له ؟ قال : بلى ، قال فان معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس هذا بأمر عثمان
وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه .

ثم قام علي عليهما السلام فخرج عثمان على اثره فجلس على المنبر فخطب الناس
وقال : أمّا بعد فإنَّ لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه
النسمة عيابون طعانون يرونكم ما تحببون ويسرون عنكم ما تكرهون ، يقولون
لكم وتقولون أمثال النعام يتبع أول ناعق، احب مواردها اليها البعيد لا يشربون إلا
نفطا ولا يردون. إلا عكرأاما والله لقد عبتم على ما أقررتם لابن الخطاب بمثله ،
ولكنه وطشك برجله وضرركم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم
ولدت لكم وأوطاتكم كتفى وكفتت يدي ولسانى عنكم فاحترأتم على ، ألم والله

لَا أقرب ناصرًا وأعزّ نفراً وأكثر عدًا وأخرى إن قلت هلمّاً يجاح صوتي ، ولقد أعددت لكم أفراناً ، وکثرت لكم عن نابي ، وآخر جنم مني خلقا لم اکن أحسنه ومنطقا لم اکن انطق ، فکفوا عنى أسلنتكم وطعنكم وعييكم على ولا تکم ، فما الذي تفقدون من حکمكم ؟ والله ما قصرت شيئاً عن بلوغ من كان قبلى ، وما وجدتكم تختلفون عليه ، فما بالكم .

فقام مروان بن الحكم فقال : وإن شئتم حکمـنا ينـينا وبيـنـكم السـيفـ .
قال عثمان : اسكتـ دعـنـي وأصـحـاـبـي ما منـطقـكـ فيـ هـذـاـ ، أـلـمـ أـقـدـمـ إـلـيـكـ أـنـ لـاتـنـطقـ ؟ فـسـكـتـ وـنـزـلـ عـثـمـانـ ، هـذـاـ .

وفي الشرح أيضاً عن الطبرى في شرح الكلام الثلاثين قال :
وكان عثمان قد استشار نصائحه في أمره فأشاروا أن يرسل إلى عليٍّ عليه السلام
يطلب إليه أن يرده الناس ويعطيهم ما يريدون ليطاولهم حتى يأتيه الأمداد فقال إنهم
لا يقبلون التعليم وقد كان مني في المرة الأولى ما كان ، فقال مروان: أعطهم مسألوكـ
وطـاـولـهـ مـاـطـاـولـوكـ فـاـنـهـمـ قـوـمـ قـدـ بـغـواـ عـلـيـكـ وـلـاـ عـهـدـ لـهـمـ .

فدعـاـ عـلـيـاـ وـقـالـ لـهـ قـدـ تـرـىـ ماـكـانـ مـنـ النـاسـ وـلـسـتـ آـمـنـهـ عـلـىـ دـمـيـ فـارـدـدـهـمـ
فـاـنـيـ أـعـطـيـتـهـمـ مـاـيـرـيدـونـ مـنـ الـحـقـ مـنـ نـفـسـيـ وـمـنـ غـيرـيـ .

فـقـالـ عـلـيـ عليه السلام : إـنـ النـاسـ إـلـىـ عـدـلـكـ أـحـوـجـ مـنـهـ إـلـىـ قـتـلـكـ وـاـنـهـ لـاـ يـرـضـونـ
إـلـاـ بـالـرـضاـ وـقـدـ كـنـتـ أـعـطـيـتـهـمـ مـنـ قـبـلـ عـهـداـ فـلـمـ تـفـ بهـ فـلـاـ تـغـرـرـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـةـ
فـاـنـيـ مـعـطـيـتـهـمـ عـنـكـ الـحـقـ .

قـالـ : أـعـطـيـهـمـ فـوـأـلـهـلـاـ فـيـنـ لـهـمـ .

فـخـرـجـ عـلـيـ عليه السلام إـلـىـ النـاسـ فـقـالـ : إـنـکـمـ إـنـتـمـ تـطـلـبـونـ الـحـقـ وـقـدـ أـعـطـيـتـمـوـهـ
وـاـنـهـ مـنـصـفـكـمـ مـنـ نـفـسـهـ .

فـسـأـلـهـ النـاسـ أـنـ يـسـتـوـثـقـ لـهـمـ وـقـالـواـ : إـنـاـ لـاـ نـرـضـيـ بـقـوـلـ دونـ فعلـ .

فـدـخـلـ عليه السلام إـلـيـهـ فـأـعـلـمـهـ .

فقال : اضرب بياني وبين الناس أجيلا فاني لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد .

فقال علي " أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وأماما غاب فأجله وصول أمرك إليه .

قال : نعم فأجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام .

فأجابه إلى ذلك وكتب بيته وبين الناس كتاباً على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه ففك الناس عنه .

و جعل يتأهّب سر المقتال ويستند بالسلاح والجند جداً، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغيّر شيئاً ثار به الناس وخرج قوم إلى من بذى خشب من المصريين فأعلمواهم الحال فقدموا المدينة وتکاثر الناس عليه وطلبوه منه عزل عماله ورد مظالمهم ، فكان جوابه لهم : إنني إن كنت أستعمل من تريدون لا من أريد فلست إذا في شيء من الخلافة والأمر لكم فقالوا لتفعلن أو لنقتلنكم ، فأبى عليهم وقال : لا أنزع سر بالاسر بلنيه الله ، فحصروه وضيقوا الحصار وأدى الأمر إلى قتلهم ، على ما مرّ منّا في شرح الكلام الثلاثين .

الترجمة

از جمله کلام بلاعث نظام و بصیحت انجام آن حضرتست در حینی که جمع شدند مردمان بسوی او و شکایت کردند از چیزی که ناخوش می گرفتند بر عثمان ابن عفّان و خواهش کردند از آن حضرت که از جانب ایشان سؤال و جواب نماید ، و طلب کند از عثمان که رجوع بحق نماید و ایشان را خوشنود سازد ، پس داخل شد آن بزر گوار بر عثمان پس فرمود :

بدرستی که مردمان در عقب منند و بدرستی که ایلچی اخذ نموده اند مرا در میان تو و میان خودشان ، و بخداسو گند نمیدانم چه گویم تورا ، و نمیدانم چیزی را که تو ندانی آن را ، و نمی توانم دلالت کنم تورا بر چیزی که نشناسی آن را ، بدرستی که تو میدانی آنچه که مامیدانیم ، سبقت نیافقة ایم از تو بچیزی تا خبر بدھیم بتو از

آن، وتنها نشده ایم بچیزی تا ابلاغ بکنیم بتو آن را، وبحقیق که تودیده چنانچه ما دیده ایم، وشنیده چنانچه ما شنیده ایم، وصحبت کرده با رسول خدا ﷺ چنانچه ماصحبت داشته ایم و نه بود پسر ابو حافه و نه پسر خطاب سزاور تر بعمل خیر از تو وحال آنکه تو أقرب هستی برسواند وَلِلْجَنَاحِ از حیثیت رگهای خویشی از ایشان، پس برترن از خدای قهار در نفس خود، پس بدان سی که تو قسم بخدا بصیرت داده نمیشوی از کوری، وتعلیم یافته نمیشوی از جهالت، و بدرستی که راههای شریعت هر آینه واضح و هویدادست، و بدرستی که علامتهای دین هر آینه ثابت وبرپاست، بدرستی أَفَعُلُومُهُ افضل بندگان خدا در نزد خدا امام عادلیست که هدایت شده باشد وهدایت نماید، پس برپا دارد سنت وطريقه معلومه را، وبمیراند وبر طرف سازد بدعت مجھوله را، وبدرستی که سنتها هر آینه تابانند ودرخشان مرآنها را است علامتها، وبدرستی که بدعتها ظاهر است و هویدا مرآنها راست علامتها، و بدرستی که شریوتین مردمان در نزد خدا امام جائزیست که کمراه باشد و گمراه شوند بسبب او، پس بمیراند سنت مأخوذه را، وزنده گرداند بدعت متروکه را.

و بدرستیکه من شنیدم از حضرت ختمی مآب ﷺ که می فرمود: آورده می شود در روز قیامت امام جور کننده در حالتی که نباشد با او یاری دهنده و نه عذر آورنده پس انداخته شود در آتش دوزخ پس دور می کند در آن آتش چنانچه دور میکند آسیا پس از آن بسته شود در قعر جهنم.

وبدرستی که من قسم میدهم تورا بخدا که باشی امام این امت که کشته شوی بواسطه ظلم و ستم، پس بدرستیکه بود گفته می شد که کشته خواهد شد در این امت امامی که فتح می شود براین امت قتل وقتل تا روز قیامت، وتلبیس نماید کارهای ایشان را برایشان، ونمغش روپرا کنده میکند فتنها را در میان ایشان، پس نمی بینند حق را از باطل، ومضطرب می شوند در آن فتنها مضطرب شدنی، وآمیخته بهم می شوند در آن فتن آمیختنی، پس البته هبایش ای عثمان از برای مردان بن

حکم مثل چارپائی که میرانند آن را دشمنان هنگام غارت که براند تورا مروان
هرجا که بخواهد بعداز بزرگی سن و سال و بسر آمدن عمر .

پس گفت مرآن حضرت راعثمان که : تکلم کن با مردمان در این خصوص
که مرآمهلت بدنهند تا خارج بشوم بسوی ایشان از عهده مظلمه های ایشان پس
آن حضرت فرمود :

آنچه که در مدینه است پس مهلت نیست دراو ، و آنچه که غایبست پس مهلت
او رسیدن حکم تو است بسوی او .

و من خطبة له يَكْتَلِيلَ يَذْكُرُ فِيهَا خَلْقَةَ الطَّاوسِ وَهِيَ
الْمَأْةُ وَالرَّابِعَةُ وَالسِّتُونُ مِنَ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطُبِ
و شرحها في ضمن فصلين :

الفصل الأول

إِنَّهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَّانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ،
وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَىٰ لَطِيفٍ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمٍ قُدْرَتِهِ مَا أَنْقَادَتْ
لَهُ الْمُقْرُولُ مُفْتَرِفَةٌ بِهِ، وَمُسْلَمَةٌ لَهُ، وَنَفَقَتْ فِي أَنْسَابِنَا دَلَائِلُهُ عَلَىٰ
وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَ مِنْ مُخْتَلِفٍ (إِنْخِلَافٍ) صُورَ الْأَطْيَابِ الَّتِي أَسْكَنَهَا
أَخَادِيدُ الْأَرْضِ وَخُرُوقُ فِجاجِهَا، وَرَوَاسِيَّ أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَوَاتِ أَجْنِحةٍ
مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيَّنَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زَمَانِ التَّسْخِيرِ، وَمُرْفَرَفَةٍ
بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَحَارِقِ الْجَوَّ الْمُنْفَسِحِ، وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ، كَوْنَهَا بَعْدَ
إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَابِ صُورِ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُخْتَجِبَةٍ

وَمِنْ بَعْضِهَا يُبَالِهُ خَلْقَهُ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّهَاءِ (الْهَوَاءِ) حُفُوفًا ، وَجَعَلَهُ
 يَدْفُ دَفِيقًا ، وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصْبَاعِ ، بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ،
 وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ ، فَمِنْهَا مَفْمُوسٌ فِي قَابِلٍ لَوْنٍ لَا يَشُوُّهُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ
 فِيهِ ، وَمِنْهَا مَفْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طُوقَ بِخِلَافِ مَا صَبَغَ بِهِ .
 وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّاوُسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحَدَكُمْ تَعْدِيلٌ ، وَنَضَدٌ
 الْوَانَةُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ، بِجَنَاحِ أَشْرَجِ قَصْبَهُ ، وَذَنْبٌ أَطَالَ مَسْجِبَهُ ،
 وَإِذَا دَرَجَ إِلَى الْأَنْتَيْ نَشَرَهُ مِنْ طَيْهٍ ، وَسَاهُ بِهِ مُظَلَّاً عَلَى رَأْسِهِ ، كَأَنَّهُ
 قَلْمَدَارِيٌّ عَنْجَهُ نَوْتِيَّهُ ، يَخْتَالُ بِالْوَانِهِ ، وَبَعِيسُ بِزَيْفَانِهِ ، يُفْضِي
 كَإِفْضَاءِ الدِّيْكَةِ ، وَيُورُثُ بِمَلَاقِهِ أَرْفَاحَهُ الْمُفْتَلِمَةَ لِلنَّضَرَابِ ، أَحِيلُكَ
 مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَةِ لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ أَسْنَادِهِ ، وَلَوْ كَانَ
 كَزُّومٌ مَنْ يُزَعِّمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمَمَةٍ تَسْفَحُهَا (تُشَيْجُهَا) مَدَامَعَهُ فَتَقْفَ في
 ضَفْقَتِي مُجْفُونٍ وَأَنَّ أَنْتَاهَ تَطْعُمُ ذَلِكَ ثُمَّ تَبْيَضُ لَا مِنْ لِقاَحٍ فَحْلٍ سَوَى
 الدَّمْعِ الْمُتَبَجِّسِ (المنجس) لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبٍ مِنْ مُطَاعِمَةِ الْفَرَابِ ،
 تَخَالُ قَصْبَهُ مَدَارِيٌّ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أَنْتَتْ عَلَيْهِ أَنْ عَجَبَ دَارِاهُ
 وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الرَّبَّاجِدِ .
 فَإِنْ شَبَهْتَهُ بِمَا أَنْتَتِ الْأَرْضُ فُلْتَ جَنِيٌّ مُجْنِيٌّ مِنْ زَهْرَةٍ كُلُّ

رَبِيعٍ، وَإِنْ صَاهِيْتَهُ بِالْمَلَبْسِ فَهُوَ كَمَوْشِيُّ الْجَلَلِ أَوْ مَوْنِقُ عَصْبِيِّ
الْيَمَنِ، وَإِنْ شَأْكَلْتَهُ بِالْحُلْلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ الْأَلوَانِ قَدْ نُطَقَتِ
بِالْأَجَنِينِ الْمُكَلَّلِ، يَعْشِي مَشِيَّ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحَهُ
فِيْقَهَقَهُ ضَاحِكًا لِجَمَالِ سُرْبَالِهِ، وَأَصَايِيعُ وِشَاحِهِ، فَإِذَا رَمَى بِيَصْرِهِ
إِلَى قَوَائِيمِ زَقَّا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنِ اسْتِغْاثَتِهِ، وَيَشَهُدُ بِصَادِقِ
تَوْجِيْعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِيمَ حُفْشٍ كَقَوَائِيمِ الدِّيْكَةِ الْخِلَاصِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتِ
مِنْ ظُنُوبِ سَاقِهِ صَيْصِيَّةٌ حَفَيْيَةٌ.

وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزَعَةٌ خَضْرَاهُ مُوشَأَةٌ (مُوشَأَة)، وَمَخْرُجٌ
عُنْقِهِ كَالْإِبْرِيقِ، وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنِهِ كَصِبْغٍ لَوْسَمَةٌ أَلْيَانِيَّةٌ،
أَوْ كَحْرِيرَةٌ مُلْبَسَةٌ مِنْ أَنَّا ذَاتَ صِقالٍ، وَكَانَهُ مُتَلْفَعٌ بِمَعْجَرٍ أَسْحَمَ إِلَّا
أَنَّهُ يُخَيِّلُ لِكَثْرَةِ مَاءِهِ وَشَدَّدَ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ،
وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ حَطَّ كَمُسْتَدَقَّ الْقَلْمَ في لَوْنِ الْأَقْحَوْانِ أَبْيَضُ يَقْنِ
فَهُوَ بِيَاضِهِ فِي سَوَادِهِ مَا هُنَالِكَ يَا تَلْقَ.

وَقَلْ صِبْعٌ إِلَّا وَقَدْ أَخْذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِفَالِهِ
وَبَرِيقِهِ ، وَبَصِيصِ دِبَاجِهِ وَرَوْلِقِهِ ، فَهُوَ كَالْأَزْاهِرِ الْمَبْتُوْثَةِ لَمْ تُرَبَّبْ
أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلَا شَمْوُسٍ قَيْظَى ، وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ وَيَغْرِي مِنْ

لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَرَى وَ يَنْبُتُ تِبَاعًا فَيَنْتَهِ مِنْ قَصْبِهِ إِنْجِنَاتٌ أَوْ رَاقِ
الْأَغْصَانُ، ثُمَّ يَتَلَاهَقُ زَامِيًّا حَتَّى يَعُودَ كَهْفِتَهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ
سَالِفُ الْوَانِهِ، وَ لَا يَقْعُدُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَ إِذَا تَصَفَّحَ شَفَرَةً مِنْ
شَفَرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتَكَ حُفَرَةً وَ زَدَيْهَ، وَ تَارَةً خُضْرَةً زَبَرَجَدِيَّةً، وَ أَخِيَّانًا
شَفَرَةً عَسْجَدَيَّةً.

فَكَيْفَ تَحِلُّ إِلَى صِفَةٍ هَذَا عَمَّا يُقْرَأُ الْفِطَنُ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِبُ الْعُقُولِ،
أَوْ تَسْتَنْطُمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ، وَأَقْلَلُ أَجْزَائِهِ فَذُو أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ
أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصْفَهُ.

فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْمُقْوِلَ عَنْ وَضْفِ خَلْقٍ جَلَاهُ لِلْمُعْيُونِ فَلَدَرَ كَتَهُ
مَخْدُودًا مُكَوَّنًا، وَمُؤْلَفًا مُلْوَنًا، وَأَنْجَزَ أَلْأَسْنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ
وَقَدَّ بِهَا عَنْ تَلْدِيهِ نَفْتِهِ، وَسُبْحَانَ مِنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الدَّرَةِ وَالْهَمْجَةَ إِلَى
مَا فَوَّقَهَا مِنْ خَلْقِ الْجِيَّاتِ وَالْفِيلَاتِ، وَوَأْيَ عَلَى نَفْسِهِ أَلَا يَضْطَرِبَ
شَبَّحَ مَا أَوْلَاجَ فِيهِ الرُّوحُ إِلَّا وَجَعَلَ الْحَمَامَ مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

قال السيد (ره) بعد إيراد الخطبة بتمامها : تفسير ما جاء فيها من الغريب « ويؤرّ «علاقة» ، الار »كتنائية عن النكاح يقال أر المرأة يؤرّها إذا نكحها ، قوله : كأنّه قلع داري عنجهة توبيه » القلع شراع السفينة ، وداري منسوب إلى دارين وهي بلدة على البحر يجلب منها الطيب ، وعنججه أي عطفه يقال : عنجهة النافقة

(ج) (١٠)

فى بدیع خلقة الطاووس

(٤٥)

أعنجهما عنجاً إذا عطفتها ، و النوتى الملاح و قوله : « ضفتى جفونه » أراد جانبى جفونه ، والضفتان الجانبان و قوله : « وفلذالز برجد » الفلذ جمع فلذة وهي القطعة و قوله : « كبابس المؤلو الرطب » الكبابة العنق « والعسالين » الغصون واحدها عسلوج .

اللغة

(الحيوان) محرّكة جنس الحى أصله حييان وقد تكون بمعنى الحياة والمراد هنا الأول و (نعق) بمعنى من بابي ضرب و منع نعقا و نعيقا و نعاقا صاح بها و زجرها هكذا في القاموس ، و في مصباح اللغة للمفيومي من باب ضرب إلا أنَّ الموجود فيما رأيته من نسخ النهيج نعقت بكسر العين .

و (رفف) الطاير بسط جناحيه عند السقوط على الشيء يحوم عليه لتفعل فوقه و (حقاق المفاصل) بكسر الجاه جمع حق بالضم رأس الورك الذي فيه عظم الفخذ و رأس العضد الذي فيه الموابلة قال الشارح المعمزالى : هو مجمع المفصلين من الأعضاء فيكون أعمَّ و (صحبة) على الأرض صحباً من باب منع جر و عليها فانسحب و (طوى) الصحيفة يطاوئها طويها قال سبحانه « نطوى السماء كطي السجل للكتب » و انه لحسن الطيبة بالكسر وفي بعض النسخ من طيه بالكسر .

و (قلع داري) قلل الفيومي : القلاع شراع السفينة ، والجمع قلع ، مثل كتاب و كتب ، والقلع مثله ، والجمع قلوع مثل حمل و حمول ، وفي القاموس القلع بالكسر الشراع كالقلاعة ككتابة ، و الداري المنسوب إلى دارين قال البحرياني : وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال إنَّ الطيب كان يجلب إليها من الهند وهي الآن خراب لا عمارة بها ولا سكنى ، وفيها آثار قديمة وفي القاموس الدارين موضع بالشام .

و (ماس) في مشيه تبختر و (الزيفان) التبختر في المشى و (الملافعه) مفأولة من ألقح الفحل الناقة أى أحبلها ، و في بعض النسخ (بملافعه) بسيفة الجمع

(ج) (١٠)

المختار الفائة والرابع والستون

(٤٦)

مضافاً إلى الضمير أي بآلات التناسل والأعضاء (غلم) كفرح غلماً وغلمة بالضم
واغتلم غلب شهوة ، وغلم البعير واغتلم أي هاج من شهوة الضراب ، فهو غلّم وغلّيم
والاثنتي غلّمة وغلّيمه واغتلمته .

و (سفحت) الدّم أي أرقته والدّم مع أسلته وفي بعض النسخ تتشجّها بدل
تسفحها مضارع نشج من باب ضرب يقال نشج القدر أي غالاً ما فيه حتى سمع له
صوت قال العلامة المجلسي : ولعل "الأول" أوضح ، فإنّ الفعل ليس متعدّياً بما فيه
على ما في كتب اللغة و (تطعم) على صيغة التفعّل بحذف إحدى التاءين و (بجس)
الما ، تبعيسيّاً فجره فتبجس وانجس ، وفي بعض النسخ المنبجس من باب الانفعال.
و (المداري) بالدال المهمّلة جمع المدرى قال ابن الأثير : المدرى والمدرة
شيء من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر
المليّ ويستعمله من لامشط له ، وفي نسخ الشارح البحرياني بالذال المعجمة قال:
وهي خشبة ذات أطراف كاصابع الكف ينقى بها الطعام .

و (دارات) جمع الدّارة دارة القمر وغيره سميت بذلك لاستدارتها و (العيان)
بالكسر كما في القاموس وقال العلامة المجلسي بالضم : الذهب الحال أو الذهب
النابت من الأرض و (جنينت) التّمرة والزّهرة واجتنبتها والجنيّ فعيل منه ،
وفي بعض النسخ جنيّ كجنس و هو ما يجني من الشّجر مادام غصناً بمعنى فعيل
ولفظة الفعل المجهول ليست في بعض النسخ .

و (زهر) النبات بالفتح نوره ، والواحدة زهرة كتمر وتمرة قالوا ولا يسمّي
زهرأً حتى تفتح و (وشيت) الثوب وشيئاً من باب رمي نقشته فهو موشى وزان مرمي
أي منقوش ، والأصل على مفعول و (الحلل) كصرد جمع حلّة بالضم وهي إزار
وزداء من برد أو غيره فلا تكون حلّة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة .

و (العصب) وزان فلس قال الفيومي برد يصنع غزله ثم ينسج ، ولا يثنى ولا
يجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليه فيقال : برد عصب وبرود عصب ، والاضافة
للتحصيص ، ويجوز أن يجعل وصفاً فيقال : شريت ثوب بأعصاب ، وقال السهلي : العصب

صبح لا ينبع إلا باليمن .

و (الفموص) جمع فص كفلس و فلوس قال ابن السكيت : كسر الفاء ددى ، وكذا قال الفارابي ، و في القاموس الفص الخاتم مثلثة و الكسر غير لحن و (كلل) فلاناً أى أليس الا كليل وهو بالكسر التاج و شبه عصابة زين بالجوهر و (الوشاح) ككتاب شيء ينسج من أديم ويرصع شبه القلادة تلبسه النساء .
ورجل (أحمس) الساقين أى أدقهما و (الخلاسي) بكسر الخاء المعجمة الديك بين دجاجتين هندية وفارسية ، والولد بين أبوين أبيض وأسود و (الظنبوب) حرف العظم اليابس من قدم الساق و (الوسمة) بكسر السين كما في بعض النسخ وهي لغة الحجاز وأفصح من السكون ، وأنكر الأزهرى السكون ، وبالسكون كما في بعضها و (اللفاع) ككتاب الملحفة أو الكسء او كلما تتلتفع به المرأة ، وتلتفع الرجل بالثوب إذا اشتمل به و تنطى ، وفي بعض النسخ متقمق من القناع و (أبيض يفق) بالتحريك وبالكسر أيضا وزان كتف شديد البياض .

و (يتحسّر) في بعض النسخ مضارع تفعل يقال : تحسّر البعير أى سقط من الأعياء ، وفي بعض النسخ تتحسر على صيغة الانفعال تقول : حسره كضربه فانحسر أى كشفه فانكشف و (سالف ألوانه) في بعض النسخ بدلها ساير ألوانه والأول أظهر و (العسجد) كجعفر الذهب و (العمق) بالضم والفتح قعر البشر و نحوها و (الفطن) كعنب جمع فطنة بالكسر وهي الحذق والعلم بوجوه الأمور و (جلاء) بالتشديد والتخفيف على اختلاف النسخ أى كشفه و (الهمجة) محرّكة واحدة الهمج بالتحريك أيضا وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه العنم والجمير والنعاج الهرمة .

الاعراب

قوله : ونعتت جملة مستأنفة ، وتحتمل أن تكون معطوفة على جملة انتقادت و على الأول فالضمير في دلائله راجع إلى الله ، وعلى الشّانى فهو راجع إلى ما ، وقوله : ومذراً ، عطف على قوله : ما انتقادت ، أو على الضمير في دلائله كما قاله

الشّارح البحرياني وقوله : من ذوات ، بيان للأطيار ، ومصرفة ، ومرفرفة منصوبان على الحال ، وفي بعض النسخ با لجر على أنّهما صفتان لذوات أجنحة .
وجملة كونها في المعنى تأكيد لجملة ذر ، ولكمال الاتصال ترك العاطف بينهما ، وتحتمل الاستيناف البياني ، و قوله : في لون صبغ ، بحر لون مضافاً إلى صبغ على الإضافة البيانية ، وفي بعض النسخ بالجر والتنوين وصبح على صيغة الماضي المجهول ، أي صبغ ذلك المغموم ، والواو في قوله : ومن أعجبها ، استينافية وقوله : بجناح ، إما بدل من أحکم تعديل أو عطف بيان ، و يحمل تعلقه بقوله أحسن تنضيد .

و جملة عنجه ، مرفوعة المحل صفة لقلم ، و مغرزها ، مبتدء خبره كصبح الوسمة ، و بطنه بالرفع مبتدء محذوف الخبر أي مغرزها إلى حيث بطنها موجوداً ومهتمداً ومتنه إلى كصبح .

وحيث تضاف إلى الجملة غالباً وإضافتها إلى المفرد تشذ في الشعر ، وهو في المعنى مضافة إلى المصدر الذي تضمنته الجملة قالوا : حيث وإن كانت مضافة إلى الجملة في الظاهر ، لكن لما كانت في المعنى مضافة إلى المصدر فاضافتها إليها كلام إضافة ، ولذا نسبت علىضم كالغایات على الأعراف قال نجم الأئمة : قد حذف خبر المبتدء الذي بعد حيث غير قليل ، والتنوين في قوله : بقسط ، للتفسير ، وجملة : علاه عطف على جملة أخذ .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة الشريفة على غاية بلاغتها و بديع اسلوبها و عجيبة نظمها مسوقة لشرح أوصاف الطّيير لا سيما الطاؤوس ، والغرض منه التنبية على عظيم قدرته سبحانه و لطيف صنعته والإشارة إلى عجائب ما أبدعه سبحانه في الملك والملائكة ، لتتبّعه من رقدة الغفلة ، و يحصل لك كمال المعرفة .

و افتح عليهم بمطلق دلائل القدرة ثم تخلص إلى ذكر الطاؤوس فقال (ابتدعهم) أي أبدع الموجودات لا عن مادة أو على غير مثال سابق (خلقاً عجيباً)

على أصناف مختلفة وأنواع متباينة و هيئات عجيبة وأوصاف بدیعة (من حیوان وموات و ساکن و ذی حرکات) أى بعضها ذو حیات كأصناف الملائكة و الحیوان والجن والانس ، وبعضها ذو ممارات كالشجر و الجمام و النباتات وغيرها مما ليس لها حیاة ، وبعضها متخصصة بالسكنون كالأرض و الجبال ، وبعضها متخصصة بالحركة الارادية كالانسان والحيوان و نحوهما، أو طبيعية كالماء والنار والكون والفلاك . (وأقام من شواهد البینات على لطیف صنعته و عظیم قدرته ما) أى شاهد صدق وبرهان حتى (انقادت له) أى لذلك الشاهد (العقل معترفة به) أى بهذا الشاهد أو بالله سبحانه و مسلمه له) غير جاحدة لحقيقة (ونعمت) أى صاحت (في اسماعنا دلائله) سبحانه (على وحدانيته) قال الشارح البحراني استعار لفظ التعیق في الا سماع لظهور تلك الدلائل في صمام العقل (وما زر) أى أقام من شواهد البینات أو نعمت دلائل ما ذرته و خلقه (من اختلاف صور الأطياف التي أسكنها أخاديد الأرض) كالقطاون نحوه مما يسكن الشقوق في الأرض (وخرق فجاجها) كالقبع وشبهه مما يسكن الفجاج أى الطرق الواسعة بين الجبلين (ورواي أعلامها) كالعقبيان و الصقور تأوى في الجبال الرأسيات أى الثابتات المستقرات (من ذوات أجنحة مختلفة و هيئات متباينة) فهذا غراب ، وهذا عقاب ، وهذا حمام . وهذا نعام خلقها الله سبحانه على أشكال مختلفة وطبعات متضادة .

ولكتها كلها على تباین طبائعها و تضاد أجناسها مقهورة تحت ذل القدرة مشدودة بربق الطّاعة (مرففة) و متنقلة (في زمام التسخير) كما قال عز من قائل:

« أَلَمْ يَرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسْخَرَاتٍ فِي جَوَّ السَّمَاوَاتِ مَا يُنْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

قال الرّازى : هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته : فانه لو لا أنه تعالى خلق الطير خلقة معها يمكنه الطيران فيها لما ممكن ذلك ، فانه أعطى الطير جناحا .. طره مرتة و يكسره أخرى ، مثل ما يفعل السابح في الماء ، و خلق الهواء خلقة

لطيفة رقيقة يسهل خرقه و النفاذ فيه ولو لا ذلك لما كان الطير ان ممكنا ، و جسد الطير جسم تقيل و الجسم الثقيل يمتنع بقاؤه في الجو معلقاً من غير دعامة ولا علاقه فوقه ، فوجب أن يكون الممسك له في ذلك الجو هو الله سبحانه .

(و مرفرفة بأجنحتها في مخارات الجو المنفسح و الفضاء المنفرج) أى باسطة جناحيها في أمكنتها التي تخرت الهوا الواسع فتدخلها قال تعالى :

« أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الظِّيرِ فَوْهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضُنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ » .

قيل في تفضيره : أى باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها ، فانهن إذا بسطنها صفقن قوادها - ويقبضن - أى ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتاً بعد وقت للاستظهار به على التحرّك ، ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتفرق بين الأصيل في الطيران والطّارى عليه - ما يمسكهن - في الجو على خلاف طبعهن - إلا الرحمن - الشامل رحمته كل شيء ، بأن خلقهن على اشكال وخصائص هيئاتهن للحركة في الهواء - إنّه بكل شيء بصير - يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب .

(كونها) كسايز المكونات والمخلوقات (بعد اذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة) و هيئات بدعة غير مستورة (و ركبها في حقيق مفاصل محتاجة) مستترة باللحم والجلد ونحوهما (ومنع بعضها بعمالة خلقه) وضخامة جثّة كالنّعامة واللّفق ونحوهما (أن يسمو في السماء خفوفا) أى يعلو في جهة العلو بسرعة (وجعله يدف دفينا) أى يحرّك جناحيه للطيران قال الفيومي : معناه ضرب بهما دفيه وهما جنباه ، يقال ذلك إذا أسرع مشياً ورجلاه على وجه الأرض فم يستقل طيرانا (و نسقاها) أى نظمها (على اختلافها في الأصوات) والألوان (بلطيف قدرته ودقيق صنعته) أى جعل كلّ منها على لون خاص على وفق حكمته البالغة (ف منها مغموم في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه) أى بعضها ذا لون واحد كالأسود والأبيض والأحمر ، فعبر عنه بالغمس في قالب اللون إشارة إلى

(ج) ١٠)

في أسرار خلقة الطيور

(٥١)

إحاطة اللّون الواحد به بجميل أجزائه كما يحيط القالب بالأشياء المصنوعة بالصب
فيه من نحاس ونحوه .

(ومنها مغمومس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به) أي بعضها
ذولونين فما زاد كالقبيح والفاخثة والبلبل ونحوها مما يخالف لون عنقه لون ساير
جسده ، والغرض بذلك كله حسبما عرفت التنبيه على عظمة الله سبحانه وكمال
قدرته ولطيف صنعه وبديع حكمته .

وقد شرحه الصادق عليه السلام وأفصح عنه في حديث المفضل .

قال عليه السلام : تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فإنه حين قدر أن
يكون طيراً في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر به من القوايم الأربع على
اثنتين ، ومن الأصبع المخمس على أربع ، ومن منفذين للزبل والبول على واحد
يجمعهما ، ثم خلق ذا جوه جوء محدد يسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ
فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتندف فيه ، وجعل في جناحيه وذنبه
ريشات طوال مثان ليتهضم بها الطير ، وكسي كله الريش ليدخله « ليتدخله خل
الهواء فيقله .

ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلغه بلعاً بلا مضغ نقص من خلقة
الأستان وخلق له منقار صلب (١) جاس يتناول به طعمه فلا ينسحج من لفظ الحب
ولا يتقصّ (٢) من نهش اللحم ، ولما عدم الأسنان وصار يزدرد الحب صحّيحاً
واللحم غريضاً أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحنناً يستنقى به
عن المضغ .

واعتبر بأن عجم العنبر وغيره يخرج من أجوف الانس صحّيحاً ويطحن في
أجوف الطير لا يرى له أثر .

ثم جعل مما يمتص بيضاً ولا يلد ولادة لكيلاً يشق عن الطيران ، فإنه لو كانت
الفرخ في جوفه تمكّت حتى تستحقّكم لا تقتلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل

(١) أي صلب يابس (٢)

(ط) التقصّف التكتّر (٣)

كلّ شيء من خلقه شاكلا لاً من الذي قدر أن يكون عليه.

ثم صار الطاير السابع في هذا الجو يقعد على بيضه فيخر لـه أسبوعاً وبعضاها أسبوعين وبعضاها ثلاثة أيام حتى يخرج الفرخ من البيضة، ثم يقبل عليه فيزقه لتتنفس حوصلته للغذاء، ثم يوبيه ويفدعيه بما يعيش به، فمن كفه أن يلطف الطعام ويستخرج منه بعد أن يستقر في حوصلته ويغدو به فراخه؟ ولاً يعني يحتمل هذه المشقة وليس بذى روية ولا تفكّر؟ ولا يأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العز والرقد وبقاء الذكر وهذا من فعل هو يشهد بأنه معطوف على فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكّر فيها وهي دوام النسل وبقاوئه لطفاً من الله تعالى ذكره.

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريج وليس لها ببعض مجتمع ولا ذكر موطن، بل تنبعث وتنتفخ وتفوقى وتمتنع من الطعام حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ، فلم كان ذلك منها إلا لاقامة النسل، ومن أخذها باقامة النسل؟ ولا روية ولا فكر لو لأنها مجبولة على ذلك.

واعتبر بخلق البيضة وما فيها من المخ الأصفر الخائن، و الماء الأبيض الرقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ، وبعضه ليغذي به إلى أن تنقب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير، فإنه لو كان نشوء «نشق خل»، الفرخ في تلك القشرة المستحبنة التي لا مساغ لشيء إليها يجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفى إلى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حسین لا يصل النفقة إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفى به إلى وقت خروجه منه.

فكّر في حوصلة الطاير وما قدر له، فإن مسلك الطعام إلى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلا قليلاً، فلو كان الطاير لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الأولى القانصة لطال عليه ومني كان يستوفى طعمه، فانما يخملسه اختلاساً لشدة الحذر، فجعلت الحوصلة كالمخلة المعلقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعام بسرعة ثم تنفذ إلى القانصة على مهل، وفي الحوصلة أيضاً خللاً أخرى فان من الطاير ما يحتاج إلى أن يرزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب أسهل عليه.

قال المفضل : فقلت إنّ "قوماً من المعطلة يزعمون أنَّ اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبيل امتزاج الأخلاط و اختلاف مقاديرها بالمرج والاهمال .

فقال **إليثيل :** يامفضل هذا الوشى الذي تراه في الطواويس والدراج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما ي خط بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهم على شكل واحد لا يختلف ، لو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكن مختلفاً .

تأمل ديش الطير كيف هو ؟ **فإنك** تراه منسوجاً كنسج الشوب من سلوك دقيق قد أتى بعده إلى بعض كتاليف الخيط إلى الخيط والشجرة إلى الشجرة ، ثم ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح فليلاً ولا ينسق لتدخله **الرياح** فيقل الطائر إذا طار ، وترى في وسط **الريشة** عموداً غليظاً معميناً قد نسج عليه الذي هو مثل **الشعر** ليمسكه بصلابته ، وهو القصبة التي في وسط **الريشة** ، وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران .

هل رأيت يا مفضل هذا الطایير الطويل الساقين و عرفت ماله من المنفة في طول ساقيه ؟ **فأنه** أكثر ذلك في صاحبنا (١) من الماء، فتراه لساقيين طويلين كانه (بيئة) (٢) فوق يرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء ، فإذا رأى مما يقوّت به خطأ خطوات رقيقة حتى يتناوله ، ولو كان قصير الساقين و كان يخطو نحو الصيد ليأخذنه تصيب بطنه الماء فيثور و يذعر منه فيتفرق عنه ، فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبـه .

تأمل ضروب التدبیر في خلق الطایير **فإنك** تجد كل طایير طويل الساقين طويل العنق ، و ذلك ليتمكن منتناول طعمه من الأرض ، ولو كان طويـل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض ، و ربما أعين مع تطول العنق بطول المناقير ليزداد إلا من عليه سهولة له و إمكانـاً ، أفلـا ترى أنك لا تقتـش شيئاً

(١) ما صاحبنا قریب القدر (منه) (٢) الريـة العين الذي ينظر للقوم لـلا يداهمـهم عدو .

من الخلقة إلا وجدته في « على » غاية الصواب والحكمة ؟

وإذا عرفت وجه التدبير والحكمة في مطلق الطير فلننعد إلى شرح عجائب خلقة الطاووس على ما فصله الإمام بنبيه بقوله (ومن أعجبها خلقا الطاووس الذي أقامه) الله سبحانه (في حكم تعديل) أى أعطى كل شيء منه في الخلق ما يستحقه وخلق على وجه الكمال خاليمان نقص (ونضد) أى رتب (ألوانه في أحسن تنضيد)

وقرئ كما قال الشاعر :

طير على أشكاله رئيس	سبحان من من خلقه الطاووس
في الرئيس منه ركب فلوس	كأنه في نقشه عروس
في الرئيس منه شجر مغروس	تشرف في داراته شموس
أو هو رهو (١) حرم يميس	كأنه بتفسح يميس

فقد رتب تعالى ألوانه (بجناح أشرج قصبه) أى ركب عروق جناحه وأصولها بعضها في بعض كما يشرح العيبة أى يدخل بين أشراحها (وذنب أطال هسبيمه) على وجه الأرض (وإذا) أراد السفاد و (درج إلى الاشتى نشره) أى نشر ذنبه (من طيبة و سما به مطلاً) أى رفعه مشرفاً (على رأسه كأنه قلع داري) شبهه بنبيه ذنبه بشرع السفينة من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس ، لأنه عند ارادة السفاد يبسط ذنبه وينشره ثم يرفعه وينصبه فيسير كهيئه الشراع المرفوع .

وأوضح وجه الشبه بقوله (عنجه نوتنه) وذلك لأن الملاح الذي يدبر أمر السفينة يعطى الشراع ويصرفه تارة بالجذب و تارة بالإرخاء و تارة بتحويله يميناً و شمالاً بحسب انصرافه من بعض الجهات إلى بعض (يختال) أى يتکبر ويعجب (بألوانه ويميس) أى يتباختر (بزيفاته) والتباختر بهمسيته .

ثم وصف بنبيه هيئه جماعه بقوله (يفضى) ويسفر (كافضاء الديكة ويأثر) أى يجتمع (بملائحة) مثل (أر الفحول المفترضة) وذات الغلم والشبق .

ثم أكد كون سفادة مثلثي سفاد الديك والفحول بالآلات التناسل كساير أصناف

الحيوان تنبئها به على رد من زعم أن سفاده بقمع الدّم مع ف قال (احيلك من ذلك على معاينة) أى مشاهدة برأ العين (لا كمن يحيل على ضعيف اسناده) ويزعم أن لقاوه بالقطعن اعتماداً على سند ضعيف وإحاله عليه .

ثم دفع الاستبعاد عن ذلك الرّزق الفاسد بقوله (ولو كان) الا من (كزعم من يزعم أنه يلقي) أى يحيل (بدمعة تصفحها) وتسكبها (مدامعه فتقف في ضفتى جفونه) وجانبها (وأن انتهاء تقطعن ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدّم مع المتبغض) المنفجر (لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب) قال الشارح المعتزالى : واعلم أن قوماً زعموا أن الطاووس الذي يدمع عينه فتقف الدّموعة بين أجنافه فتأتي الأنثى فقطعها فتلقح من تلك الدّموع وأمير المؤمنين عليه السلام لم يحل ذلك ولكنّه قال : ليس بأعجب من مطاعمة الغراب ، والعرب تزعم أن الغراب لا يسفد ، ومن أمثالهم : أخفى من سفاد الغراب ، فيزعمون أن اللقاح من مطاعمة الذي والأنتى وانتقال جزء من الماء الذي في قانصته إليها من منقاره ، وأمّا الحكماء فقل أن يصدقوا بذلك ، على أنّهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا ؟ قال ابن سينا : و القبعة تحبلها ريح تهب من ناحية الججل الذي يكر ومن سماع صوته ، انتهى .

أقول : أمّا كلام أمير المؤمنين عليه السلام فلا يخفى أن ظهوره في كون سفاد الطاووس باللقاح ، حيث شبيهه باضداد الديكة وبأثر الفحول ، وعبر عن القول الآخر بالزعم كظهوره في كون سفاد الغراب بالمطاعمة ، وأمّا المثل فلا يدل على أن الغراب لا يسفد بل الظاهر منه خلافه ، على أنى قد شاهدت عياناً غير مرّة سفاد الغراب الأبعـعـ ، فلابد من حمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على سائر أصناف الغراب وإن كان ظاهره الإطلاق والله العالم بحقائق الخبريات وأولئك عليه السلام .

ثم أخذ عليه السلام في وصف اجنحة الطاووس فقال (تخال قصبه) أي عظام اجنحته (مداري من فضة) في الصفاه والبياض (وما أثبتت عليها من عجيب داراته وشموسه) التي في الرّيش (خالص العقيان) أى الذهب في الصفرة الفاقعة والزنون والبريق

والجلال (وفلذ الزبرجد) في الخضراء والنضارة .

(فان شبتهما بما أنبتت الأرض) من الأزهار والأأنوار (قلت جنبي جنبي من زهرة كل ربيع) ونوره في اختلاف الألوانه وأضاءابعه (وإن ضاهيته) أى شاكلته وشبته بالملابس (فهو كموشى الحل) المنقشة بكل نقش في البهجة والنضارة (أو) ك (مونق عصب اليمن) أى كبير ديماني مصوّغ معجب (وان شاكلته بالحل) فهو كخصوص ذات ألوان مختلفة (قد نطقـت باللـجين المـكـلـل) أى جعلـت الفـضـة كالـسـطـاق لـهـا .

قال الشارح البحرياني : شبته بالخصوص المختلفة الألوان المنقطة في الفضة أى العرقـة في صـفـاـيـحـ الفـضـةـ والمـكـلـلـ الذـيـ جـعـلـ كـالـكـلـيلـ بـذـلـكـ التـرـصـيـعـ ،ـ فيـكـوـنـ حـاـصـلـ كـلـامـهـ ~~كـلـمـةـ~~ تـشـبـيـهـ قـصـبـ رـيشـهـ بـصـفـاـيـحـ منـ فـضـةـ رـصـعـتـ بـالـخـصـوصـ الـمـخـلـفـةـ الـأـلـوـانـ ،ـ فـهـيـ كـالـكـلـيلـ بـذـلـكـ التـرـصـيـعـ ،ـ وـلـكـنـ الـأـظـهـرـ أـنـ الـمـكـلـلـ وـصـفـ اللـجـينـ فـأـفـهـمـ .

ثم أخذ في وصف مشيه وضحكه فقال ~~عليـلـهـ~~ (يمشي مشي المرح المختار) أى كمشي الفرحان المعجب بنفسه (ويتصفح) أى يقلب جناحه وذنبه (فيقهه ضاحكا لجمال سرباله) أى حسن قيمته (وأصابعه وشاحه) أى ألوان لباسه (فإذا رمى بيصره نحو قوائمه) ورأى سماجتها (زقا) وصاح (معولا بصوت) أى رافعا صوته بالبيكاء والن Seymour (يكلي بين) أى يطعن ويرتحل وهو كنایة عن الموت (عن استغاثته ويشهد) عويله (بصادق توجعه) ويفصح عن شدة تفجعه وذلك (لأن قوائمه حمش) دقاق (كقوائم الديكة الخلاصية) التي عرفت معناها (وقد نجمت أى حلقت (من ظنيبوب ساقه صيصية) وهي في الأصل شوكه العائذ التي يسوّي بها السدادة والتحمة، فاستعيرت لصصية الطاير التي في رجله (خففة) ليست بجلية كما للدبة .

ثم أخذ في وصف قنزعته بقوله : (وله في موضع العرف) مستعار عن عرف الدابة وهو شعر عنقه (قنزعة) وهي رويشات يسيرة طوال في مؤخر رأسه بارزة

عن ريش رأسه استعارة عن قنزعة الصبي وهي الخصلة من الشعر يترك على رأسه (خضراً موشأة).

ثم أخذ في وصف عنقه بقوله : (و مخرج عنقه كالابريق) أى محلّ^١
خروج عنقه كمحلّ^٢ خروج عنق الابريق فيشعر بأنّ^٣ عنقه كالابريق لأنّ^٤ خروجه
كخروج عنق الابريق على أنه مصدر فيكون الاشعار أقوى (و مفرزها) أى مثبت
عنقه ، وتأنيث الضمير على لغة أهل الحجاز (إلى حيث بطنه كصبح الوسمة اليمانية)
في الخبرة الشديدة الضاربة إلى السواد (أو كحريرة سوداء ملبسة من آتنا ذات صقال)
في لونها المخصوص ومخالفة بصيص المرآة لها (و كانه متلقيع) أى مكتس (بمعبور
أسحجم) أى بشوب كالعصابة ذي سحم وسود (إلا^٥ أَسْهَـ يخيّل لكثرة مائه وشدة بريقه
أنّ^٦ الخضراء النّاضرة ممتّزة به) .

ثم وصف الخط^٧ الأبيض عند محلّ^٨ سمعه فقال : (و مع فتق سمعه خط^٩)
دقيق (كمسدق^{١٠} القلم في) لون مثل (لون الاقحوان) أى البابونج (أبيض يفق
 فهو) أى ذلك الخط^{١١} ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق) ويلمع .

ثم أجمل في تعدد ألوانه فقال : (وقل^{١٢} صبغ إلا^{١٣} وقد أخذ منه بقسط) وافر
(وعلاه) أى زاد على الصبغ وغلب عليه (بكشة صقاله وبريقه) أى جلائه ولمعاته
(وبصيص ديباجه ورونقه) أى حسناته وبهائته (فهو كالازاهير المبثوثة) المفترقة
(لم تربتها أمطار بريع ولا شموس قيظ) لما كان من شأن الأزاهير أنّ تربيتها وكمالها
بالشّمس والمطر ، وشبّه^{١٤} ألوان هذا الطاير بالازاهير المبثوثة التي بهذه الجملة
تنبيها على أن تربيتها ليست بالشّموس والأمطار وإنما هي بتدبير الفاعل المختار
فقيه من الدلالة على عظمة الصانع تعالى وقدرته ما لا يخفى .

و الظاهر أنّ^{١٥} الجمع في الأّمطار باعتبار الدّفّعات ، و في الشّموس ببعضه
الاشراق في الأّيام ، أو باعتبار أنّ^{١٦} الشّمس الطالع في كلّ يوم فرد على حدة
لاختلاف التّأثير في تربية الأزهار والنباتات باختلاف الحرّ والبرد وغير ذلك .

ثم^{١٧} يبيّن له حالة أخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصانع وقدرته فقال :
(وقد يتحسّر) و يتعرّى (من ديشه و يعرى من لباسه) و ذلك في الخريف عند

سقوط أوراق الأشجار (فيسقط تترى) أى شيئاً بعد شيء (وينبت تباعاً) بدون فترة بينهما (فينتح) أى يسقط (من قصبه انحنات أوراق الأغصان ثم يتلاحق نامياً) وذلك في الربيع إذا بده طلوع الأوراق (حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف) لون ريشه الثاني (سالف ألوانه ولا يقع لون في غير مكانه).

ثم أشار إلى ماهو ألطاف وأدق مما مضى وأعظم في الدلالة على قدرة الصانع المتعال فقال: (وإذا صفت شعرة واحدة من شعرات قصبه أرتاك) تملك الشعرة من شدة بصيصها ألواناً مختلفة فتارة (حمرة وردية وتارة) أخرى (خضرة زبرجدية وأحياناً صفرة عسجدية) .

ثم عقب ذلك باستبعاد وصول الأذهان النافية إلى وصفه وقال: (فكيف تصل إلى صفة هذا عما يقظ القطن) أى الفطن العميقa التي من شأنها إدراك دقائق الأشياء و العلم بوجوه الأمور على ما ينبغي (أو تبلغه فرائحة العقول) أى تناله العقول بجودة الطبيعة من قولهم لفلان قريحة جيّدة يراد استنباط العلم بجودة الطبع (أو تستنظم وصفه أقوال الراصفين و) الحال أن (أقل أجزاءه قد أعجز الأوهام أن تدركه والألسنة أن تصفه) ولا ريب أن الشّعرة أقل الأجزاء التي بها قوام الحيوان .

و المراد بيان عجزها عن ادراك عمل هذه الألوان على اختلافها و اختصاص كل من مواضعها بلون غير الآخر و عمل هيئاتها وساير ما أشار إليه، أو إظهار عجزها عن إدراك جزئيات الأوصاف المذكورة و تshireح المheimات الظاهرة و الخصوصيات الخفية في خلق ذلك الحيوان ، فإن ما ذكره يُكتَلِّمُ في هذه الخطبة تshireحه وإن كان على غاية البلاغة و فوق كل بيان في وصف حاله إلا أن فيه وراء ذلك جزئيات لم يستتبّ لها الوصف .

وهذا هو الأقرب والأقرب بما يقتبـه به من تنزيهه تعالى أعني قوله: (فسبحان الذي بهر العقول) وغلبها (عن وصف خلق جلاه للمعيون فأدركته محدوداً مكوناً) أى موصوفاً بالحدود والتكميلين و (مؤلفاً) من الأجزاء (ملؤنا) بالألوان المختلفة

(وأعجز الألسن عن تلخيص صفتة وقعد بها عن تأدية نعمته) والغرض الدلالة على عجز العقول عن إدراك ذاته سبحانه ، فانـها إذا عجزت عن إدراك مخلوق ظاهر للعيون على الأوصاف المذكورة فهى بالعجز عن إدراكه سبحانه وصفه أخرى ، وكذلك الألسن عن تلخيص صفتة وتأدية نعمته أعجز .

(وبسـحان من أدمـج) أى أحـكم (قوـائم الذـرة) وهي صغار السـمل (والهمـجة) وهو صغير الذـباب (إلى ما فوقـهما من خـلق) البرـ والـبحر من (الـحيـتان وـالـفـيلـة) وـنحوـها (ـوـأـيـ) أـى وـعـدـ وـأـلـزـمـ (ـعـلـىـ نـفـسـهـ أـلـاـ يـضـطـرـبـ شـبـحـ) وـلـاـ يـتـجـرـكـ شـخـصـ (ـمـاـ أـولـحـ) أـىـ أـدـخـلـ (ـفـيـهـ الرـوـحـ إـلـاـ وـجـعـلـ الـحـمـامـ) وـالـمـوـتـ (ـمـوـعـدـ وـالـفـنـاءـ غـايـتـهـ).

تـهـمـيمـ فـيـ نـوـادـرـ وـصـفـ الطـاوـوسـ

روى في الكافي عن سليمان الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : الطاووس مسخ ، كان رجلاً جميلاً فكابر امرأة رجل مؤمن تحبه فوقع بها ، ثم راسلته بعد ، فمسخ هـمـمـهـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ طاووسين أنتي وذكرأ فلاتأكل لحمه ولا بيضه . وفي البحار من الخرایج عن محمد بن إبراهيم الحرث التميمي ، عن الحسين عليه السلام أنه قال : إذا صاح الطاووس يقول : مولاي ظلمت نفسى وأغترت بزيستى فاغفر لي .

قال الدميري في حياة الحيوان : الطاووس طائر معروف وتصغيره طويس بعد حذف الز وايد ، وكنية أبو الحسن وأبو الوشى ، وهو في الطير كالفرس في الدواب عزّاً وحسنـاً وفي طبعـهـ العـفـةـ وـحـبـ الـزـ هـوـ بـنـفـسـهـ وـالـخـيـلـاـ وـالـاعـجـابـ بـرـيشـهـ ، وـعـقـدهـ لـذـنبـهـ كـالـطـلاقـ لـاـ سـيـمـاـ إـذـاـ كـانـ الـأـنـثـيـ نـاظـرـ إـلـيـهـ ، وـالـأـنـثـيـ تـبـيـضـ بـعـدـ أـنـ يـمـضـ لـهـ مـنـ الـعـمـرـ ثـلـاثـ سـنـينـ ، وـفـيـ ذـلـكـ الـأـوـانـ يـكـمـلـ رـيشـ الذـكـرـ وـيـتـمـ لـونـهـ ، وـتـبـيـضـ الـأـنـثـيـ مـرـّةـ وـاحـدـةـ فـيـ السـنـةـ اـنـثـيـ عـشـرـةـ بـيـضـةـ وـأـقـلـ وـأـكـثـرـ ، لـاـ تـبـيـضـ مـسـتـابـعـاـ ، وـيـسـفـدـ فـيـ أـيـامـ الرـيـبعـ ، وـيـلـقـيـ رـيشـهـ فـيـ الـخـرـيفـ كـمـاـ يـلـقـيـ الشـجـرـ وـرـقـهـ ، فـإـذـاـ بـدـأـ طـلـوعـ الـأـوـرـاقـ فـيـ الشـجـرـ طـلـعـ رـيشـهـ ، وـهـوـ كـثـيرـ الـعـبـثـ بـالـأـنـثـيـ إـذـاـ حـضـنـ ، وـرـبـمـاـ كـسـرـ بـيـضـ وـلـهـذـهـ الـعـلـمـ يـحـضـنـ بـيـضـهـ تـحـتـ الدـجـاجـ وـلـاـ تـقـوىـ الدـجـاجـ عـلـىـ

حضرن أكثر من يبغضين منه ، و ينبغي أن تتعاهد الدجاجة بجميع ما تحتاج إليه من الأكل والشرب معاقة أن تقوم عنه فيفسده الهواء ، و الفرج الذي يخرج من حضرن الدجاجة يكون قليل الحسن و ناقص الجنة ، و مدة حضرنه ثلاثة ثلاثون يوماً ، و فرجه يخرج من البيضة كالفروخ كاسياً كاسياً ، و أعجب الأمور أنه مع جسنه يتسام به ، وكان هذا والله أعلم إنما كان سبباً للدخول إلى ميس الجنة وخروج آدم عليه السلام منها وسبباً للخلو تلك الدار من آدم مدة دوام الدنيا كرهت إقامته في الدور لذلك

الترجمة

از جمله خطب بلاغت نظام آن امام است که ذکر می فرماید در آن عجایب و غرایب خلقت طاووس را باین مضامین .

اختراع کرد و آفرید خدای تعالی مخلوقات را آفریدنی عجیب از ذیروح واژ غیر ذی روح ، واژ ساکن و از صاحب حرکت ، و برپا داشت از علامات باهرات بر لطیف صنعت و عظیم قدرت خود شاهد صادقی را که انقیاد نمود مر او را عقلها در حالتیکه اعتراف کننده بودند باو ، و گردن نهمنده بودند براو ، و صدا کردن در گوشهای ما دلیلهای او بروحدانیت و یگانگی او سبحانه ، و دلیلهای آنچه که آفریده از صورهای مختلفه مرغهایی که ساکن گردانید آنها را در شکافهای زمین ، و در فجههای واقعه در میان کوههای آن و در سرهای کوههای بلند از صاحبان بالهای گونا گون و هیئت‌های متباين در حالتی که مقابله‌ند در افسار تسخیر ، و گستراننده‌اند بالهای خود را در شکافهای هوای فسیح و فضای وسیع .

ایجاد فرمود آنها را بعداز اینکه موجود نبودند در عجایب صورهای آشکار و ترکیب داد آنها را در مجامع مفصلهایی که پوشیده‌اند در تحت پردها ، و منع فرمود بعض از مرغان را بجهة سنگینی و ضخامت جشّ آن از آنکه بلند شود بهوا بسرعت و خفت ، و گردانید آن را که می پرد ببروی زمین پریدنی که نزدیک باشد بزمین تابلند شود ، و منظم نمود مرغان را بالاختلاف ایشان در زنگها باقدرت

لطیفه خود و صنعت دقیقہ خود .

پس بعضی از آنها غوطه و رشده در قالب یکرنگی که أصلًا مخلوط نیست
با آن غیر رنگی که غوطه و رشده در آن ، وبعضی از آنها فرو بردہ شده در رنگی که
طوق کردن آن بخلاف رنگی است که رنگ داده شده با آن .

و از عجیب‌ترین مرغان از حیثیت خلقت طاووس است که بر پا داشته او را
حقیقی عالی در محکم‌ترین تعديل اجزاء ، و ترتیب داده رنگهای آن را در احسن ترتیب
بابالی که در هم کرده قصبهای وأصلهای آن را ، و با دمی که دراز کرده جای کشیدن
آن را وقتي که بگذرد طاووس نر بر طاووس ماده پرا کنده سازده آن دم را از پیچید کی
آن ، و بلند میکند آن را در حالتیکه مشرف باشد بر سر آن گویا که آن دم
بادبان کشته است که هنسو بست بشهردارین که میل داده است آنرا اکشتمیان آن
می‌نازد بر رنگهای مختلفه خود ، و می‌خرامد بنماز شهای خود ، مباشرت میکند
همچو مباشرت خرسان ، و مجتمع میکند با آلات تناسل مثل مجتمع نرهای
شديد الجماع ، حواله هیکنم تورا از این أمر مذکور بر دیدن رأی العین نه
مانند کسی که حواله می‌کند بر سندهای ضعیف خود ، و اگر باشد این امر مثل
گمان کسی که گمان میکند که طاووس آبستن می‌سازد ماده خود را با اشکی که
می‌ریزد آن را کنجهای چشم آن پس می‌ایستد آن اشک در پلکهای چشم او و آنکه
ماده او می‌لیسد آن را پس از آن تخم می‌نهد نه از جماع طاووس نر غیر از اشک
بیرون آمده از چشم هر آینه نمی‌باشد این گمان عجیبتر از مطاعمه زاغها که نرماده
منقار بمناقار می‌گذارند ، و جزئی از آب که در سنگدان نر است بدهن ماده میرسد
و از آن آبستن می‌شود چنانچه اعتقاد عربها اینست ، خیال میکنی اصل پردهای
طاوس را شانه‌ها از نقره بیضا و آنچه رسته بر آن از دایره‌های عجیبه و شمسه‌های
غريبه آن طلای خالص و پارهای زبرجد .

پس اگر تشبيه کنی طاووس را بچيز یکه رويانیده است آنرا زمين گوئي
که گلهائیست چیده شده از شکوفه هر بهاری ، و اگر تشبيه کنی آن را بلباسها

(۶۲) المختار المائة والرابع والستون (ج) ۱۰

پس آن همچو حلّهای زینت داده شده است باطلا ، یا همچو جامهای برد خوش آینده یعنی است ، و اگر تمثیل کنی آنرا بزیورها پس اوانند نگینهای است صاحب رنگها که کشیده در اطراف آن ، یعنی مدور شده مانند نطاق بنقره مزین بجواهر .

راه میرود طاووس مثل راه رفتن شادی کمنده متکبر خرامان ، و می نگرد بنظر دقّت بدم و بال خود پس قهقهه می زند در حالتی که خندانست از جهه حسن پیراهن رنگین خود و رنگهای لباس خود ، پس چون اندازد نظر خود را بسوی پایهای سیاه باریک خود بازگ کند در حالتیکه گریه کمنده باشد با او از بلند که مزدیک باشد روح از بدنش مفارقت نماید از شدت فریاد خود ، زیرا که پاهای او زشت است و باریک همچو پاهای خروسان خلاسی که متولد می شوند میان مرغ هندی و فارسی در حالتیکه برآمده است از طرف ساق اوخاری که پنهانست چنانچه در پای خروسان میروید .

و مراوراست در موضع پس گردن کاکلی سبز مزین بانقش و نگار و موضع بیرون آمدن گردن او مانند ابریق است وجای فرو رفتن گردن آن تا که منتهی شود بشکم او مثل رنگ و سمه یمانی است یا همچو حریر پوشیده شده بر آینه صاحب ضيق و جلا و گویا که طاووس پیچیده است بمقنه سیاه لکن خیال کرده میشود از جهه کثرت تر و تازگی او وشدت برآقی او اینکه سبزی با طراوت آمیخته است بآن .

و با شکاف گوش او است خطی مثل باریکی سر فلم در رنگ گل بابونج که سفید است در غایت روشنی ، پس آن خط بسفیدی خود در میان سیاهی آنچه که آنجاست می درخشد ، و کم رنگی است از رنگها مگر اینکه اخذ نموده است از آن بنصیب کامل ، و بلند برآمده و تقوّق پیدا کرده آن رنگ براو به بسیاری روشنی و درخشیدن آن و برآقی زیبای آن و خوبی آن .

پس طاووس مانندش کوفهای است گستر انیده که تربیت نداده آنرا بازانهای بهاری و نه آفتا بهای تابستانی ، و گاهی هست که عاری میشود از پر خود و بر همه میشود

از لباس خود پس می‌افتد آن پرها پیاپی ، و میر وید روئیدنی ، پس میریزد آن پرها از قلم پر او همچو ریختن بر گهای شاخهای درخت ، بعد از آن متلاحق می‌شود در عقب یکدیگر در حالتیکه نمود کننده است تا آنکه بر میگردد بهیئت و صورتی که پیش از ریختن داشت ، مخالف نمیباشد رنگهای لاحق بر نگهای سابق ، و واقع نمیشود هیچ رنگی در غیر جای خود

و چون نظر کنی بتامّل در هر موئی از موهای قلم اُومی نمایاند آن موی تورا سرخی که بلون گل سرخست و بار دیگر سبزی که پرنگ زبرجد است و گاهی زردی بر نگ طلای خالص .

پس چگونه می‌رسد بصفت این هرغ حوش رنگ فکرهای عمیقه ، یا چگونه میرسد بکنه معرفت او عقلهای با ذکاوت ، یا چگونه بنظم می‌آورد وصف آن را اقوال وصف کنند گان وحال آنکه کمترین جزئهای او عجز آورده است و همه‌هارا از ادراک آن وزبانهارا از وصف آن .

پس پاک پرورد گاری که غالباً شد بعقلها از وصف کردن مخلوقی که روش و آشکار گردانید آن را به چشمها ، پس ادراک کردند آن چشمها آن مخلوق را در حالتی که صاحب حد معینی بود آفریده شده و صاحب تر کیبی بود بر نگهای گوناگون .

پس منزه پرورد گاری که محکم ساخت پاهای مورچه و پشه کوچک را با آنچه فوق آنها است از خلق ماهیها و فیلها ، و وعده کرده ولازم نموده بر نفس خود که نجنبند هیچ جنبندۀ از موجوداتی که داخل فرموده روح را در آن مگر اینکه گردانیده مرگ را وعده گاه او ، و فنارا پایان کار او .

الفصل الثاني منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمِيتَ بِيَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوَصَّفُ لَكَ مِنْهَا، لَمَرَّتْ نَفْسُكَ
 مِنْ بَدَائِعِ مَا أَخْرَجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا، وَزَخَارِفَ مَنَاظِرُهَا
 وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي إِصْطِفَاقِ أَشْجَارِ غَيْبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ
 عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، فِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللَّؤُلُؤِ الرَّطِيبِ فِي عَسَالِيْجِهَا
 وَأَفْنَانِهَا، وَطَلُوعِ تِلْكَ التَّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلْفِ أَكْنَامِهَا، تُجْنِي مِنْ غَيْرِ
 تَكْلِيفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيْهَا، وَيُطَافُ عَلَى زُنَاطِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا
 بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَنْهَادِي
 بِهِمْ حَتَّى حَلَّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةً الْأَسْفَارِ، فَلَوْ شَفَّلتَ قَلْبِكَ
 أَهْبَاهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجِمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونَقَةِ،
 لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْفًا إِلَيْهَا، وَلَتَحْمَلَتْ مِنْ مَجِلَسِيْهَا هَذَا إِلَى مُجاوِرَةِ
 أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِبْجَالًا بِهَا، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّا كُمْ مِمْنَ سَعْيِ بَقْلِيهِ إِلَى مَنَازِلِ
 الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

قال السيد (د): قوله «كباقي اللؤلؤ الرطب» الكباش العذق «والعساليج»

الغضون واحدها عسلوج .

اللغة

(عزفت) بالعين المهمّلة والزاء المعجمة أى زهدت وانصرفت و(اصطفاق) الاشجار اضطرابها من الصفق وهو الضرب يسمع له صوت يقال : صدق يده على يده صفة أى ضربها عليها ، وذلك عند وجوب البيع ، وفي بعض النسخ اصطفاف أشجار أى انتظامها صفات ، وفي بعضها اصطفاف أغصان بدل أشجار .

و (الكباسة) العذق الثام بشماريده ورطبه و (الأكمام) كلام كمة والكمام جمع كم و كمامه بالكسر فيهما وهو وعاء الطّلوع وخطاء النّور و (فناء) البيت ما اتسّع من أمّامه والجمع أفنية و (التصفيق) تحويل الشّراب من إناء إلى إناء ممزوجاً ليصفو و (الرّواق) الصافي من الماء وغيره والمعجب و (النّقلة) بالضم الانتقال .

الاعراب

قوله : رميـت بـبـصـرـ قـلـبـكـ ، الـباءـ زـاـيـدـةـ ، وـفـيـ تـعـلـيـقـ ، عـطـفـ عـلـىـ قـوـلـهـ فـيـ اـصـطـفـاقـ أـشـجـارـ ، وـجـملـةـ تـجـنـيـ منـصـوبـةـ المـحـلـ حـالـ منـ الشـمـارـ ، وـقـوـمـ ، خـبـرـ مـحـدـوفـ الـمـبـداـ وـجـملـةـ جـعـلـنـاـ اللـهـ ، هـعـائـيـةـ لـاـ مـحـلـ لـهـ مـنـ الـاعـرـابـ ، وـقـوـلـهـ : بـرـحـمـتـهـ ، مـتـعـلـقـ بـقـوـلـهـ جـعـلـنـاـ أـوـ بـقـوـلـهـ : سـعـيـ .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة حسبما ذكره الرضي وارد في صفة الجنّة دار النّعيم والرحمة قال عليه السلام (فلو رميـت بـبـصـرـ قـلـبـكـ) أى نظرت بعين بصيرتك (نحو ما يوصـفـ لـكـ مـنـهـ) أى إلى جهة ما وصف الله لك ورسوله في الكتاب والسنة من نعيم الجنّة وما أعد الله فيها لأوليائه المؤمنين (لعزفت نفسك) واعرضت (عن بدايـعـ ماـ أـخـرـجـ إـلـىـ الدـنـيـاـ مـنـ شـهـوـاتـهـ وـلـذـاتـهـ اوـزـ خـارـفـ مـنـاظـرـهـ) ولم تجد لشيء منها وقعاً عندها (ولذهلت) مغمورة (بالفكـرـ فـيـ) عظيم ما أعد في دار الخلود من (اصطفاق أشجار) واهتزـازـهاـ بـرـيحـ (غـيـبـتـ عـرـوـقـهاـ فـيـ كـثـبـانـ المـسـكـ) أى في تلال من المسك بدل الرّمل (على سواحل أنـهـارـهـ) ولذهلت بالفكـرـ (في تعليقـ

كباقي اللؤلؤ النَّرْ طب في عساليجها وأفنانها) أى فروعها واغصانها .

(و) في (طلوع تملك الثمار) وظهورها (مختلفة في غلف أكمامها) يجوز أن يراد باختلاف الثمار اختلافها باعتبار اختلاف الأشجار بأن يحمل كل نوع من الشجر نوعاً من الثمر كما في أشجار الدنيا فيكون ذكر الاختلاف اشارة إلى عدم انحصار ثمر الجنة بنوع أو نوعين ، وأن يراد به اختلافها مع وحدة الشجرة ، فذكر الاختلاف للدلالة على عظيم قدرة المبدئ سبحانه .

ويدل على الاحتمال الأول ما في البحار من تفسير الإمام علي عليهما السلام في قوله تعالى « ولا تقربوا هذه الشجرة » قال عليهما السلام : هي شجرة تميزت بين سائر أشجار الجنة إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعاً من الثمار والمأكول وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البر والعنب والتين والعناب وسائر أنواع الفواكه والثمار والأطعمة ، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم : هي برة وقال آخرون : هي عنبة ، وقال آخرون : هي عنابة .

وعلى الثاني ما في الصافي من العيون بسانده إلى عبد السلام بن صالح الهرمي قال : قلت للرضا عليهما السلام يا ابن رسول الله أخبرني عن الشجرة التي نهى منها آدم وحواء ما كانت ؟ فقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من يروي أنها الحنطة ، ومنهم من يروي أنها العنب ، ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد ، فقال عليهما السلام : كل ذلك حق ، قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال عليهما السلام : يا أبا الصلت إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً ، و كانت شجرة الحنطة ، وفيها عنب ليست كشجرة الدنيا فافهم .

(تجنى من غير تكليف فتأتى على منية مجتنبها) حسبما تشهيه نفسه لا يترك له منية أصلاً كما قال سبحانه « وَذُلِّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا » قال علي بن إبراهيم القمي : قال : دليت عليهم ثمارها ينالها القائم والقاعد .

وفي الصافي من الكافي عن النبي « وَذُلِّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا » من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشهيه من الثمار وهو متكم .

وقال تعالى أياً « وجنا الجنّتين دان » قال في مجمع البيان : الجنى الشمر المجنى أى تدنو الشمرة حتى يجننها ولـى الله إـن شـاء قـائـما وـإـن شـاء قـاعـداً عن ابن عباس ، وقيل أنهم الجنّتين دانية إلى أفواه أربابها ، فيتنا ولو نـها مـتـكـثـين ، فـاـذا اضطـجـعـوـا نـزـلـت باـزاـءـاـفـواـهـهـمـ فـيـتـنـاـلوـنـهـاـ مـضـطـجـعـيـنـ ، لاـ يـرـدـ أـيـدـيـهـمـ عـنـهـاـ بـعـدـ وـلاـ شـوـكـ عنـ مجـاهـدـ .

(ويـطـافـ عـلـىـ نـزـالـهـاـ فـيـ أـفـنـيـةـ قـصـورـهـاـ بـالـأـعـسـالـ المـصـفـقـةـ)ـ المـصـفـةـ (ـ وـالـخـمـورـ المـرـوـقـةـ)ـ الـمـتـصـفـةـ بـالـصـفـاءـ .

كـمـاـ أـخـبـرـ بـهـ سـبـحـانـهـ فـيـ كـتـابـهـ العـزـيزـ بـقـولـهـ « وـيـطـافـ عـلـيـهـمـ بـآـنـيـةـ مـنـ فـضـةـ وـأـكـوـبـ كـانـتـ قـوـارـيرـ قـوـادـيرـ مـنـ فـضـةـ قـدـرـوـهـاـ تـقـدـيرـاـ ، وـيـسـقـونـ فـيـهـاـ كـأـسـاكـانـ مـزـاجـهـاـ زـنـجـبـيلـاـ ، عـيـنـاـ فـيـهـاـ تـسـهـيـلـاـ ».ـ

وـقـولـهـ « يـطـافـ عـلـيـهـمـ بـكـأسـ مـنـ مـعـيـنـ بـيـضـاءـ لـذـةـ لـلـشـارـبـيـنـ لـاـ فـيـهـاـ غـولـ وـلـاهـمـ عـنـهـاـ يـنـزـفـونـ »ـ أـىـ يـطـوـفـ عـلـيـهـمـ وـلـدـانـ مـخـلـدـونـ بـكـأسـ مـنـ خـمـرـ مـعـيـنـ ظـاهـرـ لـلـعـيـونـ جـارـيـةـ فـيـ أـنـهـارـ ظـاهـرـةـ ، وـقـيلـ شـدـيـدـةـ الـجـرـىـ ، وـوـصـفـهـاـ بـكـوـنـهـاـ بـيـضـاءـ لـاـنـهـاـ فـيـ نـهاـيـةـ الرـقـةـ وـالـصـفـاءـ وـالـلـطـافـةـ النـوـرـيـةـ التـيـ بـهـاـ لـذـيـنـةـ لـلـشـارـبـيـنـ لـيـسـ فـيـهـاـ مـاـ يـعـتـرـىـ خـمـرـ الدـنـيـاـ مـنـ المـرـادـةـ وـالـكـراـهـةـ ، لـاـ فـيـهـاـ غـولـ أـىـ لـاـ يـغـتـالـ عـقـولـهـمـ فـيـذـهـبـ بـهـاـ ، وـلـاـ يـصـبـهـمـ مـنـهـاـ وـجـعـ فـيـ الـبـطـنـ وـلـاـ فـيـ الرـأـسـ وـيـقـالـ لـلـوـجـعـ غـولـ لـاـنـهـيـوـدـيـ إـلـىـ الـهـلـاكـ ، وـلـاهـمـ عـنـهـاـ يـنـزـفـونـ مـنـ نـزـفـ الرـجـلـ فـهـوـمـنـزـوفـ وـنـزـيفـ إـذـهـبـ عـقـلـهـ بـالـسـكـرـ .

ولـمـاـ وـصـفـ نـعـيمـ الـجـنـةـ وـمـامـنـ اللـهـ بـهـاـعـلـىـ نـازـلـهـاـ أـشـارـ إـلـىـ نـزـالـهـاـ فـقـالـ عـلـيـهـاـ (ـ قـومـ أـىـ هـمـ قـوـمـ لـمـ تـزـلـ الـكـرـامـةـ تـتـهـادـيـ بـهـمـ)ـ أـىـ مـتـمـادـيـهـ بـهـمـ مـمـتـدـةـ لـهـمـ مـتـوـسـعـةـ فـيـ حـقـّهـمـ (ـ حـتـّىـ حـلـّواـ)ـ وـنـزـلـواـ (ـ دـارـ الـقـرـارـ وـأـمـنـواـ نـقـلـةـ الـأـسـفـارـ)ـ أـىـ مـنـ اـنـتـقـالـهـاـ .

وـهـوـ كـنـايـةـ عـنـ خـلـاصـهـمـ عـنـ مـكـارـهـ عـوـالـمـ الـمـوـتـ وـالـبـرـزـخـ وـالـقـيـامـةـ وـشـدـاـيدـهـاـ وـأـهـوـالـهـاـ رـوـىـ فـيـ الـبـحـارـ مـنـ مـعـانـيـ الـأـخـبـارـعـنـ اـبـنـ عـمـاسـ أـنـهـ قـالـ : دـارـ السـلـامـ الـجـنـةـ وـأـهـلـهـاـ لـهـمـ السـلـامـةـ مـنـ جـمـيعـ الـأـفـاتـ وـالـعـاهـاتـ وـالـأـمـرـاضـ وـالـأـسـقـامـ ، وـلـهـمـ السـلـامـةـ مـنـ الـهـرـمـ وـالـمـوـتـ وـتـغـيـرـ الـأـحـوالـ عـلـيـهـمـ ، وـهـمـ الـمـكـرـ مـوـنـ الـذـيـنـ لـاـ يـهـنـونـ أـبـداـ ، وـهـمـ

الْأَعْزَاءِ الَّذِينَ لَا يَذَّلُونَ أَبْدًا ، وَهُمُ الْأَغْنِيَاءُ الَّذِينَ لَا يَفْقَرُونَ أَبْدًا ، وَهُمُ السَّعَادَاءُ الَّذِينَ لَا يَشْفَقُونَ أَبْدًا ، وَهُمُ الْفَرَحُونَ الْمُسْرِرُونَ الَّذِينَ لَا يَغْتَمُونَ وَلَا يَهْتَمُونَ أَبْدًا ، وَهُمُ الْأَحْيَاءُ الَّذِينَ لَا يَمْتَوْنَ أَبْدًا فَمِنْهُمْ مَنْ فِي قَصْرِ الدَّرْ وَالْمَرْجَانِ أَبْوَابُهَا مَشْرُعَةٌ إِلَى عَرْشِ الرَّحْمَانِ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعَمْ عَقْبَى الدَّارِ .

ثُمَّ أَخْذَ فِي تَحْضِيرِ الْمُخَاطَبِينَ وَتَشْوِيقِهِمْ إِلَى طَلَبِ الْجَنَّةِ وَالْقَصْدِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ (فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكِ أَيْهَا الْمُسْتَمْعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ) أَى يَدْخُلَ عَلَيْكَ عَلَى غَفْلَةٍ مِنْكَ (مِنْ تَلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمَوْنَقَةِ) الْمُعْجَبَةُ (لِزَهْقَتِ نَفْسِكَ) أَى بَطْلَتْ وَهُوَ كُنْيَاةُ عَنِ الْمَوْتِ (شَوْفَأْ إِلَيْهَا) وَحَرَصَا عَلَيْهَا (وَلَتَحْمَلْتَ) وَارْتَحَلْتَ (مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مَجَاهِرِ أَهْلِ الْقَبُورِ اسْتَعْجَلَا بِهَا) أَى بِتَلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمَوْنَقَةِ .

وَمَحَصَّلُ الْمَرَادِ أَنْكَ لَوْ تَفَكَّرْتَ فِي درَجَاتِ الْجَنَّانِ وَمَا أَعْدَ اللَّهُ سَبَحَانَهُ فِيهَا لَا وَلِيَائِهِ الْمَقْرَرُ بَيْنَ ، وَعِبَادُهُ الصَّالِحُينَ مِنْ جَمِيعِ مَا تَشَبَّهُ بِهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ لَمَّا مِنْ فَرْطِ الشُّوْقِ وَالشُّعْفِ وَلَازَعَجَتْ بِكَلْيَتِكَ عَنِ الدُّنْيَا ، وَسَاكَنَتِ الْمَقَابِرِ وَجَاءَتِ أَهْلِ الْقَبُورِ انتَظَارًا لِلْمَوْتِ الْمَمْدَأِ إِلَيْهَا .

ثُمَّ دَعَا تَلَيْلَهُ لَهُ وَلَهُمْ بِقَوْلِهِ (جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمْنَ سَعَى إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ) وَمَسَاكِنَ الْأَجْيَارِ (بِرَحْمَتِهِ) وَمَنْسَتَهِ إِنَّهُ وَلِيَ الْإِحْسَانِ وَالْكَرْمِ وَالْإِمْتَانِ .

تبصرة

آياتُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَضَمِّنَاتِ لِوَصْفِ الْجَنَّةِ وَالتَّشْوِيقِ إِلَيْهَا فَوْقَ حَدِّ الْأَحْصَاءِ وَلَنُورِدُ بَعْضَ الْأَخْبَارِ الْمُتَضَمِّنَةِ لَهُ وَالْمُشَتَّمَلَةِ عَلَى مَنَاقِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَلَيْلَهُ وَبَعْضِ فَضَالِّيَّاتِ شَيْعَتِهِ لِعدَمِ خَلُوِّهِ عَنِ مَنْاسِبِ الْمَقَامِ فَأَقُولُ :

روى الشارح المعمتزلي عن الزمخشري في ربيع الأبرار قال : و مذهبه في الاعتزال و نصرة أصحابنا معلوم وكذا في انحرافه عن الشيعة و تسفيهه لمقالاتهم إن رسول الله قال : لما أسرى بي أخذني جبرئيل فأقعدني على درونك من درانيك الجنة ثم ناولني سفرجلة فيبينما أنا أقلبها انقلقت فخررت منها جارية لم أر أحسن

منها فسلّمت فقلت من أنت ؟ قال أنا الرّاضية المرضيّة خلقني الجبار من ثلاثة أصناف أعلى من عنبر وأوسطي من كافور وأسفلني من مس克 ثم عجنتني بماء الحيوان وقال لي كوني فكنت خلقني لأخيك وابن عمك علي بن أبيطالب .

أقول ورواه في غاية المرام من كتاب مناقب أمير المؤمنين عليهما معاشر لموفق بن أحمد أخطب خوازرم مثله ، وعن عيون الأخبار المصدق نحوه ومن أعمالي المصدق بتفاوت يسير وزيادة قليلة .

وروى في البحار من كشف الغمة عن موفق بن أحمد الخوارزمي أيضاً بسنده عن بكر بن أحمد عن محمد بن علي عن فاطمة بنت الحسين عليهما معاشر عن أبيها وعمها الحسن بن علي عليهما معاشر قالاً أخبرنا أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليهما معاشر قال قال رسول الله عليهما معاشر لما أدخلت الجنة رأيت الشجرة تحمل الحلبي والحلل أسفلها خيل بلق، وأوسطها حور العين ، وفي أعلىها الرضوان قلت يا جبرئيل لمن هذه الشجرة قال هذه لابن عمك أمير المؤمنين علي بن أبيطالب إذا أمر الله الخليقة بالدخول إلى الجنة يؤتى بشيعة علي عليهما معاشر حتى ينتهي بهم إلى هذه الشجرة ، فيلبسون الحلبي والحلل ، ويركبون الخيل البلق وينادى مناد: هؤلاء شيعة علي صبروا في الدنيا على الأذى فحبوا هذا اليوم .

و في البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن الحسين بن سعيد معنعاً عن ابن عباس قال قال رسول الله عليهما معاشر إن في الجنة لشجرة يقال لها طوبى ما في الجنّة دار إلا فيها غصناً من أغصانها أحلى من الشهد وألين من الزبد أصلها في داري وفرعها في دار علي بن أبيطالب .

وفيه منه أيضاً عن إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم الفارسي معنعاً عن أبي جعفر محمد بن علي عن آبائه عليهما معاشر قال قال رسول الله عليهما معاشر لما أسرى بي إلى السماء فصرت في سماء الدنيا حتى صرت في السماء السادسة فإذا أنا بشجرة لم أر شجرة أحسن منها فقلت لجبرئيل يا حبيبي ما هذه الشجرة ؟ قال هذه طوبى يا حبيبي ، قال : قلت:

ما هذا الصوت العالى الجهوري ؟ قال : هذا صوت طوبى قلت : أى شئ يقول؟ قال : يقول واشوفا إليك يا على بن أبي طالب

و فيه منه أيضاً عن الحسين بن القاسم والحسين بن محمد بن مصعب و علي بن حمدون و زاد بعضهم الحرف و الحرفين ونقص بعضهم الحرف و الحرفين و المعنى واحد إنشاء الله .

قالوا حدثنا عيسى بن مهران معنعاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
قال لما نزلت على رسول الله صلوات الله عليه وسلم « طوبى لهم وحسن ما ب » قام مقداد بن الأسود
الكندي إلى النبي صلوات الله عليه وسلم فقال يا رسول الله وما طوبى ؟ قال يامقداد شجرة في الجنة
لويسير الرأب الججاد لسار في ظلّها مائة عام قبل أن يقطعنها، ورقها و قشورها برد
حضر وزهرها رياش صفر ، وأفنانها سندس و استبرق و ثمرها حلل خضر ، و طعمها
زنجبيل و عسل وبطحائها ياقوت أحمر و زمرد أحضر و ترا بها مسك و عنبر و حشيشها
منيع والنرجوج (١) يتاجج من غير قود ، و يتقدّر من أصلها السلسيل والرحيق
والمعين وظلّها مجلس شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يالغونه
ويتحددون بجمعهم و بيناهم في ظلّها يتحددون إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجاءه
جيلاً من الياقوت ثم نفع الروح فيها مزمومة بسلاسل من ذهب كان وجوهها
المصابيح نضارة وحسنا وبزها حز أحمر و مزعزى (٢) أبيض مختلطتان لم ينظر
الناظرون إلى مثله حسناً وباه وذلّل من غير مهلة نجاءه من غير رياضة عليهم احوال
الواحدها من الدر والياقوت المفضضة بالملؤ والمرجان صفائحها من الذهب الأحمر
ملبسة بالعيقري والأرجوان فأناخوا تلك النجائب إليهم .

ثم قالوا لهم ربكم يقرئكم السلام ويريكم وينظر إليكم ويحببكم وتحببونه
ويزيدكم من فضله ورحمته فانه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم فيمتحول كل رجل
منهم على راحلته فينطلقون صفاً واحداً معتدلاً ولا يمرّون بشجرة من أشجار الجنة
إلا أتحفthem بشارها ورحلت لهم عن طريقهم كراهية أن يعلم بطريقتهم وأن يفرق

(١) المنبع لم أوله معنى يناسب المقام والنرجوج عود البخور (بحار)

(٢) المزعزى وبهذا إذا خفت وقد تتفجع الميم في الكل المذهب الذي تتحم شعر الغنزة (بحار).

بين الرّجل ورفيقه .

فلما وقعوا إلى الجبار جل جلاله قالوا ربنا أنت السلام ولنك يحقّ الجلال
والاكرام فيقول الله تعالى مز حبا بعبادى الذين حفظوا وصيّتي في أهل بيته نبئي
ورعوا حقّي و خافووني بالغيب وكانوا مني على كلّ حال مشفقيين قالوا و عزّتك
و جلالك ما قدرناك حق قدرك ، و ما أدّينا لك كلّ حركك فأذن لنا بالسجود قال
لهم ربهم إني وضعت عنكم مؤنة العبادة و أرحت عليكم أبدانكم و طال ما صبتم لى
الاً بدان ، وعنتم الوجه فالآن أفضيتم إلى روحى ورحمتى فاسئلونى ما شئتم ، وتمتو
عليّ اعطيكم أمانىكم فاني لن أجزيكم اليوم بأعمالكم ولكن برحمتى وكرامتى
وطولى وارتفاع مكانى وعظيم شأنى ومحبكم بأهل بيته نبئي .

فلا يزال يرفع أقدار محبيّي على بن أبيطالب في العطایا والمواهب حتى ان
المقصى من شيعته ليتميّ في أمنيته مثل جميع الدّنيا منذ خلقها الله إلى يوم فنائتها
فيقول لهم ربّهم لقد فصرتم في أمانىكم ورضيتم بدون ما يحقّ لكم فانتظروا إلى مواهب
ربّكم .

فإذا بباب وقصور في أعلى علیيّين من الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر
والأبيض يزهور نورها فلولا أنها مسخرة إذ المعرفة (١) الا بصار منها فمامن تلك القصور
من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعبقري الأحمر وما كان منها من الياقوت الأخضر
 فهو مفروش بالسندس الأخضر وما كان منها من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير
الأبيض وما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالرياش الأصفر (٢) مبنوّة
مطرزة بالزمرة الأخضر ، والفضة البيضا ، والذهب الأحمر ، قواعدها وأركانها من
الجوهر يشور من أبوابها وأعراصها نور ، شعاع الشمس عندها مثل الكوكب الدرّي
في النهار الماضي .

وإذا على باب كلّ قصر من تلك القصور جنّتان مدها متّان ، فيهما عينان
تضّاختان ، وفيهما من كلّ فاكهة زوجان .

(١) لمع بالشيء ، ذهب به (بحار) . (٢) الرياش اللباس الفاخر (بحار) .

فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَنْصُرُوهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ رَكِبُوا عَلَى بَرَازِينٍ مِنْ نُورٍ بِأَيْدِي وَلَدَانِ مَحْلَدِينَ، بِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حِكْمَةٌ (١) بِرَزُونَ مِنْ تِلْكَ الْبَرَازِينَ، لِجَهَمَّمَا وَأَعْنَتْهَا مِنْ الْفَضَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَنْفَارَهَا مِنْ الْجَوَهِرِ.

فَلَمَّا دَخَلُوا مَنَازِلِهِمْ وَجَدُوا الْمَلَائِكَةَ يَهْبِطُونَهُمْ بِكَرَامَةِ رَبِّهِمْ، حَتَّى إِذَا اسْتَقَرَّ وَاقْرَأَهُمْ، قَيْلَ لَهُمْ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعْدَنِي رَبِّكُمْ حَقًا قَالُوا نَعَمْ رَبِّنَا رَضِيَّنَا فَارَصَ عَنْهَا قَالَ بِرَبِّنَا عَنْكُمْ وَبِحَبْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّي أَحْلَلْتُمْ دَارِيِّي، وَصَافَحْتُمُ الْمَلَائِكَةَ فَهَبِّئُنَا هَبِّيًّا غَيْرَ مَحْذُورٍ وَلَيْسَ فِيهِ تَنْفِيصٌ فَعَنْدَهَا قَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنْهَا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ.

قال أبو موسى فحدثت به أصحاب الحديث عن هؤلاء الثمانية فقلت لهم أنا أبرا إليكم من عهدة هذا الحديث لأن فيه قوماً مجهولين وعلهم لم يكونوا صادقين فرأيت ليتني أوبعده كأنه أتاني آت ومعه كتاب فيه من مخول بن إبراهيم والحسن بن الحسين، ويحيى بن الحسن بن فرات وعلى بن القاسم الكندي، ولم ألق على بن القاسم، وعدة بعد لم أحفظ أساميهم كتبنا إليك من تحت شجرة طوبى وقد انجز لنا ربنا ما وعدنا فاستمسك بما عند الكتب، فإنك لن تقرء منها كتابا إلا أشرقت له الجنة.

الترجمة

فصل ثانی از این خطبه درفضل بهشت عنبر سرشت است میفرماید:
پس اگر بیندازی تو دیده قلب خودرا بجانب چیزی که وصف کرده میشود از برای تو از بهشت هر اینه اعراض کند نفس تو از عجایب آنچه که بیرون آورده بسوی دنیا از پرده غیب از شهوات ولذات آن وزینتهای منظره های آن و هر اینه غفلت کنی بسبب فکر کردن در آواز کردن و بهم خوردن درختانی که غایب شده اند ریشه های آنها در تله های مشک بر اطراف نهر های آن و در آویختن خوش های مر و اریدتر

(١) الحكمة محركة ما أحاط بعنكى الفرس من لجامه و فيها العذاران و الثغر بالتعربات

وقد يسكن السير في مؤخر السرج (بعار).

و تازه در شاخهای بزرگ آنها و شاخهای کوچک آنها و در ظاهر شدن آن میوها در حالتی که مختلفند در لون و طعم در غلافهای غنچه های آن میوها در حالتی که چیده میشوند بی زجمت و مشقت پس می آیند آن میوها بر خواهش چیننده های خود و طواف کرده می شوند بر نازلان آن پیرامن قصرهای آن باعسلهای صاف کرده شده از کدورات و خمرهای صافیه، ایشان جماعتی هستند که همیشه کرامت کشیده همیشود با ایشان تا فرود آیند بسر ای برق راری، واین شوند از انتقال جائی بجائی پس اگر مشغول گردانی قلب خود را ای گوش دهنده برسیدن بسوی آنچه هجوم آور می شود از آن منظرهای تعجب آورنده خوش آینده هر آینه برآید جان تو بجهة اشتیاق بسوی آن و هر آینه متوجه می شوی از این مجلس من بهمسایکی اهل قبرستان از جهة شتافتمن با آن نعیم بی پایان، بگرداند خدای تعالی ما را و شما را از کسانی که سعی می کند بمنزلهای نیکو کاران بر حممه بی نهایت و بخشش بی غایت خود.

وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ وَهِيَ الْمَأْةُ وَالخَامْسَةُ وَالسَّتُونُ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَ

والظاهر أنها ملقطة من خطبة طويلة قدّرها في شرح الخطبة السابعة والثمانين من الكافي فليراجع هناك وهذه متضمن لفصلين :

الفصل الأول

لِيَتَّأْسَ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرٍ كُمْ، وَلِيَرُؤُفَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرٍ كُمْ، وَلَا تَكُونُوا كَجُنَاحَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا فِي الدِّينِ تَتَقَعَّدُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ تَتَقَلَّوْنَ، كَمَّيْضٍ يَنْضِي فِي أَدَابِ حِكْمَةِ كَسْرُهَا وَزِرًا، وَيَغْرُجُ حِضَانَهَا شَرًّا.

الفصل الثاني منها

إِنْفَرَقُوا بَعْدَ الْفَتِيمِ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ ، فَعِنْهُمْ آخِذُ بِعُصْنِ
 أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْعَلُهُمْ لَشَرَّ يَوْمٍ لِبْنَى أُمَّيَّةَ كَمَا
 تَجْتَمَعُ قَزْعُ الْخَرْبِيفِ ، يُؤْلِفُ اللَّهُ تَيَّأْهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَامًا كَرُامِ
 السَّحَابِ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَنْهَارِهِمْ كَسِيلِ الْجَنَّاتِ
 حَيْثُ لَمْ تَسْلُمْ عَلَيْهِ قَارَةً ، وَلَمْ تَبْتَأْ لَهُ أَكْمَةً ، وَلَمْ يَرِدْ سَنَةً
 رَصَّ طَوِيدٍ وَلَا حَدَابٌ أَرْضٌ ، يُذَعِّذِعُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدَيَتِهِ ثُمَّ
 يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ، يَأْخُذُهُمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَ
 يُمْكِنُ لَقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ .

وَأَئِمَّةُ اللَّهِ لَيَذُو بَنَ ما فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلوِّ وَالْقَمَكِينِ ، كَمَا تَذُوبُ
 الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلوِّ وَالْقَمَكِينِ
 الْبَاطِلِ ، لَمْ يَطْمَعْ فِيهِمْ مِنْ أَيْسَرِ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَقُولْ مَنْ قَوِيَ عَلَيْهِمْ
 هُمْ مَتَاهَ بَنِ إِنْسَانِيَّلَ ، وَلَعْنَى لَيَضْعَفُنَ لَكُمُ التَّيَّةُ ، مِنْ بَعْدِي
 أَضْعَافًا خَلَقْتُمُ الْحَقَّ وَرَآءَ ظِهُورَكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ الْأَذْنَى وَوَصَلْتُمُ الْأَلْأَبَدَ ،
 وَأَعْلَمُوا أَنْتُمْ إِنِّي اتَّبَعْتُ الدَّاعِيَ لَكُمْ ، سَلَكْتُ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ

وَكُفِيْتُمْ مَؤْنَةً الْعِتْسَافِ ، وَبَذَّتُمُ النَّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ .

اللغة

(تفقة هون) و (تعقلون) في بعض النسخ بصيغة الخطاب وفي بعضها بصيغة الغيبة و (قيض البيض) بالفتح قشرة البيض العليا اليابسة وقيل التي خرج مافيها من فرخ .

و قال الشارح البحرياني تبعاً للشارح المعتزلي : قيض البيض ، كسره تقول قشت البيضة كسرتها و (انتقضت) تصدّع من غير كسر ، و (تفقيضت) تكسّرت فلما فعلى قولهما يكون القيض مصدر أو على ما ذكرناه اسماء وهذا أظهر وأولى بقرينة قوله ~~ذلك~~ يكون كسرها وزراً فافهم .

و (الأداح) مخفّف أداحي جمع أداحي بالضم مثل خرطوم وخراطيم، وعرفوب وعرافيب ، وقد يكسر وهو الموضع الذي تبيّض فيه النّسّامة وتفرخ ، و هو أفعول من دحوت لأنّها تدحوه برجلها أى تبسّطه ثم تبيّض فيه وليس للنعمان عش و (حضر) الطاير بيضه حضناً و حضاناً بكسرهما ضمة تحت جنابه فهى حاضن لأنّه وصف مختص و حكى (حاضنة) على الأصل و (القرع) القطع من السحاب المتفرقة والواحدة قزعة مثل قصب وقببة و (الرّقام) بالضم ما تراكم من السحاب و كثف منها وبالفتح جمع شيء فوق آخر الموجود في النسخ بالضم و (المستشار) موضع الثوران و الهيجان و (القارة) بالفاف الجبل الصغير و (الحداب) بالكسر جمع حدبة وهي كالحدب محرّكة ما ارتفع من الأرض قال سبحانه : « وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ » و (الألية) بفتح الهمزة و جمعها أليلات بالتحريك والتثنية ألينان بغير تاء و (المتاه) مصدر ميمي بمعنى التيه و (فدهه) الدين أثقله .

الاعراب

الضمير في كسرها راجع إلى القيض والثانية أمّا لكونها بمعنى القشرة أو

باعتبار كسبها التأنيث عن المضاد إليه وهي قاعدة مطردة قال الشاعر كماشرت
صدر القناة من الدّم و حضانها بالضم فاعل يخرج و على في قوله « على ان الله »
معنى مع كما في قوله تعالى « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى جُبْنِهِ » و قوله كفيض
بيض بدل من قوله كجفاة العجالة والباقي واضح .

المعنى

اعلم أن مدار هذه الخطبة على ما التقاطها السيد رحمة الله على فصلين :

الفصل الأول

مسوق لنصح المخاطبين و هدايتهم على ما فيه انتظام أمورهم وصلاح عملهم
من حيث الدين والدنيا وهو قوله (ليتأنس صغيركم بكبيركم) أمر الصغار بتأنسي
الكبار لأن الكبير أكثر تجربة وأكيس فهو أليق بأن يتأنسي به (وليرؤف كبيركم
بصغيركم) أمر الكبار بالرأفة على الصغار لأن الصغير مظنة الضعف فهو أحقر
بأن يرحم عليه ويرأف .

قال الكيدري في محكى كلامه أى ليتأنس من صغر منزلته في العلم والعمل
بمن له متانة فيهما ، وليرحم كل من له جاه ومنزلة في الدنيا بالمال والقوة كل
من دونه (ولا تكونوا كجفاة العجالة) أى كأهل العجالة الموصوفين بالجفاة
والقسوة والفظاظة والغلظة (لا في الدين تتتفقرون ، ولا عن الله تعقلون) وأشار
إلى وجه الشبه الجامع بين الفرقتين وهو جهلهم بمعالم الدين ، وغفلتهم عن
أحكام رب العالمين قال تعالى « صَمْ بِكُمْ عَمَّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ »

وقوله : (كفيض بيض في أداح يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شرّاً)
قال الشارح المعترض وجه الشبه أنه إن كسرها كسر أنتم لأنكم يظنه ببعض النعيم
وإن لم يكسر يخرج حضانها شرّاً إذ يخرج أفعيناً قاتلاً ، واستعارة لفظ الأداحي
للاعشاش مجازاً لأن الأداحي لا تكون إلا للنعيم .

وقال الشارح البحرياني نهاهم عليه السلام أن يشبهوا جفاة الجاهليّة في عدم تفقّههم في الدين ، فيشبهون إذاً ببعض الأفاعي في أعشاشها ووجه الشبه أنه إن كسر كاسر أتم لتأذى الحيوان به فكذلك هؤلاء إذا شبّهوا جفاة الجاهليّة لا يحلّ أذيهم لحرمة ظاهر الإسلام ، وإن أهملوا وتركوا على الجهل خرجوا شياطين .

أقول : وبيان أوضح إنَّ ببعض الأفاعي كما أنَّ في كسرها سلامة من شرَّ ما يخرج منها لو أبقيت على حالها إلا أنَّ فيه وزراً على كاسرها وفي عدم كسرها لا يكون على أحد وزر إلا أنَّ ما يخرج منها تكون منشأ الشرور والأذى فكذلك هؤلاء إنْ أقيمت فيهم مراسم السياسة المدنية بالتساءُل والتعزير والتعذيب لاستقامت الأمور وانتظمت وظائف الخلافة لكن في إقامتها وزراً على المقيم لأنَّ فيه مخالفة لا مرتلة سبحانه أو نهيه كما قال عليه السلام في الكلام الثامن والستين : واتي عالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ولكنني لأرى إصلاحكم ب fasad نفسی ، وإن تركوا على حالهم كانوا منشأ الشرور والمفاسد فيضلُّون كثيراً أو يضلُّوا عن سواء السبيل .

الفصل الثاني منها

اشارة إلى اختلاف شيعته وأصحابه من بعده وهو قوله (افترقوا بعد الفهم)
أى بعد ابتلافهم واجتماعهم على عليه السلام (وتشتتوا عن أصلهم) أى تفرّقوا عن أمام الحق الذي يتحقق الاتهام به ، فصار بعضهم كيسانية وبعضهم زيدياً وبعضهم فطحيّاً وغيرها (فمنهم آخذ بغضن أيّما مال مال معه)

قال الشارح المعتزلي أى يكون منهم من يتهمّسك بمن أخلفه من بعدي من ذرية الرسول عليه السلام أينما سلكوا سلوكاً معهم وتقدير الكلام : ومنهم من لا يكون هذه حالة لكنّه لم يذكره أكتفاء بذكر القسم الأول لأنّه دالٌّ على القسم الثاني .
ثم أخبر عليه السلام أنَّ الفريقين يجتمعان فقال (على أنَّ الله) سبحانه (سيعجمهم لشّ يوم لبني امية) .

قال الشارح المعتزلي وكذا كان حال الشيعة الهاشمية اجتمعت على إزالة

ملكبني مروان من كان منهم ثابتا على ولایة علي بن أبي طالب عليه السلام و من حاد منهم عن ذلك، وذلك في أواخر أيام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية.

أقول : قد تقدم في شرح الخطبة السابعة والثمانين ، أن " ما أخبر عليه السلام به قد وقع في سنة اثنين وتلذين و مائة عند ظهور أبي مسلم المروزي الخراساني صاحب الدعوة ، وفي هذه السنة ظهر السفاح بالكوفة ، و بوييع له بالخلافة وكان استيصال بنى أمية بيده كما عرفت تفصيلا في شرح الخطبة المائة والرابعة .

ويعجبني أن أورد هنا نادرة لم يسبق ذكرها أوردها الدميري في حياة الحيوان قال لما قتل إبراهيم بن الوليد بوييع لمروان بن محمد المنبور بالحمار بالخلافة و في أيامه ظهر أبو مسلم الخراساني ، و ظهر السفاح بالكوفة ، و بوييع له بالخلافة وجهز عممه عبدالله بن علي بن عباس لقتال مروان بن محمد ، فالتقى الجماعان بالزاب زاب الموصل ، واقتتلوا قتلا شديداً فانهزم مروان وقتل من عسكره و غرق ما لا يحصى و تبعه عبدالله إلى أن وصل إلى نهر الأردن فلقي جماعة من بنى أمية كانوا نيقاً وثمانين رجلاً فقتلهم عن آخرهم .

ثم جهز السفاح عممه صالح بن علي على طريق السماوة فلحق بأخيه عبدالله و قد نازل دمشق ففتحها عنوة وأباها ثلاثة أيام ونقض عبدالله ثورها حجراً حجراً و هرب مروان إلى مصر قاتلته صالح حتى وصل إلى أبي صير وهي قرية عند الفيوم ، قال ما اسم هذه القرية قالوا أبوصير قال فالى الله المصير .

ثم دخل الكنيسة التي بها فبلغه أن خادماً نم عليه فأمر به فقطع رأسه وسل لسانه وألقى على الأرض فجاءت هرقة فأكلته ثم بعد أيام هجم على الكنيسة التي كان نازلا بها عامر بن إسماعيل فخرج مروان من باب الكنيسة وفي يده سيف وقد أحاطت به الجنود وخفقت حوله الطبول فتمثّل ببيت الحجاج بن حكيم السلمي وهو :

متقلّدين صفراياحاً هندية * يتر كن من ضربوا اكان لم يولد .

ثم قاتل حتى قتل فأمر عامر برأسه فقطع في ذلك المكان وسل لسانه وألقى على الأرض فجاءت تلك الهرة بعینها فخطفته فأكلته فقال عامر لو لم يكن في الدنيا

عجب إلّا هذا لكان كافياً لسان مروان في فم هرّة ؟ وقال في ذلك شاعرهم :

أهلك الكافر الجبار إذ ظلما
قد يسر الله مصرًا عنوة لكم

وكان ربك من ذي الظلم منتقما
فلاك مقوله هرّ يجر جره

قال الدميري وكان قتل مروان في سنة ثلاثة وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء
بني أمية وأولهم معاوية بن أبي سفيان وكانت مدة حلافتهم نيفاً وثمانين سنة وهي
ألف شهر وبقتل مروان انقرضت دولة بنى أمية لعنهم الله قاطبة .

(كما تجتمع قزع الخريف) من هبنا وهناك (يؤلّف الله بينهم) وهو كنایة
عن اتفاق آرائهم و كلمتهم على ازالة ملك بني أمية (ثم يجعلهم ركاماً كر كام السحاب)
أى يجعلهم متراكمين مشترين معينين منضماً بعضهم إلى بعض كالمتراكم من
السحاب (ثم يفتح الله لهم أبواباً) .

قال الشارح البحرياني لا بباب إشارة إماماً إلى وجود الآراء التي تكون أسباب
الغلبة والانبعاث على الاجتماع أو أعمّ منها كساير الأسباب للغلبة من إعانته بعضهم
لبعض بالأنفس والأموال وغير ذلك (يسلّلون من مستشارهم) استعارة تبيّنة أى
يخرجون من موضع ثورانهم وهي جانهم (كليل الجنين) اللذين أخبر الله بهما في كتابه
العزيز وستعرف قصتها تفصيلاً ووجه الشبه الشدّة في الخروج وإفساد ما يأتون
إليه كفوة ذلك السبيل (حيث لو تسلّم عليه قارة ولم تثبت عليه اكمة) أى لم يقاوم
له جبل ولا تلّ (ولم يرد سنته) أى طريقه (رص طود) أى جبل مرصوص شديد
الالتصاق (ولا حداب أرض) أى الرّوابي والنجا (ويدعدهم الله في بطون أوديته ثم
يسلكهم ينابيع في الأرض) .

قال سبحانه « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض » والمراد
أن الله سبحانه كما ينزل من السماء ماء فيكتنه في أعماق الأرض ثم يظهر منها
ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرّقهم الله في بطون الأودية وغواص
الأرض ثم يظهرون بعد الاختفاء أو كنایة عن إخفائهم بين الناس في البلاد ثم
اظهارهم بالاعانة و التأييد فإذاً بـهم من قوم) ظالمين (حقوق قوم) مظلومين

و المراد بهم آل الرّسول ﷺ (و يمكن لقوم) من بنى هاشم (في ديار قوم) من بنى أمية .

ثم أقسم بالقسم البارّ فقال (وأيم الله ليذوبن ما في أيديهم) أى أيدي بنى أمية أو بنى العباس من أتملك و السلطنة (كما يذوب الألية على النار) وجه الشيء الأضمحلال والفناء .

ثم عاد إلى توبیخ المخاطبین فقال : (أيّها الناس لولم تتخاذلوا عن نصر الحقّ) أراد به نفسه لأنّ الحقّ معه وهو من الحقّ كما ورد في صحيح الخبر (ولم تهنووا عن توهين الباطل) أراد به معاوية وأصحابه (لم يطمع فيكم) وفي بلادكم (من ليس مثلكم) في البأس والقوّة (ولم يقومن قوي عليكم) ولم يشن الغارات على بلادكم وأصقاعكم ولكنكم (تهتمّ متأهّب بنى إسرائيل) أى تحرّرتم مثل تحريرهم وستعرف تيههم إنشاء الله بعد الفراغ من شرح الخطبة (ولعمري ليضعفن لكم التيّه) والضلال (من بعدي أضعافاً) وكذا كان لأنّ تيه بنى إسرائيل كان أربعين سنة وتيه هؤلاء جاوز الثمانين مدة ملك بنى أمية بل زاد على ستّة مدة ملك بنى العباس بل مدد إلى ظهور الدولة القائلية بما (خلّفتكم الحقّ وراء ظهوركم) ونكبتهم عن الصراط المستقيم (وقطعتم الأدنى) أى الأقرب من رسول الله ﷺ نسباً وصهر آ وأراد به نفسه (ووصلتم الأبعد) أراد به معاوية أو من تقدّم عليه من المتخلفين .

ثم أرشدهم إلى وجه الرّشاد والسداد فقال : (واعلموا انّكم إن اتبّعتم الدّاعي لكم) أراد به نفسه أو القائم عليهما في بعض النسخ الرّاعي بالرأي وقد تقدّم فيما ذكرناه سابقاً أنّ الإمام راع لرعيته ، وظهر لك وجه المناسبة في إطلاق الرّاعي عليه (سلك بكم منهاج الرسول) أى جادة الشريعة (و كفيم مؤنة الاعتساف) في طرق الضلال (ونبذتم التقلّف الفادح) أى الاثم والعداب في الآخرة (عن الأعناق) .

تنبيهان :

الاول في قصة قوم سباً وسيل الجن提ين

قال تعالى : « لقد كان لسبا في مسكنهم آية جتّان عن يمين وشمال كلوا

من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبذلتـــن لهم بجهـــتيـــم جنتـــتين ذاتـــي كل خـــمط وأـــثـــل وشيـــء من ســـدرـــلـــيل ذلك جـــزـــيـــنـــاـــهم بما كـــفـــرـــوا وـــهـــلـــنـــجـــازـــيـــإـــلـــأـــكـــفـــورـــ».

قال علي بن إبراهيم القمي قال إن بحر أكان في اليمن وكان سليمان عليه السلام أمر جنوده أن يجرروا لهم خليجاً من البحر العذب إلى بلاد هند ، ففعلوا ذلك وعقدوا له عقدة عظيمة من الصخر والكلس حتى تفيض على بلادهم ، وكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه وكانت نهر جـــنـــتـــان عن يـــمـــن وشـــمـــال عن مسيرة عشرة أيام فيها يمر المـــارـــ لا تقع عليه الشمس من التفافها .

فلما عملوا بالمعاصي وعـــتـــوا عن أمر ربـــهـــمـــ وـــنـــهـــاـــمـــ الصـــالـــحـــوـــنـــ فـــلـــمـــ يـــنـــتـــهـــواـــ ، بـــعـــثـــالـــلـــهـــ عـــلـــىـــ ذـــلـــكـــ الســـدـــ الـــجـــرـــذـــ وـــهـــيـــ الـــفـــارـــةـــ الـــكـــبـــيرـــ فـــكـــانـــ تـــقـــلـــعـــ الصـــخـــرـــةـــ التـــيـــ لـــاـــيـــســـتـــقـــلـــهـــاـــ الرـــجـــلـــ وـــتـــرـــىـــ بـــهـــ فـــلـــمـــ أـــرـــأـــىـــ ذـــلـــكـــ قـــوـــمـــ مـــنـــهـــمـــ هـــرـــبـــوـــاـــ وـــتـــرـــكـــوـــاـــ الـــبـــلـــادـــ فـــمـــاـــذـــالـــ الـــجـــرـــ تـــقـــلـــعـــ الـــحـــجـــرـــ حـــتـــىـــ خـــرـــبـــوـــاـــ ذـــلـــكـــ الســـدـــ فـــلـــمـــ يـــشـــعـــرـــوـــاـــ حـــتـــىـــ غـــشـــيـــهـــمـــ الســـيـــلـــ وـــخـــرـــبـــ بـــلـــادـــهـــمـــ وـــفـــلـــ أـــشـــجـــاـــمـــ .

و قال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير الآية ثم أخبر سبحانه عن قصة ســـبـــاـــ بما دلـــ على حسن عاقبة الشـــكـــورـــ و ســـوـــعـــاـــقـــبـــةـــ الـــكـــفـــورـــ فقال - لقد كان لسبـــاـــ المراد بسبـــاـــ هنا القبيلة الـــذـــيـــنـــهـــمـــ أـــوـــلـــادـــ ســـبـــاـــ بن يـــشـــجـــبـــ بن يـــعـــرـــبـــ بن قـــعـــطـــانـــ - في مـــســـكـــنـــهـــمـــ - أـــىـــ فـــيـــ بـــلـــدـــهـــمـــ - آـــيـــةـــ - أـــىـــ حـــجـــةـــ عـــلـــىـــ وـــحـــدـــانـــيـــ اللـــهـــ عـــزـــ وـــجـــلـــ وـــكـــمـــالـــ قـــدـــرـــتـــهـــ وـــعـــلـــامـــةـــ عـــلـــىـــ ســـبـــوـــغـــ نـــعـــمـــتـــهـــ ثـــمـــ فـــســـرـــ ســـبـــحـــانـــهـــ الآـــيـــةـــ فقال : - جـــنـــتـــانـــ عن يـــمـــن وـــشـــمـــالـــ وـــشـــمـــالـــ - أـــىـــ بـــســـتـــانـــانـــ عن يـــمـــنـــ مـــنـــأـــتـــاهـــمـــاـــ وـــشـــمـــالـــهـــ وـــقـــيـــلـــ عـــنـــ يـــمـــنـــ الـــبـــلـــدـــ وـــشـــمـــالـــ .

و قيل أنه لم يرد جـــنـــتـــينـــ اـــثـــنـــيـــنـــ وإنـــهـــ كـــانـــ دـــيـــارـــهـــمـــ عـــلـــىـــ وـــتـــيـــرـــةـــ وـــاحـــدـــةـــ إـــذـــ كـــانـــ الـــبـــســـاتـــيـــنـــ عن يـــمـــنـــ وـــشـــمـــالـــهـــمـــ مـــتـــصـــلـــةـــ بـــعـــضـــهـــ بـــعـــضـــ وـــكـــانـــ مـــنـــ كـــثـــرـــ النـــعـــمـــ أـــنـــ المرـــئـــةـــ تـــمـــشـــيـــ وـــالـــمـــكـــتـــلـــ عـــلـــىـــ رـــأـــســـهـــاـــ فـــيـــمـــتـــلـــيـــ بـــالـــفـــوـــاـــ كـــهـــمـــ من غير أن تـــمـــســـ بـــيـــدـــهـــاـــشـــيـــأـــ .

و قيل الآية المذكورة هي أنه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا زباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، و كان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قـــمـــلـــ وـــدـــوـــاـــ مـــاتـــ .

عن ابن زيد .

و قيل ان المراد بالآية خروج الأزهار و الشمار من الأشجار على اختلاف ألوانها و طعومها .

وقيل : إنها كانت تلث عشرة قرية في كل قرية نبي يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم « كلوا من رزق ربكم واشكروا له » أى كلوا مما رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزيدكم من نعمه و استغفروه يغفر لكم (بلدة طيبة) أى هذه بلدة مخصوصة نزهة أرضها عذبة تخرج النباتات و ليست بسبحة وليس فيها شيء من الهوام المودية .

و قيل أراد به صحة هوها و عنوبة مائتها وسلامة تربتها وأنه ليس فيها حر يؤذى في القبظ ، ولا برد يؤذى في الشتاء . ورب غفور - أى كثير المغفرة للذنب - فأعرضوا - عن الحق - ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا مما من دعاهم إلى الله من أشيائه - فأرسلنا عليهم سيل العرم - و ذلك أن الماء كان يأتي أرض سباء من أودية اليمن ، وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فسدوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد - بقدر الحاجة فكانوا يسوقون ذروعهم و بساتينهم فلما كذبوا عليهم و تركوا أمر الله بعث الله جرفاً نقب ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقوهم عن وهب .

وقال البيضاوي سيل العرم أى سيل لا يمر العرم أى الصعب من عمر الرجل فهو عارم و عمر إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد أو الجرذ أضاف إليه لأنّه نقب عليهم سكرأ ضربت لهم بلقيس ، فحققت به ماء الشجر وتركت فيه نقباً على مقدار ما يحتاجون إليه أو المسنة التي عقدت سكرأ على أنه جمع عمرة وهي الحجارة المركومة .

و قيل اسم وادجاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد - وبد لناهم بجنتيهم - اللتين فيهما أنواع الفواكه و الخيرات - جنتين - آخر اثنين - ذاتي كل خمط - مر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة .

وَقِيلَ لِأَرَاكُ أَوْ كُلْ شَجَرَ لَهُ شُوكٌ - وَأُتْلَ وَشِيءٌ مِنْ سَدْرٍ قَلِيلٍ - وَالْأَتْلُ الْطَرْفَا ،
لَا ثَمَرَ لَهُ ، وَوَصَفَ السَّدْرَ بِالْقَلْلَةِ فَانْجَنَاهُ وَهُوَ النَّبْقُ مِمَّا يُطَيِّبُ أَكْلَهُ وَلِذَلِكَ يَغْرِسُ
فِي الْبَسَاطِينَ - ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا - بِكَفَرِهِمُ النَّعْمَةُ أَوْ بِكَفَرِهِمُ بِالرَّسُولِ
- وَهُلْ نَجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ - أَيْ الْبَلِيجُ فِي الْكُفَّارِ أَوْ الْكُفُورِ .

الثاني في قصة تيه بنى اسرائيل

قال تعالى حكاية عن موسى «إذ قال لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة
التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدياركم فتقنبلوا خاسرين ، قالوا يا موسى إنْ
فيها قوماً جبارين ، وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا
داخلون قال رجال من الذين يخافون أنعم الله عليهم ما دخلوا عليهم الباب ، فإذا
دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا يا موسى إننا لن
ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنما هي هنا قاعدون قال
رب انتي لا أملك إلأ نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها
محرمة عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين» .

روى في الصافي عن العياشي ، عن الباقي عليه السلام قال قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم والذي
نفسه بيده لتركتهن سفن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة حتى
لا تخطاؤن طريقهم ، ولا تخطئواكم سنة بنى إسرائيل .

ثم قال أبو جعفر عليه السلام قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي
كتب الله لكم فردوا عليه وكانوا ستمائة ألف فقالوا يا موسى إنْ فيها قوماً جبارين
الآيات قال فعصى أربعون ألفاً وسلم هارون وابنه ويوش بن نون و كالب بن يوحنا
فسماهم الله فاسقين فقال لا تأس على القوم الفاسقين فتاهوا أربعين سنة لأنهم
عصوا فكانوا حذو النعل بالنعل أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم لما قبض لم يكن على أمر الله إلأ
عليه والحسن و الحسين وسلمان والمقداد وأبودر فمكثوا أربعين حتى قام علي
قتائل من خالقه .

وقال الطبرسي وغيره في تفسير الآية ماملخصه : قوله حكاية عن خطاب موسى لقومه - يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة - هي بيت المقدس والعيashi عن الباقر عليه السلام يعني الشام - التي كتب الله لكم - أن تكون مسكننا - ولا ترتدوا على أدباركم - أى لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها . مدبرين فتقلبو أخسرین - عن ثواب الدارين - قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين - شديد البطش والبأس لا ينأى لنا مقاومتهم .

قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم أنه لما بعث موسى من قومه اثنى عشر نقيباً ليخبروه خبرهم أهم رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم في كمة مع فاكهة كلها كان يحملها من بيته و أتى بهم الملك فنشرهم بين يديه و قال للملك تعجبنا منهم هؤلاء يرون قاتلنا ؛ فقال الملك أرجعوا إلى أصحابكم فأخبروه خبرنا .

قال وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ، ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال - وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجالان - هما يوش بن نون وكالب بن يوحنا بن عممه كذا عن الباقر عليه السلام - من الذين يخالفون - الله ويقونه - أنعم الله عليهم - بالإيمان والتثبت - ادخلوا عليهم الباب - باب قريتهم - فإذا دخلتموه فانكم غالبون - لتعسر لكم عليهم في المضايق من عظم أجسامهم ولا نهم أجسام لا قلوب فيها - و على الله فتوكلوا - في نصرته على الجبارين - ان كنتم مؤمنين - به ومصدقين لوعده .

- قالوا يا موسى إنما ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هيئنا قاعدون - قالوها استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما - قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي - لآنك يجيبني إذا دعوتك - ففرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرومة عليهم - لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم - أربعين سنة يتيمون في الأرض - يسرون فيها متحيرين - فلا تأس على القوم الفاسقين - لأنهم أحقاه بذلك لفسقهم .

قال الطبرسي² قال المفسرون لما عبر موسى عليه السلام وبنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم الله سبحانه بدخول الأرض المقدسة فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا عن الدخول فبعث من كل سبط رجالاً وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «وبعثنا منهم اثنين عشر نقيبة» فعاينوا من عظم شأنهم وقوتهم شيئاً عجيباً فرجعوا إلى بنى إسرائيل فأخبروا موسى بذلك فأمدهم أن يكتموا فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط ابن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف عليه السلام وكالب بن يوحنان من سبط يهودا وعصى العشرة وأخبروا بذلك.

و قيل كتم الخمسة منهم وأظهر الباقون و فشا الخبر في الناس فقالوا إن دخلنا عليهم تكون نسائنا وأهاليها أغنة لهم، وهموا بالانصراف إلى مصر و هموا بيوشع وكالب وأرادوا أن يرجموهما بالحجارة فاغتاظوا بذلك موسى وقال رب آنني لا أملك إلا نفسي وأخي فأوحى الله إليه إنهم يتيمون في الأرض أربعين سنة وإنما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه أربعين سنة في ستة عشر فرسخاً وقيل تسعة فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل لاتخروا قليلاً بهم وتثبت معهم وينزل عليهم المن والسلوى.

وقال الطبرسي في تفسير قوله وأنزلنا عليكم المن والسلوى: وكان السبب في إنزال المن والسلوى عليهم أنه لما بتلهم الله بالتىه إذ قالوا الموسى «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هيمنا قاعدون» حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة فوقعوا في التيه صاروا كلما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ أو ستة فكلما أصبحوا صاروا عذلين فامسوا فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا في التيه أربعين سنة.

وفي الصافي عن العياشي عن الصادق عليه السلام قال فحرم الله عليهم أي دخول الأرض المقدسة - أربعين سنة وتيهم فكان إذا كان العشاء وأخذوا في الرحيل نادوا الرحيل الرحيل الوحالوحا ، فلم يزالوا كذلك حتى تغيب الشمس حتى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض

قال الله تعالى للأرض ديرى بهم، فلم يزالوا كذلك حتى إذا ساحروا ، وقارب الصبح قالوا إن هذا الماء قد أتياكموه فانزلوا فاذ اتبههم و منازلهم التي كانوا فيها بالأمس ، فيقول بعضهم يا قوم لقد ضللتم وأخطأتم الطريق فلم يزالوا كذلك حتى أذن لهم فدخلوها

وفي الكافي عن النبي ﷺ إن موسى كليم الله مات في التيه فصالح صائح في السماء مات موسى وأي نفس لاتموت؟ .

قال الطبرسي فلما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا فألفظ الله لهم بالغمam لما شكوا حر الشمس و أنزل عليهم المن والسلوى فكان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فكانوا يأخذون منها ما يكتفيه ليوتهم و كان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهرار فيدفع عنهم حر الشمس و كان ينزل عليهم بالليل من السماء عموداً من نور يضيء لهم مكان السراج وإذا ولد فيهم مولود كان عليه ثوب بطوله كالجلد ويأتي إنشاء الله تفصيل المن والسلوى في شرح الخطبة المأة والحادية والتسعين .

وماتت النقباء غير يوشع بن نون و كالب و مات أكثرهم و نشأ ذراريهم و خرجوا إلى حرب أريحا وفتحوها .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن امام مبین و ولی " مؤمنین است در نصیحت مخاطبین
وإخبار از وقایع آتیه روزگار میفرماید :

باید که متابعت نماید کوچکان شما بیزر گان شما ، و باید که مهر بانی نماید
بزر گان شما بر کوچکان شما ، و نباشد مثل جفاکاران ایام جاهلیت که نه در دین
داندا شوید و نه از خدای تعالی کسب معرفت نماید ، مانند پوست بیرون تخمها در
مواضع بچه بیرون آوردن که میباشد شکستن آن تخمها وزر و وبال و بیرون میآید
بعجهای آنها شرارت و فساد .

واز جمله فقرات این خطبه است میفرماید :

متفرق میشوند بعد از ایقلاf ایشان و پراکنده میشوند از اصل خودشان ، یعنی از امام مفترض الطاعة ، پس بعضی از ایشان **أخذ کمنده باشد شاخه را از آن اصل که هر جا میل کند آن شاخه آن هم میل می کند با او با وجود اینکه بدرستی خدای تبارک و تعالی زود باشد که جمع کند ایشانرا از برای بدترین روزی از برای بنی امیه ملعونین چنانچه مجتمع می شود ابرهای متفرقه در فصل پائیز .**

الفت میدهد خدای تعالی در میان ایشان پس می گرداند متراکم و بر هم نشسته مثل ابرهای متراکم پس از آن بگشاید خداوند عز وجل از برای ایشان در هائی که روان شوند از جای هیجان ایشان مانند سیل دوستان شهر سبا ، به میثیستی که سلامت نماند بر آن سیل کوه کوچکی و ثابت نشود مر آن را تلی و باز نگرداند راه آن را کوه محکمی و نه پشتهای زمینی ، متفرق میسازد ایشانرا خدای تعالی در درونهای وادیهای خود ، پس در برد ایشان را در چشمها زمین و بکیرد بایشان از قومی حقهای قوم دیگر را و جای دهد قومی را در ممالک قومی ، و سوگند بخدا هر آینه الیته گداخته میشود آنچه که در دست بنی امیه است از ملک و سلطنت چنانچه گداخته شود دنبه بر آتش .

ای مردمان اگر خذلان نمیورزیدید از نصرت حق و سستی نمی گردید از اهانت باطل ، هر آینه طمع نمی کرده در شما کسانی که مثل شما نبودند ، وقوت نمی یافتد کسی که قوت یافت برشما ، ولکن شما حیران و سرگردان شدید مثل حیرانی بنی اسرائیل ، و قسم بزنندگانی خودم هر آینه افزون کرده شود از برای شما حیرانی و سرگردانی بعد از من افزونی فراوان بسبب اینکه واپس گذاشتید حق را در پس پشتهای خود و بریدید نزدیکتر بسوی پیغمبر را و پیوند کردید دورتر از آن را . و بدانید اینکه اگر شما تبعیت نمائید دعوت کمنده خودتان را که هنم ببرد شما را برآ راست پیغمبر خدا و کفایت کرده شوید از مشقت کجر وی ، و می اندازید بارگران نقيل را که عبارت است از وزد و عذاب آخرت از گردنها خودتان .

قال الشارح عَفِيُ اللَّهُ عَنْهُ لِيَكُنْ هَذَا آخِرُهُذَا الْمَجْلِدُ وَهُوَ الْمَجْلِدُ الرَّابِعُ مِنْ مَجَلَّدَاتِ
مِنْهَاجِ الْبَرَاءَةِ ، فِي شَرْحِ نُجُجِ الْبَلَاغَةِ وَقَدْ طَالَ بِنَا شَرْحُ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْمَجْلِدُ حَتَّى
بَلَغَتْ مَدَّةُ الْاِشْتِفَالِ بِهِ ضَعْفَى مَدَّةِ الْاِشْتِفَالِ بِسَایِرِ الْمَجَلَّدَاتِ لَا بِتَلَائِي بِأَمْوَارِ تَشِيبِ
الْوَلِيدِ ، وَتَذِيبِ الْحَدِيدِ ، وَتَعْجِزِ الْجَلِيدِ ، وَبِرْزَأِيَا لَمْ يَكُنْ يُشَاهِدَ مِثْلَهَا عَلَى صَفَاعِيَّ
الْأَيَّامِ أَوْ يُشَبِّهَ عَلَى الصَّحَافِيَّاتِ بِالْمَخَابِرِ وَالْأَقْلَامِ بَلْ قَلَّمَا أَنْ يُؤْتَرَ نَظِيرُهَا عَنِ الْأَمْمِ
الْإِاصْدِيقَةِ أَوْ يَنْقُلُ قَرْبَنَهَا عَنِ الْقَرْوَنِ الْخَالِيَّةِ وَأَعْظَمُ تِلْكَ الْمَصَابِ الْحَسْدَ وَالْأَذْنِ
مِنْ أَقْارِبِ الْعَقَارِبِ ، وَاجْلَابِهِمْ عَلَى "كِتْبَيَّةِ وَكِتَابَيْ".

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاهُ حَتَّى
فَوَادِي فِي غَشَاءِ مِنْ نِبَالٍ
فَصَرَتْ إِذَا أَصَابَتْنِي سَهَامٌ
تَكَسَّرَتِ النَّسَالُ عَلَى النَّسَالِ

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ دَهْرٍ إِذَا أَسَاءَ أَصْرَ عَلَى إِسَائَتِهِ ، وَإِذَا أَحْسَنَ نَدْمَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَمِنْ
مِعْشَرِ جَلَّ بِضَاعُتِهِمُ الْأَوْدُو العَنَادِ ، وَكُلَّ صَنَاعَتِهِمُ اللَّدَدُ وَالْفَسَادُ ، وَمِنْ اللَّهِ أَسْأَلُ
دَفْعَ كَيْدِ الْخَائِنِينَ وَاصْلَاحَ نُفُوسِ الْحَاسِدِينَ ، وَانْقِطَاعَ أَلْسِنِ الْمَعَانِدِينَ وَأَسْئَلُهُ
التَّوْفِيقَ لِشَرْحِ الْمَجَلَّدَاتِ الْآتِيَّةِ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ بِعَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَنْتَهُ الطَّاهِرَةِ
وَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَى "بِالْفَرَاغِ مِنْ هَذَا الْمَجْلِدِ بَعْدِ الْأَيَّامِ لِتَفَرَّقَ الْحَوَاسِ صَبِيحةً
يَوْمِ الْاثْنَيْنِ وَهُوَ الْأَبْعَدُ وَالْعُشْرُونُ مِنْ شَهْرِ جَمَادِي الْآخِرَةِ مِنْ شَهْرَوْنَ ثَلَاثَ عَشَرَةَ
وَثَلَاثَمَّةَ وَأَلْفَ سَنَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبُوَيَّةِ عَلَى مَهَاجِرِهِمُ الْأَلْفَ صَلَاةً وَسَلَامًا وَتَحْمِيَّةً
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَطْيَبِينَ .

هذا هو المجلد الخامس من مجلدات منهاج البراعة
في شرح نهج البلاغة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَكَ بِنَا نَهَجَ الْبَلَاغَةَ لِلْإِهْتِدَاءِ إِلَى مَنَاهِيجِ
الْبَيَانِ، وَأَلْهَمَنَا مِنْهَاجَ الْبَرَاعَةِ لِلْإِرْتِقاءِ إِلَى مَعَارِجِ الْمَعَانِ؛ وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى دَوْخَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي طَابَتْ فَرْعَانًا وَأَصْلَانًا، وَشَيْجَةِ الرُّسَالَةِ
الَّتِي سَمَّتْ رِفْعَةً وَتَبَلاً، عَيْنَ السَّيَادَةِ وَالْفَخَارِ، وَخَدْنَيْنِ الشَّرَفِ الَّذِي
أَظْهَرَ الْخِيلَاءِ فِي مُضَرٍّ وَتَزَارٍ، مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ مِنْ سُلَالَةِ عَدْنَانَ، وَأَحْمَدٌ
الْمُسْتَأْثِرُ بِمُكْرَمَاتِ الْفُرْقَانِ، وَآلُهُ الْمَوْصُوفَينَ بِالْمُضْمَّنَةِ وَالطَّهَارَةِ،
وَالْمَهْتُورَينَ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَخَارَةِ، وَالْمَوْسُومَينَ بِالْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ،
وَالْمَرْسُومَينَ بِالشَّرَافَةِ وَالْكَرَامَةِ، لَا سِيمَا إِنْ عَمِّهُ وَأَخِيهُ الْمُنْتَجَبُ
وَوَزِيهُ وَوَصِيهُ الْمُنْتَخَبُ، الْحَائِرُ قَصْبَ السَّبْقِ فِي مِضَارِ الْغَرَّ وَالشَّرَفِ،
وَالْبَارِعُ عَلَى الْأَقْرَانِ فِي السُّؤُودِ فَمَا لَهُ عَنْهُ مُنْصَرِفٌ، الْمَخْصُوصُ بِإِمَارَةِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَنْصُوصُ بِالْإِمَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْمَالَمَينَ، عَلَى رَغْمِ
كُلِّ نَاصِبٍ جَاهِدٍ، وَعَنِّي عَيْنِ كُلِّ مُنَافِقٍ مُعاِنِدٍ.

يا آل طه الأَكْرَمِينَ أَلِيَّةَ

إِنِّي مُنْعَذِّكُمُ الْمُوْدَّقَارَاجِيَا

فَعَلَيْكُمْ هَنْتَيَ السَّلَامَ فَأَنْتَمْ

بِكُمْ وَمَادِهِرِي يَمِينَ فَجَارَ

نَيلِي الْمُنْى فِي الْخَمْسَةِ الْأَشْبَارِ

أَفْصَى رَجَائِي وَمُنْتَهِي اِيَشَارِي

أما بعد فهذا هو المجلد الخامس من مجلدات منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة أعلاه، المفتاق إلى غفران رب الغني حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوي الموسوي وفقه الله سبحانه وآعانه على اتمامه وختامه، بيداعته أسلوبه ونظماته وجعله ممحاة لذنبه وآثامه، يوم حشره وقيامه، أنه لما يشاء قدير، وبالاجابة .
حقيق جدير

فاؤول : قال السيد الرضي رضي الله عنه :

وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عليه السلام وَهِيَ الْمَائَةُ وَالسَّادِسَةُ

وَالسَّتُونُ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطَبِ

وهي مروية في البحار من كامل ابن الاثير بيسير اختلاف وتغيير حسبما تطلع عليه إنشاء الله .

إِنَّ اللَّهَ سُبْنَحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًّا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرِّ، فَخُذُوهَا
تَهْجِيجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَأَنْصِدُوهَا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا وَالْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ
أَدْوَهَا إِلَى اللَّهِ تَوَدُّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ ،
وَأَحْلَلَ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَىَ الْعُرُمِ كُلُّهَا وَشَدَّ
بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَايِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ

الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَجِدُ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا يَا
يَجِبُ، بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَةَ وَخَاصَّةً أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْوَعْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ
وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخْفَقُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلَكُمْ أَخْرُوكُمْ،
إِنْتَقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِالْأَدِدِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُلُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبَقَاعِ وَالْبَاهِيمِ
أَطْبُعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْغَيْرَ فَخُذُوهُ إِلَيْهِ وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ
فَاصْدِفُوهُ عَنْهُ.

اللغة

(صدف) عنه أصلف من باب ضرب أعرضت و (قصد) في إلا أمر قصداً من باب ضرب أيضاً توسيط وطلب الأسد ولم يجاوز المحد وهو على قصد أى رصد وطريق قصد أى سهل و (دخل) عليه بالبناء على المفعول إذا سبق وهمه إلى شيء فقلط فيه من حيث لا يشعر و (البقعة) من الأرض القطعة و تضم الباء في إلا أكثر فتجمع على بقع مثل غرفة وغرف وتفتح فتجمع على بقاع بالكسر مثل كثبة وكلاب .

الاعراب

قوله والفرائض الفرائض بالتنصب على الاغراء، والفاء في قوله عَنْكُمْ مَسْؤُلُونَ فال المسلم فصيحة ، وقوله خاصة أحدكم عطف على أمر و الفاء في قوله فَإِنَّمَا الناس تعيل وكذا في قوله فَإِنَّكُمْ مَسْؤُلُونَ .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة الشريفة كما قاله السيد « ره » وغيره خطب بها في أول خلافته، وصدر كلامه بالتنبيه على فضل الكتاب المجيد فقال (إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَنْزَلَ) على نبيه أشرف المسلمين (كتاباً هادياً) إلى نهج الحق اليقين ، كما قال

عز من قائل « لاري ب فيه هدى للمتّقين » (بِيَسِنْ فِيهِ الْخَيْرِ) المقرب إلى رضوانه (والشر) المبعد عن جنانه (فخندوا نهج الخير) لـ (تهتمدوا) إلى الصراط المستقيم المؤدي إلى نصرة النعيم (واصدفوا عن سمت الشر) أى أعرضوا عن طريقه لـ (تقصدوا) أى تطلبوا السداد ، وتسلكوا سبيل الرشاد .

ثم حث على مواطبة الفرائض والواجبات والمراقبة عليها في جميع الحالات فقال ﷺ : (والفرائض الفرائض أداءً وها إلى الله تؤدّي كم إلى الجنة) أى أوصلوها إليه سبحانه لتوصلكم إلى الجنة ، وهو من باب المشاكلة إذ المراد بايصالها إلى الله التقرب بها إليه وطلب الزلفى بها لديه ، ونسبة التأدية إلى الجنة إليها من باب المجاز العقلى والاستناد إلى السبب (إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ) في كتابه وسنة نبيه ﷺ (حراماً غير مجهول) ولا خفي بل هو واضح جلي فلا عذر لمن جهله (وأحل حلالاً غير مدخول) أى ليس فيه عيب ولا ريب ، فلا بأس على من تناوله (وفضل حرمة المسلم على الحرم كلّها) كما أوضح عنه لسان النبوة قال ﷺ : حرمة المسلم فوق كل حرمة دمه وما له وعرضه (وشد بالأخلاق والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها) أى ربطها بهما في مراقبتها ، فأوجب على المخلصين الموحدين المحافظة على حقوق المسلمين ومراعات مواضعها هكذا قال الشارح البحرياني والعالمة المجلسي « ره » وهو ظاهر الشارح المعتزلي ، ويجوز أن يصوبه أنه سبحانه شد حق المسلم في معقده بسبب اخلاصه الوحدانية وتوحيد الله سبحانه (١) . يعني أن إسلامه وتوجهه أوجب ترتيب أحكام الإسلام عليه كما قال الصادق عليه السلام في رواية المفضل المروية في الكافي : الإسلام يتحقق به الدليل وتدلي به الأمانة وتنتحل به الفروج .

وفي رواية أخرى عن سمعاء عن الصادق عليه السلام قال : الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله

(١) أقول : والفرق بين ما ذكره العالمة المجلسي (ره) والشارحان وبين ما ذكرناه أن الباقي في قوله (ع) بالأخلاق صلة على قول هؤلاء ، وعلى ما ذكرناه فسيبية وأيضاً الأخلاق والتوحيد على على ما ذكرناه صفة للمسلمين وعلى ما ذكروه صفة للمحافظين على حقوقهم فافهموا جيداً (منه) .

والتصديق برسول الله ﷺ به حقمن الدماء وعليه جرت المناكحة والمواريث هذا ولكن الأظهر ما ذكره بقرينة التفريع بقوله (فالMuslim من سلم المسلمين من لسانه ويده إلّا بالحق) وإن كان يمكن توجيهه على ما ذكرناه أيضاً بنوع تكليف فافهم هذا .

و قوله إلّا بالحق تنبئه على أنه لا يجب كف اليد واللسان عن المسلم إذا استحق عدمه وقد ورد نظيره هذا الاستثناء في الكتاب العزيز قال تعالى : « ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق » قال المفسرون أي بإحدى ثلاثة إما زناً بعد إحسان أو كفر بعد إيمان أو قتل المؤمن عمداً ظلماً .

وقوله : (ولا يحل أذى المسلم إلّا بما يجحب) تأكيد لما سبق على أن الماء مصدرية أي لا يجوز أذاه إلّا مع وجوبه ، فيكون مساقه مساق قوله إلّا بالحق ، ويجوز أن يكون تأسيساً فإنه لما دل الكلام السابق على جواز عدم الكف عنه عند الاستحقاق نسبه بهذا الكلام على أنه لا يجوز أذاه عند الاستحقاق أيضاً إلّا بما يجب من الأذى كما وكيفاً فتكون ما موصولة ومحصلة التنبئه على جواز أذيته من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقدار مخصوص يستحقه أو كيفية خاصة تستحقها على ما تقرّر في باب الحسبة هذا .

و قد تلخص مما ذكره عليه وجوب مراعات حرمة المسلم و المحافظة على حقوقه وقد أُشير إليها في أخبار أهل البيت عليهما السلام :

ففي الوسائل عن الكليني عن أبي المعزا عن أبي عبدالله عليهما السلام قال المسلم أخوه المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه ، ويتحقق على المسلمين الاجتياه في التواصل و التعاون على التعاطف ، و المواساة لأهل الحاجة ، و تعاطف بعضهم على بعض ، حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل « رحمة بينكم » متراحمين مغتمين لعما غاب عنكم من أمرهم ، على مامضى عليه معاشر الأنصار على عهد رسول الله عليهما السلام .

و عن معلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : قلت له : ما حق المسلم على المسلم ؟ قال : له سبع حقوق واجبات ما منها حق إلّا وهو عليه واجب ، إن

ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ، ولم يكن الله فيه من نصيب قلت له :
جعلت فداك وما هي ؟ قال يا معلم إني عليك شقيق أخاف أن تضيّع ولا تجهل أو تعلم
ولاتعمل قلت : لا قوّة إلا بالله .

قال : أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك
والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاكه وتطيع أمره .

والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك .

والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته .

والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع ، ولا تروى ويظماء ، ولا تلبس ويعرى .

والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لاً خيك خادم فوجب أن تبعث
خادمك فيفضل ثيابه ، ويصنع طعامه ، ويمهد فراشه .

والحق السابع أن تبر فسمه ، وتجيب دعوته ، وتعود من يرضه ، وتشهد جنائزه
وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تتجئه إلى أن يسئلها ولو لكن تبادره مبادرة
فإذا فعلت ذلك وصلت لوايتك بولايته وولايته بولايتك .

وفي الوسائل عن محمد بن علي الكراجكي في كنز الفوائد عن الحسين بن محمد
ابن علي الصيرفي عن محمد بن علي الجعابي عن القاسم بن محمد بن جعفر العلوى عن
أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلم على أخيه ثلاثة
حقاً لا براءة له منها إلا بالإداء أو العفو :

يفغر زلة ، ويرحم عورته ، ويستر عورته ، ويغسل عورته ، ويقبل معذرتها ،
ويرد غيمتها ، ويديم نسيختها ، ويحفظ خلتها ، ويرعى ذمتها ، ويعود مرضاكتها ، ويشهد
ميقتها ، ويجيب دعوتها ، ويقبل هديتها ، ويكافي صلتها ، ويشكّر نعمتها ، ويحسن نصرتها
ويحفظ حليلتها ، ويقضى حاجتها ، ويشفع مسئلتها ، ويسمّت عطستها ، ويرشد ضالتها
ويرد سلامها ، ويطيب كلامها . ويرد إنعامها ، ويصدق أقسامها ، ويواли وليتها
ويعادى عدو .

وينصره ظالماً و مظلوماً فاما نصرته ظالماً فيرد عن ظلمه ، وأما نصرته

مظلوماً فيعینه على أخذ حقته ، ولا يسلمه و لا يخذه و يحب له من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه .

ثم قال ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالب به يوم القيمة فيقضى لموعليه .

ثم أمر بالمبادرة إلى الموت مؤيداً به البدار إلى تهيئة أسبابه فقال : (وبادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو) أي ذلك الأمر (الموت) .

قال الشارح المعتزلي سمّاه المواقعة العامة لأنّه يعم الحيوان كلّه ثم سمّاه خاصةً أحدكم لأنّه وإن كان عاماً إلا أنّ له مع كلّ إنسان بعينه خصوصية زائدة على ذلك العموم (فان الناس أمامكم) أي سبقوكم إلى الموت ، وفي بعض النسخ فانّ الباس أمامكم بالباء الموحدة أي الفتنة (وإن الساعة تحدوكم) أي يسوقكم من خلفكم (تخففوا) بالقناعة من الدّنيا باليسير وترك الحرمن عليها و ارتكاب العاتم (تلحقوا) فانّ المسافر الخفيف أحرى بلحقوق أصحابه و بالنجاة (فانّما ينتظركم آخركم) أي للبعث والنشور .

وقد مضى هذا الكلام بعينه في الخطبة الحادية والعشرين وتقدم شرحه هناك بما لا مزيد عليه .

ثم أمرهم بالتقوى لأنّه الزاد إلى المعاد فقال : (اتقوا الله في عباده) ورعايـة ما يجب مراعاته من حقوقـهم (و بلاده) بترك العلو و الفساد فيها قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة يجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » (فأنـكم مسـؤولون) لقوله : « ولتسئـلن عما كـنتم تعملـون » و قوله : « و قـفوـهم إـنـهم مـسـؤولـون » (حتىـ عنـ الـبـقـاعـ) فيـقال لمـ استـوطـنـتمـ هـذـهـ وـتـرـكـتـمـ هـذـهـ .

وقد ورد النـھـى عن إـقامـةـ بـلاـدـ الشـركـ معـ إـمـکـانـ الخـروـجـ مـنـھـ وـاـذاـ لـمـ يـتـمـکـنـ منـ الـقـيـامـ بـوـظـائـفـ الـإـسـلـامـ وـكـذـاـ عـنـ مـجـالـسـةـ أـهـلـ الـبـدـعـ وـالـفـعـاصـيـ كـمـاـ مـرـ فيـ

(٩٦)

المختار المائة وال السادس والستون

(ج) ١٠٠

شرح الخطبة الخامسة والثمانين (والبهائم) فيقال : لم ضربتم هذه وأوجعتم هذه فانه تعالى قد جعل للبهائم حقاً على أصحابها .

روى في الوسائل من عقاب الأعمال للمصدق عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن امرأة عذبت في هرّة ربطتها حتى ماتت عطشاً .

ومن مكارم الأخلاق للحسن بن الفضل الطبرسي نقاًلاً من كتاب المجالس عن الصادق عليه السلام قال أقدر الذنوب قتل البهيمة، وحبس مهر المرأة، ومنع الأجير أجره .

وفي الوسائل عن الصدوق باسناده عن السكوني بساند أن النبي عليه السلام أبصر ناقة معقولـة عليها جهازها فقال رواه التوكـل : أين أصحابها مروه فليستعدـ غداً للخصوصـة .

وفيه عن محمد بن محمد المفید في الارشاد مسندـ عن إبراهيم بن عليـ عن أبيه قال حججـت مع عليـ بن الحسين عليهما السلام فالثانية عليه الناقة في سيرها فأشارـ إليها بالقضـيب ، ثمـ قال آه لولا الفصاصـ وردـ يدهـ عنهاـ .

وفيه عن الصـدوقـ قالـ روـيـ أنهـ يعنيـ أبيـ عبدـ اللهـ عليهـ السلامـ قالـ اضرـ بـوهـاـ عـلـىـ العـثـارـ ولاـ تـضـرـ بـوهـاـ عـلـىـ النـفـارـ ، فـانتـهاـ تـرىـ ماـ لاـ تـرـونـ .

وفيه عن الصـدوقـ باسنادهـ عنـ اسمـاعـيلـ بنـ أـبـيـ زـيـادـ باسنـادـهـ عنـ جـعـفرـ بنـ مـحـمـدـ عنـ آـبـائـهـ عليهـ السلامـ قالـ : قالـ رسولـ اللهـ عليهـ اللهـ للـمـدـابـةـ عـلـىـ صـاحـبـهـ خـصـالـ يـبـدـهـ بـعـلـمـهـاـ إـذـ نـزـلـ ، وـيـعـرـضـ عـلـيـهـ المـاءـ إـذـ مـرـ بـهـ ، وـلـاـ يـضـرـ وـجـهـهـ فـانـتـهاـ تـسـبـحـ بـحـمـدـ رـبـهـ ، وـلـاـ يـقـفـ فـيـ ظـهـرـهـ إـلـاـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ وـلـاـ يـحـمـلـهـ فـوـقـ طـاقـتـهـ وـلـاـ يـكـلـفـهـ مـنـ المـشـىـ إـلـاـ مـاـ تـطـيقـ .

وـعـنـ الصـدـوقـ مـرـسـلاـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عليهـ السلامـ قالـ : قالـ رسولـ اللهـ عليهـ السلامـ : لـاـ تـتـوـرـ كـوـاـ عـلـىـ الدـوـابـ وـلـاـ تـتـخـذـوـ ظـهـورـهـ مـجـالـسـ .

ثـمـ أـمـرـهـ بـالـاطـاعـةـ وـنـهـاـمـ عـلـىـ الـمـعـصـيـةـ عـلـىـ سـبـيلـ الـاجـمـالـ فـقـالـ : (أـطـيـعـوـ اللهـ وـلـاـ تـعـصـوـهـ وـإـذـ رـأـيـتـ الـخـيـرـ فـخـذـوـ بـهـ) لـأـنـهـ يـتـعـكـمـ فـيـ الـعـاجـلـ وـالـآـجلـ

(وإذا رأيتم الشر فاعرضوا عنه) لأنه يسوقكم الى الجحيم ويؤدي إلى العذاب الأليم.

تكلمة

روى في مجلد الفتن من البحار من كامل ابن الأثير هذه الخطبة باختلاف
يسير قال : قال : وبوبع ^{عليها} يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة من سنة خمس
وثلاثين من الهجرة وأول خطبة خطبها ^{عليها} حين استخلف حمد الله و أتني عليه
ثم قال ^{عليها} .

إن الله أنزل كتابا هادياً يسّن فيه الخير والشر فخذوا الخير ، ودعوا الشر
الفرائض أداً وها إلى الله تؤدّيكم إلى الجنة إن الله حرم حرمات غير مجحولة ،
وفضل حرمة المسلم على الحرم كلّها ، وشد بالأخلاق والتوجيد حقوق المسلمين
فالمسلم من سلم المسلمين من لسانه و يده إلّا بالحق ولا يحل دم امرء مسلم إلّا
بما يجب .

بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم وإنما خلفكم
الساعة تحدوكم ، تخففوا تلحوظكم فانما ينتظر الناس بآخركم .
اتقوا الله عباد الله في عباده وبالاده ، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم
وأطیعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوه وإذا رأيتم الشر فدعوه .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار و ولی کردگار است در اوّل خلافت

خود فرموده :

بدرستی که خدای عز و علا نازل فرموده کتابی که هدایت کننده است
بيان فرموده در آن نیک و بدرا ، پسأخذ نمائید راه خیر را تا هدایت یابید ،
واعراض کنید از راه شر تا میانه رو باشید مواظبت نمائید بفرائض مواظبت نمائید
بفرائض بر سانید آنها را بسوی پروردگار تا اینکه بر ساند آنها شما را بسوی

بهشت عمر سرشن.

بدرستی که خداوند تبارک و تعالی حرام فرموده حرامیکه مجرم نیست و حلال کرده حلالیرا که بی عیب است، و تفضیل داده احترام مسلمان را بر جمیع حرمتها و بسته با خلاص و توحید حقهای مسلمانان را در موضع بستن آنها، پس مردم مسلمان آنکسی است که سلامت باشند مسلمانان از زبان آن واز دست آن مگر بوجه حقانیت و حلال، نیست اذیت و آزار مسلمان مگر با آنچه که واجب باشد.

مبادرت نمائید بر کاریکه عام است و شامل بهمه عالمیان، و بر آنچه که مختص است بپریکی از شما و آن مر گست پس بدرستیکه مردم در پیش شمایند و بدرستیکه ساعت میراند شمارا از پس شما با آخرت، سبکیمار دشوید تا لاحق باشد بگذشته گان پس بدرستی که انتظار میکشد بسبب او شما آخر شما.

بپر هیزید و بترسید از خدا درخصوص بندهای او، و شهرهای او، پس بتحقیق که شما مسؤول خواهید شد از هر خوب و بد حتی از بقعهای زمین و از چهار پایان اطاعت کنید خدارا و مخصوصیت نمائید و زمانی که به بینید خیر و خوبی را پس بگیرید آن را و آخذ نمائید و چون مشاهده کنید بد را پس اعراض کنید از آن واجتناب نمائید.

و من كلام له ﷺ و هو المائة والسابع

و الستون من المختار في باب الخطب

بعد ما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لوعاقبت قوما ممن أجلب

على عثمان فقال ﷺ :

يَا إِخْرَاتَهُ إِنِّي لَسْتُ أَنْجَلُّ مَا قَعَدْتُمْ وَ لِكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ
وَ الْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدٍ شَوَّكَتِهِمْ يَمْلِكُونَا وَ لَا نَمْلِكُهُمْ وَ هَا هُمْ

هُوَلَاءَ قَدْ ثَارَتْ مَعْهُمْ عِبْدَانُكُمْ وَالنَّفَّتْ إِلَيْهِمْ أَغْرَابُكُمْ وَهُمْ خَلَّا لَكُمْ
 يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعًا لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ وَإِنْ
 هَذَا الْأَمْرُ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ وَإِنْ لَهُوَلَاءُ الْقَوْمِ مَادَّةٌ إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ
 إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ،
 وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا ، وَلَا هَذَا ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ ، وَتَقْعَ
 الْقُلُوبُ مَوَاقِعُهَا وَتُؤْخَذُ الْحُقُوقُ مُسْنَمَةً فَاهْدِئُوا عَنِي وَانظُرُوا مَا ذَا
 يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي ، وَلَا تَفْعَلُوا فِلَةً تُضَعِّفُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مُنْهَةً وَتُورِثُ
 وَهَنَّا وَذِلَّةً ، وَسَأْمِسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَإِذْمَ أَجِدْ بُدَّا فَأَخِرُ
 الدَّوَاءُ الْكَيْ .

اللغة

(أجلبوا) عليه أي تأليباً واجتمعوا (والحد) منتهى الشيء، ومن كل شيء،
 حدّته، وفي بعض النسخ (على جد) بالجيم المكسورة اسم من جد في الأمر من
 باب ضرب وقتل اذا اجهده وسعى فيه، ومنه يقال فلان محسن جدأ اي نهاية وببالغة
 (و عبدان) بالكسر جمع عبد مثل جחש و جحسان وبالضم أيضا مثل تمرو
 تمران والأشهر في جمعه أعبد وعبيده وعباد و (سام) فلانا الأمر إذا كلفه إياه، أكثر
 ما يستعمل في العذاب والشر قال سبحانه «يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم
 ويستحيون نساءكم» و (هدا) القوم والصوت يهدى من باب منع سكن و (سمح)
 سماحة جاد و أعطى أو وافق ما اريد منه وأسمح بالالف لغة وقال الا صمعي سمح
 ثلاثة بما له وأسمح بقياده و (المنة) بالضم كالقوفة لفظاً ومعنى .

الاعراب

جواب لوفي قوله لو عاقيبت محنوف ، بقرينة المقام والهاء في قوله يا إخوه تاء للسكت ، قال نجم الأئمة الرضي أمّا هاء السكت فهـى هـاء تـزاد في آخر الكلمة الموقف علىـها إذا كان آخرـها ألفاً والكلمة حـرف أو اسم عـريق في الـبناء نحو لاـذا وهـنا وـذلك لأنـ "الـأـلـفـ" حـرف خـفيـة فـأـرـيدـ بـيـانـهـ فـإـذـا جـئـتـ بـعـدـهـ بـهـاءـ سـاكـنـةـ فـلـابـدـ من مدـ "الـأـلـفـ" إـذـا جـئـتـ بـعـدـهـ وـذـكـرـ فـيـ الـوـصـلـ بـحـرـفـ آـخـرـ تـبـيـنـ النـطـقـ بـهـاـ وـإـذـا لمـ تـأـتـ بـعـدـهـ بشـيءـ وـذـكـرـ فـيـ الـوـقـفـ خـفـيـةـ حـتـىـ ظـنـ أنـ آخرـ الـكـامـةـ مـفـتوـحةـ فـلـذـا وـصـلـتـ لـيـبيـيـنـ جـوـهـرـهـاـ .

وـ اختـارـواـ أـنـ يـكـوـنـ ذـلـكـ الـحـرـفـ هـاءـ لـمـنـاسـيـهـ بـالـخـفـاءـ لـحـرـفـ اللـيـنـ فـإـذـا جـاءـتـ سـاكـنـةـ بـعـدـ "الـأـلـفـ" مـنـ تـمـكـيـنـ مدـ "الـأـلـفـ" لـيـقـومـ ذـلـكـ مـقـامـ الـحـرـكـةـ فـيمـكـنـ الـجـمـعـ بـيـنـ سـاكـنـيـنـ ،ـ فـيـبـيـقـيـنـ "الـأـلـفـ" بـذـلـكـ التـمـكـيـنـ وـالـمـدـ .

وـ قـالـ فـيـ بـابـ الـمـنـادـيـ الـمـنـدـوـبـ وـإـذـا نـدـبـتـ يـاغـلامـيـ بـسـكـونـ الـيـاءـ فـكـذـا تـقـولـ عـنـ سـيـبـويـهـ يـاـ غـلـامـيـاهـ لـأـنـ "أـصـلـهـاـ الـفـتـحـ عـنـهـ وـأـجـازـ الـمـبـرـ دـيـاغـلامـاهـ بـحـذـفـ الـيـاءـ لـلـسـاكـنـيـنـ قـالـ اـبـنـ الـحـاجـبـ وـالـحـذـفـ لـيـسـ بـوـجـهـ وـقـالـ نـحـوـ وـاغـلامـيـهـ أـوـجـهـ .

أـقـولـ :ـ وـقـولـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عليـهـ الـسـلـامـ مـؤـيـدـ لـقـولـ الـمـبـرـ دـ وـشـاهـدـلـهـ .

قـالـ نـجـمـ الـأـئـمـةـ إـلـحـاقـ هـاءـ السـكـتـ بـعـدـ زـيـادـةـ النـدـبـةـ (١)ـ وـأـوـيـاءـ أـوـ أـلـفـاـ جـايـزـ فـيـ الـوـقـفـ لـاـ وـاجـبـ وـبعـضـهـمـ يـوجـبـهـاـ لـثـلـاـ يـلـقـبـسـ الـمـنـدـوـبـ بـالـمـضـافـ إـلـيـ يـاءـ الـمـتـكـلـمـ الـمـقـلـوبـةـ أـلـفـاـ نـحـوـ يـاغـلامـاـ ،ـ وـيـنـبـغـيـ أـنـ لـاـ يـجـبـ عـنـهـ ذـلـكـ القـائـلـ مـعـ وـاوـ لـأـنـهـ يـكـنـىـ فـيـ الـفـرـقـ بـيـنـ النـدـبـةـ وـالـنـدـاـ ،ـ وـلـيـسـ مـاـقـالـ بـوـجـهـ لـأـنـ "الـأـلـفـ" الـمـنـقـلـبـةـ عـنـ يـاءـ الـمـتـكـلـمـ قـدـ يـلـحـقـهـاـ الـهـاءـ فـيـ الـوـقـفـ كـمـاـ مـرـ فـالـلـبـسـ إـذـاـ حـاـصـلـ مـعـ الـهـاءـ أـيـضاـ وـالـفـارـقـ هـوـ الـقـرـيـنةـ .

أـقـولـ :ـ وـيـكـفـيـ فـيـ ردـ "هـذـاـ القـائـلـ قـولـهـ عليـهـ الـسـلـامـ يـاـ إـخـوتـاهـ فـانـ "الـأـلـفـ" فـيـ مـقـلـوبـةـ عـنـ يـاءـ الـمـتـكـلـمـ وـقـدـ لـحـقـهـاـ هـاءـ السـكـتـ كـمـاـ قـالـهـ الرـضـيـ .

(١) أـيـ الزـيـادـةـ الـتـيـ فـيـ الـمـنـادـيـ الـمـنـدـوـبـ مـنـ الـوـاوـ وـالـيـاءـ،ـ أـوـالـأـلـفـ .

و قوله ﴿كُلُّهُمْ عَلَى حِدَّ شُوكَتْهُمْ ظَرْفٌ مُسْتَقْرٌ﴾ حال من ضمير المجلبون وإضافة حِدَّ إِلَى شُوكَتْهُمْ لامية على رواية حِدَّ بالحاء وبمعنى في على روايته بالجيم كما هو غير خفي.

والهاء في قوله ﴿كُلُّهُمْ وَهَا هُؤُلَاءِ لِتَنْبِيهِ وَهِيَ تَدْخُلُ الْجَمْلَ وَتَدْخُلُ فِي جَمِيعِ الْمَفْرَدَاتِ أَسْمَاءِ الْاِشْارَةِ نَحْوُهُذَا وَهَاتَانِ وَهُؤُلَاءِ وَكَثِيرًا مَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ اسْمِ الْاِشْارَةِ بِالْقَسْمِ نَحْوُهَا اللَّهُ ذَاوُ بِالضَّمِيرِ الْمَرْفُوعُ الْمُنْفَصِلُ نَحْوُهَا أَنْتُمْ أُولَاءِ وَبِغَيْرِهِمَا قَلِيلًا نَحْوُ قَوْلِهِمْ هَذَا لَهَا هَا وَذَالِيَا أَيْ وَهَذَا لِيَا .

وذهب الخليل إلى أن هاء المقدمة في جميع ذلك كانت متصلة باسم الاشارة أي كان القياس الله هذا، وأنتم هؤلاء، والدليل على أنه فصل حرف التنبية عن اسم الاشارة ما حكى أبو الخطاب عمن يوثق به هذا أنا أفعل في موضع ها أنا ذا أفعل، وحدث يونس هذا أنت تقول ذا.

و جواز بعضهم أن يكون هاء المقدمة في نحو ها أنت ذا تفعل غير منوي دخولها على ذا استدلاً بقوله تعالى ها أنت هؤلاء ولو كانت هي التي كانت مع اسم الاشارة لم تعد بعد أنت .

قال نجم الأئمة ويجوز أن يعتذر للمخليل بأن تلك الاعادة للبعد بينهما كما أعيد في «فلا تحسِبْنَهُمْ» بعد قوله «فلا تحسِبْنَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ» وأيضا قوله «ثُمَّ أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تَقْتَلُونَ» دليل على أن المقدمة في ها أنت أولاء هو الذي كان مع اسم الاشارة، ولو كان في صدر الجملة من الأصل لجاز من غير اسم اشارتها أنت زيد .

وما حكى الرمخشيри من قوله ها أن زيداً منطلق، و ها أنا أفعل كذا مما لم أشر له على شاهد فالا ولأن نقول ها التنبية مختص باسم الاشارة، وقد يفصل منه كما مرّ ولم يثبت دخوله في غيره .

وقال نجم الأئمة أيضا واعلم انه ليس المراد من قوله ها أنا ذا أفعل أن تعرف المخاطب نفسك وأن تعلم أنه لست غيرك لأن هذا مجال بل المعنى فيه وفي ها أنت ذا تقول وهذا يفعل استغراب وقوع مضمون ذلك الفعل المذكور بعد اسم الاشارة

من المتكلّم أو المخاطب أو الغائب كأنّ معنّى ها أنت ذاتقول أو يضر بك زيد ، أنت هذا الذي أرى من كنّا نتوقّع منه أن لا يقع منه أو عليه مثل هذا الغريب ثمّ بيّنت بقولك تقول وقولك يضر بك زيد الذي استغرّته ولم تتوقّعه .

قال تعالى «هأأنتم أولاً تحبونهم» فالجملة بعد اسم الاشارة لازمة لبيان الحال المستغربة ولا محلّ لها إذ هي مستأنفة .

و قوله : و هم خلالكم يسومونكم جملة هم يسومون مبتدء و خبر في محل النصب على الحال و خلالكم ظرف مستقرّ حال من مفعول يسومون فدّمت على ذيّها للتوسيع .

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من شرح المعترض أنّ هذا الكلام قاله عليهما أولاً مسیر طلحة و الزبير إلى البصرة (بعد ما بويع بالخلافة و قد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب وأعان على) قتل (عثمان) لكن حسناً لما فيه من قطع عذر الناكثين اذ عمدة مقتضياتهم في النكث كان المطالبة بدم عثمان (فقال عليهما :) معتذرأً عما أشير عليه (يا إخوتاه) إنّي على غزاره علمي (لست أجهل ما تعلمون) بل أعلم ما كان وما هو كائن وما يكون (ولكن كيف لي بقوّة) على القصاص والانتقام (و القوم المجلبون) المجتمعون المتألّبون (على حدّ شوكتهم) أى على غايّة شوكتهم أومع كونهم مجدّين في الشوكة وبالغين في شدة البأس (يملكوننا ولا نملكهم) أى هم مسلطون علينا ولستنا مسلطين عليهم وصدقه في هذا الجواب ظاهر لأنّ أكثر أهل المدينة كانوا من المجلبين عليه ، وكان من أهل مصر ومن الكوفة وغيرهم خلق عظيم ، حضروا من بلادهم وقطعوا المسافة البعيدة لذلك ، وانضمّ إليه أعراب البدارية و عبيدة المدينة ، و ثاروا ثورة واحدة فكانوا على غايّة الشوكة ولذلك اعتذر عليهما بعدم التمكّن والقوّة .

وقد روى أنّه عليهما جمع الناس ووعظهم ثمّ قال لنقم قتلة عثمان فقام الناس بأسرهم إلّا القليل وكان ذلك الفعل استشهاداً منه على صدق قوله ، ونبّهه أيضاً على

(ج) ١٠٣

اعتذاره من معاقبة التأثرين على عثمان

صدقه ^{عليه} باحالة المشيرين عليه إحالة معاينة وبإشارة حضوريّة إلى كثرة المجلبين وشدّتهم فقال ^{عليه} : (و ها هم هؤلاء قد ثارت) و هاجت (منهم عبدانكم والتفت) وانضمّت (إليهم أعرابكم وهم خلالكم) أى بينكم غير متبعدين عنكم (يسومونكم ما شاؤا) كيف شاؤا ليس لهم رادع ولا دافع (و هل ترون) و الحال هذه (موضعاً لقدرة على شيء تريدونه) .

ثم قال : (إنَّ هذَا الْأَمْرَ) أى أمر المجلبين (أمر جاهليّة) لأنَّ قتلهم لعثمان كان عن عصبيةٍ وحقيقةٍ لا لطاعة أمر الله وإن كان في الواقع مطابقاً له .

ويمكن أن يكون المراد به أنَّ ما تريدون من معاقبة القوم أمر جاهليّة نشأ عن تعصيّكم وحميّتكم وأغراضكم الباطلة وفيه إثارة لل الفتنة، وتهييج للشر، لكنَّ الأوَّلُ أنساب بسياق الكلام إذ غرضه من إيراد تلك الوجوه إسكات الخصم و عدم تقوية شبه المخالفين الطالبين لدم عثمان .

وأكَّدَ تأكيداً تصعيف رأيهم بقوله (وإنْ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ مَادَّةٌ) أى مددأً ومعينين وإنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حَرَّكَ عن موضعه وأريد معاقبة المجلبين (على أمور) ثلاثة أشار إليها بقوله (فرقة منهم ترى ماترون) ويحكمون بحسن العقاب (وفرقة ترى ما لا ترون) وتزعم أنَّ في العقاب عدولًا عن الصواب (و فرقة) ثالثة (لا ترى هذا ولا هذا) ولا يحكمون فيه بصواب ولا خطأ .

ولما يبيّن اختلاف الآراء وتشتت الأهواء في التخطئة والتصويب وكان الاقتراض والانتقام مع وجود هذا الاختلاف مظنة فتنة أخرى كالأخلى بل وأعظم منها وكان الأصوب في التدبير والذى يوجبه العقل والشرع الصبر وإمساك النكير إلى حين سكون الفتنة ، و تفرق تلك الشعوب من المدينة، لا جرم أمرهم بالصبر فقال : (فاصبروا حتى يهدى الناس) ويسكنوا (وتقع القلوب مواقعها) وتوّب إلى الناس أحلامهم (وتوخذ الحقوق مسمحة) منقادة بسهولة (فاهدوا) متفرقين (عنى وانظروا ماذا يأتيكم به أمرى) ولا تستعجلوه ولا تسرعوا (ولا تتعلموا افعلة) أى نوع فعل (تضعضع) وتهدم (قوة وتسقط منهـة وتورث وهـنا وذلهـ) فانَّ الأمور مرهونة بأوقاتها ومجتنـى

الثمرة لغير وقت إيناعها لا تذوق إلا مرارة منها.

قال الشارح المعتزلي وكان عليه يؤمل أن يطيعه معاوية وغيره وأن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم ويعينون قوماً بأعيانهم بعضهم للقتل وبعضهم للتسوّر كما جرت عادة المقتولمين إلى الإمام والقاضي فحينئذ يتمكّن من العمل بحكم الله فلم يقع إلا مر بموجب ذلك وعصى معاوية وأهل الشام والتجأ ورثة عثمان إليه زغارقو حوزة أمير المؤمنين عليهما السلام ولم يطالبوا القصاص طلباً شرعياً وإنما طلبوه مغالبة وجعلها معاوية عصبية الجاهلية ولم يأت أحد منهم إلا مر من بابه.

و قبل ذلك ما كان من أمر طلحه والزبير ونقضهما البيعة ونهبهما أموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من أهلهما وجرت أمور كلّها يمنع الإمام عن التصدّي للقصاص واعتماد ما يجب اعتماده لو كان الأمر وقع على القاعدة الصحيحة من المطالبة بذلك على وجه السكوت والحكومة.

وقد قال هو عليهما معاوية وأما طلبك قتلة عثمان فادرخ في الطاعة وحاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله وسنة رسوله عليهما السلام هذا وأمّا قوله عليهما (وسأمسك إلاّ من ما استمسك وإذا لم أجد بدّاً فآخر الداء الكي) هكذا في نسخة الشارحين البحرياني والمعتزلي، قال ثانيةهما وهو مثل مشهور و يقال آخر الطب ويغلط فيه العامة فيقول: آخر الداء، والكي ليس من الداء ليكون آخره.

وفي نسخة البحار: آخر الداء قال العلامة المجلسي (ره) هكذا في أكثر النسخ المصححة ولعل المعنى بعد الداء الكي "إذا اشتد الداء ولم يزل بأنواع المعالجات فيزول بالكري" وينتهي أمره إليه.

ثم قال الشارح المعتزلي وليس معناه وساً صبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن الصبر فإذا لم أجد بدّاً عاقبتهم ولكنّه كلام قاله أول مسیر طلحه والزبير إلى البصرة فاته حينئذ وأشار عليه قوم بمعاقبة المجلسين فاعتذر بما قد ذكر.

ثم قال و سأمسك إلاّ من ما استمسك أى أمسك نفسى عن محاربة هؤلاء

السّاكِتَيْنَ لِلبيعةِ مَا أُمْكِنَ وَأَدْفَعَ الْأَيَّامَ بِمَرْاسِلَتِهِمْ وَتِخْوِيفِهِمْ وَإِنذَارِهِمْ وَأَجْتَهَدَ فِي رَدِّهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، فَإِذَا لَمْ أَجِدْ يَدًاً مِنَ الْحَرْبِ فَأَخْرُ الدَّوَاءِ الْكَيْ أَيُّ الْحَرْبِ لَا نَهَا الْغَايَةُ التَّيْنَتَهَا أَمْرُ الْعَصَمَةِ إِلَيْهَا .

قال العالمة المجلسي^{رحمه} بعد حكاية ماحكيمناه عن الشارح أقول : و يحتمل أن يكون ذلك توريدة منه ^{عليها} ليفهم بعض المخاطبين المعنى الأول و مراده المعنى الثاني .

أقول : قد تقدّم في شرح الكلام الشّلّاثيّن تفصيلاً أتّى عليه السلام كان بناءً على إبهام المرام ، و استعمال التوريّة في الكلام ، في أمر عثمان لمصالح قاضية بذلك مانعة عن الابانة والتصرّيغ فلم يراجع ثمة .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام است علیه الصلاة و السلام بعد از اینکه بیعت کرده شد بخلافت در حالتیکه گفتند اورا گروهی از صحابه اگر عقاب بفرمایی قومی را از آن کسانی که جمیعت نمودند برقتل عثمان خوب میشود.

پس فرمود آن حضرت در جواب ایشان : ای برادران من بدرستیکه من نیستم که ندانم چیزی را که شما میدانید ولیکن چگونه مرا فوت باشد در انتقام وحال آنکه قومی که جمیعت کردند بر غایت شوکت ایشان مسلط و مالک هستمند و ما برایشان تسلط نداریم ، و بدانید که ایشان این جماعت اند که هیجان آمده اند با ایشان بند گان شما و پیوسته اند با ایشان اعراب بادیه نشینان شما و حال آنکه ایشان در میان شما تکلیف میکنند بشما آنچه دلشان بخواهد ، و آیا می بینید با وجود این حالت محلی از برای قدرت بر چیزی که میخواهید بدرستی که این کار کار جاهلیت است و بدرستی که از برای آن قوم است ماده بسیار از اعوان و انصار .

بدرستی که مردمان در این کار هر گاه حر کت داده شود بر چند امر میباشدند طایفه رأی ایشان مطابق رأی شما خواهد شد و طایفه دیگر ایشان مخالف رأی شما

میباشد و طایفه سوم رأیشان نه اینست و نه آن ، پس صبر و تحمل نمائید تا آرام
کیرند مردمان و واقع شود قلبها درموضع وقوع خود و گرفته شود حقها بسهولت
و آسانی ، پس آرام گیرید و کنار شوید از من و نظر کنید بآنچیزی که بیاید
بشما فرمان من با آن و نکنید کاری را که ویران کند قوت و قدرت را ، و بیندازد
طاقت و توانائی را و باعث بشود بسستی و ذلت والبته نگاهداری میکنم این امر را
مادامیکه نگاه داشته شود و چون چاره نیابم پس آخر دوا داغ است یعنی غیر از
محاربه علاجی نیابم لابد باید محاربه کنم .

و من خطبة له ﷺ و هي المائة والتاسعة

و الستون من المختار في باب الخطب

عند مسیر أصحاب الجمل إلى البصرة:

إِنَّ اللَّهََ بَعَثَ رَسُولًاَ هَادِيًّا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ
إِلَّا هَاكُ وَإِنَّ الْمُبَقَّدَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا
وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لَا أَمْرَكُمْ فَأَعْطُوهُ طَاعَتُكُمْ غَيْرَ مَلُومَةٍ، وَلَا
مُسْتَكْرِهٖ بِهَا وَاللَّهُ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهَ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ لَا
يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبْدًا حَتَّى يَأْرِذَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ إِنْ هُؤُلَاءِ قَدْ قَاتَلُوكُمْ عَلَى
سُخْطَةٍ إِيمَارَتِي وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمُوا عَلَى
فِيَالَّهِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظامُ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا

لَئِنْ أَفَأْتَهُمَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدًّا لِّا مُوْرٍ عَلَى أَدْبَارِهَا وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ
بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنْنَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالتَّعْشُ لِسُنْتِهِ.

اللغة

(المتشبهات) في بعض النسخ بصيغة المفعول وفي بعضها بصيغة الفاعل وفي بعضها (المتشبهات) بدلها يقال شَبَهَت الشيء بالشيء أي جعلته شبيها به فهو مشبه بالفتح و شبّهته عليه تشبيهاً مثل لبسنته تلبيساً وزناً و معنى فأنا مشبه بالكسرو اشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميّز ولم تظهر قال سبحانه : «إن الْبَقَرُ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» وقال : «وَمَا قُتِلُوهُ وَمَا مُصْلَبُوهُ وَلَكُنْ شَبَهَ لَهُمْ» .

و(غير ملومة) في بعض النسخ بالتحقيق من لام يلوم و في بعضها بالتضعيف للبالغة ، و في بعضها (ملوية) بدلها أي غير معوجة من لوّيت العود إذا عطفته و (أرز) يأرز من باب ضرب انقضاض و اجتماع و أرزن الحياة أي لاذت بجحرها و رجعت إليه قال رسول الله ﷺ إنَّ الْإِسْلَامَ لِيأْرِزَ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا يَأْرِزُ الْحَيَاةَ على جحرها و (وتمالئا) على الأمر تعاونوا .

و قال ابن السكين اجتمعوا و (فال) رأيه يفيلي فليلة وفيلا أخطأ و ضعف
كتفييل ورجل فييل البرّ أي بالكسر والفتح ككيس وقاله وفاء له وفامل من غير اضافة
ضعيفة جمعه أفيال وفي روایة بدل فيالة (فيولة) .

الاعراب

الباء في قوله بكتاب للمصاحبة كما في دخلت عليه بشياب السفر ، وغير ملومة
بالنصب حال من الطاعة والسين في قوله وسأ صبر ليست لتخلص المضارع للاستقبال
كما هو غالب موارد استعمالها وإنما هي لتأكيد وقوع الصبر كما نبه به الزمخشري
حيث قال إنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكره أفادت أنه واقع لامحالة .

وقال في تفسير قوله : « فسيكفيكم الله » معنى السين أن ذلك كاين لامحاله وإن تأخر إلى حين ، وفي تفسير « أولئك سير حمهم الله » السين مفيدة وجود الرحمة لامحاله وهي توّكّد الوعيد إذا قلت سأنتقام منك ، وحسداً منصوب على المفعول لأجله .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة حسبما ذكره الرضي خطبها عند مسیر أصحاب الجمل إلى البصرة والغرض منها التنبیه على ضلال الناکثین والكشف عن فساد نیتهم وسوء عقیدتهم وأن مقصودهم في الخروج والبغى عليه عليکم هو الدین لا الدین وصدّرها بأمور نفعها عام تذکیراً للمخاطبين وانقاداً لهم من الضلال وایقاظاً من رقدة الجھالة .

فقال عليکم : (إن الله بعث رسولا هادیاً) إلى شرایع الدین ومعالم الشرع المبین (بكتاب ناطق) بالحق لرجح بالصدق (و أمر قائم) مستقيم ليس بذی عوج أو باق حکمه بين الأمة مسیمر إلى يوم القيمة (لا يهلك) معرضاً (عنه إلهالك) أى من بلغ الغایة في الھلاک فالتنکیر لقصد النوع كما في قوله تعالى : « إن نظن إلا ظننا ».

قال العلامة التفتازاني أى ظنناً حقيراً ضعيفاً اذ الظن مما يقبل الشدة والضعف فالمفعول المطلق هنا للنوعية لا للتمکید وبهذا الاعتبار صحة وقوفه بعد الاستثناء مفرقاً غامعاً امتناع ما ضربته إلا ضرباً على أن يكون المصدر للتمکید لأن مصدر ضربته لا يتحمل غير الضرب والمستثنى منه يجب أن يكون متعدداً يتحمل المستثنى وغيره (وإن المبتدعات المشبهات) أى البدعات المحدثات في الاسلام بعد رسول الله عليکم المشبهات بالسینن وليس منها والملتبسات الا أمر على الناس أو الملتبسات عليهم على اختلاف روايات المتن حسبما تقدم (هن المهلکات) في الآخرة لخر وجهها عن الكتاب و السنة وقوله : (إلا ما حفظ الله منها) استثناء من بعض متعلقات المهلکات أى إنها مهلکة في جميع الاحوال إلا حال حفظ الله منها بالعصمة عن ارتکابها أو ان ما بمعنى من أى مهلکة لكل أحد إلا من حفظه الله سبحانه

ثم قال : (وإن في سلطان الله) أي سلطان دين الله وهو سلطان الاسلام الذي سيصرّح به أو أراد به السلطنة الالهية التي قوامها به لكونه خليفة الله في عباده وببلاده وولي أمره في أرضه فالاضافة من باب التشريف والاعتزاز (عصمة لا مر كم) وحفظا له عن التزلزل والاختلال (فأعطوه طاعتكم غير ملومة) صاحبها (ولا مستكره بها) أي أطیعوه طوعا وبالاخلاص عن حصمهم القلب لا كرها وجبراً ينسب صاحبها الى الرّياء و النفاق فيستحق اللؤم والملام (والله لتفعلن) ولتطيعن (أو لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام) أي الخلافة (ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الاًمر) أي ينقض ويرجع (إلى غيركم) .

فإن قيل كيف قال ~~لهم~~ لا ينقله إليكم أبداً وقد عاد إليهم بالدولة العباسية
قلنا قد أجيئ عنه بوجوه :

أولها ، ما قاله الشارح المعتزلي وهو أن الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة ،
فإن أكثرهم أطاعوه غير ملومة ولا مستكره بها وإذا لم يتحقق الشرط لم يتم تحقق
المشروع .

الثاني انه خاطب به الشيعة الطالبية فقال إن لم تعطوني الطاعة المحضة
نقل الخلافة عن هذا البيت حتى يأرزوني نضم إلى بيت آخر وهكذا وقع فانها انضمت
إلى بيت آخر من بنى هاشم .

الثالث أنه أراد بقوله أبداً المبالغة كما تقول: أحبس هذا الغريم أبداً والمراد
بالقوم الذين يأرز إليهم بنو أمية كأنه قال إن لم تفعلوا نقل الله الخلافة عنكم
حتى يجعلها في قوم آخرين وهم أعدائكم من أهل الشام وبني أمية ولا يعيدها
إليكم إلى مدة طويلة وهكذا وقع .

الرابع انه قيد بالغاية فقال لا يصير إليهم حتى يصير في قوم آخرين وظاهر
أنه كذلك بانتقاله إلى بنى أمية .

والخامس أن القوم الذين خاطبهم من أصحابه بهذا الخطاب لم ترجع
الدولة إليهم أبداً فإن أولئك بعد انتفاء دولة بنى أمية لم يبق منهم ثم لم يرجع

إلى أحد من أولادهم أصلًا .

أقول وأحسنها الوجه الثالث والرابع وأحسنهما ثالثهما كما هو غير خفي على الناقد الراكي .

ثم نبه على ضلال طلحة والزبير وعائشة وإيّاهما أراده بقوله (إن هؤلاء القوم قد نمّلوا) أي تعاونوا وتساعدوا واجتمعوا (على سخط إمارتي) وكراهيتها سخيمة ومفتكاً (وأسابير) على بغيهم وخروجهما (ما لم أخف على) حوزة (جماعتكم) وعلى انقسام حبل الإسلام (فإنهم إن تمموا) ما أرادوه وبلغوه أجله مستقرّين (على فيالة هذا الرأي) يعني أنهم إن أتمموا ما تصدّوه في مسيرهم ومن خالفتهم وبقوا على هذا الرأي الضعيف (انقطع نظام المسلمين) وانقسم حبل الدين، وتضعضع سواري المتقين .

ثم يبيّن علة سخطهم لامارته بقوله (وإنما طلبوا هذه الدنيا) يعني أن علة تمالّهم على ليست ما أظهروه من الطلب بدم عثمان وإنما هي تنافسهم في الدنيا وطلبهم لها (حسداً لمن أفاءها الله عليه) وردها إليه .

قال الشارح المعنزي بعد تفسير الفيء بمعنى الرجوع وهذا الكلام لا يشعر بأنه ذلك كان يقتضي أن الأمر له وأنه غالب عليه ثم رجع إليه ولكنه محمول على أنه من رسول الله ذلك بمنزلة الجزء من الكل وأنهما من جوهر واحد فلما كان الوالي قد يمّا هو رسول الله ذلك ثم تخلّل بين ولايتهما ولايات غريبة سمي ولاته فيها ورجوعاً لأنها رجعت إلى الدّوحة الهاشمية انتهى .

وأنت خبير بأن كلامه ذلك صريح في ماذ كره الشارح أولاً وانكار الشارح للإشعار عجيب و العمل الذي تمحلّه غريب ، وكم له ذلك في هذا الكتاب . من كلام صريح في اغتصاب الخلافة ، وانتهاب الوراثة ، وكفى بذلك شهيداً الخطبة الثالثة ، والكلام السادس ، والخطبة السادسة والعشرين ، فضلاً عن غيرها .

بل قد ادعى الشارح نفسه في شرح الخطبة المائة والحادي والسبعين توافق الأخبار الواردة عنه ذلك في هذا المعنى وهو كذلك وسنحكي كلامه إذا بلغ الشرح

محله وما درى ماذا أعد الشارح للجواب يوم الحساب ، مع علمه بالأخبار المتوترة في هذا الباب ، لو لم يكن ما يمحّله من التكاليف و التأويلات ، تقية من ذوى الأذناب ، والله عالم بالسرائر خبير بالضمائرك هذا .

وقوله (فارادوا رد الأمور على أدبارها) أى أرادوا انتزاع أمر الخلافة منه ^{إليلا} بعد إفباله إليه كما انتزعت أولاً أسوة بما وقع من قبل ثم أخبر بما لهم عليه إن قاموا بوطائف الطاعة فقال (ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلوات الله عليه وسلم و القيام بحقه) أى بحق الرسول صلوات الله عليه وسلم الواجب علينا القيام به (و النعش لسننته) أى الرفع لشريعته والاعلاء لكلمته صلوات الله وسلامه عليه وآله .

الترجمة

از جمله خطب فصیحه آن ولی مؤمنین و وصی خاتم النبیین است نزد رفتن اصحاب جمل بسوی بصره میفرماید :

بدرسه که خدا یتعالی مبعوث فرمود پیغمبر را که هدایت کننده بود بطريق نجاهه با کتابی که ناطق بود بحق و باشريعتی که باقی بود تاقیامت هلاک نمی شود از آن مگر کسی که بالغ شود بمنتهاي هلاک است آگاه باشید و بدرستی که بدعنهائي که تشبيه شده اند بسنت آنهايند هلاک کنندها مگر آنچه که خدا حفظ فرماید از آن .

و بدرستی که حجت خدانگه داشتن است مر کارشمara ، پس به خشید با او اطاعت خودتان را در حالتی که ملامت کرده نشده است و بکراحت داشته نشده باان و بخدا سو گند البته باید اطاعت آن را نمائید و الا هر آینه محققان نقل میکند خدا یتعالی از شما سلطنت اسلام را ، پس از آن نقل نمیکند آن را بسوی شما هر گز تاینکه بناء ببرد آن أمر خلافت بسوی غیر شما .

وبدرستیکه این قوم جمل اجتماع کرده اند و معین همدیگر شده اند بر غصب وبغض إمارات و خلافت من ، واليتمه صبر میکنم بر این حر کت ایشان مادامیکه نترسم بر جماعت شما پس بدرستی که ایشان اگر بآن جام بر سانند مقصود خودشان را بالای آن رأی ضعیف که دارند ، بریده شود نظام مسلمانان و غير ازین نیست که ایشان طلب کرده اند این دنیارا از روی حسد بردن بر کسی که بر گردانده حق تعالی آنرا باو ، پس اراده کردند باز گردانیدن کارهارا بر پشتھای آن ، و مر شمار است بر ذمه ما عمل نمودن بكتاب إلهي و طريقة حضرت رسالت پناهي و قائم شدن بحق " آن بزر گوار ، و بلند کردن سنت آن بر گزیده پرورد گار .

و من كلام له ﷺ و هو المائة و التاسع و الستون من المختار في باب الخطب

ـ كلام به بعض العرب و قد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب منها ليعلم لهم منه ﷺ حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نقوصهم ، فيبين له من أمره معهم ما علم به انه على الحق ثم قال ﷺ له : بایع فقال : إني رسول قوم ولا أحدث حدثا حتى أرجع إليهم فقال :

أرأيت لو أنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَمْتُوكَرَائِدًا تَبَتَّغِي لَهُمْ مَسَاقطَ الْفَيْثِ
فَرَجَفَتْ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ عَنِ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ فَخَافُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِيبِ
مَا كُنْتَ صَانِمًا؟ فَقَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ ،
فَقَالَ ﷺ : فَأَمَدَدْ إِذَا يَدَكَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ مَا أَسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنَعْ
عَنْهُ قِيامَ الْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَأْتُهُ .
والرجل يعرف بكلib الجرمي .

اللغة

(الرائد) المرسل في طلب الكلاء (و الكلاء) بالهمزة العشب رطبا كان أو يابسا نقله الفيّومي عن ابن فارس وغيره والجمع أكلاء مثل سبب وأسباب . و قال الشارح المعتزلي الكلاء النبت إذا طال و أمكن أن يرعى وأول ما يظهر يسمى الرّطب فإذا طال قليلا فهو الخلاء فإذا طال شيئا آخر فهو الكلاء فإذا يبس فهو الحشيش (والجريم) منسوب إلى الجرم بالفتح وهو ابن زبان بطن في قضاة .

قال الشارح المعتزلي : منسوب إلىبني جرم بن زبان وهو علاف بن حلوان ابن عمران ابن الحافى بن قضاة من حمير .

الاعراب

الهمزة في قوله أرأيت للتقدير و جملة تبغي في محل النصب صفة لرائدأ جئت بها للايضاح و جملة ما كنت صانعاً جواب لو ، و قوله فامدد إذا يدك قال ابن هشام والصحيح أن ذونها أي ذون إذن تبدل عند الوقف عليها الفاء وقيل يوقف عليها بالنون لأنها كنون ان ولن روى عن المازني والمبرد ، والجمهور يكتبونها بالألف و كذلك رسمت في المصاحف والمازني والمبرد .

المعنى

اعلم أن هذا الكلام كما ذكره الرّضي (كلام عليهما به بعض العرب) وهو الكلب الجرمي الذي صرّح الرّضي به آخرها (وقد أرسله قوم من أهل البصرة) إلى حضرة أمير المؤمنين (لما قرب عليهما منها ليعلم لهم منه عليهما حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم) أي نفوس أهل البصرة (فيبين عليهما) للرجل المرسل (من أمره معهم) أي مع أهل الجمل (ما) أي برهاناً وافيةً و دليلاً شافياً (علم به) أي علم الرجل بذلك البيان والبرهان (أنه عليهما على الحق) و أن أصحاب الجمل على الباطل (ثم قال عليهما له بايع ف) ماعتذر الرجل و (قال إني

رسول قوم ولا) يتبعي أن (أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم) وأخبرهم بما جرى
بني وبيتك .

فلما سمع عنده أراد دفعه بحجّة لا محيس عنها وضرب مثلاً هو ألطاف المثال
وأوضحها وأحسنها في مقام الاحتجاج (فقال أرأيت) أى أخبرني ماذا رأيك (لو أنَّ
الذين ورائك) أى خلفك (بعثوك رائدًا تبغي لهم مساقط الغيث) والمرعى (فرجعت
إليهم فأخبرتهم عن الكلاء والماء فخالفو) ك وظعنوا (إلى المعاطش والمجادب)
أى مراضع العطش والجدب (ما كنت صانعاً) أتتر كهم وتخالفهم وتطلب ما شاهدت
ورأيت من الماء والكلاء أم تذهب معهم إلى المجادب والمعاطش ؟ (فقال) الرَّجُل
(كنت تارك كهم ومخالفهم) متوجهاً (إلى الكلاء والماء ، فقال لِلْمُؤْمِنِ فامدد إذا يدك)
لأنك إذا كنت تارك أصحابك ومفارقهم عند وجدان الكلاء والماء اللذين بهما عذاء
الآبدان ومادة حياة الأجسام فتركت إياهم ومفارقتك منهم عند وجدان نور العلم
والمعرفة والهدى الذي هو مادة حياة الأرواح والنفوس أخرى وأولى ، (فقال
الرَّجُل : والله ما استطعت أن أمتقن) من البيعة (عند قيام الحجّة على فباعته) .
أقول : هكذا يؤثر الموعظة لأهلها ويهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله
الآمثال، ومثل إهتداء هذا الرَّجُل رسول أهل البصرة بنور الولاية اهتداء رسول عايشة
وإهتداء رجل آخر من بنى عبد قيس رسول الزَّبَر وطلحة واستبصارهما بعد ما
قامت عليهما الحجّة .

أمّا رسول عايشة فقد روى في مجلد الفتن من البحار وفي كتاب مدينة المعاجز
تأليف السيد المحدث السيد الهاشمي البحرياني جمیعاً عن محمد بن الحسن الصفار في
البصائر عن أحمد بن محمد الحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن محمد بن سنان رفعه قال:
إن عايشة قالت التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل حتى أبعثه إليه قال
فأتيت به فمثل بين يديه فرفعت إليه رأسها فقالت له ما يبلغت من عداوتكم لهذا الرَّجل ؟
قال كثيراً ما أتمنى على ربِّي أنه وأصحابه في وسطي فضررت ضربة بالسيف
يسبق «يصبح خل» السييف الدم قالت فأنت له ، اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه

ظاعنا رأيته أو مقيمًا أما إنك إن رأيته ظاعنا رأيكما على بغلة رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متنكبياً قوسه معلقاً كناته على قربوس سرجه، وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا وإن عرض عليك طعامه وشرابه فلاتناولن منه شيئاً فان فيه السحر .

قال : فاستقبلته رأكبا فناولته الكتاب فقض خاتمه ثم قرأه فقال : تبلغ إلى منازلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ، فنكتب جواب كتابك ، فقال : هذا والله ما لا يكون قال : فسار خلفه وأحدق به أصحابه ثم قال له : أسلوك ؟ قال : نعم ، وتجيبني ؟ قال : نعم .

قال : فنشدتك الله هل قالت : التمسوا لي رجالاً شديداً العداوة لهذا الرجل فأتيت بك ؟ فقال لك ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل فقلت كثيرًا مما أتمنى على ربّي أنه وأصحابه في وسطي وآتني ضربت ضربة سبق «صبع خل» السيف الدّم ؟ قال : اللهم نعم .
قال : فنشدتك الله أقالت لك : اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعنا كان أو مقيمًا أما إنك إن رأيته راكب رأيتك على بغلة رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متنكبياً قوسه معلقاً كناته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف قال : اللهم نعم .

قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فنشدتك الله هل قالت لك إن عرض عليك طعامه وشرابه فلاتناولن منه شيئاً فان فيه السحر ؟ قال : اللهم نعم .

قال : فتبليغ أنت عنى ؟ فقال : اللهم نعم فاني قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إلى منك وأنا الساعة ما في الأرض خلق أحب إلى منك فمر بي بما شئت .

قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارجع إليها بكتابي هذا ، وقل لها ما أطع الله ولا رسوله حيث أمرك الله بلزم بيتك فخررت تردد دين في العسكر ، وقل لهم (١) ما أنصفتنا الله ورسوله ، حيث خلتفتم حلايلكم في بيوتكم وأخرجتم حلية رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : فجاء بكتابه فطرحه إليها وأبلغها مقالته ثم رجع إليها فأصيب بصفين ، فقالت ما نبعث إليك بأحد إلا أفسده علينا .

وأَمْتَارُ رسول طلحة والزَّبِير ففي الكافي عن محمد بن يعقوب الكليني عن عليٍّ ابن ابراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن سلام بن عبد الله ، و محمد بن الحسن ، وعليٍّ بن سهل بن زياد ، وأبو عليٍّ الأشعري ، عن محمد بن حسان جمِيعاً ، عن محمد بن عليٍّ عن عليٍّ بن أسباط عن سلام بن عبد الله الهاشمي قال محمد بن عليٍّ : وقد سمعته منه عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

بعث طلحة والزَّبِير رجلاً من عبد القيس يقال له خداش إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : إِنَّا نبعثك إلى رجل طال ما نعرفه وأهل بيته بالسِّحر والكهانة وأنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أَنْ تهتمنَّعْ من ذلك وَأَنْ تجاجْه لَنَا حتَّى تتفقه على أمر معلوم .

واعلم أنه أعظم النَّاس دعوى فلا يكسر لك ذلك عنه ، ومن الأبواب التي يخدع بها الناس الطعام والشراب والعلل والدَّعْن وأن يخالي الرجل فلا تأكل له طعاماً ، ولا تشرب له شراباً ، ولا تمْسَّ له عسلاً ولا دهناً ، ولا تدخل معه ، واحدرك هذا كله منه وانطلق على بركة الله .

فإذا رأيته فاقرأ آية السخرة (١) وتعود بالله من كيده و كيد الشيطان ، فإذا جلست إليه فلا تتمكنه من بصرك كله ولا تستأنس به ثم قل له إنَّ أخويك في الدين وأبني عمك في القرابة ينادانك القطيعة ، ويقولان لك أَمَا تعلم أنا ناتر كنا الناس لك ، وخالفناعشائرنا فيك منذ قبض الله عزوجلَّ عليه السلام فلما نلت أدنى مناك ضيَّعت حرمتنا ، وقطعت رجائنا .

ثم قد رأيت أفعالنا فيك ، وقدرتنا على الناس عنك ، وسعة البلاد دونك ، وَأَنَّ من كان يصرفك عنا وعن صلتنا كان أَقْلَى لك نفعاً وأضعف عنك دفعاً منا ، وقد وضح الصبح لذى عينين .

(١) السخرة بالضم التسخير و أما بالفتح فهو الاستهزاء (كفعمي ره) والأبيهى قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض الى قوله رب العالمين من قرئها حفظ من شياطين الجن والانس (صالح المازندراني) وفي الكفعمي الى قوله قريب من المحسنين (منه ره) .

وقد بلغنا انتهاك لنا ودعاء علينا فما الذي يحملك على ذلك ؟ فقد كنا نرى أنك أشجع فرسان العرب أتتّخذ اللعن ديناً وترى أنَّ ذلك يكسرنا عنك ؟ .

فلما أتى خداش إلى أمير المؤمنين عليه السلام صنع ما أمراه فلما نظر إليه على عليه السلام وهو ينادي نفسه ضحك وقال عليه السلام : ههنا يا أخي عبد قيس وأشار له إلى مجلس قريب منه ، فقال : ما أسع المكان أريد أن أؤدي إليك رسالة قال عليه السلام بل تطعم وتشرب وتحل « تخلى خل » ثيابك وتذهب ، ثم تؤدي رسالتك ، قم ياقببر فأنزله . قال مابي إلى شيء مما ذكرت حاجة قال فأخلوبك قال كل سرلي علانية قال فأشدك بالله الذي هو أقرب إليك من نفسك ، العائل بينك وبين قلبك ، الذي يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور ، أتقدم عليك الزبير بما عرضت عليك ؟ قال : اللهم نعم .

قال : لو كتمت بعد ما سألك ما ارتدى إليك طرفك فأنشدك الله هل علمك كلاماً تقوله إذا أتيتني ؟ قال : اللهم نعم ، قال عليه السلام آية السخرة : قال نعم . قال : فاقرأها فقرأها وجعل على عليه السلام يكررها ويرددتها ويصحح عليه إذا أخطأ حتى إذا فرئها سبعين مرة .

قال الرجل ما يرى أمير المؤمنين عليه السلام بترددتها سبعين مرة ، قال له : أتجد قلبك اطمأن ؟ قال : أي والذى نفسي بيده قال : فما قال لك ؟ فأخبره ، فقال : قل لهم كفى بمنطقكم حاجته عليكم ولكن الله لا يهدى القوم الظالمين زعمتما أنكم أخواى في الدين وابناعمى في النسب فأماماً النسب فلا أنكر وإن كان النسب مقطوعاً إلا ما وصله الله بالاسلام وأماماً قوله كما أنكم أخواى في الدين ، فان كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله عز وجل ، وعصيتما أمره بفعلكم في أخيكم في الدين ، وإلا فقد كذبتما وافترتما بآياتكم أخواى في الدين .

وأماماً مفارقتكم الناس منذ قبض الله ملائكة عليه السلام فإن كنتما فارقتما هم بحق فقد نقضتما ذلك الحق بفارقكم إياتي أخيراً وإن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكم مع الحدث الذي أحذثتما .

مع أن صفتكم بمفارقتكم الناس لم يكن إلا لطبع الدّنيا ، زعمتما بذلك قولكم فقطّعث رجائنا ، لا تعيبان بمحمد الله من ديني شيئاً .
و أمّا الذي صرفني عن صلتكم فالذّي صرفكم عن الحق و حملكم على خلعة من رقابكم كما يخلع العروين لجامه ، و هو الله ربّي لا أشرك به شيئاً فلا تقولوا أفلّ تقدعاً وأضعف دفعاً فتشتّحّقّ اسماً الشرك مع التفاق .
و أمّا قولكم إني أشجع فرسان العرب و هربكم من لعنى ودعائي ، فإنّ لكل موقف عملاً و اذا اختلفت الأنسنة و ما جت لبود الخييل و ملاً سحرها كما أجوا فكم قتم يكفيّن الله بكمال القلب .
و أمّا اذا أبیتما بآني أدعوه الله فلا تجزعا من أن يدعو عليكم رجل ساحر من قوم سحرة زعمتما .

اللّهم أفعض (١) الزّبیر بشر قتلة ، و اسفك دمه على ضلاله ، و عرّف طلحة المذلة وادخر لها في الآخرة شراً من ذلك ان كانوا ظلماني وافتريا على و كتما شهادتها وعصيتك وعصيتك رسولك في ، قل آمين قال خداش:آمين .
ثم قال خداش لنفسه ما رأيت لخيه فقط أبين خطأ منك حامل حجة ينقض بعضها بعضاً لم يجعل الله لها مساكا (٢) أنا أبره إلى الله منها .
قال علي ^{عليه السلام} ارجع إليهما وأعلمهما ما قلت قال : لا والله حتى تسئل الله أن يردّني إليك عاجلاً وان يوفّقني لرضاه فيك ، ففعل فلم يلبث أن انصرف وقتل معه يوم الجمل رحمة الله .

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست که تکلّم فرموده باان با بعض عرب که کلیب جرمی بود وقتیکه فرستاده بود اورا قومی ازاهل بصره زمانی که آنحضرت نزدیک بصره بود تا بداند از برای ایشان از رای آنحضرت حقیقت حال اورا با أصحاب جمل تازایل شود شبّهه از نفوس ایشان .

(١) اقصه إذا قتله قتلاً شريعاً (م)

(٢) المساك ما يمسك ببعضها بعضاً من الروابط (م)

پس بیان فرمود بآوازکار خود با ایشان آن چیزی را که دانست او بآن چیز اینکه آنحضرت بحق است و ایشان بیاطل بعداز آن فرمود باو که بیعت کن پس گفت باو که من ایلچی قومی هستم کاری نمیکنم بی مشورت ایشان تا بر گردم بطرف ایشان پس فرمود آنحضرت :

خبرده مر! اگر کسانی که در پس توأند بعترستند ترا درحالیکه طلب کنند
آب و گیاه باشی که طلب نمائی از برای ایشان مواضع افتادن باران را پس بیر گردی
بسوی ایشان و خبردهی اپشان را از آب و گیاه پس مخالفت نمایند، و متوجه شوند
بعکانهای بی آب و علف، چه کار خواهی کرد در این صورت؟.

عرض کرده که میباشم ترک کننده ایشان و مخالف ایشان ، و میروم بسوی آب و گیاه ، پس فرمود حالا که اینطور است دراز کن دست خود را یعنی بیعت نما ، پس کفت آن مرد قسم بحق خدا نتوانستم خود داری کنم نزد تمام شدن حجت بر من پس بیعت نمودم با آن حضرت .

ومن خطبة له ^{بليلاً} وهي المأة والسبعون
من المختار في باب الخطب

و ذلك في اليوم الرابع من الوجعه سابع شهر صفر من سنة سبع وثلاثين
على ما يأتى في رواية نصر بن مزاحم ورويته عنه باختلاف تطلع عليه .

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوْهِ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلَتْهُ
مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلِفًا لِلنَّجُومِ السِّيَارَةِ،
وَجَعَلَتْ سُكَانَهُ سَيِّطًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ .

وَرَبُّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلَتْهُ قَرَارًا لِلْأَنَامِ، وَمَدْرَجًا لِلنَّهَوَامِ وَ

الآنِمِ، وَمَا لَا يُخْصِي مَتَّوْيِي وَمَا لَا يُؤْيِي.

وَرَبُّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِيَّ الَّتِي جَعَلَتْهَا الْأَرْضُ أَوْتَادًا، وَلِلْخَلْقِ اعْتِدَادًا
إِنْ أَظْهَرَتْنَا عَلَى أَعْدُوْنَا فَجَنَبْنَا عَنِ الْبَغْيِ وَسَدَّدْنَا لِ السَّحَقَ، وَإِنْ أَظْهَرْتُمْ
عَلَيْنَا فَازْفُقْنَا الشَّهَادَةَ، وَاعْصَمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.
أَنْيَ الْهَانِعُ لِلْذَّمَارِ، وَالْفَانِرُ عِنْدَ تُرْوِيلِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ
الْعَارُ (التَّارُخُ لِ) وَرَاءِكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

اللغة

(غاض) الماء يغيب غيضاً ومتغضاً قل ونقص قال سبحانه « وَغَيْضُ الْمَاءِ »
وقال « وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ » أي ما تنقص من تسعه أشهر والغيضة الأجمدة ومجتمع
الشجر (والذمار) ما يلزمك حفظه من الأهل والمال والولد و (غار) على امرأته
وهي عليه تغار غيرة وغيره وغاراً وغيزاً فهو غائر وغيران وهي غيري .

الاعراب

جملة لا يسامون في محل التصب صفة لقوله سبطاً أو حال لأنّه نكرة غير
محضّة ، فيجوز في الجملة التالية لها الوجهان كما صرّح به علماء الأدبية ولو وقفت
بعد النكرة المحضرّة فوصف فقط وبعد المعرفة المحضرّة فحال لغير .

المعنى

اعلم أنَّ اللازم على العبد أن يكون توجّهه في جميع حالاته من الشدة
والرّحمة، والسرّاء، والضرّاء، والضيق والسعّة، إلى معبدوه لاسيما حالة البؤس

(ج)

في أن الدعاء يدفع البلاء وقد أُبرم إبراماً

(١٢١)

والشدّة لأن دفع الضر الموجود والمتوقع واجب عقلاً وتقلاً مع القدرة، والدعاء
محصل لذلك وهو مقدور فيجب المصير إليه.

أمّا مقدوريته فلا غبار عليه، وأمّا أنه محصل لذلك فلما دلت عليه الأدلة
النقلية من الكتاب والسنة من أنّه يدفع به البلاء الحاصل، ويكشف به السوء
النازل.

قال سبحانه : « وادعوه خوفاً وطمعاً » وقال : « أَمْنٌ يجيب المضطرب إذا دعاه
ويكشف السوء ». .

وقال الكاظم عليه السلام عليكم بالدعاء فإن الدعاء والطلب إلى الله يرد البلاء وقد
قدر وقضى فلم يبق إلا مضا�ه فإذا دعى الله وسئل صرفه صرفه.

و روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : ألا أدلكم على شيء لم يستثن فيه
رسول الله عليه السلام قلت : بلى ، قال : الدعاء يرد القضاء وقد أُبرم إبراماً وضمّ أصابعه .
و عن سيد العابدين عليه السلام إن الدعاء والبلاء ليتواصفان إلى يوم القيمة إن
الدعاء لي رد البلاء وقد أُبرم إبراماً .

وعنه عليه السلام الدعاء يدفع البلاء النازل ، وما لم ينزل .

وقال رسول الله عليه وآله وصحبه : ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرك
أرزاقكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : تدعون ربكم بالليل والنهار وقال : سلاح
المؤمن الدعاء ،

وقال أمير المؤمنين عليه السلام الدعاء ترس المؤمن ، و متى تكثّر قرع الباب
يفتح لك .

وقال الصادق عليه السلام الدعاء أنفذ من السنان الحديدي .

هذا كلامه مضافا إلى ما تقدمت في شرح الكلام السادس والأربعين من الأدلة
الواردة في الحديث والترغيب عليه .

إذا عرفت ذلك فأقول : لما كان مقام الحرب والجدال ، ولقاء الشجعان والبطال
أحق الواقع التي يتولّ فيها إلى الله بالتخليص إليه ، والتوجه له ، و كان الدعاء

إِلَيْهِ بِمُقْتَضِي الْأَدْلَةِ السَّابِقةِ أَفْضَلُ مَا يَتَوَقَّى بِهِ مِن الدَّوَاهِيِّ وَالْمَكَارِهِ، وَتَرَسُّ من
الْأَعْدَاءِ وَجَنَّةً لَا شَيْءَ أُوقَى مِنْهُ، وَأَنْفَذَ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّنَانِ الْحَدِيدِ، وَأَشَدَّ تَأْثِيرًا
مِنَ الضَّرَبِ بِالْمَشْرِفِيِّ وَالْمَهْنَدِ وَالطَّعْنِ بِالْخَطْيِ وَالقَنْيِ الْمَسَدِدِ لَا جَرْمَ تَوْجِهَّ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ بِالدُّعَاءِ لِمَا عَزَمَ لِقَاءَ الْقَوْمِ بِصَفَّيْنِ (١) فَقَالَ :
(أَللَّهُمَّ رَبُّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) أَئِ السَّمَاءُ الَّتِي رَفَعْنَا بِغَيْرِ عِدْمٍ تَرُونَهَا ،
وَإِطْلَاقُ السَّقْفِ عَلَيْهَا إِمَّا حَقِيقَةٌ أَوْ مِنْ بَابِ الْاسْتِعَارَةِ تَشَبِّهُمَا لَهَا بِسَقْفِ الْبَيْتِ فِي
الْأَرْفَاقِ وَالْأَحْاطَةِ (وَالْجَوَّ الْمَكْفُوفُ) أَئِ الْفَضَاءُ الَّذِي كَفَّهَا بِقُدرَتِهِ وَجَعَلَهُ مَحَلَّاً
لِسَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ .

قَالَ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِيُّ بَعْدَ تَقْسِيرِ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ بِالسَّمَاءِ وَكَذَلِكَ الْجَوَّ
الْمَكْفُوفُ قَالَ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ الْجَوَّ الْمَكْفُوفُ السَّمَاءُ أَيْضًا كَفَّهُ أَئِ جَمْعُهُ وَضَمَّ
بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ ، وَيَمْرُّ فِي كَلَامِهِ عَلَيْهِ نَحْوُ هَذَا وَأَنَّ السَّمَاءَ هُوَ جَامِدٌ وَمَا
جَامِدٌ انتَهَى .

وَفِيهِ نَظَرٌ لِمَا قَدِدَتْ عَلَيْهِ الْفَصْلُ الثَّامِنُ مِنَ الْخُطْبَةِ الْأُولَى صَرِيحًا أَنَّ الْجَوَّ
غَيْرُ السَّمَاءِ وَأَنَّهُ مَحْلٌ لَهَا حِيثُ قَالَ عَلَيْهِ هَذَا :

ثُمَّ أَنْشَأَ سَبْحَانَهُ فَتَقَقَ الْأَجْوَاءُ وَشَقَ الْأَرْجَاءُ وَسَكَائِكُ الْهَوَاءِ - إِلَى أَنْ قَالَ : -
فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءِ مِنْفَقَقٍ ، وَجَوَّ مِنْفَهَقٍ فَسُوِّيَ مِنْهُ سَبْعُ سَمَاوَاتٍ . فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ، هَذَا .
مِضَافًا إِلَى أَنَّ كَوْنَ الْجَوَّ بِمَعْنَى السَّمَاءِ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنَ الْلَّغَوِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ
فِيمَا رَأَيْتُهُمْ بِلِهِمْ بَلْ هُمْ بَيْنَ مُفَسِّرٍ لَهُ بِالْهَوَاءِ وَبَيْنَ مُفَسِّرٍ بِالْفَضَاءِ وَبَعْضُهُمْ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَوْجِهَ مَا ذَكَرَهُ الشَّارِحَانُ بِأَنَّهُ أُرِيدَ مِنْهُ فِي خَصْوصِ هَذَا
الْمَقَامِ السَّمَاءُ ، مَجَازًا بِعَلَاقَةِ الْحَالِ وَالْمَحْلِ أَوْ الْمَجاوِرَةِ بِقَرْيَةٍ قَوْلَهُ (الَّذِي جَعَلَهُ

(١) فِي الْكَافِيِّ عَنْ عَلَيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع)
قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) اغْتَنَمُوا الدُّعَاءَ هُنَّ أُرْبِعٌ بِعِنْدِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَعِنْ الْإِذْانِ وَعِنْ نَزْولِ
الْغَيْثِ وَعِنْ الْمَقَاءِ الصَّفَّيْنِ لِلشَّهَادَةِ (مِنْهُ) .

مغيباً للليل والنهار) مع المعطوفات عليه التالية له فانَّ هذه كلُّها من أوصاف السماء، فلابدَّ من ارتكاب المجاز حتى يصحَّ الوصف بها إذ على إرادة الحقيقة امتنع جعلها صفاتاً له واحتمال كونها صفاتاً للسقف المرفوع مدفوع باستلزماته الفصل بين التابع والمتبوع بالاجنبيٍّ وهو خلاف القواعد الأدبية فافهم .

وكيف كان فمعنى كونه مغيباً للليل والنهار أنَّه محلٌّ لنقصانٍ كلٍّ منهما مع زيادة الآخر وذلك لأنَّ حصول الليل إنما هو بحركة الشمس عن فوق الأرض إلى ما تحتها ، و حصول النهار بحركةٍ كتها عن تحقّتها إلى ما فوقها، وبكيفية حر كتها في الفلك يختلفان زيادة ونقصاناً .

فكُلُّما قرب الشمس إلى المعدَّل يطول النهار ويقصر الليل وكلَّما بعدت يكون بالعكس قال سبحانه في سورة لقمان : « ألم تر أنَّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » وفي الزمر « يكُور الليل على النهار ويكون النهار على الليل » ولذلك ترى كلَّ بلد يكون عرضه الشمالي أكثر يكون أيامه الصيفية أطول ولذلك الصيفية أقصر وأيامه ولذلك الشتوية بالضدِّ من ذلك .

فلما كان ظلام الليل وضوء النهار واختلافهما في الطول والقصر والزيادة ونقصان باختلاف حركة الشمس ، وكان محلَّ الحركة هو السماء صحَّ بذلك الاعتبار جعله مغيباً لهمَا . ويقرب مما ذكرته ما قاله الشارح البحرياني فأنَّه بعد تقسيمه المغيب بالغيب قال: لأنَّ الفلك بحركة المستلزمة لحركة الشمس إلى وجهاً رض يكون سبباً لغيبوبة الليل واستلزم حركة لحركة كتها عن وجه الأرض يكون سبباً لغيبوبة النهار فكان كالغيب المغيب لهمَا فاستعار له لفظ المغيب .

وأمَّا ما قاله الشارح المعتزلي من أنَّ معناه أنَّه جعله غيبة لهم وهي في الأصل الأجمة يجتمع إليها الماء وينبت فيها الشجر كأنَّه جعل الفلك كالغيبة والليل والنهار كالشجر النابت فيها ، ووجه المشاركة تولد الشجر من الغيبة وتولد الليل والنهار من جريان الفلك فليس بشيء . كما لا يخفى هذا .

وقوله: (ومجرى للشمس والقمر) أي محلاً لجريانهما قد ظهر تفصيل الكلام

فيه في شرح الفصل الثامن من الخطبة الأولى كما تقدم تفصيلاً والكلام في قوله (ومختلفاً للنجوم السيارة) أى محلاً لاختلافها في السير بالسرعة والبطء والحركة المخصوصة لكل منها في شرح الفصل المذكور أيضاً وكذا في شرح الفصل الرابع من الخطبة التسعين فليراجع المقامين (وجعلت سكانه سبطاً) أى قبيلاً (من ملائكتك لا يسمون من « عن خ » عبادتك) وقد عرفت أيضاً شرح حال الملائكة واختلاف فرقها وعدم ملائهم من عبادة الرب سبحانه في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى والفصل الخامس من الخطبة التسعين .

(ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأئمَّة ومدرجاً للهؤام) والحيشرات (والأنعام) والبهائم (وما لا يحصى) من المصنوعات العجيبة والمخلوقات الغريبة (مماسيرى و مما لا يرى) و تقدم الكلام في عجائب خلقة الأرض و دحوها على الماء والمنافع التي للناس فيها في شرح الفصل السادس من الخطبة التسعين .

قال الشارح البحرياني قال بعض العلماء من أراد أن يعرف حقيقة قوله ما يرى وما لا يرى فليوقد ناراً صغيرة في فلأة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره قال الشارح وأقول: ويحتمل أن يريد بقوله وما لا يرى ما ليس من شأنه أن يرى إما الصغر أو لشفافية (ورب الجبال الرؤاسي) أى الثباتات (التي جعلتها للأرض أو تاداً) كما عرفت في شرح الفصل الثالث من الخطبة الأولى (وللخلق اعتماداً) لأنّ فيها ينابيع المعادن ومعادن البنابيع وفيها المرابض والمراتع، يرعون فيها الأغنام ويسرون فيها الأغنام، وقد جعل فيها أكناناً وكهوفاً وغيراناً يأوون فيها في الصيف والشتاء ويتوقفون بها في شدة الحر وصباره القر .

ويزرعون فيها الزراعات الدّيمية، وينالون منها بركات كثيرة فصح بذلك كونها اعتماداً للخالق وكون اتكلهم عليها بما لهم فيهم المعاش والمرافق بهذا ولما نادى الرب المتعال بما تدلّ على اتساقه بالقدرة و العظمة و الجلال

تخلص الى مادعاه لا جله (١) فقال : (إن أظهرتانا) ونصرتنا (على عدو نافجنبنا عن) الظلم و (البغى وسدّ دنال) لصواب و ا (ل الحق) ولا تجعلنا كساير المحاربين من الملوك والسلطانين يحاربون الأعداء للدّين فاذا غلبوا أعدائهم يظلمون وعن البغي والطغيان لا يمسكون (وإن أظهرتهم) وجعلتهم غالبين (علينا فارزقنا) عظيم الزلفى و (الشهادة واعصمنا من) (الضلال و (الفتنة) .

ثم أخذ في تحريض أصحابه على القتال بلفظ مهيج لهم على ايقاد نار الحرب وإضرامها فقال : (أين المانع للذّمار) اللام للجنس والاستفهام للإهاب (والغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ) أي صاحب الغيرة والحمية من أهل المحافظة عند نزول الشدائـد والنوازل الثابتة (العار وراءكم) وفي بعض النسخ النار بدل العار (والجنة أمّاكم) يعني في الهرب والادبار من الحرب عاد في الأعقاب ونار يوم الحساب وفي الاقبال والتقدم عليه الجنة وحسن المآب ، فمن تولّ عنـه خسر و خاب ومن سعى إلـيـه نـالـ عـظـيمـ الثـوابـ .

تدليل

روى العـلامـةـ المـجلـسيـ (رهـ) فيـ الـبحـارـ هـذـاـ الـكـلامـ لـهـ تـلـيلـهـ منـ كـتـابـ صـفـينـ لنـصـرـ بـنـ مـزـاحـمـ قالـ : قالـ نـصـرـ حـدـثـنـاـ عـمـرـ بـنـ سـعـدـ عـنـ عـبـدـ الرـ حـمـانـ بـنـ جـنـدـبـ عـنـ أـبـيـهـ قـالـ : لـمـ كـانـ عـدـاـةـ الـخـمـيسـ لـسـبـعـ خـلـوـنـ مـنـ صـفـرـ سـنـةـ سـبـعـ وـ ثـلـاثـينـ وـ صـلـىـ عـلـىـ طـلـيلـ الـغـدـاـةـ فـعـلـسـ مـارـأـيـتـ عـلـيـهـ تـلـيلـهـ غـلـسـ بـالـغـدـاـةـ أـشـدـ مـنـ تـغـلـيـسـهـ يـوـمـئـذـ وـ خـرـجـ بالـنـاسـ إـلـيـ أـهـلـ الشـامـ فـزـحـ نـحـوـهـ وـكـانـ هـوـ يـبـدـئـهـ وـيـسـرـ إـلـيـهـ فـاـذـاـ رـأـوـهـ قـدـزـحـ استـقـبـلـوـهـ بـزـ حـوـفـهـ .

وـعـنـ عـمـرـ بـنـ سـعـدـ عـنـ مـالـكـ بـنـ زـيـدـ بـنـ وـهـبـ قـالـ لـمـاـ خـرـجـ عـلـيـ طـلـيلـ

(١) وذلك لأنّ من آداب الدعاء وشرائط الاستجابة التمجيد والثناء قبله كما قال أبو عبد الله عليه السلام في رواية الكافي اذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربه وليمدحه فإنّ الرجل اذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه فاذا طلبتم الحاجة فمجّدوا الله العزيز الجبار وامدحوه وأنتوا عليه . الحديث (منه ره) .

إِلَيْهِمْ غَدَةً ذَلِكَ الْيَوْمَ فَاسْتَقْبَلُوهُ رَفِعَ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَقَالَ :
 اللَّهُمَّ رَبَّ هَذَا السَّقْفَ الْمَحْفُوظَ الْمَكْفُوفَ ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغْيِضاً لِلْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 وَجَعَلْتَ فِيهِ مَجْرِيَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمَنَازِلَ الْكَوَاكِبِ وَالنَّجُومِ ، وَجَعَلْتَ سَكَانَهُ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَسْأَمُونَ عَبَادَةً .

وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ وَالْهَوَامِ وَالْأَنْعَامِ ، وَمَا لَا يَحْصِي
 مَمْتَأً يَرَى وَمَمْتَأً لَا يَرَى مِنْ خَلْقَكَ الْعَظِيمِ .

وَرَبَّ الْفَلَكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ، وَرَبَّ السَّحَابِ الْمَسْخَرِ
 بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبَّ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ الْمَحِيطِ بِالْعَالَمَيْنِ وَرَبَّ الْجَيَالِ الرَّوَاسِيِّ
 الَّتِي جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا وَلِلْخَلْقِ مَنَاعًا إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ
 وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزَقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصَمْ بَقِيَّةَ أَصْحَابِنَا مِنَ الْفَتْنَةِ .

قَالَ : فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ أَفْبَلَ تَقْدِمَّا إِلَيْهِ بِزَحْوَفِهِمْ وَكَانَ عَلَى مِيمَنَتِهِ يَوْمَئِذٍ
 عَبْدُ اللهِ بْنُ بَدِيلٍ وَالنَّاسُ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَمَرَاكِزِهِمْ وَعَلَى ^{بَلَقَبِهِ} فِي الْقَلْبِ فِي أَهْلِ
 الْمَدِينَةِ جَمْهُورُهُمُ الْأَنْصَارُ وَمَعْهُمْ مِنْ خَزَانَةِ وَكَنَانَةِ عَدْدٍ حَسَنٍ .

قَالَ نَصْرٌ : وَرَفِعَ مَعَاوِيَةَ قَبْرَةَ عَظِيمَةَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْكَرَابِيسَ وَجَلَسَ تَحْتَهَا وَكَانَ
 لَهُمْ قَبْلَهَا هَذَا الْيَوْمُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَهُوَ الْيَوْمُ الْرَّابِعُ مِنْ صَفَرٍ ، فَخَرَجَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مُحَمَّدٌ
 ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ فِي جَمْعِ مِنْ أَهْلِ الْعَرَاقِ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ عَبِيدُ اللهِ بْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ
 فِي جَمْعِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَاقْتَلُوا فَطَلَبَ عَبِيدُ اللهِ مُحَمَّدًا إِلَى الْمِبَارَزَةِ فَلَمَّا خَرَجَ إِلَيْهِ دُعَاهُ
 عَلَى ^{بَلَقَبِهِ} وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ رَاجِلًا بِيَدِهِ سِيفَهُ وَقَالَ أَنَا أَبْازِرُكَ فَهَلَمْ ^{فَقَالَ عَبِيدُ اللهِ لَا حَاجَةَ}
 بِي إِلَى مِبَارَزَتِكَ فَرَجَعَ ^{بَلَقَبِهِ} إِلَى صَفَّهِ هَذَا .

وَقَدْ تَقدِّمَ جَمْلَ وَقَاعِيْعَ صَفَينَ فِي شَرْحِ الْكَلَامِ الْخَامِسِ وَالسَّتِّينَ وَغَيْرِهِ مَمْتَأً
 نَبْهَنَاكَ عَلَيْهِ هَنَاكَ .

التَّرْجِمَةُ

ازجملة كلام بلاغت نظام آن امام أنام است در حینی که عزم فرمود بملافات
 نمودن باقوم شام در جنگ صفين که باین مضامين دعا نمود :

بار إلها اي پرورد گار سقف برافراشته و آسمان باز داشته ، چنان آسمانی که گردانیدی آنرا محل نقصان از برای شب و روز و محل جریان از برای مهر و ماه و محل اختلاف از برای ستارهای سیر کننده ، و گردانیدی ساکنان آن را قبیله از فرشتگان خود در حالتیکه ملال نمیآورند از عبادت تو .

و ای پرورد گار این زمین که گردانیدی آن را قرار گاه از برای مردمان ومحل رفتار حشرات زمین و چهار پایان و آنچه که شمرده نمیشود از مخلوقاتی که دیده میشود ، واژ مخلوقاتی که دیده نمیشود .

و ای پرورد گار کوههای ثابت استوار که گردانیدی آنها را از برای زمین میخواهی و از برای خلق تکیه گاه اگر غالب گردانی ما را بردشمنان ما پس کنار گردان مارا از تعدد و ستم ، و راست دار ما را از برای حق ، و اگر غالب گردانی ایشان را بر ما پس روزی کن بما شهادت را ، و حفظ کن مارا از ضلالت و فتنه .

کجا است منع کننده چیزی که لازم است یرجوانمرد حفظ کردن آن ؟ و کجا است صاحب غیرت هنگام نازل شدن شداید امور که کاشف است از حقایق کار از اهل حمیت و فتوّت ؟ عار و سرزنش در پشت شما است اگر رو گردان باشید از محاربه ، و بهشت عنبر سر شست در پیش شما است اگر اقدام نمائید بر مقاتله .

وَمِنْ خُطْبَةِ لِهِ وَهِيَ الْمَأْةُ وَالْحَادِيَةُ وَالسَّبْعُونُ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَ

والظاهر انتہام لملقطة من الخطبة الطويلة التي قدمنا روایتها في شرح الفصل الشانث من الخطبة السادسة والعشرين إلا أن صدرها المتضمن للحمد على الله سبحانه ليس فيها .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءً سَمَاءً، وَلَا أَرْضًا أَرْضًا.

منها: وَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ إِنَّكَ يَانَ أَيْطَابِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لَحَرِيصٌ
 فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَالله أَخْرَصُ وَأَبْعَدُ وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ وَإِنَّمَا طَلَبْتُ
 حَقًا هُوَ لِي، وَأَنْتُمْ تَحْوُلُونَ يَنِي وَلَيْنِي، وَتَضْرُبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلِمَّا
 قَرَعْتُهُ بِالْجُجَّةِ فِي الْمَلَاءِ الْمَاضِرِينَ هَبَ (بُهْتَ خَلَ) كَانَهُ لَا يَذْرِي مَا
 يُجْبِيَنِي بِهِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ عَلَى قُرْيَشٍ وَمَنْ أَعْنَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطْعُوا رَحْمِي
 وَصَفَرُوا عَظِيمَ مَنْزَلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَّعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا أَلَا
 إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ نَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَقْرُكَهُ.

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْجَمْلِ :

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا تُجْرِي الْأَمْمَةُ عِنْدَ شِرائِهَا
 مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصَرَةِ فَحَبَسَا نِسَاءَهَا فِي يُبُو تَهَا وَأَبْرَزاً حَبِيسَ رَسُولِ
 الله عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُوا لِغَيْرِ هُمْ فِي حَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وَسَمِعَ
 لِي بِالْبَيْنَةِ طِائِمًا غَيْرُ مُكْرِهٍ فَقَدْ مُوَاعِلٌ عَامِلِي بِهَا، وَخُزَانَ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ
 وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا وَقَتَلُوا طَائِفَةَ صَبِرًا وَطَائِفَةَ غَدْرًا فَوَالله لَوْلَمْ يُصِيبُوا
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَدِلِينَ لَقْتَلَهُ بِلَا جُرْمٍ جَرَهُ، لَعَلَّ لِي قَتْلُ
 ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلَّهُ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوهُ وَلَمْ يَدْفَعُوهُ بِالْسَّانِ وَلَا يَدِي

دَعْ مَا أَنْهُمْ قَدْ قَاتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ .

اللغة

(الملاع) وزان جبل وجوه النّاس وأشرافهم الذين يرجع إليهم لا مثال لهم بالرأي والتدبر و (هب) من النوم انتبه وتنبه و (سمح) الرجل من باب منع سماحةً وسماحةً جاد و كرم .

الاعراب

في نسخة الشّارح المعتزلي: فوالله أن لو لم يصيروا . قال الشّارح فإن زايدة ويجوز أن يكون مخففة من الثقيلة، وجملة لحلّ لي جواب للقسم استغنى به عن جواب الشرط لقيامه مقامه كما في قوله تعالى: « ولو أنّهم آمنوا واتّقوا لمثوبته عند الله خير » وقولك والله لو جئتنى لجيئتك ، فاللام جواب القسم لا جواب لو قال نجم الآئمة إذا تقدم القسم أول الكلام ظاهراً أو مقدراً و بعده كلمة الشرط سواء كانت أن أولوا أولوا أو اسم الشرط فلاً كثراً والأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم ، وما في قوله دع ما أنتم زايدة كما في قوله تعالى: « فيما رحمة من الله » و « مما خطّيئاتهم » و « مثل ما أنكم تنتظرون » وقيل: إنها نكرة وال مجرور بدل منها .

المعنى

اعلم أن ما أورده السيد «ره» من خطبته ^{عليها} في المتن يدور على فصول ثلاثة .

الفصل الأول

افتتح كلامه بحمد الله سبحانه باعتبار احاطة علمه بالسماءات والأرضين فقال: (الحمد لله الذي لا توارى) أي لا تتجه ولا تستقر عنه (سماء سماءً ولا أرض أرضاً) لكونه منزها عن وصف المخلوقين الذين في إدراكهم بعض الأجرام السماوية

والأرضية محظوظون عمّا ورائهم وذلك لقصور ذاتهم وقصور قوتهم المدركة وأمّا ربّ تعالى فلكمال ذاته فله العلم بكلّ متساوٍ كما قد عرفت في شرح الفصل السادس والفصل السابع من الخطبة الأولى وفي شرح الخطبة التاسعة والأربعين وغيرهما.

وأقول هنا مضافاً إلى ما سبق روى في الكافي عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليهما السلام : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم » فقال عليهما السلام : هو واحدٌ ذاتٌ بين من خلقه ، وبذلك وصف نفسه وهو بكل شيء محيط بالأشراف والاحاطة والقدرة لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالاحاطة والعلم لا بالذات لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمه .

يعني أنّه سبحانه لوحديّ ذاته ومبأنته من خلقه كما وصف به نفسه في كتابه العزيز حيث قال : « ليس كمثله شيء فهو بكل شيء محيط » لأنّ غيره من المخلوقات لكونه مكانياً يلزم أنّ حصوله في مكان وحضوره عند جماعة يستلزم خلوّ سائر الأمكنة عنه وغيبته عن جماعة أخرى كما هو شأن المكانيات وهو ليس كذلك بل حصوله هيئناً وحضوره لهؤلاء النّفوس حصوله هناك وحضوره لا في تلك .
وقوله لا بالذات يعني أنّه ليست بالذات لأنّ الأماكن محدودة بحدود أربعة وهي : القدّام ، والخلف ، واليمين ، والشّمال ، لعدم تحيّزها إلاّ باعتبار عدد الجميع حين وال فوق والتحت حين فصارت أربعة فلو كانت إحاطته بالذات بأنّ كانت بالدخول في الأمكان لزم كونه محيطاً بالمكان كالممكّن وإن كانت بالانطباق لزم كونه محيطاً بالمكان كالممكّن كلاماً باطل هذا .

وقوله : ولا أرض أرضًا قال الشارح المعتزلـي هذا الكلام يدل على اثبات أرضين بعضها فوق بعض كما أنّ السموات كذلك ولم يأت في الكتاب العزيز ما يدل على هذا إلا قوله تعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » وهو قول كثير من المسلمين وقد تأول ذلك أرباب المذاهب الآخر القائلون بأنّها

أرض واحدة فقالوا إنها سبعة أقاليم فالمشتبه من هذا الوجه هي لا من تعدد الأرضين في ذاته .

و يمكن أن يتأول مثل ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيقال إنها وإن كانت أرضاً واحدة لكنها أقاليم وأقطار مختلفة، وهي كثرة الشكل فمن على حدة الكرة لا يرى من تحته ومن تحته لا يراها ومن على أحد جانبيها لا يرى من على الجانب الآخر والله يدرك ذلك كلّه أجمع لا يحجب عنه بشيء منها شيء منها انتهى .

ونحو ذلك قال الطبرسي في تفسير الآية حيث قال: أى وفي الأرض خلق مثلهن في العدد لا في الكيفية لأن كييفية السماء مخالفة لكييفية الأرض وليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع مثل السماوات إلا هذه الآية ولا خلاف في السماوات أنها سماء فوق سماء وأما الأرضون فقال قوم إنها سبع أرضين طبقاً بعضها فوق بعض كالسماءات لأنها لو كانت مصممة وكانت أرضاً واحدة وفي كلّ أرض خلق خلقهم الله كيف شاء .

وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهن البخار و تظلل جميعهن السماء والله سبحانه ما استأثر بعلمه و اشتبه على خلقه .

وقال الفخر الرازى : قال الكلبى : خلق سبع سماوات بعض فوق بعض كالقبة ومن الأرض مثلهن في كونها طبقات متلاصقة كما هو المشهور أن الأرض ثلاث طبقات طبقة أرضية محضة و طبقة طينية وهي غير محضة و طبقة فنكسفة بعضها في البر وبعضها في البحر، وهي كالمعمورة ولا يبعد من قوله ومن الأرض مثلهن كونها سبعة أقاليم على سبع سماوات وسبعة كواكب فيها ، وهي السيارة، فان لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر آثار تلك الخواص في كل أقاليم الأرض فتصير سبعة بهذا الاعتبار .

الفصل الثاني منها

في ذكر ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر (وقد قال لي قائل إنك

يابن أبي طالب على هذا الأمر لحريرص)أى على أمر الخلافة قال الشارح المعتزلي والذى قال له ذلك سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه أنت مني بمنزلة هارون من موسى وهذا عجب فأجاب عليه السلام بقوله (فقلت بل أنت والله أحرص وأبعد وأنا أخص وأقرب) فليس للبعيد التعریض على القريب و التعيير بكثرة الحرص و أراد بكونه أخص وأقرب مزيد اختصاصه برسول الله صلوات الله عليه وسلم وشدّة قربه منه (و إنما طلبت حقاً هولي) بنص الرسول صلوات الله عليه وسلم (وأنتم تحولون بيديه وتبصر بعون وجهي دونه) كنایة عن منعهم منه ودفعهم له عنه (فلما قرعته) أى صدمته (بالحجّة في الملايين الحاضرين) (هـ) أى اتبه واستيقظ عن غفلته (كأنه بهت) هكذا في نسخة الشارح المعتزلي بزيادة بهت بعد لفظة كأنه أى صار بهروتا متخيّراً (لا يدرى ما يجيئني) به .

ثم أنسه شكى بشّه إلى الله سبحانه واستمدّ منه فقال: (اللهم إني أستعدّيك على قريش) أى استغيمك وأستنصر منك عليهم (و) على (من أغارهم) من غيرهم (فانهم قطعوا رحمي) ولم يرموا قربي من رسول الله صلوات الله عليه وسلم (و صغروا عظيم منزلتي) حيث جعلوني قريناً للادغال والطغام والسفلة الأرذال (وأجمعوا على منازعتي أمراً هولي) أى في أمر الخلافة الذي هو حقّ لي ومحقّ بي بالنصوص المستفيضة بل المتوترة الواردة فيه لا بمجرد الأفضلية فقط كما زعمه الشارح المعتزلي وفاقاً لساير المعتزلة .

(ثـ) إنّهم لم يقتصروا علىأخذ حقّي ساكتين عن الدعوى بل (قالوا ألا إنّ في الحقّ أن نأخذه وفي الحقّ أن تتركه) أي ادعوا أنّ الحق لهم وأنّ الواجب على أن ترك المنازعه فيه معهم فليتهم أخذوه مذعنين بأنه حقّي فكانت المصيبة أهون والتحمل بها أسهل .

قال الشارح البحرياني : وروى نأخذه ونتركه بالنون في الكلمتين ، وعليه نسخة الرضي والمراد أنا نتصرف فيه كما نشاء بالأخذ والترك دونك .

الفصل الثالث منها

في ذكر أصحاب الجمل والتنبيه على ضلالهم (فخرجوا يجرّون حرمة

رسول الله ﷺ أى حرمه و هو في الأصل ما لا يحل أنتهاكه ، و كنى به هنا عن زوجته عايشة (كما تجر الأمة عند شرائها) أى بيعها ووجه الشبه أن بايع الأمة يجر هامن بلد إلى بلد ويديرها في الأسواق ويعرضها على المشترين ، فكذلك هؤلاء آخر جوها وأداروها في البلدان و شرّوها في الأصقاع لينالوا بذلك إلى مدارموه (متوجّهين بها إلى البصرة فحبسها) أى طلحة والزبير (نسائهم في بيوتهم وأبرزا حبيس رسول الله ﷺ) و هو أيضاً كناية عنها وفي ذلك أيضاً من الدلالة على فرط ضلالهما وخطائهما مالا يخفى لأن الرسول ﷺ أمرها بالاحتباس في بيتهما بمقتضى قوله تعالى : « و قرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليّة الأولى » فهو لا مضافاً إلى عدم رعايتها لحرمة رسول الله ﷺ و حمايتها عن عرضه و مخالفتهم لأمره خالفوا أمر الله سبحانه ونبذوا كتابه وراء ظهرهم حيث أبرزها (لهما ولغيرهما) من الناس (في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح) أى جاد (لي بالبيعة) وهذا إشارة إلى وجه ثان لضلالهم ، وهو نقضهم للعهد بعد التوكيده ونكثهم للطاعة بعد البيعة .

وقوله : (طائفاً غير مكره) من باب الاحتراس الذي مر ذكره في ضمن المحسنات البديعية في ديبةاجة الشرح والغرض إبطال توهّم كون بيعتهم على وجه الکراه كما ادعاه طلحة والزبير حسبما عرفه في شرح الكلام الثامن وغيره (فقدموا على عاملی بها) وهو عثمان بن حنيف الانصاري كان عامله يومئذ بالبصرة (وخز أن بيت مال المسلمين) وهم سبعون رجلاً أو أربعين رجلاً كما في رواية أبي مخنف الآتية (وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة) منهم (صبراً) .

قال شيخنا في الجواهر بعد قول المحقق ويكره قتله أى الكافر صبرالأحد فيه خلافا لما في صحيح الحلبـي عن الصادق عليه السلام لم يقتل رسول الله ﷺ رجالاً صبراً غير عقبة بن أبي معيط وطعن ابن أبي خلف فمات بعد ذلك ضرورة إشعاره بمن جوحـسته التي لا ينافيـها وقوعـه من رسول الله ﷺ المحتمـل رـجـحانـه لـمـقارـنةـ أمرـ آخرـ علىـ أنـ الحـكمـ مـمـاـ يـتسـامـحـ فـيـ مـثـلـهـ .

قال : والمراد بالقتل صبر أن يقيّدها ورجلاه مثل حال قتله وحينئذ فاذا أريد عدم الكراهة أطلقه وقتلها و لعل هذا هو المراد مما فسره به غير واحد بل نسبة بعض إلى المشهور من أنه الحبس للقتل .

و في القاموس : و صبر الانسان و غيره على القتل أن يحبس و يرمى حتى يموت .

و أمّا ما قيل من أنه التعذيب حتى يموت أو القتل جهراً بين الناس أو التهديد بالقتل ثم القتل أو القتل وينظر إليه آخر أو لا يطعم ولا يسقى حتى يموت بالعطش والجوع فلم أجدهما يشهد لها بل الأخير منها مناف لما سمعته من وجوب الاطعام و السقى .

و كيف كان فقد ظهر بذلك أنّ في قوله ^{عليه السلام} قتلوا طائفة صبراً من الدّلة على عظم خطيبتهم ما لا يخفى لأنّه إذا كان قتل الكفار المحاربين بهذه الكيفية المخصوصة مكروهاً أو حراماً على اختلاف تفسير الصبر (١) فكيف بالمؤمنين مضافاً إلى أنّهم لم يقنعوا بذلك بل (و) قتلوا (طائفة) أخرى (غدرأ) وقد قال رسول الله عليه السلام يجيء كل غادر بامام يوم القيمة مائلاً شدقاً حتى يدخل النار .

وقال أمير المؤمنين ^{عليه السلام} في حديث اصبع بن نباته وهو يخطب على منبر الكوفة أيها الناس لو لا كراهة الغدر لكتن من أدهى الناس الا إن لكل غدرة فجرة ، ولكل فجرة كفرة الا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار هذا وستقص عليك قتلهم طائفة صبراً وطائفة غدرأ في ثاني التنبيمرين الآتيين إنشاء الله .

ثم إنه ^{عليه السلام} لما أبدى العذر في قتالهم ووجوب قتلهم بثلاث كبار موبقة إحديهما إخراجهم لحبس رسول الله عليه السلام و هتكهم لนามوسه ، وثانيةها نكشهم البيعة بعد سماحهم للطاعة ، وثالثها قتلهم للمسلمين صبراً وغدرأ أقسام بالقسم البار بحلية قتلهم ازاحة للشبهة عمن كان في قلبه مرض فقال :

(فوالله لو لم يصيروا من المسلمين إلا رجالاً واحداً معتمدين لقتله) أى

(١) فعلى التفسير الاخير يكون حراماً وعلى غيره يكون مكروهاً كما هو ظاهر (منه ره)

معتمدين له (بالجمل جرّه) أي بدون استحقاقه للقتل ب مجرم اجتراه (لحلّ لي قتل ذلك الجيش كله) هذا الكلام بظاهره يدلّ على جواز قتل جميع الجيش بقتل واحد من المسلمين معللاً بقوله (إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولأيدي) فيستفاد منه جواز قتل من ترك النهي عن المنكر مع التمكّن من إنكاره ودفعه.

فإن قلت : أفتتحكمون بجواز ذلك حسبما يدلّ عليه ذلك الكلام ؟
 قلت : نعم لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان شرعاً فالنارك لما تارك للمواجب وعامل للمنكر ، فيجوز للإمام عليه السلام ردعه عنه بأيّ وجه أمكن كساير من ترك الواجبات وأتي بالمحرمات فإذا علم من أول الأمر أنه لا يجدي في الرّدع إلا القتل لجاز ذلك للإمام اتفاقاً وإن اختلف الأصحاب في جواز ذلك أي القتل الذي هو آخر مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغيره عليه السلام من دون اذنه ويدلّ على ما ذكرته من أنّ في ترك إنكار المنكر إخلال بالواجب وإقاده على المنكر ما رواه الصدوق (ره) في عقاب الأعمال مسندًا عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال قال علي عليه السلام : أيها الناس إن " الله عزّ وجلّ لا يعذّب العامة بذنب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامة ، فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهاراً فلم يغير ذلك العامة استوجب الفريقيان العقوبة من الله عزّ وجلّ .

و قال عليه السلام : لا يحضرن أحدكم رجلاً يضر به سلطان جائر ظلماً وعدواناً ولا مقتولاً ولا مظلوماً إذا لم ينصره لأنّ نصرة المؤمن فريضة واجبة ، فإذا هو حضره والعافية أوسع ما لم يلزمك الحجّة الحاضرة .

قال : و لما وقع التقصير في بني إسرائيل جعل الرجل منهم يرى أخيه على الذنب فينهاه فلا ينتهي فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وجليسه وشريكه حتى ضرب الله عزّ وجلّ قلوب بعضهم البعض ونزل فيهم القرآن حيث يقول عزّ وجلّ « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا

يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه الآية .

و يدلّ على جواز قتل فاعل المنكر ما يأتي في أواخر الكتاب في ضمن كلماته القصار من قوله أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواً يعمل به و منكرًا يندعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و بره ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر و هو أفضل من صاحبه و من أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الظالمين السفلية فذلك الذي أصاب سبيل الهدى . وقام على الطريق و نور في قلبه اليقين و رواه في الوسائل من روضة الوعظتين مرسلاً و يدلّ عليه أخبار آخر لا حاجة بنا إلى روایتها .

فقد ظهر بذلك كله أن تعليله ~~عليه حل~~ قتل الجيش بحضورهم قتل المسلم من دون إنكاره ودفع عنه موافق بظاهره لأصول المذهب ولقواعد الشرع ولا حاجة إلى التوجيه و تمحّل التأويلات التي تكلّفها شراح النهج كالشارح المعتزلي والقطب الرواundi والشارح البحرياني ولا بأس بالإشارة إلى ملخص كلامهم والتتبّع على ما يتوجّه عليهم فاقول :

قال الشارح المعتزلي ويسئل عن قوله ~~عليه~~ لو لم يصيروا إلا رجالاً واحداً لحلّ لي قتل ذلك الجيش بأسره لأنّهم حضروه فلم ينكروا فيقال أيجوز قتل من لم ينكّر المنكر مع تمكّنه من إنكاره .

والجواب أنّه يجوز قتيلهم لأنّهم اعتقدوا ذلك القتل مباحاً فانه إذا اعتقدوا إباحته فقد اعتقدوا إباحة ما حرّم الله فيكون حالهم حال من اعتقاد أنّ الزنا مباح وأنّ شرب الخمر مباح .

واعتراض عليه الشارح البحرياني بأنّ القتل وإن وجب على من اعتقاد إباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة كشرب الخمر والزن فلم قلت أنّه يجب على من اعتقاد إباحة ما علم تحريمه من الدين بالتأويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا ، وخروجهما لما خرجوا له ؟ فإنّ جميع ما فعلوه كان بتأويل لهم وإن كان معلوم الفساد فظهور الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر والزن وبين اعتقاد هؤلاء لا يباح ما فعلوه انتهى أقول : وأنت خبير بما في هذا الجواب واعتراض كلّيهما من الصعب

و الفساد :

أما الجواب فلأن اعتقاد اباحة ما علم حرمته من الدين ضرورة كقتل المسلم عمداً وإن كان مجوزاً للقتل البถة إلا أنه يُكْبِطُهُ لم يعلل جوازه بذلك ، بل علله بالحضور على قتل المسلم وعدم الانكار ، وهو أعمّ من اعتقاد الاباحة وعدمه ، وقد ظهر لك أن مجر ذلك كاف في جواز القتل من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا حاجة إلى التقييد أو التخصيص بصورة الاعتقاد مع عدم الداعي اليهما وكونهما خلاف الأصل .

وأما الاعتراض فلأن ملخص كلام المعترض أن خروج الناكثين وقتلهم لل المسلمين إنما نشأ من زعمهم جواز ذلك واعتقادهم حل لشبهة سمح لهم وان كان زعماً فاسداً واعتقاداً كاسداً .

وفيه أو لاً منع كون خروجهم عن وجه الشبهة و التأويل وإنما كان خروج خوارج النهر وان بالتأويل وزعمهم الباطل حقاً ولذلك قال تَكَبَّلَ في الكلام الستين « لا تقتلو الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه » ونانيا هب أن خروجهم كان بالتأويل وشبهة مطالبة دم عثمان ظاهراً وأمّا قتلهم لل المسلمين فأى تأويل يتصور فيه مع أن المقتولين لم يكونوا قاتلي عثمان ولا من الحاضرين لقتله ولا ناصرين لقاتلية ، ولم يقع بعد حرب الجمل عند قتلهم طائفة صبراً و طائفة غدرآ فلم يكن قتلهم لهؤلاء إلا عن محض البغي و العداوة والتعدي والطغيان ، و متعمدين فيه، فجاز قتلهم لذلك كما يجوز قتل معتقد حل الخمر والزن .

اللهم إلا أن يقال: إن التأويل المتصور في قتلهم هو أنهم لما زعموا أن أمير المؤمنين يُكْبِطُهُ بحمايته عن قتلة عثمان خلافة باطلة وإمامته إمامية جور و بيعة إمام الجور و متابعته باطلة لاجرم زعموا اباحة قتل خز أن بيت المال و من حذا حذوه باعتبار كونهم من مباعيده و متابعيه، مستحفظين لبيت المال لأجله يُكْبِطُهُ وحفظ بيت المال لأجل الإمام الجائر إعانته الاتم على زعمهم الباطل فافهم جداً :

وبعد الغض عن جميع ذلك أقول : إن التأويل إذا كان معلوم الفساد حسبما اعترف به الشارح نفسه لم يبق موقع للتأمّل في جواز القتل ، ولذلك أمر سبحانه وهم بقتلهم وقتالهم مطلقاً في قوله : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما فان بعثت إحديهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفه إلى أمر الله ». .

وقال القطب الرّاوِنِي إن حل قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا » الآية .

واعتراض عليه الشارح المعتزلي بأُنْسَهِ الْبَيْهَقِي عَلَى استحلال قتلهم بأُنْسَهِ لِمَ يُنْكِرُوا المُنْكَرَ وَلَمْ يُعَلَّمْ بِعُمُومِ الْآيَةِ .

وأورد عليه الشارح البحرياني بأن له أن يقول إن قتل المسلم الذي لا ذنب له عمداً إذا صدر من بعض الجيش ولم ينكر البافون مع تمكّنه وحضورهم كان ذلك قرينة دالّة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصاً إذا كان معروفاً بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الإمام العادل محاربة الله ورسوله ، وقتلهم لعامله وخز أن بيت مال المسلمين وتقرير كلمة أهل مصر وفساد نظامهم سعي في الأرض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية .

أقول : أمّا ما قاله الرّاوِنِي فلا غبار عليه وأمّا اعتراض الشارح المعتزلي فلا وجه له لأنّه ~~يُنْكِرُوا~~ وإن علّم استحلال القتل بالحضور وعدم الانكار و لم يعلمه لعموم الآية إلا أن مآل العلتين واحد ، ومقصود الرّاوِنِي التنبيه على أن مرجع العلة المذكورة في كلامه إلى عموم الآية وفي الحقيقة التعلييل بتلك العلة تعلييل بذلك العموم .

وهذا مما لا ريب فيه لظهور أن قتل خز أن بيت المال وإتلاف ما فيه من الأموال لم يكن إلا من أجل نصبهم العداوة لأمير المؤمنين ظاهر وكونهم في مقام المحاربة معه ، فيدخلون في عموم الآية .

لأن المراد بمحاربة الله ورسوله فيها هو محاربة المسلمين ، جعل محاربتهم

محاربة لهما تعظيمًا للفعل وتكريماً للمسلم، فيجوز حينئذ قتيلهم بحكم الآية .
بل ولو لم يكن المقتول منهم إلا واحداً كما فرضه ^{عليهما} في كلامه لجاز
أيضاً قتل جميع الجيش كلّهم لأنّ المفترض أنّ قتل ذلك الواحد إنّما كان محادّة
للله ورسوله ومحاربة لولي "المؤمنين ولمن آتكم" به من المسلمين فحيث إنّ الباقيين
حضروا ذلك القتل ولم ينكروه ولم يدفعوا عنه مع تمكّنهم منه يكون ذلك كافياً
عن كونهم ^{في} مقام المحاربة أيضاً .

ولعل هذا هو مراد الشارح البحرياني بالإيراد الذي أورده على الشارح المعترض
وإن كانت عبارته قاصرة عن تأدية المراد لظهور أنّ صدور قتل المسلم عن بعض
الجيش مع حضور الآخرين وعدم إنكار منهم وإن كان قرينة على رضا الجميع بالقتل
إلا أنّ ذلك ب مجرد لا يكفي في جواز قتل الرّاضين حتى ينضم إلية المقدمة
الأخرى أعني كون صدور القتل عن وجه المحاربة ، وكون رضاهم بذلك كافياً عن
كونهم محاربين جميعاً كما قلناه .

وعلى هذا فإنّ كان مراده بقوله والراضي بالقتل شريك القاتل هوما ذكرناه
فنعم الوفاق وإلا فيتوجّه عليه أنه إن أراد المشاركة في الاثم فهو مسلم لما ورد
في غير واحد من الروايات من أنّ الرّاضي بفعل قوم كالداخل فيهم ، وأنّ العامل
بالظلم والراضي به والمعين به شركاء ثلاثة وأنّ من رضي أمرأ فقد دخل فيه و من
سخطه فقد خرج منه إلا أنّ هذه المشاركة لا تتفق في دفع الاعتراف .
وإن أراد المشاركة في جواز قتل الرّاضي كما يجوز قتل القاتل فهو على
إطلاقه من نوع لأنّ قتل القاتل بعنوان القصاص جائز دون الرّاضي .

نعم يجوز قتله من باب الحسبة على ما قلنا ومن أجل كونه في مقام المحاربة
حسبما قاله الرواundi كما يجوز قتل القاتل بهذين الوجهين أيضاً فافهم جيداً هذا
ولما نسبه ^{عليهما} على جواز قتل الجيش جميعاً بقتل واحد من المسلمين أردف ذلك
بالتنبيه على مزيد استحقاقهم له من حيث إقدامهم على جمع كثير منهم فقال : (دع
ما أنتم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم) .

تنبئهان

الاول: قال الشارح المعتزلي بعد الفراغ من شرح الفصل الثاني من هذه الخطبة ما هذه عبارته واعلم أنة قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بتحفون هذا القول نحو قوله عليه السلام مازلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله عليه السلام حتى يوم الناس هذا وقوله عليه السلام اجز قريشاً فانهمها منعوني حقي وغضبني أمري . وقوله عليه السلام فجزت قريشاً عندي الجوازي فانهم ظلموني حقي واغتصبوني سلطان ابن أمي . وقوله عليه السلام وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم فقال عليه السلام فلنصرخ معافاً فاني مازلت مظلوماً .

وقوله عليه السلام وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى وقوله عليه السلام أرى تراثي نهباً وقوله : اصغيا بانائنا وحملنا الناس على رقابنا . و قوله عليه السلام : إن لنا حقاً إن نعطا نأخذه و ان نمنعه نركب أعجاز الابل وإن طال السرى .

وقوله عليه السلام : مازلت مستأثراً علي مدفوعاً عمما أستحقه وأستوجبه .

قال الشارح وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأ مر بالفضلية والأحقيـة وهو الحق والصواب فـان حمله على الاستحقاق تكـير وتفسيـق لـوجهـ المـهـاجرـينـ والـأـنصـارـ لـكـنـ الـإـمامـيـةـ والـزـيـدـيـةـ حـمـلـوـاـ هـذـهـ الـأـقوـالـ عـلـىـ ظـواـهـرـهـاـ وـاـرـ تـكـبـواـ بـهـاـ مـرـ كـبـاـ صـعـبـاـ وـلـعـمـرـيـ إـنـ هـذـهـ الـأـلـفـاظـ مـوـهـمـةـ مـغـلـبـةـ عـلـىـ الـظـنـ ماـ يـقـولـهـ الـقـوـمـ لـكـنـ تـصـفـيـحـ الـأـقـوالـ يـبـطـلـ ذـلـكـ الـظـنـ وـيـدـرـهـ ذـلـكـ الـوـهـمـ فـوـجـبـ أـنـ يـجـرـىـ مـجـرـىـ الـآـيـاتـ الـمـتـشـابـهـاتـ الـمـوـهـمـةـ مـاـ لـاـ يـجـوزـ عـلـىـ الـبـارـيـ فـاـنـهـ لـاـ نـعـمـلـ بـهـاـ وـلـاـ نـعـوـلـ عـلـىـ ظـواـهـرـهـاـ لـأـنـاـ لـمـ تـصـفـيـحـنـاـ أـدـلـةـ الـعـقـولـ اـفـتـضـتـ الـعـدـولـ عـنـ ظـاهـرـ الـلـفـظـ وـأـنـ نـحـمـلـ عـلـىـ التـأـوـيـلـاتـ الـمـذـكـورـةـ فـيـ الـكـتـبـ .

قال الشارح وحد ثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بابن عالية ساكن قطفنا بالجانب الغربي من بغداد واحد الشهود المعدلين بها قال كنت

حاضرًأ عند الفخر إسماعيل بن علي الحنبلي الفقيه المعروف بـبِغَلَامِ الْمَنِيِّ وكان الفخر إسماعيل هذا مقدم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف ويشتغل بشيء في علم المنطق وقد كان حلو العبارة وقد رأيته أنا وحضرت عنده وسمعت كلامه وتوفى سنة عشرة وستمائة .

قال ابن عالية ونحن عنده نتحدث إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة فانحدر إليه يطالبه بهوائفة أن حضره زيارة يوم الغدير والحنبلـي المذكور بالكوفة وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجه ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليهما السلام من الخالقين جموعاً عظيمة يتجاوز حد الأحصاء . قال ابن عالية : فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص ما فعلت مارأيت ؟ هل وصل مالك إليك ؟ هل بقى منه بقية عند غيريك ؟ و ذلك الشخص يجاوبه حتى قال له يا سيدـي لواهـدت يوم الزيارة يوم الغدير وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب عليهما السلام من الفضائح والأفواه الشنيعة وسب الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير هراوة ولا خيفة .

فقال إسماعيل أـي ذنب لهم والله ما جراهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب إلا صاحب ذلك القبر ، فقال ذلك الشخص : ومن صاحب القبر قال : علي بن أبي طالب عليهما السلام قال : يا سيدـي هو الذي سن لهم ذلك وعلـمـهم إيمـانـه وطريقـهم إليه ؟ قال نعم والله . قال : يا سيدـي فـإنـ كانـ مـحقـقاـ فـماـلـناـ نـتـولـاهـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـبـرـهـ إـيمـانـهـ أـوـمـنـهـماـ ، قال ابن عالية فقام إسماعيل مبطلاً فـماـلـناـ نـتـولـاهـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـبـرـهـ إـيمـانـهـ أـوـمـنـهـماـ ، قال ابن عالية فقام إسماعيل مسرعاً وقال : لـعـنـ اللهـ إـسـمـاعـيلـ الـفـاعـلـ ابنـ الـفـاعـلـ إنـ كـانـ يـعـرـفـ جـوابـ هذهـ الـمـسـئـلـةـ وـدـخـلـ دـارـ حـرـمـهـ وـقـمـناـ نـحـنـ فـاـنـصـرـفـناـ اـنـتـهـيـ كـلـامـ الشـارـجـ .

أقول : قد مر في تضاعيف الشرح لاسيما مقدمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشيقية النصوص الدالة على خلافته عليهـ وـبـطـلـانـ خـلـافـةـ غـيرـهـ مـضـافـاـ إـلـيـ الأـدـلـةـ العـقـلـيـةـ .

و العجب من الشارح المعتزلي أنه بعد اعترافه بتواتر الأخبار الظاهرة في

اغتصاب الخلافة و التظلم و الشكوى من أئمة الجور كيف يصر فيها عن ظواهرها من غير دليل وأي داع له الى الانحراف عن قصد السبيل ولو كان هناك أقل دليل لتمسك به مقدم الحنابلة اسماعيل ، ولم يعي عن الجواب ، ولم يقم من مجلسه مسرعا إلى الذهاب ، فحيث عجز عن جواب القائل ضاق به الخناق إلاّ لعن نفسه بالفاعل ابن الفاعل .

ثم العجب من الشارح أنه يعلم ذلك تارة بـأنّ حملها على ظواهرها يوجب تكفير وجوه الصحابة وتفسيقها وهو كما ترى مصادر على المدعى، وأخرى بـأنّ تصفّح الأقوال يبطل الفتن الحاصل منها وليت شعرى أى قول أوجب الخروج عن تلك الظواهر .

فإن أراد قول أهل السنة فليس له اعتبار ولا وقع له عنداؤلي الأبصار وإن أراد قول من يعول على قوله من النبي المختار و آله الأطهار فعليه البيان و علينا التسليم والادعان ، مع أننا قد تصفّحنا كتب التوارييخ والسير والأخبار و الآخر فما ظفرنا بعد إلى الآن على خبر واحد معتبر ولا حديث صحيح يؤثّر بل الأحاديث الصحيحة النبوية وغير النبوية العامية والخاصية على بطلان دعوتهم متظافرة وإبطال خلافة الخلفاء متواترة متناظرة .

و قياس ظواهر تلك الروايات على الآيات المتشابهات قياس مع الفارق لا يقيسها إلا كل بایدناهق ، لقيام الأدلة القاطعة من العقل والنقل على وجوب تأويل هذه الآيات وقيامها على لزوم تعوييل ظواهر تلك الروايات .

و كفى بذلك شهيداً فضلاً عن غيره مما تقدم و يأتي و حدث الثقلين و خبر الحق مع علي و علي مع الحق المعروف بين الفريقيين ورواية ورود الأمة على النبي ﷺ على خمس رأيات وافتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار غير واحدة .

ونعم ماقيل :

إذا افترقت في الدين سبعين فرقة
و نيفاً كما قد جاء في واضح النقل

فَبَيْنَ لَنَا يَاذَا الْنَّبَاهَةِ وَالْفَضْلِ
أُمُّ الْفَرْقَةِ النَّاجِونَ أَيْمَهَا قَلْلِي
فَلِمَاذَا قَدَّمَ الْغَيْرُ بِالْفَضْلِ
وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ نَاجِيَا غَيْرَ وَاحِدٍ
أَفِي الْفَرْقَةِ الْمُلَّاكِ آلُ مُحَمَّدٍ
فَانْ قَلْتَ هَلَّا كَفَرْتَ وَإِنْ نَجَوْا

التنبيه الثاني

في ذكر خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة ، وقتلهم طائفنة من المسلمين فيها صبراً وطائفنة غدرًا توضيحاً لما أشار عليه السلام إليه في كلامه وتفصيلاً لما أحمله .
 فأقول : روى الشارح المعتزلي عن أبي مخنف أنَّه قال : حدثنا إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبي حازم وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وروى جرير ابن يزيد عن عامر الشعبي ، وروى مثلك بن إسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعاً لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة طرقت ماء الحوائب (١) وهو ماء لبنى عامر بن صعصعة فتبعدتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل لعن الله الحوائب ما أكثر كلابها .

فلمّا سمعت عائشة ذكر الحوائب قالت : أهذا ماء الحوائب ؟ قالوا نعم ، فقالت : ردّوني ردّوني ، فسألوها ما شأنها ؟ ما بآدالها ؟ فقالت : إنّي سمعت رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : كَانَتِي بِكَلَابِ ماء يَدْعُوا الْحَوَابَ قَدْ نَبَحَتْ بَعْضُ نِسَائِي ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِي : يَا حَمِيرَاءُ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونِيهَا .

فقال لها الزبير مهلاً يرحمك الله فانا قد جزنا ماء الحوائب بفراسخ كثيرة ، فقالت : أعنديك من يشهد أن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوائب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أغرايما جعل لهم جعلاً فحلقوها لها وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوائب فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام .

أقول : بل أول شهادة الزور في الإسلام ما وقعت يوم السقيفة حيث شهد منافقوا - قريش لا يبي بكترونهم سمعوا من رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يقول : إن الله لم يكن ليجمع

(١) وهو ما نسبت إلى الحوائب بنت كلبي بن وبرة قاله في المناقب (منه)

لنا أهل البيت النبوة و الخلافة حسبما تقدم في المقدمة الثالثة من مقدمات الخطبة الشقشيقية من غاية المرام من كتاب سليم بن قيس الهملاي .

قال أبو مخنف : و حدثنا عاصم بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوماً لنسائه وهن عند جميعها لبيت شعرى أىستكن صاحبة الجمل الأدب تبغيها كلاب الحوائب يقتل عن يمينها و شمالها قتلى كثير كلّهم في النار و تنجو بعد ما كادت .

قال الشارح المعتزلي : قلت : أصحابنا المعتزلة يحملون قوله و تنجو على نجاتها من النار والامامية يحملون ذلك على نجاتها من القتل ومحملنا أرجح لأن لفظة في النار أقرب إليه من لفظة القتلى والقرب معتبر في هذا الباب ألا ترى أن نحاة البصريين أعملوا أقرب العاملين نظراً إلى القرب .

أقول : لا أدري ماذا يريد الشارح من ذكر الاختلاف في محمل الحديث وترجح محمل المعتزلة على محمل الامامية ؟

فإن كان مقصوده بذلك الرد على الامامية لتمسّكهم به على كون عايشة في النار حيث حملوا النجاة فيه على النجاة من القتل دون النار ففيه أن الامامية لم يتمسّكوا به أبداً على كونها فيها لأن قوله ﷺ كلّهم في النار راجع إلى المقتولين عن اليمين والشمال لا ربط له بها بوجه حتى يتمسّكوا به بل دليلهم على ذلك مضافاً إلى أخبارهم الكثيرة هو خروجهما وبغيتها على الامام العادل ، و الخارج والبغاء كلّهم في النار و عليه أيضاً بناء المعتزلة كما صرّح به الشارح في ديباجة شرحه وإن توهّموا خروجهما مع طليحة والزبير من هذه الكلية لدليل فاسد .

و إن كان مقصوده به إثبات نجاة عائشة من النار ففيه أنه لا ينهض لاثباتها لأن قوله ﷺ «تنجو بعد ما كادت» يحتاج إلى إضمار المتعلق و لفظة في النار وإن كانت أقرب إليه لكنّ القرب اللفظي لا يكفى في جعل متعلقه النار بل المدار في أمثال المقام على القرب الاعتباري ، و غير خفي على المنصف الخبير بأساليب

الكلام أنَّ المتبادر من اطلاق العيارة هوأنَّ المتعلق لفظة من القتل، وسوق الكلام أيضاً يفيد ذلك.

وذلك لأنَّه لما أخبر بأنه قُتِلَ يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير و كان هناك مظننة إصابة القتل إليها لقربه منها وإشرافها عليه، استدرك بقوله وتنجو بعد ما كادت، وهذا بخلاف قوله كلامهم في النار فانَّه لم يكن موهمًا لشمولها حتى يحتاج إلى الاستدراك.

فانقدح من ذلك أنَّ الظاهر من مساق الكلام مضافاً إلى التبادر عرفاً هو أنَّ المراد منه النجاة من القتل لا النجاة من النار كما يقوله المعتزلة.

وعلى التنزيل والمماشاة أقول: غاية الأمر أنَّ اللفظ مجمل محتمل للأمررين فلا يك足 الأدلة القاطعة المسلمة عند أصحابنا والمعتزلة على كون البغاء جميعهم في النار ، ولا يجوز رفع اليد عن عموم تلك الأدلة وتخسيصها بهذا اللفظ المجمل والعجب من الشارح أنه يستدلّ على مسألة أصولية كلامية بمسألة نحوية مع أنَّ المسألة نحوية أيضاً غير مسلمة عند علماء الأدبية والبصريون وإن أعملوا أقرب العاملين نظرًا إلى القرب لكنَّ الكوفيين اعملوا الأولى منها نظرًا إلى السبق

قال ابن مالك:

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل
فأثنان أولى عند أهل البصرة
هذا كله على ما يقتضيه النظر الجلي، وأمّا ما يقتضيه النظر الدقيق فهو حمل
الحديث على ما يقوله أصحابنا الإمامية وبطحان محمل المعتزلة، وذلك لأنَّ قوله ع
« وتنجو بعد ما كادت » يفيد نجاتها بعد قربها ، فإنَّ أريد بها النجاة من القتل بعد
القرب منه كما يقوله الإمامية فلا غبار عليه، وإنَّ أريد النجاة من النار فلا يصح
لأنَّ نجاتها منها على زعم المعتزلة كانت بسبب التوبة ولازم ذلك أنها قبل التوبة
كانت هالكة واقعة في النار أعني الاستحقاق بالفعل لها ، ووقوعها فيها غير قربها
منها ، كما هو مفاد قوله : بعد ما كادت .

و الحاصل أنَّ القرب من النار كما هو مضمون الرواية على قول المعتزلة ينافي الكون فيها على ما هو لازم محملاً به فافهم جيداً .

هذا كلام على تسليم صحة متن الحديث و إلا فأقول : الظاهر أنه وقع فيه سقط من الرواية عمداً أو سهوأً أو من النسخ كما يدل عليه ما في البحار عن المناقب لابن شهر آشوب قال :

ذكر ابن الأعثم في الفتوح ، والماوردي في أعلام النبوة ، وشيرويه في الفردوس ، و أبويعلي في المسند ، وابن مردويه في فضائل أمير المؤمنين ، والموفق في الأربعين ، وشعبة والشعبي وسالم بن أبي الجعد في أحاديثهم والبلادى و الطبرى في تاريخهما أنَّ عاشرة لما سمعت نباح الكلاب قالت أي ما هذا ؟ فقالوا الحواب قالت إنَّ الله وإنَّا إليه راجعون إنَّى لهيه قد سمعت رسول الله عليه السلام وعنه نساء يقول : ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحواب .

وفي رواية الماوردي أيتكن صاحبة الجمل الأدبار تخرج فتبجحها كلاب الحواب يقتل من يمينها ويسارها قتلي كثير وتنجو بعد ما كادت تقتل وهذه الرواية كما ترى صريحة في أنَّ نجاتها من القتل .

وبعد هذا كلام غير خفي عليك أنَّ ماتكلله الشارح في إنجائها من النار فانما يجري في حقها فقط ، و ليت شعري ماذا يقول في حق طلحة والزبير فان مذهبه وفافقا لأصحابه المعتزلة نجاتها مع أنَّ الرواية كما ترى مصرحة بأنَّ كلهم في النار ولا شك في شمول هذه القضية الكلية للرجلين فان زعم استثنائهما أيضاً من هذه الكلية بدليل منفصل مثل حديث العشرة أو ما دل على توبيتهم فقد علمت في شرح بعض الخطب السابقة المتقدمة فساده بما لا مزيد عليه ، هذا فلنرجع إلى ما كنا فيه .

قال أبو مخنف حد ثني الكلبي عن أبي صباح عن ابن عباس أنَّ طلحة والزبير أغدا السير لعاشرة حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري وهو قريب من البصرة وكتبوا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل علي عليه السلام على البصرة أنَّ أدخل لنا

دار الامارة .

فلما وصل كتابهما إليه بعث إلى الأحنف بن قيس فقال له : إن هؤلاء القوم قدموا علينا و معهم زوجة رسول الله ﷺ والناس إليها سراغ كما ترى ، فقال الأحنف إِنَّهُمْ جاؤكُمْ بِهَا لِمُطْلَبِهِمْ وَهُمُ الَّذِينَ أَبْتَوُا عَلَى عُثْمَانَ النَّاسَ وَسَفَكُوا دَمَهُ وَأَرَاهُمْ وَاللَّهُ لَا يَزِدُ الْوَنَاحَتَىٰ يَلْقَوْا الْعِدَادَةَ بِمِنَّا وَيَسْفَكُوا دَمَائِنَا وَأَظْنَنَّهُمْ وَاللَّهُ سَيِّرُ كُبُونَ مِنْكَ خَاصَّةً مَا لَا قَبْلَ لَكَ بِهِ وَإِنْ لَمْ تَنَأِيهِمْ لَهُمْ بِالنَّهُوضِ إِلَيْهِمْ فَيَمْنَعُكُمْ مَعْكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ فَاتَّكِ الْيَوْمَ الْوَالِي عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ مطاع فَسَرِّ إِلَيْهِمْ بِالنَّاسِ وَبَادِرْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا مَعْكَ فِي دَارِ وَاحِدَةٍ فَيَكُونُ النَّاسُ أَطْوَعُ مِنْهُمْ لَكَ .

قال عثمان بن حنيف : الرأى مارأيت لكننى أكره أن أبدهم به و أرجو العافية والسلامة إلى أن يأتييني كتاب أمير المؤمنين عليهم السلام ورأيه فأعمل به .

ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدى فأقرأه كتاب طلحة والنبي عثمان له مثل قول الأحنف وأجابه عثمان مثل جوابه للأحنف فقال له حكيم : فاذن لي حتى أسيء إليهم بالناس فان دخلوا في طاعة أمير المؤمنين عليهم السلام و إلا فانا نبذهم على سوء .

قال عثمان : لو كان ذلك رأى لسرت إليهم بنفسي قال حكيم : أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لتنقلن قلوب كثير من الناس إليهم و ينيلنك عن مجلسك هذا وأنت أعلم ، فأبى عليه عثمان .

قال : و كتب على إِلَيْهِ عَثْمَانَ لِمَا بَلَغَهُ مُشَارَفَةُ الْقَوْمِ الْبَصَرَةَ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيَّ
أمير المؤمنين إِلَيْهِ عَثْمَانَ بْنَ حَنْيَفَ فَأَمَّا بَعْدُ : فَانَّ الْبَغَاءَ عَاهَدُوا اللَّهَ ثُمَّ نَكَثُوا
وَتَوَجَّهُوا إِلَى مَصْرِكَ وَسَاقُوكُمُ الشَّيْطَانُ لِطَلَبِ مَا لَا يَرْضِي اللَّهَ بِهِ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ
تَنَكِيَّلًا فَإِذَا قَدَمُوا عَلَيْكَ فَادْعُهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ
الَّذِي فَارَقُونَا عَلَيْهِ فَإِنْ أَجَابُوهُمْ فَأَحْسِنْهُمْ جُواهِرَهُمْ مَادَمُوا عَنْكُمْ وَإِنْ أَبَوُا إِلَّا التَّمَسُّكُ
بِجَبَلِ النَّكَتِ وَالخَلَافِ فَنَاجَزُهُمْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
وَكَتَبَتْ كَتَابَيْهِ هَذَا إِلَيْكَ مِنَ الرَّبْذَةِ وَأَنَا مَعْجَلُ الْمَسِيرِ إِلَيْكَ إِنْشَاءَ اللَّهِ وَ كَتَبَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ فِي سَنَةِ سَتٍّ وَثَلَاثَيْنَ .

قال: فلما وصل كتاب علي عليه السلام إلى عثمان أرسل إلى أبي الأسود الدؤلي وعمران بن الحسين البخراوي فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم وما الذي أقدمهم.

فانطلقا حتى اذا اتياحفر أبي موسى وبه معسّر القوم فدخلوا على عايشة فسألها
ووعظها وأذّكر لها وناشد الله فقالت لهمَا ألقيا طمحة والزبير .

فقاما من عندهما ولقيا الزبير فكلّمهما فقال لهم: إنتا جئنا للطلب بعد عثمان
وندعو الناس الى أن يرد وأمر الخلافة شورى ليختار الناس لأنفسهم فقال لهما: إين
عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وأنت تعلم قتلة عثمان من هم و أين هم
وأنت وصاحبك وعايشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم إغراءً بدمه فأقیدوا من انفسكم
وأمسأ إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم علياً عليه السلام طائعين غير
مكرهين وأنت يا أبا عبد الله لم تبعدا العهد لقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله
صلوات الله عليه وأنت آخذ قائم سيفك تقول ما أحد أحق بالخلافة منه ولا أولى به منه ، وامتنعت
من بيعة أبي بكر فلما ذكر الفعل من هذا القول ؛ فقال لهم: اذهبوا فالقياطحة .

فقام إلى طلحة فوجدها خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب، فانصرها إلى عثمان بن حنيف فأخباره وقال له أبو الأسود: يا بن حنيف قد أتيت فانصر وطاعون القوم وجالد وأصبر

و ابرز لها مستلهمها و شمر

فقال ابن حنيف: اي و رب "الحرمين لافعلن" و أمر مناديه فنادى في الناس
السلاح السلاح، فاجتمعوا إليه.

قال أبو مخنف : و أقبل القوم فإذا انتهوا إلى المريد فقام رجل من بنى جشم فقال
أيها الناس أنا فلان الجشمي وقد أتاككم هؤلاء القوم فان كانوا أتواكم خائفين لقد أتواكم
من المكان الذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع وإن كانوا انما أتواكم للطلب بدم عثمان
فغير ناولني قتلهم فأطیعوني أيها الناس وردّ وهم من حيث أقبلوا فأنكم إن لم تفعلا لم
تسلموا من الحرب الضروس والفتنه الصماء التي لا تبقى ولا تذر، قال: ف Hutchinson ناس من

أهل البصرة فأمسك .

قال : واجتمع أهل البصرة إلى المربد حتى ملأوه مشاة وركباناً فقام طلحة وأشار إلى الناس بالسكتوت ليخطب فسكنوا بعد جهد خطب خطبة ذكر فيها قتل عثمان وحرض الناس على الطلب بدمه ، وعلى جعل أمر الخلافة شورى .

ثم قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحة فقام إليهم ناس من أهل البصرة فقالوا لهم : ألم تبادعوا علينا يَتَّكَلَّمُونَ فيمن بايعه ؟ ففيم بايعتما ثم نكثتما ؟ فقالا ، مابايعناه ولا لأحد في أعنافنا يبعثة وإنما استكر هنا على بيته .

فقال ناس : قد صدقا وحسننا القول وقطعنا بالصواب ، وقال ناس ماصدقا ولا أصبابا في القول حتى ارتفعت الأصوات .

قال : ثم أقبلت عايشة على جملها فنادت بصوت مرتفع : أيها الناس أفلوا الكلام واسكتوا : فأسكت الناس لها فحالت في جملة كلام تحرّضهم فيه على القتال والاجلاب على قتلة عثمان : ألا إن عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتله فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم أجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان .

قال : فماج الناس واحتلّطوا فمن قائل يقول القول ما قالت ومن قائل يقول وما هي وهذا إلا أمر إيمانا هي امرأة مأمورة بلزم بيته وارتفعت الأصوات وكثُر المغط حتى تضاربو بالبنعال وتراموا بالحصى .

ثم إن الناس تميزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف وفريق مع عايشة وأصحابها .

قال أبو مخنف : حدثنا الأشعث عن محمد بن سيرين عن أبي الجليل قال : لما نزل طلحة والزبير المربد أتيتهم بأقوال جدتهم مجتمعين فقلت لهم أناشد تكمال الله وصحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما الذي أقدمكما أرضنا بهذه ؟ فلم يتكلّما فأعادت عليهما فقالا بلغنا أن بأرضكم هذه دنيا فجئنا نطلبها .

قال الشارح المتعzzلى : وقد روى فاضي القضاة في كتاب المغني عن وهب بن

جرير قال : قال رجل من أهل البصرة لطلحة و الزبير ، إنّ لَكُمَا فضلاً و صحبة فأخبرني عن مسيركمَا كما هذا وقتاً كمَا أشيءْ ، أمركمَا به رسول الله ﷺ ، ألمَّا رأى رأيتماه ؟ فَأَمَّا طلحة فسكت فجعل ينكت الأرض ، وأمّا الزبير فقال : ويحك حدثنا أنّ هنـا دراهم كثيرة فجئـنا لـنأخذ منها .

قال الشارح : وجعل قاضي القضاة هذا الخبر حجة في أنّ طلحة تاب وإنّ الزـير لم يكن مصراً على الحرب .

قال : و الاحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضعيف وإنّ صحيحاً هو وما قبله إـنه لـدليل على حـقـ شـدـيد ، و ضـعـفـ عـظـيمـ و نـقـصـ ظـاهـرـ ، و لمـ يـمـتـ شـعـريـ ماـ الـذـيـ أـخـرـ جـهـمـاـ إـلـىـ هـذـاـ القـوـلـ وـإـذـاـ كـانـ هـذـاـ فـيـ أـنـقـسـهـمـافـهـلـاـ كـتمـاـ . أـقـوـلـ : أـمـاـ اـعـتـبـارـ الـخـبـرـيـنـ فـلـأـغـبـارـ عـلـيـهـ لـاعـتـضـادـهـمـ بـأـخـبـارـ أـخـرـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـنـيـ ، وـأـمـاـ دـلـالـتـهـمـعـلـيـ حـقـ الرـجـلـيـنـ كـمـاـفـالـهـ الشـارـحـ فـلـأـخـفـاءـ فـيـهـ ، وـأـمـاـسـكـوتـ طـلـحـةـ وـنـكـتـهـ الـأـرـضـ فـلـأـنـهـ لـمـأـرـأـيـ أـنـ السـائـلـ لـايـقـيـ وـلـاـ يـذـرـ وـلـمـ يـكـنـ لـهـ عنـ الجـوابـ مـحـيـصـ وـلـاـ مـفـرـ فـبـهـتـ الـذـيـ كـفـرـ ، وـأـمـاـ الزـبـيرـ فـأـعـمـيـ اللـهـ قـلـبـهـ وـأـجـرـىـ مـكـنـونـ خـاطـرـهـ عـلـىـ لـسـانـهـ إـبـانـةـ عـنـ اـنـحـطـاطـ مـقـامـهـ ، وـدـنـاءـةـ شـائـنـهـ .

قال أبو مخنف : فلماً أقبل طلحة والزـيرـ المرـبـدـ يـرـيدـ انـ عـثـمـانـ بنـ حـنـيفـ فـوـجـدـاهـ وـأـصـحـابـهـ قدـ أـخـذـواـ بـأـفـوـاهـ السـكـكـ فـمـضـواـ حـتـىـ اـنـتـهـواـ إـلـىـ مـوـضـعـ الدـبـاغـينـ فـاسـتـقـبـلـهـمـ أـصـحـابـ ابنـ حـنـيفـ فـشـجـرـهـمـ طـلـحـةـ وـالـزـبـيرـ وـأـصـحـابـهـمـ بـالـرـمـاحـ فـحملـ عـلـيـهـمـ حـكـيـمـ بنـ جـبـلـةـ فـلـمـ يـرـلـ وـأـصـحـابـهـ يـقـاتـلـوـنـهـمـ حـتـىـ أـخـرـجـوـهـمـ مـنـ جـمـيعـ السـكـكـ وـرـمـاـهـمـ النـسـاءـ مـنـ فـوـقـ الـبـيـوـتـ بـالـحـجـارـةـ .

فـأـخـذـوـاـ إـلـىـ مـقـبـرـةـ ابنـ بنـيـ مـازـنـ فـوـقـوـاـبـهـ مـلـيـاـ حـتـىـ ثـابـتـ إـلـيـهـمـ خـيلـهـمـ ثـمـ أـخـذـواـ عـلـىـ مـسـنـاءـ الـبـصـرـةـ حـتـىـ اـنـتـهـواـ إـلـىـ الـرـابـوـقـةـ ثـمـ أـتـوـاـ سـبـحـةـ دـارـ الـبـرـزـقـ فـنـزـلـوـهـاـ .

قال : وـأـتـاهـمـعـبـدـالـلـهـ بـنـ حـكـيـمـ لـمـاـ نـزـلـاـ السـبـحـةـ بـكـتـبـ كـانـاـ كـتـبـاـهـاـ إـلـيـهـ فـقـالـ : طـلـحـةـ يـاـ بـاـتـمـدـ أـمـاهـذـهـ كـتـبـكـ ؟ قـالـ : بـلـىـ ، قـالـ : فـكـتـبـتـ أـمـسـ تـدـعـونـاـ إـلـىـ خـلـعـعـمـانـ وـقـتـلـهـ حـتـىـ إـذـاـ قـتـلـتـهـ أـتـيـتـنـاـ ثـائـرـاـ بـدـمـهـ فـلـعـمـرـيـ مـاـ هـذـاـ رـأـيـكـ لـاـ تـرـيـدـ إـلـاـ هـذـهـ الدـنـيـاـ

مَهْلًا إِذَا كَانَ هَذَا رأْيُكَ فَلَمْ قَبِلْتَ مِنْ عَلَيْيَ ^{عَلَيْهِ} مَا عَرَضَ عَلَيْكَ مِنَ الْبَيْعَةِ فَبِاعِيْتَهُ طَائِفًا راضِيًّا ثُمَّ نَكَثْتَ بِيَعْتِكَ ثُمَّ جَئْتَ لِتَدْخُلَنَا فِي فَقْتِكَ.

فَقَالَ : إِنَّ عَلَيْنَا دُعَانِي إِلَى الْبَيْعَةِ بَعْدَ مَا بَأْيَعْ فَعُلِمَتْ أَنِّي لَوْمَ أَقْبَلَ مَاعِرِضَهُ عَلَى لَمْ يَقُمْ لَيْ ثُمَّ يَغْرِي لَيْ مِنْ مَعِهِ .

فَالْ : ثُمَّ أَصْبَحَا مِنْ غَدْ فَصَفَّا لِلْحَرْبِ وَخَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ حَنْيفٍ إِلَيْهِمَا فِي أَصْحَابِهِ فَنَاسَدُهُمَا اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ وَأَذْكَرُهُمَا بِيَعْتِهِمَا عَلَيْنَا ^{عَلَيْهِ} فَقَالَا نَحْنُ نَطْلُبُ بِدِمِ عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُمَا وَمَا أَنْتُمَا وَذَاكَ أَيْنَ بَنُوَهُ أَيْنَ بَنُوَّعَمَّةَ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْكُمْ كَلَّا وَاللَّهُ وَلَكُنْكُمْ حَسَدُتُمَا حِيثُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَكَنْتُمَا تَرْجُوَنَ هَذَا الْأَمْرَ وَتَعْمَلَنَ لَهُ وَهُلْ كَانَ أَحَدُ أَشَدَّ عَلَى عُثْمَانَ قَوْلًا مِنْكُمَا .

فَشَتَمَاهُ شَتَمًا قَبِيحاً وَذَكَرَا أَمْهَهَ فَقَالَ لِلزَّبِيرَ : أَمَا اللَّهُ لَوْلَا صَفِيَّةَ وَمَكَانَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} فَإِنَّهَا أَدْنَتْكَ إِلَى الظُّلْمِ وَإِنَّ الْأَمْرَ مِنْ بَيْنِ يَابِنِ الصَّبَغَةِ يَعْنِي طَلْحَةَ أَعْظَمُ مِنَ الْقَوْلِ لَا يَعْلَمُكُمَا مِنْ أَمْرٍ كَمَا يَعْلَمُ كَمَا اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَعْذَرْتَ إِلَى هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ .

ثُمَّ حَمَلُ عَلَيْهِمْ وَاقْتُلَ النَّاسُ قَتَالًا شَدِيدًا ثُمَّ تَحَاجَزُوا وَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بِيَمِنِهِمْ كِتَابَ صَلْحٍ فَكَتَبَ :

هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ حَنْيفٍ الْأَنْصَارِيُّ وَمِنْ مَعِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شِيَعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ^{عَلَيْهِ} بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^{عَلَيْهِ} وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ وَمِنْ مَعْهُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ شِيَعَتِهِمَا أَنَّ لِعُثْمَانَ بْنَ حَنْيفٍ دَارِ الْأَمَارَةِ وَالرِّحْبَةِ وَالْمَسْجِدِ وَبَيْتِ الْمَالِ وَالْمَنْبِرِ وَإِنَّ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ وَمِنْ مَعْهُمَا أَنَّ يَنْزَلُوا حِيثُ شَاؤُوا مِنَ الْبَصْرَةِ لَا يَضَارُ بَعْضَهُمْ بِعَصْفَى طَرِيقٍ وَلَا فِرَضَةٍ (١) وَلَا سُوقٍ وَلَا شَرِيعَةٍ حَتَّى يَقْدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ^{عَلَيْهِ} بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^{عَلَيْهِ} فَإِنَّ أَحَبَّوَا دَخْلَوْا فِيمَا دَخَلْتُ فِيهِ الْأُمَّةَ وَإِنَّ أَحَبَّوَا الْحَقَّ كُلَّ قَوْمٍ بِهِ وَاهِمُ وَمَا أَحَبَّوَا : مِنْ قَتَالِ أُوْسَلِمْ ، وَخَرْجَ أَوْ إِقْامَةٍ ، وَعَلَى الْفَرِيقَيْنِ بِمَا كَتَبُوا عَهْدَ اللَّهِ

(١) الفرضة بالضم ثلثة من النهر يستنقى منها، ومن البحر محطة السفن .

وميثاقه وأشد ما أخذته على نبي من أنبيائه من عهد وذمة، وختم الكتاب.

ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الامارة و قال لا صحابه : الحقوا رحmkm الله بأهلكم وضعوا سلاحكم ودوا واجر حاكم، فمكثوا كذلك أياما .

ثم إن طلحة والزبير قالا: إن قدم على وينحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا، فأجمعوا على مراسلة القبائل ، واستسلامة العرب فأرسلوا إلى وجوه الناس وأهل الرّياسة والشرف ، يدعوهם إلى الطلب بدم عثمان وخلع على عيالله وإخراج ابن حنيف من البصرة .

فبایعهم على ذلك إلا زدوضبة وقيس عيلان كلها إلا الرّجل والرّجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم .

وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم فجاهه طلحة والزبير إلى داره فتواري عنهم فقلت أمّه ما رأيت مثلك أتاك شيخا فريش فتواري عنهم فلم تزل به حتى ظهر لهما وبايدهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بني يربوع فان عامتهم كانوا شيعة لعلي عياله وبايدهم بنودارم كلهم إلا نفراً من بني مجاشع ذوي دين وفضل .

فلما استوثق بطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح و مطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالشياط فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر . وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه و أقيمت الصلاة فتقدّم عثمان ليصلّي بهم فآخره أصحاب طلحة والزبير وقدّموا الزبير في جائالت السيابة (١) وهم الشرط حرس بيت المال فآخروا الزبير وقدّموا عثمان فغلب بهم أصحاب الزبير فقد موه وأخرروا عثمان .

فلما يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع وصاحت بهم أهل المسجد لا تتقدون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته

(١) السيابة لفظة معربة قد ذكرها الجوهرى فى كتاب الصداح قال هم قوم من السنن كانوا

بالبصرة جلاوزة وحراس السجن، ابن أبي الحديد

صاحب بأصحابه المستسلحين أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما.

فلما أسر ضرب ضرب الموت ونف حاجياه وأشفار عينيه وكل شعرة في وجهه ورأسه وأخذوا السياجحة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عايشة.

فقالت لاً بان بن عثمان أخرج إليه فاضرب عنقه فان الأنصار قتلت أباك وأuan على قتلها فنادي عثمان يا عايشة ويأ طلحه ويأ زبير إن أخي سهل بن حنيف خليفة على بن أبي طالب عليه السلام على المدينة وأقسم بالله إن قتلتمنوني ليضعن السيف فيبني أبيكم وأهليكم ورهطكم فلا يبقى منكم أحداً.

فكفوا عنه وخافوا أن يوقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهليهم بالمدينة فتركتوه وأرسلت عايشة إلى الزبير أن اقتل السياجحة فانه قد بلغني الذي صنعوا بك.

قال : فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم ولهم ذلك منهم عبدالله ابنته وهم سبعون رجلاً وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال قالوا لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام فسارت إليهم الزبير في جيش ليلاً فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً.

قال أبو مخنف : وحدثنا الصقعب بن زهير قال كانت السياجحة القتلى يومئذ أربعين رجلاً قال : فكان غدر طلحه والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر في الإسلام وكان السياجحة أول قوم ضربت أعنفهم من المسلمين صبراً.

قال : وخسروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي عليه السلام فاختار الرّحيل فخلعوا سبيله فلتحق بعلي عليه السلام فلما رأه بكى وقال له فارقتك شيخاً وجئتكم أمرد فقال علي عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ قال لها ثلاثاً.

قال أبو مخنف : فلما صفت البصرة لطلحه والزبير اختلفا في الصلاة فاراد كلّ منهما أن يؤمّ الناس وخف أن يكون صلاته خلف صاحبه تسليم ما ورضي بتقدّمه فأصلحت بيدهما عايشة بأن جعلت عبدالله بن زبير و محمد بن طلحة يصليان التباين هذا

يوما وهذا يوما .

قال أبو مخنف : ثم دخلا بيت مال البصرة فلما رأوا ما فيه من الأموال قال الزبير : وعدكم الله مغامن كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه فنحن أحق بها من أهل البصرة فأخذوا ذلك المال كلّه فلما غلب علي عليه السلام رد تلك الأموال إلى بيت المال وقسمها في المسلمين هذا .

وقد تقدم في شرح كلام له عليه السلام وهو نافذ من المختار من الخطب كيفية وقعة الجمل وقتل الزبير فارأ عن الحرب و تقدم نوادر تلك الواقعة في شرح سائر الخطب والكلمات في مواقعها اللاحقة فلتطلب من مطانها .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن امام امام ووصی والا مقام است مشتمل بر سه فصل:
فصل اول متضمن حمد وثنا است مر حقتعالی را میفرماید : شکر و سپاس خداوندی را سزاست که نمی پوشد از او آسمانی آسمان دیگر را و نه زمینی زمین دیگر را .

فصل دوم متضمن شکایت است از اهل شوری و غاصبان خلافت ، میفرماید : و گفت بمن کوینده که سعد و قاص ملعون بود ای پسر ابوطالب بدرستیکه تو بأمر خلافت بسیار حریصی ، پس گفتم من بلکه شما بحق خدا حریص ترید و دورتر و من اختصاصم بیشتر است و نزدیکیم زیادتر ، و جز این نیست که طلب میکنم حقی را که مختص است بمن و شما حایل و حاجب میشوید میان من و میان آن ، و دست رد میزند بروی من نزد آن ، پس زمانی که کوفتم آن کوینده را با حاجت و دلیل در میان جماعت حاضران بیدارشد از خواب غفلت گوئیا که او نمیداند چه جواب بدهد بمن .

بار خدایا بدرستیکه من طلب اعانت میکنم از تو بر طایفة قریش و بر کسانی که اعانت کردند ایشان را پس بدرستیکه ایشان بریدند خویشی مرا و حقیر شمردند

بزرگی مرتبه مرا واتفاق کردند بمنازعه من درکاری که آن اختصاص بمن داشت پس از آن گفتند بدان که درحق است اخذ کردن ما آن را و درحق است ترک کردن تو آن را.

فصل سوم در ذکر اصحاب جمل است میفرماید: پس خروج کردند در حالتیکه میکشیدند حرم پیغمبر خدارا یعنی عایشه خاطئه را چنانچه کشیده میشود کنیز هنگام فروختن او در حالتیکه متوجه شدند بالو بسوی بصره، پس حبس کردند و نگه داشتند طلحه وزیر زنان خودشان را درخانه خود، و بین آوردن زن محبوس شده حضرت رسالتما برای خودشان و از برای غیر خودشان، در لشگریکه نبود از ایشان هیچ مردی مگر اینکه عطا کرده بود بمن اطاعت خودرا، و بخشیده بود بمن بیعت خودرا، درحالتی که بیعتشان از روی طوع و رغبت بود نه باجبر واکراه.

پس آمدند برحاکم من که در بصره بود و برخازنان بیت المال مسلمانان و برغیر ایشان از اهل بصره پس گشتند طائفه را باصبر و اسریری، و طائفه را با مکر وحیله، پس قسم بخدا اگر نمی رسیدند از مسلمانان مگر به یکمفر مرد در حالتیکه متعمد بودند در قتل آن بدون گناه و تقصیری که کسب نموده آن را هر آینه حلال بودمرا کشنده جمیع این لشکر از جهه اینکه حاضر شدند بکشنده او و انکار نکردن و دفع نکردن از او کشنده را با زبانی و نه با دستی بگذار که ایشان بقتل آوردن از مسلمانان مثل عددیرا که داخل شده بودند با ایشان برایشان.

وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ وَهِيَ الْمَائَةُ وَالثَّانِيَةُ وَالسَّبْعُونُ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَ

أَمِينٌ وَحِيدٌ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرٌ لِنَقْمَتِهِ، أَيْهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَيْهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ فَإِنْ شَفَبَ شَاغِبٌ أَمْسَتُقْبَ وَإِنْ أَبَى قُوْتَلَ وَلَعْنَرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَعْضُرَ هَا عَامَّةُ النَّاسِ مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَزِجَّ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ.

أَلَا وَإِنِّي أَفَاتَلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا أَدْعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ أَوْصَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرٌ عَوَاقِبُ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ يَنْتَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبَرِ، وَالْعِلْمُ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ، فَانْضُوا لِمَا تُؤْمِرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَجْلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا فَإِنْ لَذَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُشْكِرُونَهُ غَيْرًا.

أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنُوَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا وَأَصْبَحَتْ تُفْضِلُكُمْ وَتُرْضِيَكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلُكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ لَهُ، وَلَا

الذى دعىتم إلينه، ألا وإنها ليست بياقية لكم، ولا تبقو
عليهما، وهي وإن غرتكم منها فقد حذر تكم شرها.
قدعوا غرورها لتخديوها، وإطماعها لتخويفها، وسابقوافها
إلى الدار التي دعىتم إليها، وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يعن
أحدكم حنين الأمة على ما زوي عنها منها، واستمموا نعم الله عليكم
بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على مَا استحفظكم من كتابه.
ألا وإنه لا يضركم شيء من دنياكم بعد حفظكم قاتمة دينكم.
ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتكم عليه
من أمر دنياكم.
أخذ الله يقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألمتنا وإياكم الصبر.

اللغة

(خاتم رسـلـه) بفتح التاء و كسرـها و (أطـمعـه) إطـمـاعـاً أوـفـعـه في الطـمـعـ و (حـنـ)
يـحـنـ حـنـينـاـ استـطـرـبـ والـحنـينـ الشـوقـ وـشـدـةـ الـبـكـاهـ وـالـطـربـ أـوـصـوتـ الطـربـ عنـ حـزـنـ
أـوـفـرـحـ وـفيـ بـعـضـ النـسـخـ بـالـحـاءـ المـعـجمـةـ قـالـ فـيـ القـامـوسـ وـالـخـنـينـ كـالـبـكـاهـ أـوـ
الـضـحـكـ فـيـ الـأـنـفـ وـقـدـ حـنـ يـخـنـ ، وـقـالـ عـلـمـ الـهـدـىـ فـيـ كـتـابـ الغـرـدـ وـالـدـرـرـ فـيـ
قول ابن أـرـاكـةـ الثـقـفـيـ :

تعز و ماه العين منهـر يـجـرى
على أحد فاجـهدـ بـكـاـكـ علىـ عـمـرـ وـ

فقـلتـ لـعـبـدـ اللهـ إـذـ حـنـ باـكـيـاـ
تبـيـنـ فـانـ كـانـ الـبـكـاهـ رـهـاـكـاـ

قوله : حنْ باكياً رفع صوته بالبكاء وقال : قال قوم الخنيين بالخاء المعجمة من الأنف والخنيين من الصدر ، وهو صوت يخرج من كل واحد منهم و (زوى) الشيء زيتاً و زويتاً جمعه و قبضه .

الاعراب

الضمير في قوله زوى عنه راجع إلى أحدكم و في بعض النسخ بدله عنها فيرجع إلى الأمة والأول أظهر ، وإضافة قائمة إلى دينكم لامية وتحتمل أن تكون بيانية كما نشير إليه في شرح معناه .

المعنى

اعلم أن مدار هذه الخطبة الشريفة على فصل :

الفصل الأول في نبذ من ممادح الرّسول ﷺ وهو (أمين وحيد) أي مأمون على ما وحي إليه من الكتاب الكريم و شرائع الدين القويم من التحريف والتبدل فيما أمر بتبليله لمكان العصمة الموجودة فيه صلوات الله وسلامه عليه وآله (وخاتم رسالته) أي آخرهم ليس بعده رسول كما قال سبحانه : « ما كان شهد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » قال في الصافي : آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على اختلاف القراءتين .

وفي مجمع البحرين : محمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء و كسرها فالفتح بمعنى الزينة مأخذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه وبالكسر اسم فاعل بمعنى الآخر (وبشير رحمته وندير نعمته) أي مبشر برحمته الواسعة ، والثواب الجزييل و مخوف من عقوبته الدائمة و العذاب الويل كما قال عز من قائل :

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً .

الفصل الثاني في الاشارة إلى بعض وظائف الخلافة وهو قوله ﷺ (أيها

الناس إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر) أى أمر الخلافة والامامة (أقوام علىه) أى أكملهم قدرة وقوّة على السياسة المدنية وعلى كيفية تدبير الحرب (وأعلمهم بأمر الله فيه) أى أكثرهم علمًا بحكمته سبحانه في هذا الأمر و في بعض النّسخ « وأعلمهم بأمر الله » بدله هذا و يدلّ على ذلك أعني كون الأقوى والأعلم أحق بالريادة من غيره صريحًا قوله سبحانه « إِنَّمَا تُرْأَىٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ بَعْدَ مُوسَىٰ إِذَا قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ أَبْعَثْتَ لَنَا مَلَكًاٰ نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالِوتَ مَلَكًاٰ قَالُوا أَتْنَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحْقَّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يَؤْتِ سُعْةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَيْهِ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِ مَلِكَهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »

فقد ردّ استبعادهم لتملكه بفقره بأنّ العمدة في ذلك اصطفاه الله وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالصالح وبأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية، وجسامته البدن ، ليكون أعظم وقعا في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومحايدة الحروب ، لا ماز كرتم .

و كيف كان فقد دلت هذه الآية الشريفة كقول الإمام علي عليه السلام على بطلان ملك المفضول و خلافته مضافين إلى قوله تعالى : « افمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع امن لا يهدي إلا ان يهدي » و قوله : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

فانقدح من ذلك فساد ما توهّمه الشارح المعتزلي من أن قوله عليه السلام لا يدل على بطلان امامه المفضول لأنّه لما قال إنّ اماماً غير الأقوى فاسدة ولكنّه قال إنّ الأقوى أحق وأصحابنا لا ينكرون أنه أحق من تقدمه بالامامة مع قولهم بصحّة امامـة المتقدـمـين لأنـه لا منافاة بين كونـه أحقـ وبين صحـةـ إمامـةـ غيرـهـ .

ووجه انقداح الفساد أنّ أحقيـتهـ وإنـ كانتـ لـ اـ تـ نـافـيـ بـ حـسـبـ الـ وـضـعـ الـ لـغـوـيـ حـقـيـقـيـةـ غيرـهـ كما هو مقتضـىـ وضعـ أـ فـعـلـ التـفضـيلـ إلاـ أنـ الـظـاهـرـ عدمـ إـرـادـةـ الـأـفـقـلـيـةـ هـنـابـلـ نفسـ الفـضـلـ كماـ فيـ قولـهـ : « وـأـوـلـاـ رـحـامـ بـعـضـهـ أـوـلـىـ بـعـضـ »ـ حيثـ يـسـتـدـلـونـ بهـ

على حجب الأقرب للأبعد و كذلك في قوله « أحق أن يتبع » وإلا لما استحق متبوعه غير الأحق بالتوبخ والملام المستفاد من ظاهر الاستفهام ، مضافاً إلى تشديد التقرير بقوله عقىب الآية « فما لكم كيف تحكمون » .

فإن قلت : حمل أ فعل على غير معناه اللغوي مجاز لا يصار إليه إلا بقرينة تدل عليه فما القرينة عليه ؟

قلت : القراءين المنفصلة من العقل و النقل فوق حد الاحصاء وأمّا القراءة المنفصلة فهي قوله : (فان شعب شاغب) أي أثار الشر والفساد (استعيب) وطلب عتباه ورجوعه إلى الحق (فان أبي قوتل) فإن جواز قتال الآبي وقتله ليس إلا لعدم جواز عدوله عن الأحق إلى غيره فيعلم منه أن غيره غير حقيق للقيام بالأمر كما لا يخفى، ففهم وتدبر هذا .

ولما كان معاوية و أهل الشام و أكثر من عدل عنه ^{عليه} و نكث عن بيته فادحين في خلافته طاعنين في امامته بأنه لم يكن عقد بيته برضاء العامة وحضورها أشار إلى بطلان زعمهم و فساده بقوله : (و لعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس) كما يزعمه هؤلاء و يحتاجون به على (ما) كان (إلى ذلك سبيل) لتفعذ راجتماع المسلمين على كثرتهم وانتشارهم في مشارق الأرض وغارتها (ولكن أهلها) أي أهل الامامة أو البيعة الحاضرون من أهل الحل و العقد يعقدون البيعة و يحكمون على من غاب عنهم ليس للشاهد أن يرجع) عن بيته كمارجع زبير وطلحة (ولا للمغائب) كمعاوية و أتباعه (أني اختار) أي يكون لهم اختيار بين التسليم و الامتناع .

قال الشارح المعتزلي وهذا الكلام أعني قوله ^{عليه} و لعمري إلى آخره تصريح بمذهب أصحابنا من أن الاختيار طريق إلى الامامة و مبطل لما يقوله الامامية من دعوى النص عليه ومن قولهم لاطريق إلى الامامة سوي النص أو المعجزة التي .

وفيه نظراً ما أو لا لأنه ^{عليه} إنما احتاج عليهم بالاجماع إلزاماً لهم لاتفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر و أخويه وعدم تمكّنه ^{عليه} بالنص لعلمه بعدم

التفاهم إليه كيف و قد أعرضوا عنه في أول الأمر مع قرب العهد بالرسول عليهما السلام و سماعهم منه عليهما السلام وأماماً ثانياً فلأنه عليهما السلام لم يتعذر ضل المنص نفياً ولا إثباتاً فكيف يكون مبطلاً لما ادعاه الإمامية من المنص .

و العجب أنّه جعل هذا تصریحاً بكون الاختیار طریقاً إلى الامامة و نفی الدلالة في قوله عليهما السلام : إنَّ أَحْقَ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرَاه، على نفی إمامۃ المفضول مع أنّه لم يصرّح بأنَّ الامامة تتعقد بالاختیار بل قال لا يشترط في انعقاد الامامة حضور العامة ولا ریب في ذلك نعم يدل بمفهومه على ذلك وهذا تقیة منه عليهما السلام ولا يخفی على من تتبع سیره أنّه لم يكن يمكنه إنكار خلافهم والقبح فيها صریحاً في المحافل فلذا عبر بكلام موهم لذلك قوله عليهما السلام : وأهلها يحكمون وإن كان موهماً له أيضاً لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقاء بالامامة ويكون الضمير فيه راجعاً إليهم .

و لا يخفی أنَّ ما مهدَه عليهما السلام أولاً بقوله : إنَّ أَحْقَ النَّاسِ أَقْوَاهُم يشعر بأنَّ عدم صحة رجوع الشاهد واختیار الغائب إنّما هو في صورة الاتفاق على الأحق دون غيره فتتأمل .

ثم ذكر من يسوغ له عليهما السلام قتاله فقال : (أَلَا وَإِنِّي أَفَاتَلَ رِجَلَيْنِ رِجَلًا أَدْعَى مَا لِيَنَهَا وَآخَرَ مَنْعَ الَّذِي عَلَيْهِ) يحتمل أن يكون الأول إشارة إلى أصحاب الجمل والثاني إلى معاوية وأتباعه ويحتمل العكس .

فعلى الأول فالمراد من ادعائهم ما ليس لهم الخلافة أو المطالبة بدم عثمان فإنه لم يكن لهم ذلك وإنما كان ذلك حقاً لوارثه ومن منعهم بما وجب عليهم هو البيعة وبذل الطاعة .

وعلى الثاني فالمراد من ما ليس له أيضاً الخلافة أو دعوى الولاية لدم عثمان والمطالبة به و من منع ما وجب عليه هو المضى على البيعة والاستمرار عليه أو سائر الحقوق الواجبة عليهم .

الفصل الثالث في الوصية بما لا يزال يوصى به والاشارة إلى أحكام البغاء

إجمالاً و هو قوله ﷺ (أوصيكم عباد الله بـتقوى الله) التي هي الزاد وبها المعاد
(فانهـما خير ما تواصـ العـبـادـ بـهـ وـ خـيرـ عـوـاقـبـ الـأـمـورـ عـنـدـ اللهـ) يعني أنـهاـ خـيرـاـ خـيرـاـ
الـأـمـورـ لـكـوـنـهـاـ خـيرـاـ مـاـخـتـمـ بـهـ الـعـمـلـ فـيـ دـارـ الدـنـيـاـ أـوـ أـنـ عـاقـبـتـهـاـ خـيرـ العـوـاقـبـ (وـقـدـ
فـتـحـ بـابـ الـحـرـبـ بـيـنـكـمـ وـبـيـنـ أـهـلـ الـقـبـلـةـ) أـىـ الـآـخـذـيـنـ بـظـاهـرـ الـاسـلـامـ (وـلـايـحـمـلـ هـذـاـ
الـعـلـمـ) أـىـ الـعـلـمـ بـوـجـوبـ قـتـالـ أـهـلـ الـقـبـلـةـ وـبـشـرـاـيـطـهـ وـفـيـ بـعـضـ النـسـخـ هـذـاـ الـعـلـمـ
مـحـرـ كـةـ فـيـكـونـ إـشـارـةـ إـلـىـ حـرـبـ أـهـلـ الـقـبـلـةـ وـالـقـيـامـ بـهـ أـىـ لـايـحـمـلـ عـلـمـ الـحـرـبـ وـلـاـ
يـحـارـبـ (إـلـاـ أـهـلـ الـبـصـرـ وـ الـصـبـرـ) أـىـ أـهـلـ الـبـصـيرـةـ وـالـعـقـلـ وـأـهـلـ الصـبـرـ وـ التـحـمـلـ
عـلـىـ الـمـكـارـهـ (وـالـعـلـمـ بـمـوـاـقـعـ الـحـقـ) وـذـلـكـ لـأـنـ الـمـسـلـمـيـنـ كـانـوـاـ يـسـتعـظـمـوـنـ حـرـبـ
أـهـلـ الـقـبـلـةـ وـمـنـ أـقـدـمـ عـلـيـهـ أـقـدـمـ عـلـىـ خـوفـ وـ حـذـرـ ، فـقـالـ ﷺ إـنـ هـذـاـ الـعـلـمـ
لـيـسـ يـدـرـ كـهـ كـلـ أـحـدـ وـ إـنـمـالـهـ قـوـمـ مـخـصـصـوـنـ .

قال الشافعی: لو لا علی عليه السلام لما علم شيء من أحكام أهل البغى وهو كما قال
 (فامضوا لما تؤمرن به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر) ولا تسربعوا
 في إنكاره ورددوا إذا استبعدتموه بأوهامكم (حتى تتبينوا) وتبشّروا وتسألو عن
 فایدته وعلمه (فان " لـنا مع كل " أمر تنكرونـه) وتسـربـعونـه (غيرـاـ).

قال الشّارح المعتزلي أى لست كعثمان أصرّ على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغير كلّ ما ينكره المسلمون ويقتضي الحال والشرع تغييره.

وقال الشارح البحرياني : أى إنّ لنا مع كلّ "أمر تذكر ونه قوّة على التغيير إن لم يكن في ذلك الاًمر مصلحة في نفس الاًمر فلا تسربوا إلى إنكار أمر لفعله حتى تسألوا عن فائدته فإنه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم بوجهه .

قال العلامة المجلسي ره و يمكن أن يكون المعنى أن لنا مع كل أمر تذكر و نه تخميرأ أي ما يغير إنكاركم، و يمنعكم عنه من البراهين الساطعة أو الأعم منها ومن السيف القاطعة إن لم ينفعكم البراهين.

أقول: وذلك مثل ما وقع منه في أمر الخوارج فأنهم لما نفّهوا عليهم ما نفّهوا رؤسهم عن الانكار عليه بالبيانات الشافية والحجج الواافية حتى ارتدع منهم ثمانية

آلاف وكانوا اثنى عشر ألفاً ولمّا أصرّ الباقوون وهم أربعة آلاف على اللجاج ، ولم ينفعهم الاحتجاج ، قطع دابرهم بسيف يفلق المام ، ويطيح السواعد والأقدام .

تذر الجمامم ضاحيا هاماتها بله الأكف . كأنّها لم تخلق

حسب ما عرفته تفصيلا في شرح الخطبة السادسة والثلاثين وغيرها

ثم أخذ في التنفيذ عن الدنيا والتّزهيد فيها بقوله (ألا وإنَّ هذه الدّنيا)

الاتيان باسم الاشارة للتحقير كما في قوله تعالى: أهذا الذي يذكر آلهتكم، و في

الاتيان بالوصول أعني قوله : (الّتي أصبحتم تتمسّونها و ترغبون فيها وأصبحت

تفضيكم وترضيكم) تنبية على خطاء المخاطبين ، و توبيخ لهم بأنّهم يرغبون في شيء

يخلصون المحبة له وهو لا يراعي حقّهم بل يغضّبهم تارة ، ويرضيهم أخرى و نظير

هذا الموصول المسوق للتنبيه على الخطاء ما في قوله :

إنَّ الذين ترونهم إخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

يعني أنَّ هذه الدّنيا مع تمنيكم لها وفرط رغبتكم فيها ومع عدم إخلاصها

المحبة لكم (ليست بداركم) التي يحقُّ أن تسكنوا فيها (ولا منزل لكم الذي خلقت

له) ولإقامة فيه (ولا الذي دعيتم إليه) وإلى التوطن فيه (ألا وإنَّها ليست بباقي

لكم ولا تبقون عليها) وإلى هذا ينظر قوله كذلك :

أرى الدّنيا ستؤذن بانطلاق مشمرة على قدم و ساق

فلا الدّنيا بباقي لحي و لا حي على الدنيا بباقي

يعني أنّها دارفنا لا تدوم لأحد ولا يدوم أحد فيها (وهي وإنْ غيرَ تكمّل منها)

بما زينتكم من زخارفها وإغفالكم عن فنائِها (فقد حذّرتكم شرّها) بما أرتكم

من آفاتها وفنائِها وما باتليتم فيها من فراق الأحبّة والأولاد ونحوها (فدعوا غرورها)

اليسير (لتحذيرها) الكثير (وأطماعها) الكاذب (لتخويفها) الصادق .

(وسابقوا فيها) بالخيرات والأعمال الصالحة (إلى الدّار التي دعيتم إليها)

وهي الجنة التي عرضها الأرض والسماء (وانصرفوا بقلوبكم عنها) إلى ما لم

يخطر على قلب بشر مما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وجميع الامنيات (ولا يحنن

أحدكم حنين الأمة على مازوي) وصرف (عنه منها) وهو نهى عن الأسف على الدنيا

والحزن والبكاء على مفاته منها ، وقبض عنه من قيماتها وزخارفها .

والتشبيه بحنين الأمة لأنَّ الاماء كثيراً ما يضر بن ويبكي ويسمع الحنين منهنَّ والحرائر يأنفن من البكاء والحنين (واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله) أى بالصبر و التحمل على مشاق العبادات أو بالصبر على المصائب والبلايا طاعة له سبحانهنه ، وعلى أى حال فهو من الشكر الموجب للمزيد (و) به يطلب تمام النعمة في الدنيا والآخرة كما قال عز من قائل : « إنما يو فـ المصابرـون أجرهم بغير حساب » كما يطلب تمامها بـ (المحافظة على ما استحفظكم من كتابه) أى بالمواطبة على ماطلب منكم حفظه و المواطبة عليه من التكاليف الشرعية الواردة في كتاب العزيز لأنَّ المواطبة على التكاليف والطاعات سبب عظيم لافادة النعماء والخيرات .

وأكـدـ الأمر بالمحافظة بقوله (ألا وإنـه لا يضرـكم تضيـعـ شيءـ من دـنيـاـكمـ بعد حفـظـكمـ قـائـمةـ دـينـكـمـ) لـعلـ المرـادـ بـقـائـمةـ الدـينـ أـصـولـهـ وما يقربـ منهاـ وـعلىـ كـونـ الاـضـافـةـ بـيـانـيـةـ فـالـمـرـادـ بـقـائـمةـ نـفـسـ الدـينـ إـذـ بـهـ قـوـامـ أـمـرـ الدـنيـاـ وـالـآخـرـةـ .

ثم نـبـهـ عـلـىـ عـدـمـ المـنـفـعـةـ فـيـ الدـنيـاـ مـعـ فـوـاتـ الدـينـ فـقـالـ : (أـلاـ وـإـنـهـ لـاـ يـنـفـعـكـمـ بـعـدـ تـضـيـعـ دـينـكـمـ شـيـءـ حـافـظـتـمـ عـلـيـهـ مـنـ أـمـرـ دـنيـاـكـمـ) وـذـلـكـ وـاضـحـ لـأـنـ أـمـورـ الدـنيـاـيـةـ مـعـ تـضـيـعـ الدـينـ لـاـ تـنـقـعـ بـشـيـءـ مـنـهـاـ فـيـ الـآخـرـةـ الـبـيـتـةـ .

وختـمـ السـكـلامـ بـالـدـعـاءـ لـنـفـسـهـ وـلـهـمـ وـقـالـ : (أـخـذـ اللـهـ بـقـلـوبـنـاـ وـقـلـوبـكـمـ إـلـىـ الـحـقـ) وـهـدـانـاـ إـلـىـ سـلـوكـ سـبـيلـهـ (وـأـللـهـمـنـاـ وـإـيـاـكـمـ الصـبرـ) عـلـىـ مـصـيـبـتـهـ وـطـاعـتـهـ وـمـعـصـيـتـهـ لـأـنـ مـنـ صـبـرـ عـنـدـ مـصـيـبـتـهـ حـتـىـ يـرـدـ هـاـ بـحـسـنـ عـزـائـهـ كـتـبـ اللـهـ لـهـ ثـلـاثـمـاءـ درـجـةـ ماـ بـيـنـ الـدـرـجـةـ إـلـىـ الـدـرـجـةـ كـمـاـ بـيـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ ، وـمـنـ صـبـرـ عـلـىـ الطـاعـةـ كـتـبـ اللـهـ لـهـ سـتـمـاءـ درـجـةـ مـاـ بـيـنـ الدـرـجـةـ إـلـىـ الدـرـجـةـ كـمـاـ بـيـنـ تـخـومـ الـأـرـضـ إـلـىـ الـعـرـشـ ، وـمـنـ صـبـرـ عـنـ المـعـصـيـةـ كـتـبـ اللـهـ لـهـ تـسـعـمـاءـ درـجـةـ مـاـ بـيـنـ الدـرـجـةـ إـلـىـ الدـرـجـةـ كـمـاـ بـيـنـ تـخـومـ الـأـرـضـ إـلـىـ

مـنـتهـيـ الـعـرـشـ .

رواه في الوسائل من الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي ﷺ وقد تقدم روايته مع أخبار آخر في فضل الصبر في شرح الخطبة الخامسة والسبعين ووعدنا هناك إشباع الكلام فيه أى في الصبر وفضله وأقسامه فيها نحن الآن نفي بما وعدناك بتوفيق من الله سبحانهنه ومن منه .

فاقول : إن الصبر على ما عرفت فيما تقدم عبارة عن ملحة راسخة في النفس يقدر معها على تحمل المكاره وقد أكثر الله سبحانه من مدحه في كتابه العزيز، وبشر الصابرين وذكرهم في آيات تنفي على سبعين قال سبحانه : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، وقال : وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، وقال : وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمن صبروا ، وقال : وجزيهم ربهم بما صبروا جنة وحريراً إلى غير هذه مما لا يطيل ذكرها .
وأما الأخبار في فضل الصابرين فهي فوق حد الاحصاء

منها ما في الكافي عن العلاء بن الفضيل عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان .
وعن أبي بصير قال : سمعت أبو عبد الله عليهما السلام يقول إن الحر حر على جميع أحواله إن نابتة نائية صبر لها وإن تداكّت عليه المصائب لم يكسره وإن أسر وقهروا واستبدل باليسير عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين عليهما السلام لم يضره حرسته أن استعبد وقهر وأسر ولم يضره ظلمة الجب ووحشته وما ناله أن من الله جل وعز عليه فجعل الجبار العاقي له عبداً بعد إذ كان مالكاً فأرسله ورحم به الله وكذلك الصبر يعقب خيراً فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر توجروا .

وعن حمزة بن حمران عن أبي جعفر عليهما السلام قال : الجنة محفوظة بالمكاره والصبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوظة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار .

وعن سعادة بن مهران عن أبي الحسن عليهما السلام قال : قال لي : ماحبسك عن الخير ؟ قال : قلت : جعلت فداك وقع على دين كثير وذهب مالي ، ودينني الذي قد لزمني هو أعظم من ذهاب مالي فلولا أن رجلاً من أصحابي أخرجني ما قدرت أن أخرج فقال عليهما السلام : إن تصبر تغبط وإلا تصبر ينفذ الله مقاديرها راضياً كنت أم كارها .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : قال لي أبو عبد الله عليهما السلام من ابتنى من المؤمنين بيلاه فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد .

وعن محمد بن عجلان قال : كنت عند أبي عبد الله عليهما السلام فشكى إليه رجل الحاجة

فقال : اصبر فان الله س يجعل لك فرجا قال : ثم سكت ساعة ثم أقبل على الرجل ف قال : أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو ؟ فقال : أصلحك الله ضيق متن وأهله بأسوء حال ، قال عليه السلام : فانما أنت في السجن فتري أن تكون فيه في سعة أما علمت أن الدنیا سجن المؤمن ، إلى غير هذه مما لانظيل بذكرها .

فَانْقَلَتْ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الصَّبَرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُنْزَلَةِ
الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ؟

قللت: لما كان قوام الجسد وتمامه وكماله إنما هو بالرأس وبه يتم تصرّفاته ويتمكن من الآثار المترتبة عليه لا جرم شبهة ^{عليه} الصبر بالرأس والإيمان بالجسد لأنَّ كمال الإيمان وتمامه إنما هو به، أمّا على القول بأنَّ الإيمان عبارة عن مجموع العقائد الحقة والأعمال فواضح، وأمّا على القول بأنَّ العمل ليس جزء منه بل هو شرط الكمال فلأنَّ الجسد إنما يكمل بالرأس كما أنه يوجد بوجوهه، فوجه الشبهة هو وصف الكمال فقط ولا يجب في تشبيه شيء بشيء وجود جميع أوصاف المشبه به في المشبهة. ولكنَّ الظاهر من قوله: كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان هو كون العمل هو جزء من الإيمان المستلزم ذهابه لذهابه الا أنَّ يراد منه الإيمان بالكمال وقد تقدم تحقيق الكلام فيه فيما سبق .

وَمَا ذَكَرْنَا أَيْضًا ظَهِيرَ وَجْهَ مَا رُوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَنَّ الصَّبْرَ نَصْفَ الْإِيمَانِ
وَذَلِكَ لِأَنَّ إِيمَانَ إِذَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ مَجْمُوعِ الْمَعْارِفِ الْيَقِينِيَّةِ الْحَقَّةِ وَعَنِ الْعَمَلِ
بِمَقْتَضَى تَلْكَ الْمَعْارِفِ، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ مِنْ كُبَامَنْهُمَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَمَلَ أَعْنَى الْمَوَاظِبَةَ
عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْكَفَّ عَنِ الْمَعَاصِي لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مُشَاقَّ الطَّاغِيَاتِ الْمُبَيِّنِينَ
بِكُونَهَا نَافِعَةً، وَتَرْكُ لَذَائِنَ الْمَعْصِيَّةِ لِلْيَقِينِ بِكُونَهَا ضَارَّةً فَعَلَى هَذَا الْاعْتِبَارِ يَصْحُّ
كُونَهُ نَصْفَ الْإِيمَانِ .

وذكر الغزالي له وجهاً آخر محصلته أن يجعل المراد من الإيمان الأحوال المشمئزة للأعمال وجميع ما يلاقى العبد ينقسم إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيما ، وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر ، وبالاضافة إلى ما ينفعه حال الشكر ، فيكون الصبر أحد شطري الإيمان كما أن الشكر شطره الآخر ولذلك

روى عن النبي ﷺ مرفوعاً الإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر . ثم ان الصبر تختلف أساميه باختلاف موارده وبالإضافة إلى ما يصبر عنه من مشتهريات الطبع ومقتضيات الهوى ، وما يصبر عليه مما ينفر عنه الطبع من المكاره والآدبي . فان كان صبراً عن شهوة الفرج و البطن ، سمي عفة ، وإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر و تضاده حالة تسمى الجزع ، وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس و يصاده البطر ، وإن كان في حرب و مقابلة سمي شجاعة و يصاده الجبن وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً و يصاده التذمر و السفه و إن كان في نائبة من نوائب الزمان سمي سعة القدرة و يصاده الضجر و ضيق القدرة ، وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السرّ وإن كان عن فضول العيش سمي زهدًا ، و يصاده الحرص وإن كان على قدر يسير من المحظوظ سمي قناعة و يصاده الشره .

وبالجملة فأكثر مكارم الإيمان داخل في الصبر و لا يجل ذلك لـما سئل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: هو الصبر لأنَّه أكثُر أعماله وأعزها هذا . وأما أقسامه فقد فصلها أبو حامد الغزالى في كتاب أحياء العلوم و ملخصها أنَّ جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي يخالفه ، وهو محتاج إلى الصبر في كلّ منهما فهو إذا لا يستغنى فقطً عن الصبر .

النوع الأول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الرشكون إليها والانهماك في ملاذها المباحة أخرى جه ذلك إلى البطر والطغيان، فإنَّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى .

النوع الثاني ما لا يوافق الهوى وهو على ثلاثة أقسام لا ننإِّ ما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، وإنما أن لا يرتبط باختياره كالآلام وال المصائب وإنما أن لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفّى من المؤذني بالانتقام منه .

أما القسم الأول وهو ما يرتبط باختيار العبد فعلى ضربين .

الضرب الأول الطاعات والعبد يحتاج إلى الصبر عليها ، والتحمّل عن مشاقها

لأنَّ النفس بالطبع تنفرُ عن العبودية وتشتهي الربوبية ، ولذلك قال بعض العارفين مامن نفس إلَّا وهي مضمضة ما ظهره فرعون من قوله أنا ربكم الأعلى ولكن فرعون وجده مجالاً وقبولاً من قومه ، فأشاهده وأطاعوه ومامن أحد إلَّا ويندعى ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكلَّ من هو تحت قهره وطاعته وإن كان ممتنعاً من إظهاره . ثم نفرة النفس عن العبادة إِمَّا بسبب الكسل كالصلة وإِمَّا بسبب البخل كالزكاة أو بسببهما كالحج والعجب والجهاد ومحاجة إِلى الصبر في جميعها .

الضرب الثاني المعاشي وتركها والكف عنها أصعب عن النفس لرغبتها بالطبع إليها فيحتاج إلى الصبر عنها وأشد أنواع الصبر عن المعاشي الصبر على المعاشي المألوفة المعتادة كحصائد الألسنة من الكذب والغيبة والبهتان ونحوها فمن لم يتمكن من الصبر عنها فيجب عليه العزلة والانفصال لأنَّ الصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة ، وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاشي باختلاف دواعي المعصية قوَّةً وضعفاً .

وأما القسم الثاني وهو ما لا يرتبط باختيار العبد أصلًا فكل مصائب و البلاء والألام والأسقام من فقد الأحبة وموت الأعزَّة وذهب المال وتبدل الصحة بالمرض والفنى بالفقر ، والبصر بالعمى ، وغيرها والصبر على هذه هو الذي يشترى الموصوفون به في الآية الكريمة بقوله سبحانه : « ولنبلو نَّكُم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون » وأوحى سبحانه إلى داود عليه السلام يا داود : ت يريد وأريد وإنما يكون ما أريد فان سلمت لما أريد كيفيتك ماتريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلَّا ما أريد .

وأما القسم الثالث وهو ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو أُوذى بفعل أو قول وجني عليه في نفسه أو ماله أو نحو ذلك فالصبر على ذلك يتراك المكافأة ، والانتقام تارة يكون واجباً و تارة يكون مندوباً قال تعالى :

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم فهو خير للصابرين » .

و عن الانجيل قال عيسى بن مریم عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل إن "السن"

بالسن والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لاتقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الآيمن فتحول إليه الخد الأيسر ومن أخذ ردامك فأعطيه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين، وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى.

وفي الكافي عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله عليه السلام ياحفص : إن من صبر صبر قليلاً وإن من جزع جزع قليلاً . ثم قال : عليك بالصبر في جميع أمورك فإن الله عز وجل بعث محمد صلى الله عليه وسلم فأمره بالصبر والرفق فقال : « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين أولى النعمة » وقال تبارك وتعالى : « ادفع بالتي هي أحسن السيدة فاذ الذي بينك وبينه عداوة كائنة ولهم حميم وما يلقيها إلا الذين صبروا وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم » .

فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نالوه بالعظام ورموه بها فضاق صدره فأنزل الله جل وعز « و لقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين » .

ثم كذبوا ورموه فحزن لذلك فأنزل الله عز وجل : « قد نعلم إنك ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقد كذبت رسول من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصراً » فاللزم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه الصبر فتعدوا ، فذكروا الله عز وجل وكذبوا فقال : قد صبرت في نفسك وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي فأنزل الله عز وجل : « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون » فصبر عليه حتى يتحقق في جميع أحواله .

ثم بشّر في عترته بالآئمة وصفوا بالصبر فقال جل ثناؤه « وجعلناهم آئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، فشكر الله عز وجل له فأنزل الله : « وتمت كلمة ربّك الحسنة علىبني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه و ما كانوا يعрушون » فقال النبي عليه السلام إنه بشرى وانتقام .

فَأَبَاحَ اللَّهُ عَزَّ وَجْلَ قِتالِ الْمُشْرِكِينَ فَأَنْزَلَ: «اَقْتُلُوا الْمُشْرِكَيْنَ حِيثُ وَجَدُوكُمْ هُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحصِرُوهُمْ وَاقْعُدُوهُمْ كُلَّ مِرْصَدٍ وَاقْتُلُوهُمْ حِيثُ ثَقَقْتُمُوهُمْ» فَقَتَلُوهُمُ اللَّهُ عَلَى يَدِ رَسُولِهِ ﷺ وَأَحْبَائِهِ وَجَعَلَ لَهُ ثَوَابَ صِيرَهٖ «وَعَجَّلَ اللَّهُ الثَّوَابَ لِمَنْ اَذْخَرَهُ فِي الْآخِرَةِ فَمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ لِمَ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَقْرَأَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَيْنَهُ فِي اُعْدَائِهِ مَعَ مَا يَدْخُلُهُ فِي الْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا صَابِرِينَ عَلَى بِلَائِكَ ، راضِينَ بِقَضَائِكَ ، شَاكِرِينَ عَلَى نِعَمَائِكَ ، مَقْمَسِكِينَ بِالْعَرْوَةِ الْوَنْقِيِّ وَالْحَبْلِ الْمُتَيْنِ مِنْ وِلَايَةِ أُولَائِكَ مُحَمَّدٌ وَعَتْرَتُهُ الطَّاهِرِينَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن ولی رب العالمین ووصی خاتم النبیین است متضمن مدایح حضرت رسالت ﷺ و مبین بعض وظایف امامت و مشتمل بر فضیلت تقوی و پرهیز کاری و مذمت بیوفائی دنیای فانی میفرماید :

پیغمبر خدا ﷺ امین و حی پروردگار است ، و ختم کنندۀ پیغمبران حضرت آفریدگار ، و مژده دهنده است بر حمت او ، و ترساننده است از عقوبت آن ، ای مردمان بدرستی قابل و لایق مردمان باین أمر خلافت قوی ترین ایشان است بر او و داناترین ایشان است با امر خدا در آن ، پس اکر کسی هیچ شر و فساد بشود طلب میشود رجوع او بسوی حق ، و اگر امتناع نماید باید مقاتله بشود .

قسم بزندگانی خودم اگر باشد امامت اینکه منعقد نباشد تا اینکه حاضر بشود عموم خلائق نیست بسوی او هیچ طریق ، ولیکن اهل امامت حکم میکنند بهر کس که غایب بشود در مجلس بیعت پس از آن نیست حاضر را اینکه رجوع نماید از بیعتی که نموده و نه غایب را اینکه صاحب اختیار باشد .

آگاه باشید که بدرستیکه من مقاتله میکنم با دو کس یکی آنکه ادعا نماید چیزی را که حق او نیست و دیگری آنکه منع نماید حقی را که بر ذمہ او است .

وصیت میکنم من شمارا ای بندگان خدابتقوی و پوهیز کاری خدا پس بدرستیکه آن تقوی بهترین چیزیست که وصیت کرده اند بندگان بآن ، و بهترین عواقب امور است نزد خدا ، و بتحقیق مفتوح شد باب جنگ در میان شما و در میان اهل قبله ، و حامل نمیشود این علم بوجوب قتال اهل قبله را مگر اهل بصیرت و صبر ، ومگر صاحب علم بمواضع حق پس امضا بکنید هر چیزی را که مأمور میشوید بآن و توقف نمایید نزد چیزیکه نهی کرده میشوید از آن ، و تعجیل نکنید در کاری تا اینکه درست بفهمید حقیقت آن را پس بدرستیکه ماراست باهر چیزی که شما انکار نمائید آن را تغییر و تبدیلی .

آگاه باشید بدرستیکه این دنیا که صباح کردید شمارا در حالتیکه آرزومیکنید آنرا و رغبت مینماید در آن ، و صباح کرد آن در حالتیکه شمارا گاهی بغضب میآورد و گاهی خوشنود مینماید ، نیست آن خانه شما و نه منزل شما که خلق شده اید از برای آن منزل ، و نه جائیکه خوانده شده اید بسوی آن .

آگاه باشید که آن دنیا باقی نخواهد ماند از برای شما ، و نه شما باقی خواهید ماند بر آن ، و آن اگرچه مغور ساخته است شمارا از طرف خود ، پس بتحقیق که ترساننده است شمارا از شر خود ، پس ترک نمایید فریفتن آنرا از برای ترساندن آن ، وطعم آوردن اورا از برای تخویف آن ، وسبقت نمایید در آن بسوی خانه که دعوت شده اید بسوی آن و رجوع نمایید با قبلهای خودتان از آن دنیا .

والبته باید ناله نکند هیچ یک از شمامث ناله کردن کنیز بآنچه که بر چیده شده است ازاو از دنیا ، و طلب نمایند تمایت نعمت خدارا بر خودتان باصبر کردن بر طاعت خدا و با محافظت کردن بر چیزی که خدا طلب کرده است از شما محافظت آنرا در کتاب عزیز خود .

آگاه باشید بدرستیکه ضرر نمیرساند بشما ضایع نمودن چیزی از دنیا خودتان بعداز اینکه شما حفظ نموده باشید ستون دین خودرا ، آگاه باشید که بدرستیکه منععت نمیبخشد بشما بعداز ضایع کردن دین خود چیزیکه محافظت

نمائید بآن از أمر دنیا خود.

فراگیرد خدای تبارک و تعالی قلبهاي ما و قلبهای شمارا بسوی حق و إلهام
فرماید بما و شما صبر و بردباری را .

و من خطبة له. فی معنی طلحة بن عبیدالله
و هی المأة والثالثة والسبعون من المختار فی باب الخطب

قَذْ كُنْتُ وَ مَا أَهْدَدْ بِالْعَرَبِ ، وَ لَا أَرَهَبْ بِالضَّرِبِ ، وَ أَنَا عَلَىٰ
مَا وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ ، وَ اللَّهُ مَا اسْتَغْبَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطلبِ بِدَمِ عُشْمَانَ
إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ ، لَا هُنَّ مَظْنُونُهُ ، وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ
أَخْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ يَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ الْأَفْرَمَ ، وَ يَقْعَدَ
الشَّكُّ ، وَ اللَّهُ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُشْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَئِنْ كَانَ إِنْ
عَفَانَ ظَالِمًا كَمَا كَانَ يَذْعُمُ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوازِرَ قَاتِلِهِ وَ أَنْ يُنَابِذَ
فَاسِرِيهِ ، وَ لَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا كَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنِمِينَ عَنْهُ
وَ الْمُعْذِرِينَ فِيهِ ، وَ لَئِنْ كَانَ فِي شَكٍ مِنَ الْخِصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ
أَنْ يَعْتَزِزَ لَهُ وَ يَرْكُدَ جَانِبًا وَ يَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ ،
وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بِأُبُوهُ وَ لَمْ تُسْلِمْ مَعَاذِرُهُ .

اللغة

(تجرّد) زيد لا مره جدّ فيه و (مظنة) الشيء بكسر الظاء الموضع الذي يظنّ فيه وجوده (وأجلب) فيه قال ابن الأثير في محكى النهاية في حديث على عليه السلام أراد أن يغالط بما أجلب فيه يقال أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتالبوا وأجلبه أى أعنده وأجلب عليه إذا صاحه واستحثته (ولبس) عليه الامر يلبسه من باب حسب خلطه وألبسه غطاء وأمر ملبس وملتبس بالأمر من مشتبه و (نهنه) عن الامر كفهه وزجهه و (عذرته) فيما صنع أى رفعت عنه اللوم فهو معذور أى غير ملوم وأعذرته لغة .

وقال الشازح البحرياني المعذرين بالتحجيف المعذرين عنه وبالتسديد المظهرين المعذر مع أنه لا عذر .

الاعراب

قوله عليه السلام : قد كنت قال الشارح المعتزل عليه السلام كان هنا تامة أى خلقت و وجدت وأنا بهذه الصفة و يجوز أن تكون الواو زيادة ويكون كان ناقصة وخبرها ما أهدد كما في المثل « لقد كنت و ما أخشي الذئب » وجملة و أنا على ما وعدني يحتمل الحال والاستيناف .

المعنى

قال الشارح البحرياني وهذا الفصل من كلام قاله عليه السلام حين بلغه خروج طلحه والزبير إلى البصرة وتهديدهم له عليهم السلام بالحرب .

أقول : وقد مضى في شرح الخطبة الثانية والعشرين ما ينفعك ذكره في هذا المقام إذ الخطيبتان مسوقتان لغرض واحد ، و متباقتان في بعض الفقرات ، فليراجع ثمة .

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ قوله عليه السلام (قد كنت و ما أهدد بالحرب و لا أرهق بالضرب) جواب عن تهديدهم له وترهيبهم إياه ، فقد بعنوا إليه عليهم السلام أن أبرز للطعان واصبر للجلاه فأجاب عليه السلام بأن التهديد والترهيب إنما هو في حق العجان

الضعيف العجاش لافي حق الشياعان ذوى النجدة والمراس وحاله عليها السلام في الشجاعة كان أمراً قد اشتهر ، وبيان وظاهر ، وتضمنته الأخبار والسير فاستوى في العلم به البعيد والقريب ، واتفق على الاقرار به البغيض والمحبيب . ومن كان هذا شأنه فلا يليق له التخويف والترعيب .

وأكَّدَ الجواب بقوله (وأنا على ما وعدني ربِّي من النَّصْر) يعني أنتَ على يقين بما وعدني ربِّي من النصرة والغلبة ، ومن كان قاطعاً بذلك فلا يحذر ولا يخاف البقية .

ثم أشار إلى نكتة خروج طلحة إلى البصرة بقوله (والله ما استعجل متجر دأ للطلب بعد عثمان) أى مجدًا فيه (إلا خوفاً من أن يطالب بدمه) يعني أنَّ علة خروجه واستعماله في طلب الدَّم و تجرّده لـه ليست ما شهده بين الناس من أن عثمان قتل مظلوماً و يجب الانتصار للمظلوم من الظالم حسبة ، وإنما علتُه هو الخوف على نفسه من أن يطالب من دمه (لأنَّه) كان (مظنته ولم يكن في القوم أحقر علىَّه) أى على دم عثمان (منه) لما قد عرفت في شرح الخطبة الثانية والعشرين و شرح الكلام الثلاثين أنه كان أول من ألبَّ الناس على عثمان وأغرى بدمه وأشدَّهم إجلاباً عليه .

وأقول : هنا مضافاً إلى ما سبق أنَّه قال الشارح المعتزلي قد كان طلحة أجهد نفسه في أمر عثمان والاجلاب عليه والحرسله والإغراء به ، ومنتها نفسه الخلافة ، بل تلبس بها وتسلَّم ببيوت الأموال وأخذ مفاتيحها وقابل الناس وأحدقوا به ولم يبق إلا أن يصدق بالخلافة على يده .

قال الشارح وروى المدايني في كتاب مقتل عثمان أنَّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام وأنَّ عليها السلام لم يبایع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام وأنَّ حكيم ابن حزام وجبيير بن مطعم استنجدوا بعلي عليها السلام على دفنه فأقاد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حايطاً بالمدينة تعرف بخش كوكب ، كانت اليهود يدفنون فيه موتاهم فلما صارهنا رجم سريره وهو مأبطره

فأرسل على عليهم السلام إلى الناس يعزّم عليهم لتكلّمُوا عنه ففكّوا، فانطلقوا به حتّى دفنه في حش كوكب.

قال وروى الواقدي قال لما قتلت عثمان تكلّموا في دفنه فقال طلحة: يدفن بدير

سلع يعني مقابر اليهود.

وبالجملة فهو كما قال عليه السلام لم يكن في القوم أحوس على قتل عثمان منه لكنه أراد أن يشبه علي الناس (فأراد أن يغالط) أي يوقع في الغلط (بما أجلب فيه) أي بسبب اعانته في دمه وحثّه على قتله (ليتبس الأمر) ويختلطه وفي نسخة البحراني ليتبس الأمر أي يشتبه (ويقع الشك) في دخوله في قتله ثم احتاج عليه السلام وأبطل عذرها في الخروج والطلب بدمه بقضية شرطية منفصلة محصلها أن عثمان عنده وعلى زعمه إما أن يكون ظالماً أو مظلوماً وإما أن يكون مجهول الحال ، وعلى كل من التقادير الثلاثة كان اللازم عليه القيام بما يقتضيه مع أنه لم يقم به كما يفصح عنه قوله عليه السلام مؤكداً بالقسم البار (والله ما صنع في أمر عثمان) خصلة (واحدة من) خصال (ثلاث) هي مقتضيات التقادير الثلاثة التي اشرنا إليها إجمالاً وأشار إلى تفصيلها بقوله (لئن كان ابن عفان ظالماً) ظلماً يجب حل دمه (كما كان يزعم) ذلك حين قتله (لقد كان ينبغي له) ويجب عليه (أن يوازن قاتليه) أي يساعدهم ويحمي عنهم بعد قتل عثمان (وأن ينابذ ناصريه) ويعاندهم ويترکهم بوجوب الانكار على فاعل المتذكر مع أنه قد عكس الأمر لا أنه نابذ قاتليه ووازن ناصريه : وثارمعهم في طلب دمه (ولئن كان مظلوماً) محروم القتل كما يقوله الآن ويشهّره بين الناس لقد (كان ينبغي له أن يكون من المنبهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويرکد) أي ليكن (جانباً) أي يشبعاً عنده ولا يأمر بقتله ولا ينهى عنه (ويدع الناس معه) يفعلون ما يشاًون مع أنه لم يفعل ذلك أيضاً بل أضرم نار الفتنة وصلى بها وأصلها غيره (فما فعل واحدة من الثلاث و جاء بأمر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره) أي أتى بأمر لم يعرف وجهه واعتذر في نكثه وخروجه بمعاذير لم تكن سالمة إذ قد عرفت في تضاعيف الشرح

أن عمدة معدرته في البغي والخروج هو المطالبة بدم عثمان وأنه قتل مظلوماً وقد أبطل العتقلا اعتذاره بذلك هنا بما عرفت.

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار است که توجیه خطاب در آن بسوی طلحه ابن عبید الله خذله الله است میفرماید:

بتحقیق که موجود بودم در حالتی که تهدید کرده نشده ام بجنگ و تخویف کرده نشده ام بزدن ، ومن ثابت هستم بر چیزی که وعده داده است مرا پرورد گار من از نصرت ویاری ، وبحق خدا تمجیل نکرد طلحه در حالتی که مجد و مص بود از برای مطالبه خون عثمان مگر از برای ترس از اینکه مطالبه کرده شود یخون او ، از جهت اینکه او مورد تهمت آن خون بود ، و نبود در میان قوم حریص تر بر قتل عثمان از طلحه ، پس خواست او که مردم را بغلط افکند بسبب اعانت و جمع آوری او در قتل آن تا اینکه پوشد و خلط نماید امر را بر مردمان ، و واقع شود شک .

وبحق خدا نمود طلحه در کار عثمان یکی از سه خصلت را اگر بود پسر عفان ظالم و ستم کار چنانچه طلحه کمان میبرد هر آینه بود سزاوار او را آنکه حمایت بکند قاتلین آن را ، یا دشمنی آشکارا نماید با ناصرین آن ، و اگر بود مظلوم و ستم رسیده هر آینه بود سزاوار از برای او آنکه باشد از بازدارندگان مردم از کشتن او و از عذر آورند کان در حق او ، و اگر بود درستک از این دو خصلت یعنی در ظالمیت و مظلومیت عثمان هر آینه بود سزاوار من اورا آنکه اعتزال و رزد و بایستد در کنار و بگذارد مردمان را با عثمان بحال خودشان ، پس نکرد هیچ یک از این سه کار را و آورده کاری را که شناخته نشد در آن و بسلامت نماند عذر خواهی های او .

و من خطبة له ﴿إِلَهٌ وَ هِيَ الْمَأْةُ وَ الْرَّابِعَةُ
وَ السَّبْعُونَ مِنَ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطُبِ

أَيُّهَا الْفَالِفُونَ عَيْرُ الْمَفْفُولِ عَنْهُمْ ، وَ التَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُونَ مِنْهُمْ ،
مَا لِي أَرِيكُمْ مِنَ اللَّهِ ذَاهِبِينَ ، وَ إِلَى عَيْرِهِ رَاغِبِينَ ، كَانُوكُمْ نَعْمَمْ أَرَاحَ بِهَا
سَائِمٌ إِلَى مَرْعِيٍّ وَ بِيٍّ ، وَ مَشْرَبٌ دَوَيٌّ ، إِنَّمَا هِيَ كَالْمَغْلُوفَةُ لِلْمُسْدِيِّ
لَا تَعْرُفُ مَاذَا يُرَاذُ بِهَا إِذَا أَخْسِنَ إِلَيْهَا ، تَحْسِبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا ، وَ شَبَّهَهَا
أَمْرَهَا ، وَ اللَّهُ لَوْنِشَتُ أَنْ أَخْبَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرِجِهِ وَ مُوْلَعِهِ
وَ جَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعْلَتُ ، وَ لَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي بَرْسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَلَا وَ إِنِّي مُفْضِيٌّ إِلَى الْخَاصَّةِ مِنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَ الَّذِي بَعْثَهُ بِالْحَقِّ
وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا ، وَ لَقَدْ عِدْتُ إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ كُلَّهُ
وَ بِمَهْلَكِكُمْ مِنْ يَمْلِكُ وَ مَنْجِسِي مَنْ يَنْجُو وَ مَا لِكُمْ هَذَا الْأَمْرُ ، وَ مَا أَبْقَى
شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أَذْنِي ، وَ أَفْضَى بِهِ إِلَيَّ ، أَيُّهَا النَّاسُ
وَ اللَّهُ مَا أَحْتَكُمْ عَلَى طَاعَةِ إِلَّا وَ أَسْبَبْتُكُمْ إِلَيْهَا ، وَ لَا أَنْهِكُمْ عَنْ
مَفْصِلَيْهِ إِلَّا وَ أَتَاهُنِي قَبْلَكُمْ عَنْهَا .

اللغة

(نعم) بالتحريك جمع لا واحد له من لفظه وأكثر اطلاقه على الابل

و (أراح) الابل ردّها إلى المراح وهو بالضم مأوى الماشية بالليل وبالفتح الموضع الذي يروح منه القوم أو يروحون إليه و (سamt) الماشية سوماً رعت بنفسها فهى سائمة و تتعدّى بالهمزة فيقال أسامها راعيها أى أرعها و (الوبى) بالتشديد ذوالوباء و المرض وأصله النمزة و (الدوى) ذوالداء والأصل في الدوى دوى بالتحقيق ولكنّه شدّ للازدواج قال الجوهرى : رجل دو بكسر الراء لوا و أى فاسد الجوف من داء و (المدى) بالضم جمع مدية وهي السكين و (الشبع) وزان عنب ضد الجوع

الاعراب

غير المغفول صفة للغافلون و صحة كون غير صفة للمعرفة مع توغله في النكارة وعدم قبوله للتعریف ولو أضيف إلى المعارف من حيث إنه لم يرد بالغافلين طائفة معيّنة فكان فيه شائبة الابهام وصح بذلك وصفه بالنكررة كما في قوله : « صراط المذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » على قول من يجعل غير وصفاً للذين لا بدلا منه ، والاستفهام في قوله : مالى أراكم ، للتعجب كما في قوله : مالى لأرى الهدى و سائم فاعل أراح كما يستفاد من شرح البحراني ، أو صفة المفاعل المجنوف كما يستفاد من شرح المعترضي والعلامة المجلسي « دره »

وقوله : تحسب يومها دهرها وسبعها أمرها ، الظاهر أنّ يومها ثانية معمول تحسب وكذلك سبعها والتقديم على الأول لقصد الخصر .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة الشريفية على فصلين :

الفصل الاول

في ايقاظ الغافلین وتنبيه الجاهلين من رقدة الغفلة والجهالة وهو قوله : (أيتها الغافلون غير المغفول عنهم) الظاهر أنّ الخطاب لكلّ من اتصف

بالغفلة من المكْلَفِينَ أى الَّذِينَ غَفَلُوا عَمَّا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنَ الْمَعْارِفِ الْحَقَّةِ وَالْتَّكَالِيفِ الشرعية وَلَمْ يَغْفِلْ عَنْهُمْ وَعَمَّا فَعَلُوا ، لِكُونِ أَعْمَالِهِمْ مَكْتُوبَةً مَحْفُوظَةً فِي الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ وَكُلَّ مَا فَعَلُوهُ فِي الزَّيْرِ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطْرِ (وَالتَّارِ كَوْنِ) لَمَا أَمْرَوْا بِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ (الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ) مَا اغْتَرَوْا بِهِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالزَّخَارِفِ وَالْقَيْنَاتِ (مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ) كُنْيَايَةً عَنِ اعْرَاضِهِمْ عَنِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَفَاتُهُمْ إِلَى غَيْرِهِ تَعَالَى (وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ) إِشارةً إِلَى رَغْبَتِهِمْ فِي زَهْرَةِ الْجَيَّاهِ الدُّنْيَا وَإِعْجَابِهِمْ بِهَا .

(كَأَنْتُمْ نَعْمَ أَرَاحَ بِهَا سَائِمَ إِلَى مَرْعَى وَبِيْ وَمَشْرُبَ دَوِيْ) شَبَّهُمْ بِأَنْعَامٍ ذَهَبَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعَى وَمَشْرُبٍ وَصَفَّهُمَا مَا ذَكَرَ وَالْمَرَادُ بِالسَّائِمِ حَيْوانٌ يَسُومُ وَيَرْعَى وَهُوَ الْمُسْتَفَادُ مِنَ الشَّارِحِ الْمُعْتَزِلِيِّ حِيثُ قَالَ : شَبَّهُمْ بِالنَّعْمِ الَّتِي تَتَبَعَّنُ نَعْمًا أَخْرَى سَائِمَةً أَى رَاعِيَةً ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا إِذَا تَبَعَّتْ أَمْثَالُهَا كَانَ أَبْلَغُ فِي ضَرَبِ الْمَثَلِ بِجَهْلِهِا مِنَ الْأَبْلَلِ الَّتِي يَسْعَيْهَا رَاعِيَهَا ، انتَهَى .

وَفَسَّرَهُ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِيُّ بِالرَّاعِيِّ أَى الَّذِي يَرَاعِي النَّعْمَ وَيَحْفَظُهَا وَيَوَاظِبُ عَلَيْهَا مِنَ الرَّعَايَا وَهُوَ الرَّعَاةُ وَالْمَلَاحِظَةُ قَالَ : شَبَّهُمْ بِالنَّعْمِ الَّتِي أَرَاحَ بِهَا رَاعِيَهَا إِلَى مَرْعَى كَثِيرِ الْوَبَاءِ وَالدَّاءِ ، وَوَجَهَ الشَّبَهُ أَنَّهُمْ لَغَفَلَتِهِمْ كَالنَّعْمَ وَنَفْوسُهُمُ الْأَمَّارَةُ الْقَائِدَةُ لَهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي كَالرَّاعِيِّ الْقَائِدُ إِلَى مَرْعَى الْوَبَىِّ وَلَذَاتِ الدُّنْيَا وَمَشْتَهِيَّاتِهِا وَكَوْنُ تِلْكَ الْلَّذَاتِ وَالْمَشْتَهِيَّاتِ مَحْلَ الْآَثَامِ الَّتِي هِيَ مَظْنَنَةُ الْهَلَاكَ الْأُخْرَوِيِّ وَالْدَّاءِ الدَّوِيِّ تَشَبَّهُ الْمَرْعَى الْوَبَىِّ وَالْمَشْرُبُ الدَّوِيِّ اَنْتَهَى .

أَقْوَلُ : وَهَذَا أَقْرَبُ لِفَظًا وَمَا قَالَهُ الشَّارِحُ الْمُعْتَزِلِيُّ أَقْرَبُ مَعْنَى ، وَذَلِكَ لِأَنَّ لِفَظِ السَّائِمِ عَلَى قَوْلِ الْمُعْتَزِلِيِّ بِمَعْنَى الرَّاعِيِّ مِنَ الرَّعَايَةِ وَهَذَا لِأَغْبَارِ عَلَيْهِ مِنْ حِيثِ الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ يَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى حَذْفِ الْمَوْصُوفِ أَى حَيْوانِ سَائِمٍ وَنَحْوِهِ وَهُوَ خَلَفُ الْأَصْلِ ، وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ الْبَحْرَانِيِّ فَلَا حَاجَةٌ إِلَى الْحَذْفِ إِلَّا أَنَّ كَوْنَ السَّائِمِ بِمَعْنَى الرَّاعِيِّ مِنَ الرَّعَايَا مَمَّا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ ، وَكَيْفَ كَانَ فَالْمَقْصُودُ تَشَبِّهُمْ بِأَنْعَامٍ اشْتَغَلُتْ بِالْمَاءِ وَالْكَلَاهِ وَغَفَلَتْ عَمَّا فِي بَاطِنِهِمَا مِنَ السَّمَّ النَّاقِعِ وَدَوِيِّ الدَّاءِ .

(إنماهى كالمعروفة للمدى) والسكاكين (لانعرف ماذا يراد بها إذا أحسن إليها) أى تزعم وتظن أن العلف إحسان إليها على الحقيقة ولا تعرف أن الغرض من ذلك هو الذبح والهلاك (تحسب يومها دهرها) يعني أنها لكتيرة إعجابها لعلفها في يومها تظن أن دهرها مقصورة على ذلك اليوم ليس لها وراءه يوم آخر، وقيل معناه أنها تظن أن ذلك العلف والاطعام كم هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلا لها أبداً.

(وشعها أمرها) أى تظن انحصر أمرها و شأنها في الشبع مع أن غرض صاحبها من إطعامها وإشاعها أمر آخر .

الفصل الثاني

في الاشارة إلى بعض مناقبه الجميلة و مقاماته الجليلة وهو قوله :

(والله لو شئت أن أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأنِهِ لَفَعَلْتُ)
إِلَيْهِ لَأَشَاءَ لَا خَبَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِأَسْهَمِهِ مِنْ أَيْنِ خَرَجَ وَأَيْنِ دَخَلَ وَكِيفِيَّةِ خَرَجَهُ
وَوَلَوْجَهُ وَأَخْبَرَ بِجَمِيعِ شَأنِهِ وَشَغْلِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرِبِهِ وَمَا أَكَلَهُ وَمَا
ادْخَرَهُ فِي بَيْتِهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا أَضْمَرَوهُ فِي قَلْوَبِهِمْ وَأَسْرَوهُ فِي ضَمَائرِهِمْ كَمَا قالَ الْمَسِيحُ
لِلْمُؤْمِنِينَ : « أَبْيَّبُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَتَدْخُلُونَ فِي بَيْوَتِكُمْ » .

(ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله ﷺ) قال الشارح المعتزلي :
أى أخاف عليكم الغلو في أمري و أن تفضلوني على رسول الله ﷺ ، بل أخاف
عليكم أن تدعوا في الإلهية كما ادعتم النصارى ذلك في المسيح لما أخبرهم بأمر
الغاية ومع أنه قد كتم ماعلمه حذرا من أن يكفروا فيه برسول الله ﷺ فقد كفر
كثير منهم وادعوا فيه النبوة وادعوا فيه أنه شريك الرسول في الرسالة وادعوا
فيه أنه هو كان الرسول ولكن الملك غلط فيه وادعوا أنه الذي بعث نعماً عليه إلى
الناس وادعوا فيه الحلو وادعوا فيه الاتجاه ولم يتمكنوا نوعاً من أنواع الضلال
فيه إلا وفاؤوه واعتقدوه .

أقول : و يحتمل أن يكون مراده يُبَيِّنُ بكفرهم فيه كفرهم بأسناد التصوير إلى النبي تَعَالَى في إظهار جلالته تَعَالَى و علو شأنه و سمو مقامه ، و من ذلك أن النبي تَعَالَى لما أوضح عن بعض فضائله كَلِيلًا نسبه المنافقون إلى الضلال و إلى أنه ينطق عن الهوى حتى كذبوا الله تعالى فقال : « و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » .

روى في الصّافى من المجالس عن ابن عباس قال : صلّينا العشاء الآخرة ذات ليلة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَغْفِرَةَ وَاطَّافَ بِنَبَّوَةِ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوْجَهِهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ سَيَنْقَضُ كَوْكَبَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ طَلُوعِ الْفَجْرِ فَيَسْقُطُ فِي دَارِ أَحَدِكُمْ فَمَنْ سَقَطَ ذَلِكَ الْكَوْكَبَ فِي دَارِهِ فَهُوَ وَصِيٌّ وَخَلِيفَتِي وَالْأَمَامُ بَعْدِي ، فَلَمَّا كَانَ قَرْبَ الْفَجْرِ جَلَسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْ أَهْلِ دَارِهِ يَنْتَظِرُ سَقْطَ الْكَوْكَبِ فِي دَارِهِ وَكَانَ أَطْمَعُ الْقَوْمَ فِي ذَلِكَ أَبْنَى الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ انْقَضَ الْكَوْكَبُ مِنَ الْهَوْى فَسَقَطَ فِي دَارِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ تَعَالَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَغْفِرَةَ لِعَلَى تَعَالَى : يَا عَلَىٰ وَالَّذِي بَعَثْنَا بِالنَّبُوَّةِ لَقَدْ وَجَبَتْ لَكَ الْوَصِيَّةُ وَالْأَمَامَةُ وَالْخَلَافَةُ بَعْدِي ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي وَاصْحَابِهِ لَقَدْ ضَلَّ مَجْدُ فِي مَحْبَبَةِ أَبْنِ عَمَّهُ وَغُوَيْ وَمَا يَنْطَقُ فِي شَانِهِ إِلَّا بِالْهَوْى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى : « وَالنَّجْمُ إِذَا هُوَ يَقُولُ عَزٌّ وَجَلٌّ وَخَالِقُ النَّجْمِ إِذَا هُوَ مَاضٌ صَاحِبُكُمْ » يَعْنِي فِي مَحْبَبَةِ عَلَىٰ بْنِ أَبِي طَالِبٍ تَعَالَى « وَمَا غُوَيْ وَمَا يَنْطَقُ عنِ الْهَوْى » . يَعْنِي فِي شَانِهِ « إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يَوحِي » .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا فِي الْكَافِي عَنْ أَبِي بَصِيرِ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَغْفِرَةَ جَالَسَ إِذَا أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَعَالَى فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَغْفِرَةَ : إِنَّ فِيكَ شَبَهًا مِنْ عِيسَى بْنَ مَرِيمٍ تَعَالَى لَوْلَا أَنْ يَقُولَ فِيكَ طَوَافِيْفَ مِنْ أُمْسِتِيْيَ ما قَالَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى بْنَ مَرِيمٍ إِلَيْكَ لَقْلَتْ فِيكَ قَوْلًا لَاتَّمَرْ بِمَلَائِكَةِ النَّاسِ إِلَّا أَخْذَنَوْهُ التَّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدْمَكَ ، قَالَ : فَغَضِبَ الْأَعْرَابِيَّانَ وَالْمَغْيِرَةُ بْنُ شَعْبَةَ وَعَدَّةً مِنْ قَرِيشٍ مَعْهُمْ فَقَالُوا : مَارْضَى أَنْ يَضْرُبَ لَابْنِ عَمَّهِ مَثَلًا إِلَّا عِيسَى بْنَ مَرِيمٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ « وَلَمَّا ضَرَبَ بْنَ مَرِيمٍ مَثَلًا إِذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصْدُونَ وَقَالُوا عَآلهُتَنَا خَيْرًا مَهُومًا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا حَدَّ لَأَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

خسرون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم » يعني من بني هاشم « ملائكة في الأرض يختلفون » قال : فغضب الحارث بن عمرو الفهرى فقال : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » إن بني هاشم يتوارون هرقلًا بعد هرقل^(١) « فأمطر علينا حجارة من السماء أو اتنا بعذاب أليم » فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية « وما كان الله ليعد بهم و أنت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون » ثم قال ^{عليه السلام} له يابن عمرو إمّا تبت وإمّا رحلت ، فدعى براحتته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة فرضت ^{عليه السلام} هامته فقال رسول الله ^{صلوات الله عليه وسلم} لمن حوله من المنافقين : انطلقوا إلى أصحابكم فقد أثنانا استفتح ، قال الله عزّ وجلّ « واستفتحوا و خاب كلّ جبار عنيد » هذا .

ولما ذكر أنّ إخباره ببعض المغيبات مؤدّ إلى الكفر والضلال لقصور الاستعداد و القابلية لا كثر النقوص البشرية عن تحمل الأسرار الغيبية استدرك ذلك بقوله (إلا واني مفضيه) أي مفض بـه وموصل له ومؤدّ إياه (إلى الخاصة) أي إلى خواص أصحابي (ممن يؤمن ذلك) أي الغلوّ و الكفر (منه) بما له من الاستعداد (والذى بعثه) أي رسول الله ^{صلوات الله عليه وسلم} (بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق إلصادقاً ولقد عهد إلى) رسول الله ^{صلوات الله عليه وسلم} (بذلك كلّه) أي بجميع ما أخبر به (وبمهلك من يهلك ومن ينجي من ينجو) أي بهلاك الظالمين ونجاة الناجين أو بمكان هلاكهم و مكان نجاتهم أوزمانهما .

والمراد بهلاك إما الهلاك الذي يرى أي الموت أو القتل أو الهلاك الأخرى التي تُعني الفساد والشقاء وكذلك النجاة (و) بـ(سال هذا الأمر) أي أمر الخليفة أو الدين وملك الإسلام وما له انتهاء بظهور القائم وما يكون في آخر الزمان (وما أبقى) أي الرّسول ^{صلوات الله عليه وسلم} (شيئاً يمرّ على رأسي) من اغتصاب الخليفة وخروج النّاكرين والقاسطين والممارقين وقتلهم و من الشهادة بضربة ابن ملجم المرادي لعنة الله وغير ذلك مما جرى عليه بهذه (إلا أفرغه) أي صبه (في أذني وأفضى

(١) أي ملكاً بعد ملك والهرقل ملك الروم (منه)

به) أى أوصله وألقاه (إلى) وأعلمني به وأسره إلى :

ثم قال : (أيها الناس والله ما أحشكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها ولا أنهاكم عن معصية إلا وتأنثاهي قبلكم عنها) لأنَّ الأمر بالمعروف بعد الاتيان به والنَّهْي عن المنكر بعد التَّنَاهِي عنه أقوى تأثيراً وأكثر ثمراً كما مر في شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة والرَّابعة ، وقد لعن الآمررين بالمعروف التاركين له والنَّاهِين عن المنكر العاملين به في الخطبة المأة والتاسعة والعشرين .

تبيصرة

ما تضمنه ذيل هذه الخطبة من علمه عليه السلام بالغيب قد مر في تحقيق الكلام فيه في شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة و الشَّامنة و العشرين و أوردنا ثمة بعض أخباره الغيبة و قدمنا فصلاً مشبعاً من أخباره عن الغيوب في شرح الكلام السادس والخمسين و شرح الخطبة الثانية والتسعين ، وأحببت أن أورد طرفاً صالحًا منها هنا مما يناسب المقام نقلًا من كتاب مدينة المعاجز تأليف السيد السند الشارح المحدث السيد هاشم البحرياني قدس سره فأقول :

منها ما رواه عن ابن شهر آشوب بسنده عن إسماعيل بن أبي زياد قال : إنَّ علياً عليه السلام قال للبراء بن عازب : يا براء يقتل ابني الحسين عليه السلام وأنت حي لا تنصره ، فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يقول : صدق والله أمير المؤمنين عليه السلام وجعل يتلهف ومنها ما رواه عن ابن شهر آشوب عن سفيان بن عيينة عن طاووس اليماني أنسه قال على عليه السلام لحجر البدرى : يا حجر إذا وفعت على منبر صنعاء وأمرت بسبى و البراءة منى قال : فقلت : أعوذ بالله من ذلك ، قال عليه السلام والله إنَّه لكتائب ، فإذا كان كذلك فسبى و لا تسبى منى فإنه من تبرع منى في الدنيا تبرع أنت منه في الآخرة .

قال طاووس فأخذه الحجاج على أن يسب علياً عليه السلام فصعد المنبر وقال : أيها الناس إنَّ أميركم هذا أمرني أن أعن علياً عليه السلام فالعنوه لعنة الله :

ومنها ما رواه عن ابن شهر آشوب عن عبد الله بن أبي رافع قال : حضرت أمير المؤمنين عليه السلام وقد وجه أبا موسى الأشعري فقال له أحكم بكتاب الله ولا تجاوزه ، فلما أذبه قال عليه السلام وكأنت به وقد خدع ، قلت : يا أمير المؤمنين فلم توجهه وأنت تعلم أنه مخدوع ؟ فقال عليه السلام : يا بني لو عمل الله في خلقه بعلمه ما احتاج عليهم بالرُّسل .

ومنها ما رواه عن ابن شهر آشوب أنه عليه السلام أخبر بقتل جماعة منهم حجر بن عدي ورشيد الهرجى وكميل بن زياد وميمون التمار ومحمل بن أكثم وخالد بن مسعود وحبيب بن المظاهر وحويته وعمرو بن الحمق ومزرع وغيرهم ، ووصف قاتلهم وكيفية قتلهم . عبد العزيز بن صهيب عن أبي العالية قال : حدثني مزرع بن عبد الله قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول أما والله ليقبلن عليه السلام جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم فقلت : هذا علم غيب ، قال : والله ليكونن عليه السلام ما أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام ولیأخذن عليه السلام رجل فليقتلن عليه السلام ولیصلبن عليه السلام بين شرفتين من شرف هذا المسجد ، فقلت : هذا ثان ، قال حدثني الثقة المأمون على بن أبي طالب عليه السلام قال أبو العالية فما أنت علينا جمعة حتى أخذ مزرع وصلب بين الشرفتين .

ومنها ما رواه عن البرسي عن محمد بن سنان و ساق الحديث قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول لعمر (١) : يا عمر يا مغورو إني أراك في الدنيا قتيلا بجراحة من عبد أم عمر تحكم عليه جوراً فيقتلك توقيعاً يدخل بذلك الجنة على رغم منك .

ومنها ما رواه عن ثاقي المناقب عن إبراهيم بن محمد الأشعري عن من رواه قال إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يبعث بمال إلى البصرة فعلم ذلك رجل من أصحابه فقال لو أتيته فسألته أن يبعث معى بهذا المال فإذا دفعه إلى أخذت طريق المكرجة فذهب به ، فأتاه عليه السلام وقال : بلغنى أنك تريد أن تبعث بمال إلى البصرة ، قال : نعم قال : فادفعه إلى فابلغه تجعل لي ماتجعل لمن تبعته فقد عرفت صحبتي قال : فقال

له أمير المؤمنين عليه السلام : خذ طريق المكرجة .

ومنها ما رواه عن الخصيبي في هدايته بأسناده عن فضيل بن الزبير قال : مرّ ميشم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاير عند مجلسبني أسد فتحدث ثأحتى التقى أعناق فرسيهما ، ثم قال حبيب : لئنْ برجل أصلع ضخم البطن يبيع البيطخ عند الرزق وقد صلب في حب أهل بيته نبيه عليه السلام وبقر بطنه على الخشبة ، فقال ميشم : وإنني لا عرف رجلا أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه بالكوفة وأحياناً الذي جاء به ثم افترقا ، فقال أهل المجلس : ما رأينا أعجب من أصحاب أبي تراب يقولون إن علياً عليه السلام أعلمهم بالغيب ، فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الله جري ليطلبهم فسأل أهل المجلس عنهم فقالوا قد افترقا وسمعا هما يقولان كذا وكذا ، قال رشيد لهم : رحم الله ميشماً وحبيباً قد نسي الله يزاد في عطاء الذي يجيء برأسه مائة درهم ، ثم ولـي ، فقال أهل المجلس : هذا والله أكذبهم ، فما مررت الأيام حتى رأى أصحاب المجلس ميشماً مصلوباً على باب عمرو بن حرث ، وجيء برأس حبيب بن مظاير من كربلا وقد قتل مع الحسين بن علي عليهما السلام إلى عبيد الله بن زياد لعنة الله ، وزياد في عطاء الذي حمل رأس حبيب مائة درهم كما ذكر ورؤى كلما قاله أصحاب أمير المؤمنين عليهما أخبرهم به أمير المؤمنين عليه السلام .

ومنها ما رواه عن الخصيبي مسندأ عن أبي حمزة الشimalي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : أرسل رسول الله عليه السلام سرية فقال : تصلون ساعة كذا وكذا من الليل أرضًا لا تهتدون فيها سيراً فإذا وصلتم إليها فخذلوا ذات الشمال فأنكم تمرتون برج فاضل خير فتسترشدونه فيأتيك أن يرشدكم حتى تأكلوا من طعامه ويدبح لكم كبشاً فيطعمكم ثم يقوم معكم فيرشدكم على الطريق فاقرءوه مني السلام وأعلمهوه أنتي قد ظهرت في المدينة .

فمضوا فلما وصلوا إلى الموضع في الوقت ضلوا ، فقال فائل منهم : ألم يقل لكم رسول الله عليه السلام خذلوا ذات الشمال ، ففعلوا فمرّوا بالرجل الذي وصفه رسول الله عليه السلام فاسترشدوه الطريق فقال : إنني لا أرشدكم حتى تأكلوا من طعامي فذبح لهم كبشًا فأكلوا من طعامه وقام معهم فأرشدهم الطريق فقال : أظهر النبي صلوات الله عليه وآله

بالمدينه ؟ فقالوا : نعم ، فأبلغوه سلامه فخلف في شأنه من خلف ومضى إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، وهو عمرو بن الحمق الخزاعي ابن الكاهن بن حبيب بن عمرو وبن القين بن دراج بن عمرو وبن سعد بن كعب ، فلبيث معه عليه السلام ما شاء الله .

ثم قال له رسول الله صلوات الله عليه وسلم أرجع إلى الموضع الذي هاجرت إلى منه فإذا نزل أخرى أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة وجعلها دار هجرته فاته .

فانصرف عمرو بن الحمق إلى شأنه حتى إذا نزل أمير المؤمنين عليه السلام أتاه فأقام معه في الكوفة .

فيينا أمير المؤمنين عليه السلام جالس و عمرو بين يديه فقال له يا عمرو ألم دار ؟ قال : نعم ، قال : بعها وجعلها في الأزد فاني غداً لو قد غبت عنكم لطلبت فتقبيلك الأزد حتى تخرج من الكوفة متوجهاً نحو الموصل .

فتمرّ برجل نصراني فتقعد عنده فتستسقيه الماء فيسقيكه ويسألك عن شأنك فتخبره وستصادفه مقعداً فادعه إلى الاسلام فانه يسلم فإذا أسلم فامرر يدك على ركبتيه فانه ينهض صحيحاً سليماً ، ويبعثك .

وتمرّ برجل محجوب جالس على الجادة فتستسقيه الماء فيسقيك ويسألك عن قصتك وما الذي أخافك ومهن تتوقع فحدّثه بأنّ معاوية طلبك ليقتلوك ويمثل بك لا يمأذك بالله ورسوله صلوات الله عليه وسلم وطاعتكم لي وإخلاصكم في ولائي ونمحكم الله تعالى في دينكم فادعه إلى الاسلام فانه يسلم ، فامرر يدك على عينيه فانه يرجع بصيراً باذن الله فيتبّعك ويكونان معك وهما اللذان يواريان جثتك في الأرض .

ثم تصير إلى الدير على نهر يدعى بالدجلة فانّ فيه صديقاً عنده من علم المسيح عليه السلام ما تجده لك أعون الأعون على سرك وماذاك إلا ليمهديه الله لك فإذا أحسست بك شرطة ابن أمّ الحكم وهو خليفة معاوية بالجزيرة و يكون مسكنه بالموصل فاقصد إلى الصديق الذي في الدير في أعلى الموصل فناده فانه يمتنع عليك فاذكر اسم الله الذي علّمتك إياه فان الدّير يتواضع لك حتى تصير في ذروته فاذار آنك ذلك الرابح الصديق قال لتلميذ معه ليس هذا أوان المسيح هذا شخص كريم و محمد قد

توفاه الله ووصيّه قد استشهد بالكوفة وهذا من حواريه ثم ياتيك ذليلاً خاسعاً فيقول لك أيسها الشخص العظيم قد أهلتنى لعالم استحقّة فبم تأمرني ؟ فتقول استر تلميذى هذين عندك وتشرف على ديرك هذا فانظر ماذا ترى ، فإذا قال لك إنى أرى خيلاً غامرة نحونا .

فخلف تلميذك عنده وانزل واركب فرسك واقتصر نحو غار على شاطئه الدجلة تستتر فيه فانه لا بدّ من أن يستدرك و فيه فسقة من الجنّ والانس ، فإذا استترت فيه عرفاً فاسق من مردة الجنّ يظهر لك بصورة تبيّن فينهشك نهشاً يبالغ في اضعافك فينفر فرسك فتمبرد بك الخيل فيقولون هذا فرس عمرو ويقفون اثراً . فإذا أحست بهم دون الغار فابرز إليهم بين دجلة والجادة فقف لهم في تلك البقعة فان الله جعلها حفترك وحرملك فاللهم بسيفك فاقتل منهم ما استطعت حتى يأتيك أمر الله فإذا غلبوك حزّاً وأركساً وشهروه على قنة إلى معاوية وراسك أوّل رأس يشهر في الاسلام من بلد إلى بلد .

ثم بكى أمير المؤمنين عليهما السلام وقال: بنفسي ريحانة رسول الله عليهما السلام وثمرة فؤاده وقرة عينه ابني الحسين فاني رأيته يسير وذراريه بعدك يا عمرو من كربلا بغربي الفرات إلى يزيد بن معاوية عليهمما لعنة الله .

ثم ينزل صاحبك المحبوب والمقدّس فيواريان جسده في موضع مصرعك وهو من الدير والموصل على مائة وخمسين خطوة من الدير .

إلى غير هذه مما لا نظير بروايتها ، وقد وضع واتضح لك مما أوردناه من الاخبار تصديق ما ذكره عليهما السلام في هذه الخطبة من علمه بالغيب وأنه يعلم أعمال الناس وأفعالهم ويطلع على ما أعلنته وما أسرّه ، ويعرف ملك من يملكه ومن ينجو ، ويخبر من ذلك ما يتحمل على من يتتحمل من خواصه وبطانته سلام الله عليه وآلـه وشيعته .

در نصیحت مخاطبین واظهار بعض مناقب خود میفرماید
 ای غافلانی که غفلت کرده نشده از رفتار و کردار ایشان ، وای ترک کنند گان
 تکالیف خود کهأخذ خواهد شد از ایشان آنچه بایشان داده اند از متاع دنیا ،
 چیست مرا که همین شما از خداوند تبارک و تعالیٰ کنار روند گانید و بسوی غیر
 او رغبت کنند گان ، گویا که شما چهار پایانید که بوده باشد شبانگاه
 آنها را بسوی چراگاه و با آرنده و شرابگاه بیمار کننده جز این نیست
 که آن چهار پایان مثل حیوانی میباشند که علف داده شده از برای کاردها
 یعنی از برای که هنر نمیباشند چه چیز اراده میشود بآنها چون احسان میشود
 بآنها ، گمان میکنند که روزگار ایشان همین روز ایشان است و بس ، و میپندرند
 که کار ایشان منحصر بسیر بودن آنها است ، قسم بخدا اگر بخواهم که خبردهم
 هر مردی را از شما بمكان خروج و محل دخول آن وبهمه شغل و شأن آن هراینه
 ممکن است بمن اینکار ، ولکن هیترسم که کافر شوید در حق من برسول مختار علیه السلام
 آگاه باشید بدرستیکه من رسانده ام این اخبار غیبی را بخواص اصحاب خود از آن
 اشخاص بکه اینمی شده باشد این کفر از ایشان .

و قسم بذاتی که مبعوث فرموده پیغمبر را براستی و بر گزیده اورا به جمیع
 خلق سخن نمیگوییم مگر در حالت راستی و صدق و تحقیق که عهد فرموده حضرت
 رسالت علیه السلام بسوی من بهمه این اخبار و بهلاکت کسی که هلاک میشود و بینجات
 یا قتل الله کسیکه نجات خواهد یافت ، و به عاقبت این امر خلافت و باقی نگذاشت
 چیزی را که خواهد گذشت بر سر من از حوادث روزگار مگر اینکه ریخت آنرا
 در گوشهای من و رسانید آن را بمن ، ای مردمان بحق خدا تحریص نمی کنم شمارا
 بو طاعته مگر اینکه سبقت می نمایم بشما بسوی آن طاعت ، و نهی نمیکنم شما را
 از معصیتی مگر اینکه خود داری میکنم پیش از شما از آن معصیت .

و من خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ و هي المأة و الخامسة و السبعون من المختار في باب الخطب

قال الشارح البحرياني : روى أن هذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بوييع بعد قتل عثمان ، وشرحها في فصلين :

الفصل الأول

اَنْتَفِعُوا بِدِيَانِ اللَّهِ ، وَ اَتَعْظُمُوا بِمَا عَظَّمَ اللَّهُ ، وَ اَقْبِلُوا نَصِيحةَ اللَّهِ
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيلِ ، وَ اَتَخَذَ عَلَيْكُمْ بِالْحَجَّةِ ، وَ يَبْيَنَ
لَكُمْ مَحَاجَّةً مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارَهُهُ مِنْهَا لِتَتَبَيَّنُوا هَذِهِ وَ تَبَيَّنُوا هَذِهِ ،
فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَسَاكِيرِ وَ إِنَّ
النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْبَهِ ، وَمَا مِنْ
مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ ، فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا تَرَعَّ عَنْ شَهْوَتِهِ
وَ قَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءًا مَنْزِعًا ، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ
تَنْزَعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَ لَا يُنْسِي إِلَّا وَ نَفْسُهُ ظُنُونٌ
عِنْدَهُ ، فَلَا يَزَالُ زَارِيَاً غَائِبًا وَ مُسْتَزِيدًا لَهَا ، فَكُوْنُوا كَالسَّاِقِينَ قَبْلَكُمْ ،

وَالْمُاضِينَ أَمَاكِنُكُمْ، قَوْصُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيْضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَّرُهَا طَيِّبَةً
الْمَنَازِلِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشُ، وَالْمَادِي
الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدَّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَ سَهْلًا هَذَا الْقُرْآنَ
أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصانٍ، ذِيَادَةٌ فِي هُدَىٰ، وَنُقْصانٍ
مِنْ عَيْنٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ
قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ خِنْيَةٍ، فَإِنْ شَفَوْهُ مِنْ أَدْوائِكُمْ، وَاسْتَعْيِنُوا بِهِ عَلَىٰ
لَا وَانِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيْرُ
وَالضَّلَالُ، فَاسْتَلُوْا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْتَلُوْا بِهِ خَلْقَهُ،
إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ بِمِثْلِهِ إِلَى اللَّهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ، وَقَاتِلٌ مُصَدِّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ شُفْعٌ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ صُدُقٌ عَلَيْهِ،
فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادِيَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ: أَلَا وَإِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلٍ فِي حَرَثِهِ وَعَاقِبَةٍ
عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثِهِ الْقُرْآنِ فَكَوْنُوا مِنْ حَرَثِهِ وَأَقْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُوهُ عَلَىٰ
رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَآتِهِمُوا عَلَيْهِ آرَائِكُمْ، وَاسْتَغْشُوا
فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

العمل العمل ، ثم النهاية النهاية ، و الاستقامة الاستقامة ، ثم الصبر الصبر ، والورع الورع ، إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، وإن لكم علمًا فانهتدوا بهم ، وإن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايتها ، وأخرجوها إلى الله مما افترض عليكم من حقه ، وبين لكم من وظائفه ، أنا شاهد لكم ، وحجج يوم القيمة عنكم ، إلا وإن القدر السابق قد وقع ، والقضاء الماضي قد تورّد ، وإنني متوكلاً على الله وحبيبه ، قال الله تعالى : إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأنشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، وقد قلت : ربنا الله ، فاستقيموا على كتابه ، وعلى منهجه أمره ، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ، ثم لا تفرقوا منها ، ولا تبتعدوا فيها ، ولا تخالفوا عنها ، فإن أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيمة .

اللغة

(نزع) عن المعاصي نزوعاً انتهى عنها و نزع عن الشيء نزوعاً كف و قلع عنه والمنزع يحتمل المصدر والمكان ونزع إلى أهله نزاعة ونزع اشتاق إليه ، ونزع عنني نفسي إلى كذا اشتاقت إليه قال في مجمع البحرين : في الحديث النفس الأمارة بعد شيء نزعاً ، أي رجوعاً عن المعصية اذ هي مجبولة على محبة الباطل ، وأما تفسير الشارح المعتزلي نزعاً بمذهبها فلا يخفى بعده .

و (الظفون) وزان صبور إماً مبالغة من الضفة بالكسر بمعنى التهمة يقال : ظفت فلاناً أى اتهمته فلا يحتاج حينئذ إلى الخبر أو بمعنى الضعف وقليل الحيلة وجعل الشارح المعزز لمذهب الطفون بمعنى البئر لا يدرى فيها ما ، أم لا غير مناسب للمقام وإن كان أحد معانيه .

و (قاض) البناء وقوضه أى هدمه أو التقويض نقض من غير هدم أو هو نقض الأعواد والأطناب و (غشة) يغشه كمد يمد غشاً خلاف نصبه و (اللاؤاء) وزان صحراء الشدة و ضيق المعيسة وفي مجمع البحرين في الحديث و هن (محل به) القرآن يوم القيمة صدق أى سعى به يقال محل بفلان اذا قال عليه قوله يوقعه في مكرره و (توره) الخيل البلد دخله قليلاً قليلاً .

الاعراب

جملة قوْضوا استيفاف بياني لا محل لها من الاعراب ، و أَوْ في قوله بزيادة ونقصان بمعنى الواو كما في قوله : لنقصي تقهاها أو عليهمها فجورها . و يؤيده قوله زيادة في هدى ، و نقصان بالواو ، أو أن الترديد لمنع الخلو الفاء في قوله : فاستشفوه فصيحة ، وفي قوله : فان فيه شفاء للتعليل و قوله : العمل العمل وما يتلوه من المنصوبات المكررة انتسابها جمياً على الاغراء أو عامل النصب محنوف أى أزلموا العمل فحذف العامل وناب أَوْ اللفظين المكرررين منابه .

المعنى

اعلم أن مدار هذا الفصل من الخطبة الشريفة على الموعظة والنصيحة وترغيب المخاطبين في الطاعات وتحذيرهم عن السينيات والتنبيه على جملة من فضائل كتاب الكرييم و خصائص الذكر الحكيم ، وصدر الفعل بالآمر بالانتفاع بأفضل البيانات والاتّباع بأحسن الموعظ والقبول لا كمل النصائح فقال :

(انتفعوا ببيان الله) أى بما بيّنه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ فانه لقول فصل وما هو بالهزل ، وفيه تذكرة و ذكري لأولى الألباب و هدى و بشري بحسن المآب فمن فنعته أتم المنافع ، وفأيدته أعظم الفوائد .

(واتّعظوا بمواعظ الله) لتفوزوا جنة النعيم والفوز العظيم ، وتنجوا من نار الجحيم والعذاب الْأَلِيم (واقبلوا نصيحة الله) فانهـا مُؤْدِيـة إلى درجات الجنـات منـجـية من درـكـاتـ الـهـلـكـاتـ ، وـالـاتـيـانـ بـلـفـظـ الـجـلـالـةـ وـالـتـصـرـيـعـ باـسـمـهـ سـبـحـانـهـ فـيـ جـمـيعـ الـجـمـلـاتـ معـ اـقـضـاءـ ظـاهـرـ المـقـامـ لـلـاتـيـانـ بـالـضـمـيرـ لـاـيـهـامـ الـاسـتـلـذـادـ وـلـاـ دـخـالـ الـرـوـوعـ فـيـ ضـمـيرـ الـمـخـاطـبـينـ وـتـرـبـيـةـ الـمـهـابـةـ وـتـقوـيـةـ دـاعـيـ الـمـأـمـورـينـ لـاـمـتـالـ الـمـأـمـورـ بـهـ ، وـقـولـ الشـارـحـ الـبـحـرـانـيـ بـأـنـ ذـلـكـ أـىـ تـعـدـيـةـ الـاسـمـ صـرـيـحـاـ لـلـتـعـظـيمـ فـلـيـسـ بـشـيءـ .

وـلـماـ أـمـرـ بـالـاتـعـاطـ وـالـاتـتصـاحـ عـلـلـهـ (فـانـ اللهـ قـدـ أـعـذـرـ إـلـيـكـمـ بـالـجـلـيـةـ) يـعـنـي أـنـهـ سـبـحـانـهـ قـدـ أـبـدـيـ العـذـرـ إـلـيـكـمـ فـيـ عـقـابـ الـعـاصـينـ مـنـكـمـ بـالـاعـذـارـ الـجـلـيـةـ وـالـبـرـاهـينـ الـواـضـحـةـ مـنـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ لـأـنـهـ لـاـ يـكـلـفـ نـفـسـاـ إـلـاـ مـاـ اـتـيـهـاـ لـيـهـلـكـ مـنـ هـلـكـ عنـ بـيـسـنةـ وـيـحـيـيـ مـنـ حـيـ عنـ بـيـسـنةـ .

(وـاتـخـذـ عـلـيـكـمـ الـحـجـةـ) بـارـسـالـ الرـسـولـ وـإـنـزالـ الـكـتـابـ يـعـنـي أـنـهـ أـتـمـ الـحـجـةـ عـلـىـ الـمـكـلـفـينـ بـمـاـ اـتـاهـمـ وـعـرـ فـهـمـ حـتـىـ لـاـ يـكـونـ لـهـمـ عـذـرـ فـيـ تـرـكـ التـكـالـيفـ وـلـاـ يـكـونـ لـلـنـاسـ عـلـيـهـ حـجـةـ بـعـدـ الرـسـلـ قـالـ عـزـ مـنـ قـائـلـ : وـمـاـ كـتـامـعـذـبـينـ حـتـىـ نـبـعـثـ رـسـوـلاـ (وـبـيـنـ لـكـمـ مـحـابـهـ مـنـ الـأـعـمـالـ وـمـكـارـهـ مـنـهـ) أـىـ بـيـنـ فـيـ كـتـابـ الـعـزـيزـ الـفـرـايـضـ وـالـوـاجـبـاتـ مـنـ الـحـجـ وـالـجـهـادـ وـالـصـومـ وـالـصـلـاـةـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـأـعـمـالـ الصـالـحـاتـ الـمـطـلـوـبـةـ لـهـ وـالـمـحـبـوـبـةـ عـنـدـهـ ، وـالـمـحـظـورـاتـ مـنـ الـكـذـبـ وـالـغـيـبـةـ وـالـنـمـيـةـ وـالـسـعـاـيـةـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـأـفـعـالـ الـقـبـيـحـةـ الـمـبـغـوـضـةـ لـهـ الـمـكـروـهـهـ لـدـيـهـ .

وـأـنـمـاـ بـيـسـنـهـاـ (لـتـتـبـعـواـ هـذـهـ) أـىـ مـحـابـ الـأـعـمـالـ (وـتـجـتـبـواـهـذـهـ) أـىـ مـكـارـهـهاـ (فـانـ رـسـولـ اللهـ ﷺ) تـعـلـيلـ لـوـجـوبـ اـتـبـاعـ الـمـحـابـ وـوـجـوبـ اـجـتـنـابـ الـمـكـارـهـ (كانـ يـقـولـ : إـنـ الـجـنـةـ حـفـتـ بـالـمـكـارـهـ وـإـنـ النـارـ حـفـتـ بـالـشـهـوـاتـ) يـعـنـي أـنـ الـجـنـةـ مـحـفـوـفـةـ بـالـصـبـرـ عـلـىـ مشـاقـ الطـاعـاتـ وـالـكـفـتـ عـنـ لـذـائـذـ السـيـئـاتـ وـكـلـاهـمـ مـكـروـهـ لـلـنـفـسـ ،

فمن صبر على ذلك المكرره يكون مصيره إلى الجنة و كذلك النار محفوظة بطلاق عنان النفس و ارتكاب ما تشهيدها و تتمناها من الشهوات و المحرمات ، فمن أقدم عليها وأتى بها يكون عاقبته إلى النار و كفى بالجنة ثوابا و نوال في تسهيل تحمل تلك المكاره ، و كفى بالنار عقاباً و وبالا في التنفيذ عن هذه الشهوات .

ثم بعد تسهيل المكاره التي يشتمل عليها الطاعات يكون غايتها أشرف الغaiات وتحقيق الشهوات التي يريد التنفيذ عنها يكون غايتها أحسن الغaiات نبه على أنه لا تأتي طاعته إلا في كره و لا معصيته إلا في شهوة ، و هو قوله (و اعلموا أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كرم و ما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة) لأن النفس للقوّة الشهويّة أطوع من القوّة العاقلة خصوصاً فيما هو أقرب إليهم من الذّات المحسوسة التي يتحققها العقاب عليها .

(فرحم الله رجلا نزع أو كفت (عن شهوته و قمع) أى قلع (هوى نفسه) فان هذه النفس) الأمارة بالسوء (أبعد شيء منزعاً) أى كفأ و انتهأ عن شهوة ومعصية (و أنها لا تزال تزع) أى تشتق و تميل (إلى معصية في هوى) نبه على وصف المؤمنين وكيفية معاملتهم مع نفوسهم جذباً للسامعين إلى التأسي بهم و تحريرهم على اقتداء آثارهم وهو قوله :

(واعلموا عباد الله أن المؤمن لا يصبح ولا يمسى إلا ونفسه ظنون) أى متهمة (عنه) أى أنها ضعيفة قليلة الحيلة لانقدر على أن تتحدى و تعالج في أن تغره وتورده موارد الهلاكة بل هو غالب عليها في كل حال (فلا يزال زاريا) أى عايبها (عليها) في كل حين (ومستزيداً لها) أى مرافقاً لأحوالها طالما المزيادة لها من الأعمال الصالحة في جميع الأوقات .

(فكونوا كالسابقين قبلكم) إلى الجنة (والماضين أمامكم) من المؤمنين الزاهدين في الدنيا و الراغبين في الآخرة (قوضوا من الدنيا تقويض الرّاحل) يعني أنهم قطعوا علائق الدنيا وارتخلوا إلى الآخرة كمأن الرّاحل إذا أراد الارتحال يقوض متاعه و ينقض خيمته ويهدم بناءه (و طووها طى المنازل) أى طروا أيام

الدّنيا ومدة عمرهم كما يطوي المسافر منازل طريقه.

و محصل الجملتين أنَّ السَّابقين الْأُولَئِينَ مِنَ الْمُقْرَّبِينَ وَ أَصْحَابِ اليمين
لما عرَفُوا بعین بصائرهم أنَّ الدُّنْيَا لِيَسْتَ لَهُمْ بَدَارٌ وَ أَنَّ الْآخِرَةَ هَارِفَةٌ لِاجْرَمِ كَانَتْ
هُمْ مَقْصُورَةً فِي الْوَصْوَلِ إِلَيْهَا ، فَجَعَلُوهَا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمُنْزَلَةِ الْمَسَافِرِ ، وَجَعَلُوهَا
عِنْدَهُمْ بِمُنْزَلَةِ الْمَنَازِلِ فَاخْذُوا مِنْهُمْ مَا يَبْلُغُهُمْ إِلَى مَقْرَبَهُمْ فَلَمَّا ارْتَحَلُوا عَنْهَا لَمْ
يَبْقَ لَهُمْ عَلَاقَةٌ فِيهَا كَمَا أَنَّ الْمَسَافِرَ إِذَا ارْتَحَلَ مِنْ مُنْزَلٍ لَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ فِيهِ فَأَمْرُ الْمَخَاطِبِينَ
بِأَنْ يَكُونُوا مِثْلَ هُؤُلَاءِ فِي الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْعَلَايَقِ وَالْأَمْنِيَّاتِ وَالرَّغْبَةِ فِي
الْعَقْبَى وَالْجَنَّاتِ الْمَعَالِيَّاتِ وَهِيَ أَحْسَنُ مُنْزَلًا وَمُقِيلًا .

ثم شرع في ذكر فضل القرآن وبيان ممادحه ترغيباً في الاهتمام به والاقتباس

من ضياء أنواره فقال عليه السلام

(واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح) المشيق (الذّي لا يغشّ) في إرشاده إلى
وجوه المصالح كما أنّ الناصح الصديق شأنه ذلك (والهادى الذّي لا يضلّ) من
أهتمدى به .

روى في الكافي عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : إنَّ هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدُّجى ، فليجعل جال بصره ويفتح للضياء نظره ، فإنَّ التفكُّر حياة قلب البصير كما يهمشى المستنير في الظُّلمات بالنور .

(والحاديّة الّذى لا يكذب) في قصصه وأحاديثه وأخباره. قال أبو عبد الله عليه السلام فيما روى في الكافي عن سماعة بن مهران عنه عليهما السلام أن العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البار فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السماء والأرض ولو أتاك من يخبركم بذلك تعجبتم .

(وما جالس هذا القرآن أحد) استعار لفظ المجالسة لمحاجنته وملازمته وقرائته والتدبر في ألفاظه ومعانيه (إلا قام عنه) استعار لفظ القيام لترك قرائته والفراغ عنها ولا يخفى ما في مقابلة الجلوس بالقيام من اللطف والحسن فان "المقابلة بين الفعلين في معنويهما الحقيقيين والمجازين كليةما على حد قوله تعالى : أؤمن كان ميتنا فأحيي ناه

أى ضالاً فهديناه، فانَّ الموت والآخرة متقابلان كمقابلة الضلال والهدى
و ما ذكرناه أظهر وأولى مما قاله الشارح البحرياني من أنه كفى بمحالسة
القرآن عن محالسة حملته وقراءه لاستماعه منهم وتدبره عنهم، لا حتياجه إلى
الحذف والتلقيب الذي لا حاجة إليه.

وَكَيْفَ كَانَ فَالْمَرَادُ أَنَّ مِنْ قَامَ شَنَ الْقُرْآنَ بَعْدَ قَضَاءٍ وَطَرْهُ مِنْهُ فَإِنَّمَا يَقُولُ
 (بِزِيادةٍ أَوْ نَقْصَانٍ زِيادةً فِي هُدَىٰ وَنَقْصَانٍ مِنْ عُمَىٰ) اذ فِيهِ مِنَ الآيَاتِ الْبَيِّنَاتُ وَالْبَرَاهِينُ
 الْبَاهِرَاتُ مَا يَزِيدُ فِي بَصِيرَةِ الْمُسْتَبْصِرِ، وَيَنْقُضُ مِنْ جَهَالَةِ الْجَاهِلِ.

(واعلموا أنه ليس لأحد بعد القرآن من) فقر و (فقة ولا حد قبل القرآن من غنى) و ثروة الظاهر أن المراد به أن من قرأ القرآن وعرف ما فيه و تدبّر في معانيه و عمل بأحكامه يتم له الحكمة النظرية والعملية ولا يبقى له بعده إلى شيء حاجة ولا فقر ولا فقة ومن لم يكن كذلك فهو أحوج المحتاجين .

روى في الكافي عن معاوية بن عمارة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام من قرء القرآن فهوعني ولا فرق بعده وإلا ما به غنى.

(فاستشفوه من أدوائكم) أى من أمراضكم الظاهرة والباطنة والبر وحانة والجسمانية ، فان فيه شفاء من كل ذلك قال سبحانه : ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة .

و روی فی الکافی عن السّکونی عن أبي عبده اللہ عن آبائہ علیہما السلام قال : شکری
رجل إلی النبی ﷺ و جمما فی صدره فقال : استشفع بالقرآن فان الله عزوجل
يقول: وشفاء لما في الصدور .

(واستعينوا به من لآؤائكم) أى من شدائيد الدّهر ومحن الزمان وطوارق

البلايا والحدثان .

روى في الكافي عن أحمد المنقري قال : سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول من استكفي بآية من القرآن من المشرق إلى المغرب كفى إذا كان يعيقين . وفيه عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : والذى بعث محمد صلوات الله عليه بالحق وأكرم أهل بيته مامن شيء طلبونه من حرز من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابة من صاحبها أو ضالة أو آبق إلا وهو في القرآن فمن أراد ذلك فليمسأله عنه الحديث .

وأنت إذا لاحظت الروايات الواردة في خواص السّور والآيات تجد أنها كنز لا يفنى وبحر لا ينفذ ، وأن فيها ما به نجاة من كل هم ونجاة من كل غم ووعودة من كل لهم وسلامة من كل ألم وخلاص من كل شدة ومناص من كل داهية ومصيبة وفرج من ضيق المعيشة وخرج إلى سعة العيشة إلى غير هذه مما هو خارج عن حد الاحماء ومتجاوز عن طور الاستقامه ، فلا شيء أفضل منه للاستشفاء من الآلام والأدواء وللإستعانة من الشدائد والألواء .

(و إن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغنى والضلال) قال أبو عبد الله عليه السلام في الحديث المروي في الكافي مرفوعا لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر ولا إلىبني أمية أبداً ولا في ولد طلحه والزبير أبداً وذلك إنهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنّن وعطّلوا الأحكام .

وقال رسول الله صلوات الله عليه القرآن هدى من الصلاة وبيان من العمى و استقالة من العترة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهممكه ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدّنيا إلى الآخرة ، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار .

(فاسأّلوا الله به و توجّهوا إليه بحبيبه) يحتمل أن يكون المراد به جعله وسيلة إليه سبحانه في نيل المسائل لكونه أقوى الوسائل ، وأن يتوجه إليه بحبه أي بحبت المسائل المتوجّحة له أو بكونه محبوبًا لله تعالى في انجاح المسؤولات وقضاء

ال حاجات ، وان يكون المراد به اعداد النفوس وإكمالها بما اشتمل عليه الكتاب العزيز من الكمالات النفسانية ثم يطلب الحاجات ويستنزل الخيرات بعد حصول الكمال لها ، وعلى هذا فالمقصود من التوجّه إلـيـه بـحـبـه تـأـكـيدـ الـاسـتـكـمالـ اـذـ مـنـ أـحـبـهـ اـسـتـكـمـلـ بـمـاـ فـيـهـ فـحـسـنـ تـوـجـهـ إـلـيـهـ تـعـالـيـ وـالـأـظـهـرـ هـوـ الـاحـتـمـالـ الـأـوـلـ بـقـرـيـنـةـ قـوـلـهـ (ـ وـ لـاـ تـسـأـلـوـ بـهـ خـلـقـهـ)ـ لـظـهـورـهـ فـيـ أـنـ الـمـرـادـ بـهـ هـوـ الـنـهـىـ عـنـ جـعـلـهـ وـسـيـلـةـ لـمـسـائـةـ إـلـىـ الـمـلـقـ .

قال أبو عبد الله عليه السلام في رواية الكافي عن يعقوب الأحرم عنه عليه السلام : إن من الناس من يقرء القرآن ليقال فلان قارئه ، ومنهم من يقرء القرآن ليطلب به الدّين ولا خير في ذلك ، ومنهم من يقرء القرآن لينتفع به في صلاته وليله ونهاره . وفيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قراء القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة واستدرّبه الملوك واستطاع به على الناس ، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيق حدوده وأقامه إقامة القدح فلا كثرة الله هؤلاء من حملة القرآن . ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأُسْهِرَ به ليله وأظممَ به نهاره وقام به في مساجده وتجاهفي به عن فراشه فبا ولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء ، وبأ ولئك يديل الله عز وجل من الأعداء ، وبأ ولئك ينزل الله تبارك وتعالى الغيث من السماء فوالله لهؤلاء في قراءة القرآن أعز من الكبريت الأحرم .

و علّ الامر بسؤال الله به بأنه (ما توجه العباد إلى الله بمثله) لأن له كرامة عند الله سبحانه و مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون حسبما تعرفه في الأخبار الآتية فهو أفضـلـ الوـسـائـلـ لـالـمـسـائـلـ فـيـ اـنـجـاحـ الـمـقـاصـدـ وـالـمـسـائـلـ الـدـنـيـوـيـةـ وـالـأـخـرـوـيـةـ ،ـ فـالـمـتـوـجـهـ بـهـ إـلـيـهـ سـبـحـانـهـ لـاـ يـرـدـ دـعـاؤـهـ وـلـاـ يـنـحـيـبـ رـجـاؤـهـ .

(واعلموا أنّه شافع مشقّ وسائل مصدق) يعني أنه يشفع لقراءه والعاملين به الحاملين له يوم القيمة فيقبل شفاعته في حقهم ، ويقول ويشهد في حق هؤلاء بخير وفي حق التاركين له والنابذين به وراء ظهورهم بشر فيصدق فيما كما أشار إليه بقوله :

(ج) ١٠٩٩) فِي تَجْسُّمِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُورَةِ إِنْسَانٍ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ

(وَأَنَّهُ مِنْ شَفْعِهِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفْعٌ فِيهِ) أَى قَبْلَتْ شَفَاعَتَهُ (وَمِنْ مَحْلِهِ الْقُرْآنِ) أَى سَعَى بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ فِي حَقْسِهِ فَوْلَا يَضْرِهِ وَيَوْقَعُهُ فِي الْمَكْرُوهِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدِقٌ عَلَيْهِ).

قال الشارح البحرياني استعمار^{الكتاب} لفظ الشافع والمشفع وجها الاستعارة كون تدبّره والعمل بما فيه ماحياً لما يعرض للنفس من الهيئات الرديئة من المعاishi، وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه وكذلك لفظ القائل المصدق وجها الاستعارة كونه ذا الفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالسائل الصادق، ثم أعاد معنى كونه شافعاً مشفعاً يوم القيامة ثم استعمال لفظ المثل للقرآن ووجه الاستعارة أن لسان حال القرآن شاهد في علم الله وحضره ربوبيته على من أعرض عنه وعدم اتباعه ومخالفته لما اشتمل عليه فبالواجد أن يصدق فأشبه الساعي إلى السلطان في حق غيره بما يضرهانتهى.

أقول : والأنصاف أن حمل الكلام على المجاز مع التمسك من إرادة الحقيقة لامعنى له كماقلناه في شرح الفصل السادس من الخطبة الثانية والثمانين ، والحمل على الحقيقة هنا ممكن بل متعين لدلالة غير واحد من الرّوايات على أنه يأتي يوم القيمة بصورت إنسان في أحسن صورة ويشفع في حق قرائمه العاملين به ، ويُسْعَى في حق المعرضين عنه ، وعلى هذا فلا وجه لحمل لفظ الشفاعة والقول والمحل على معناها المجازي ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما يدل على ذلك فأقول :

روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن علي بن محمد عن علي بن العباس عن الحسين بن عبد الرحمن عن صفوان الحريري عن أبيه عن سعد الخفاف عن أبي جعفر^{الكتاب} قال : ياسعد تعلموا القرآن فان القرآن يأتي يوم القيمة في أحسن صورة نظر إليها الخلق و الناس صفوف عשרون ومائة ألف صفت ثمانون ألف صفت من أمة محمد^{الكتاب} وأربعون ألف صفت من سائر الأمم فإذاً على صفت المسلمين في صورة رجل فيسلم فينظرون إليه ثم يقولون لا إله إلا الله العظيم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين نعرف به بمنته و صفتة غير أنه كان أشد اجتهاداً مثنا في القرآن فمن هناك أعطي من

البهاء والجمال والنور مالم نعطيه .

ثم يجوز حتى يأتي على صفة الشهداء فينظر إليه الشهداء تم يقولون : لا إله إلا الله رب الرحيم إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنه من شهداء البحر فمن هناك أعطي من البهاء والفضل ما لم نعطيه .

قال فيجاوز حتى يأتي صفة شهداء البحر فينظر إليه شهداء البحر فيكتسر تعجبهم ويقولون : إن هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غير أن الجزيرة التي أصيّب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أصيّبنا فيها فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطيه .

ثم يجاوز حتى يأتي صفات النبيين والمرسلين في صورة النبي مرسل فينظر النبيّون والمرسلون إليه فيشتّد ذلك تعجبهم ويقولون : لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا النبي «لنبي خ» مرسل نعرفه بصفته وسمته غير أنه أعطي فضلاً كثيراً قال : فيجتمعون فإذاً ورجل الله تعالى فيسألونه ويقولون : يا مَدْ من هذا ؟ فيقول لهم : أوما تعرفونه ؟ فيقولون ما نعرفه هذا من لم يغضب الله عز وجل عليه ، فيقول رسول الله ﷺ : هذا حجّة الله على خلقه فيسلم .

ثم يجاوز حتى يأتي على صفات الملائكة في صورة ملك مقرب فينظر إليه الملائكة فيشتّد تعجبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون : تعالى ربنا وقدس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عز وجل مقاماً فمن هناك أليس من النور والجمال مالم نلبس .

ثم يجاوز حتى ينتهي إلى رب العزة تبارك وتعالى فيخر تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى يا حجّتي في الأرض وكلامي الصادق والناطق ارفع رأسك سل تعط واسفع تشفع ، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى : كيف رأيت عبادي ؟ فيقول : يا رب منهم من صانعي وحافظ على ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيعني واستخف بحقي وکذب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك ، فيقول الله تبارك وتعالى : وعزّتني وجلالي وارتفاع مكانني لأنّي أُثبّت عليك اليوم أحسن الثواب ، ولا عاقبتني عليك اليوم

أليم العقاب .

قال: فيرفع القرآن رأسه في صورة أخرى قال: فقلت له ﷺ يا أبا جعفر في أي صورة يرجع؟ قال: في صورة رجل شاحب متغير يبصره «ينكره» أهل الجمع فيما تأتي الرجال من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله.

قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأول فيقول: ما تعرفني؟ فيقول نعم، فيقول القرآن: أنا الذي أسررت ليك وأنصبت عينك وسمعت في الأذى ورجمت بالقول في ألا وإن كل تاجر قد استوفي تجارته وأنا ورائك اليوم، قال فينطلق به إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقول: يا رب عبدك وأنت أعلم به قد كان نصبا بي مواطبا على يعادي بسببي ويحب فيبغض، فيقول الله عز وجل ادخلوا عبدي جنتي واسوه حلة من حلل الجنة، وتوجه بناتي: فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما فعل بوليك فيقول: يا رب أستقل هذا له فزده مزيد الخير كله، فيقول عز وجل: وعزتي وجلالي وعلوتي وارتفاع مكاني لأنزلن له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته: لأنهم شباب لا يهرمون، وأصحاب لا يسقرون، وأغنياء لا يفتقرون، وفرون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون، ثم تلى ﷺ هذه الآية: لا يذوقون فيه الموت إلا الموتة الأولى .

قال قلت يا أبا جعفر وهل يتكلّم القرآن؟ فتبسم ﷺ ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم، ثم قال: نعم يا أبا سعد والصلوة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال سعد: فتغيّر لذلك لوني وقلت: هدا شبيه ولا تستطيع التكلّم به في الناس، فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الناس إلا شيعتنا فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقنا .

ثم قال: يسعد اسماعيل كلام القرآن؟ قال سعد: قلت: بل فقال ﷺ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر، فالنبي كلام والفحشاء والمنكر

رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر .

وفيه بسمده عن يونس بن عمّار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام إن الدّواوين يوم القيمة ثلاثة : ديوان فيه النعم ، وديوان فيه الحسنات ، وديوان فيه السيئات ، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات ، فيستغرق النعم عامة الحسنات ، ويبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحسنات « للحساب خ » فيتقدّم القرآن أمّامه في أحسن صورة فيقول : يارب أنا القرآن وهذا عبدي المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجد ، فارضه كما أرضاني قال : فيقول العزيز الجبار : عبدي ابسط يمينك ، فيملوها من رضوان الله العزيز الجبار ، ويملو شمالي من رحمة الله ، ثم يقال : هذه الجنّة مباحة لك فاقرء واصعد فإذا قرء آية صعد درجة .

وفيه مسندأ عن إسحاق بن غالب قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا جمع الله عزّ وجلّ الآؤلين والآخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم يرقط أحسن صورة منه ، فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا هذا منّا هذا أحسن شيء رأينا ، فإذا انتهى إليهم جازهم ثم ينظر إليه الشهداه حتى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيقولون هذا القرآن فيجوزهم كلّهم حتى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون هذا القرآن فيجوزهم حتى ينتهي إلى الملائكة فيقولون هذا القرآن فيجوزهم ثم ينتهي حتى يقف عن يمين العرش ، فيقول الجبار وعزّتي وجلاي وارتفاع مكاني لا كرم من اليوم من أكرمك ولا هيمن من أهانك .

وفيه عن الفضيل بن يسار بمسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله عليه السلام : تعلّموا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له : أنا القرآن الذي كنت أسررت ليك وأظمأت هو اجرك وأجفدت ريقك وأسلت دمعتك أول معك حيث ما كنت ، وكل تاجر من وراء تجارته وأنا اليوم لك من وراء تجارة كل تاجر ، وسيأتيك كرامة من الله عزّ وجلّ فابشر .
فيؤتي بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره

ويكسى حلتين ثم يقال له : أقره و ارق ، كلما قرء آية صعد درجة و يكسى أبواء حلتين إن كانوا مؤمنين ثم يقال لهم : هذا لما علّمتكم القرآن .

إلى غيره مما لا نطيل برؤايتها فقد ظهر منهم أَنْه يجيء يوم القيمة في صورة إنسان وله لسان يشهد للناس وعليهم ويقبل شهادته نفعاً وضرّ أو شفاعته في حقّ المراقبين له ويتقن به الآخذون له والعاملون به .

(فإنه ينادي مناد يوم القيمة) الظاهر أنّ المنادي من الملائكة من عند رب العزة، وقول الشارحين انه لسان حال الأعمال تأويل لا داعي إليه (ألا) و (إنّ كل حارت) أصل الحرف إثارة الأرض للزراعة والمراد هنا مطلق الكسب و التجارة (مبتدى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن) .

قال الشارح البحرياني : الحرف كلّ عمل تطلب به غاية و تستخرج منه ثمرة والابتلاء هبنا ما يلحق النفس على الأفعال وعواقبها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعة الله . وظاهر أنّ حرث القرآن والبحث عن مقاصده لغاية الاستكمال به برأي من لواحق العقوبات انتهى .

أقول : وفيه أنّ كلّ عمل كان فيه الخروج عن طاعة الله فعامله معذب ومبتدى سواء كان ذلك العمل مما لا يتعلّق بالقرآن أو كان متعلّقاً به كفرأئته والبحث عن مقاصده و الحفظ له ونحو ذلك وإذا كان على وجه الرباء أو تحصيل حطام الدنيا و كلّ عمل اريد به وجه الله وكان الغاية منه الاستكمال فعامله مأجور ومثاب من دون فرق فيه أيضاً بين القرآن وغيره ، وبعبارة أخرى كلّ حارت سواء كان حارت القرآن أو غيره إن لم يقصد بحرثه الخلوص فمبتدى ، وإلا فلا ، فتعميل عدم ابتلاء حرثة القرآن بأنّ حرثهم للاستكمال به وابتلاء الآخرين بأنّ في حرثهم خروجاً من الطاعة شطط من الكلام كما لا يخفى .

والذى عندي أن يراد بقوله بِكَلِّ حَارَثٍ مَمْتَحَنٍ : كلّ حارت من كان حرثه للدّنيا فهو مبتدى أي ممتحن في حرثه لأنّه إن كان من حلال ففيه حساب وإنّ كان من حرام ففيه عقاب و أما حارت القرآن لأجل أنه قرآن و كلام الله عزّ وجلّ فلا ابتلاء له لأنّ حرثه

على ذلك إنما هو للآخرة قال الله تعالى : « من كان يريد حرب الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرب الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » فتأمل .

ولمانبه عليه عدم ابتلاء حرثة القرآن أمر بحرثه بقوله (فكونوا من حرثته وأتباعه) وأردفه بقوله (واستدلوا على ربكم) أى اجعلوه دليلا عليه سبحانه وقاددا إليه تعالى لاشتماله على جميع صفات الجمال والجلال وأوصاف الكبriاء والعظمة والكمال (واستنصحوه على أنفسكم) أى اتّخذوه ناصحا لكم رادعا لا نفسكم إلا مثارة عن السوء و الفحشاء والمنكر لتضمنه الآيات الناهية المحذرة والوعيدات الزاجرة المنذرة (و اتهموا عليه آرائكم) أى إذا أدت آرائكم إلى شيء مخالف للقرآن فاجعلوها متّهمة عندكم (واستغشوافيء أهوائكم) .

قال الشارح البحرياني : وإنما قال هنا استغشوا وفي الآراء اتهموا ، لأنّ الهاوا هوميل النفس الأمّارة من غير مراجعة العقل فإذا حكمت النفس عن متابعتها بحكم فهو غش صراح ، وأمّا الرأى فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد يكون بدونه ، فجاز أن يكون حفاً وجاز أن يكون باطلا فكان بالتهمة أولى .

ثم تخلص من أوصاف القرآن وفضائله إلى الأمر بـ ملزمه للأعمال فقال (العمل العمل) أى لازموا العمل الصالح ورافعوا عليه (ثم النهاية النهاية) أى بعد القيام بالـ أعمال الصالحة لا حظوا نهايتها وخاتمتها وجدوا في الوصول إليها (و الاستقامة الاستقامة) وهو أمر بالاستقامة على الجادة الوسطى من العمل والثبات على الصراط المستقيم المؤدي إلى غاية الغايات وأشرف النهايات أعني روضات الجنات (ثم الصبر الصبر والورع الورع) أى بعد مواطبة الأـ أعمال الصالحة و ملاحظة نهاياتها و الثبات على ما يوصل إليها من الأـ أعمال لابد من الصبر عن المعاصي والكف عن الشهوات والورع عن محارم الله .

ومما ذكرناه ظهر لك نكتة العطف في ثانى المكررات الخمسة ورابعها بـ ثم وفي ثالثها وخامسها بالـ الواو ، توضيح ذلك أن النهاية لما كانت متراخية عن العمل عطفها بـ ثم ، والاستقامة لما كانت كيفية العمل عطفها بالـ الواو ، وهذه الثلاثة أعني العمل والنهاية

و الاستقامة كلها ناظرة إلى طرف العبادة ، ولما كان الصبر متعلقاً بالمعصية عطفه بشم لغاية الافتراق بين العبادات والمعاصي ، ولما كان بين الصبر والورع تلازمًا عطف الورع بالواو أيضًا .

وهذا أولى مما قاله الشارح البحري حيث قال : وإنما عطف النهاية والصبر بشم لتأخير نهاية العمل عنه و كون الصبر أمراً عدمياً و هو في معنى المترافق والمنافق عن العمل الذي هو أمر وجودي ، بخلاف الاستقامة على العمل فانه كيفية له والورع فانه جزء منه، انتهى هذا .

وفصل ما أجمل لقوله و (إن لكم نهاية) وهي غرفات الجنان ورضوان من الله المنان (فانتهوا إلى نهايتكم) وامضوا إليها (وإن لكم علمًا) هاديا إلى تملك النهاية وهو الرسول الأمين وأولياء الدين أو الأعلم منهم ومن ساير دلائل الشرع البين (فاهتدوا بعلمكم) للوصول إليها (وإن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايتها) وهي النهاية المذكورة (و اخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه) أي أخرجوا متوجهيـن إلـيـه سـبـحانـه مـمـا فـرـضـه عـلـيـكـم من حقوقـة الـواـجـبـة وـأـوـضـحـه لـكـم من عـبـادـاتـه وـتـكـالـيفـه المـوـظـفـةـ المـقـرـرـةـ فيـ ساعـاتـ الـلـيـالـيـ وـالـأـيـامـ .

وقوله (أنا شاهد لكم وحجج يوم القيمة عنكم) تأكيد لأداء الفرائض والواجبات يعني انكم إذا خرجتم إلى الله من حقوقـة وـظـاـيفـه فأـنـا أـشـهـدـ لـكـمـ يومـ الـقـيـامـةـ بـخـرـوجـكـمـ مـنـهـاـ وـمـقـيمـ لـلـحـجـةـ عـنـ جـانـبـكـمـ بـأـنـكـمـ أـفـقـمـ بـهـاـ ،ـ وـقـدـ هـضـىـ تـفـصـيلـ تـلـكـ الشـهـادـةـ وـالـاحـتجـاجـ فـيـ شـرـحـ الخـطـبـةـ الـحادـيـةـ وـالـسـبـعينـ .

(ألا إنـ الـقـدـرـ السـابـقـ قدـ وـقـعـ وـالـقـضـاءـ المـاضـيـ قدـ تـورـدـ) قد عـرـفـتـ معـنـىـ القـضـاءـ وـالـقـدـرـ مـفـصـلاـ فـيـ شـرـحـ الفـصـلـ التـاسـعـ مـنـ الخـطـبـةـ الـأـولـىـ ،ـ وـالـظـاهـرـ أـنـ المرـادـ بـهـاـ المـقـضـيـ وـالـمـقـدـرـ كـمـاـ اـسـتـظـهـرـ نـاهـذـ الـمـعـنـىـ مـنـهـمـ فـيـمـاـ تـقـدـمـ أـيـضاـ بـالـتـقـرـيبـ الـذـيـ قـدـمـنـاهـ ثـمـةـ ،ـ فـيـكـونـ الـمـعـنـىـ أـنـ الـمـقـدـرـ السـابـقـ فـيـ عـلـمـ اللهـ سـبـحانـهـ وـقـوـعـهـ قـدـوـقـعـ ،ـ وـالـمـقـضـيـ الـمـاضـيـ أـيـ المـحـتـومـ النـافـذـ قدـ تـورـدـ أـيـ دـخـلـ فـيـ الـوـجـودـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ .

و إلى ما ذكرنا ينظر ما قاله بعض الشارحين من أنه أراد بالقدر السابق خلافته ^{عليه} وبالقضاء الماضي الفتن والحروب الواقعة في زمانه وبعده التي دخلت في الوجود شيئاً فشيئاً وهو المعبر عنه بالتورع، وقوى ارادته ^{عليه} ذلك بقرينة المقام وأنه ^{عليه} خطب بهذه الخطبة في أيام بيعتمه بعد قتل عثمان.

وقوله ^{عليه} : (وانسي متكلّم بعدة الله وحجّته) المراد بعده سبّحانه ما وعده في الآية الشريفة للمؤمنين المعتبرين بالربوبية الموصوفين بالاستقامة من تنزّل الملائكة وبشرتهم بالجنة وبعدم الخوف والحزن ، والظاهر أنّ المراد بحجّته أيضاً نفس هذه الآية نظراً إلى أنها كلام الله وهو حجّة الله على خلقه أو أنها دالة بمنطوقها على أنّ دخول الجنة إنما هو للموحدين المستقيمين وبمفهومها على أنّ الكافرين وغير المستقيمين لا يدخلونها فهـى حجّة عليهم لئلا يقولوا يوم القيمة أنا كنتاً عن هذا غافلين .

وقال الشارح البحرياني : إنّ حجّته التي تكلّم بها هو قوله : وقد فلتـم ربـنا الله فاستـقـيمـوا إـلـى آـخـر ما يـاتـي ، وـالـأـظـهـر ماـقـلـنـاه

إذا عرفتـ ذـلـك فـلـمـنـعـد إـلـى تـفـسـيرـ إـلـيـةـ (قال الله تعالى إنـ الـذـينـ قـالـوـا رـبـنا اللهـ) اـعـتـرـافـاً بـرـبـوـبـيـتـهـ وـإـقـرـارـاً بـوـحـدـانـيـتـهـ (ثمـ اـسـتـقـامـواـ) عـلـىـ مـقـضـاهـ .

وفي المجمع عن محمد بن الفضيل قال : سـأـلـتـ أـبـالـحـسـنـ الرـضاـ ^{عليـهـ} عـنـ الـاسـتـقـامـةـ فـقـالـ : هـىـ وـالـلـهـ مـاـ أـنـتـمـ عـلـيـهـ .

و في الكافي عن الصادق ^{عليـهـ} عـلـىـ الـأـئـمـةـ وـاحـدـاً بـعـدـ وـاحـدـ (تـقـنـزـ لـ عـلـيـهـ) عـنـ الـمـوـتـ رـوـاهـ فيـ المـجـمـعـ عـنـ الصـادـقـ ^{عليـهـ} (أـلـاـ تـخـافـوـاـ) مـاـ تـقـدـمـونـ عـلـيـهـ (وـلـاتـحـزـنـوـاـ) مـاـخـلـفـتـمـ (وـابـشـرـواـ بـالـجـنـةـ الـتـيـ كـنـتـمـ توـعـدـوـنـ) فـيـ الدـنـيـاـ .

روـيـ فيـ الصـافـيـ عـنـ تـفـسـيرـ الـإـمـامـ قـالـ : قـالـ رـسـوـلـ اللهـ ^{عليـهـ} : لـاـ يـازـلـ الـمـؤـمـنـ خـائـفـاـ مـنـ سـوـهـ الـعـاقـبـةـ وـلـاـ يـقـنـعـ الـوـصـولـ إـلـىـ رـضـوـانـ اللهـ حـتـىـ يـكـونـ وقتـ نـزـعـ رـوـحـهـ وـظـهـورـ مـلـكـ الـمـوـتـ لـهـ ، وـ ذـلـكـ إـنـ مـلـكـ الـمـوـتـ يـرـدـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـ وـهـوـ فـيـ شـدـةـ عـلـتـهـ وـعـظـيمـ ضـيقـ صـدـرـهـ بـمـاـ يـخـلـفـهـ مـنـ أـمـوـالـهـ وـبـمـاـ هـوـ عـلـيـهـ مـنـ اـضـطـرـابـ أحـوـالـهـ مـنـ مـعـاـمـلـيـهـ

وعياله قد بقيت في نفسه حسراتها القاطع دون أمانية فلم ينلها ، فيقول له ملك الموت مالك تجرع غصبك قال : لاضطراب أحوالى واقتطاعك لى دون آمالي ، فيقول له ملك الموت : وهل يحزن عاقل لفقد درهم زائف واعتراض ألف ألف ضعف الدنيا ؟ فيقول لا ، فيقول ملك الموت : فانظر فوقك ، فينظر فيرى درجات الجنان وصورها التي يقصر دونها إلا ماني فيقول ملك الموت : تلك منازلك ونعمك وأموالك وأهلك وعيالك ومن كان من أهلك هنا وذر يتك صالحًا فهم هنالك معك أفترضى بهم بدلا مما هبنا ؟ فيقول : بلى والله ، ثم يقول : انظر ، فينظر فيرى مهدًا وعلياً والطبيين من آلهما سلام الله عليهم أجمعين في أعلى عليةين فيقول : أوتراهم هؤلاء ساداتك وأئمتك هم هنالك جلاسك واناسك أقما ترضى بهم بدلا مما تعارق هنا ؟ فيقول : بلى وربى فذلك ما قال الله عز وجل : «ان الدين قالوا ربنا الله ثم» استقاموا تنزل عليهم الملائكة لا تخافوا ولا تحزنوا فيما أمامكم من إلا هوال فقد كفيتهموها ولا تحزنوا على ماتختلفونه من الذداري والعياط فهذا الذي شاهدتهموه في الجنان بدلا منهم ، «وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون» هذه منازلكم وهؤلاء ساداتكم اناسكم وجلاسكم هذا .

ولما تكلّم عليه بالآية الشريفة المتضمنة للعدة والجحّة أمر المخاطبين بالقيام على مفادها والعمل على مقتضها بقوله (وقد قلتم ربنا الله) ولا بد لكم من اكمال هذا الاقرار بالاستقامة لاستحقاق انجاز الوعد والبشرارة (فاستقيموا على كتابه) باجلاله واعظامه و العمل بتكاليفه وأحكامه (وعلى منهاج أمره) بسلوكه و اتباعه (وعلى الطريقه الصالحة من عبادته) باتيانها على وجه الخلوص جامعة لشر ايطها المقررة وحدودها الموظفة (ثم لا تمرقوا) أي لا تخرجوا (منها) ولا تتعدوا عنها (ولا تبتعدوا فيها) أي لا تحدثوا فيها بدعة (ولا تخالفوا عنها) أي لا تعرضوا عنها يميناً وشم الام خالفين لها ، فانكم إذا أقمتم على ذلك كلّه حصل لكم شرط الاستحقاق فينجز الله لكم وعده وتبشركم الملائكة وتدخلون الجنة البتة ، وان لم تقيموا عليه فقد تم الشرط وبفقدانه وانتفائه ينتهي المشروع لا محالة .

وهو معنی قوله : (فَإِنَّ أَهْلَ الْمَرْوَقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يعني أنهم لا يجدون بلاغاً يوصلهم إلى المقصود، روى في مجمع البيان عن أنس قال : فَرَأَى عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ أَيَّ الْآيَةَ الْمُتَقْدَمَةَ قَالَ تَعَالَى وَتَعَالَى : قَدْ قَالَهَا نَاسٌ ثُمَّ كَفَرُوا كُثُرٌ مِّنْ قَالُوهَا حَتَّى يَمُوتُ فَهُوَ مَنْ اسْتَقَامَ عَلَيْهَا .

التَّرْجِمَةُ

از جمله خطب شریفه آن امام مبین و ولی مؤمنین است در نصیحت مخاطبین

میفرماید :

منتفع باشید با بیان خدا و متّعظ باشید با موعظهای خدا و قبول نمائید نصیحت خدارا ، پس بدرستی که خدا اظهار فرموده عذر خودرا بشما با آیه‌های واضحه ، واخذ فرمود بر شما حاجت را و بیان کرد از برای شما محبوب داشته شده‌های خودرا از عملها و مکروهها داشته شده‌ای خودرا از آنها تا اینکه متابعت نمائید با آن عملها محبوبه و اجتناب نمائید از این عملهای مکروهه .

پس بدرستی که حضرت رسول صلوات الله و سلامه عليه و آلله میفرمود که بهشت محفوف شده است با دشواریها و آتش محفوف شده است با شهوتها ، و بدانید که بدرستی که نیست از اطاعت خدا چیزی مگر اینکه میآید با کراحت طبیعت ، و نیست در معصیت خدا چیزی مگر اینکه میآید با شهوت و رغبت ، پس رحمت خدا مردی را که بر کند از شهوت خود ، و قلع کند خواهشات نفس خود را پس بدرستی که این نفس دور ترین چیزیست از حیثیت کنده شدن از شهوت ، بدرستی که این نفس همیشه اشتیاق دارد و میل کند بسوی معصیت در آرزو و خواهش نفسانی .

و بدانید ای بندگان خدا بدرستی که هؤمن نه روز را شب میآورد و نه شب را بروز مگر اینکه نفس او مهتم است نزد او ، پس همیشه آن مؤمن ایجاد کننده

است بر نفس خود ، و طلب کننده است از برای او زیادة خیرات و میراث دا ، پس باشید مثل سابقانی که پیش از شما بودند و مثل گذشتگان در پیش از شما بر کنندن از دنیای فانی همچو بر کنندن کوچ کننده ، و در نور دیدند دنیا را مثل در نور دیدن منزلها .

وبدانید که این قرآن کریم او نصیحت کننده ایست که خیانت نمی کند ، وهدایت کننده ایست که گمراه نمی سازد ، و خبر دهنده ایست که دروغ نمی گوید ، و همنشین نشد این قرآن را أحدی از شما مگرایشکه برخاست از آن با زیادتی یا کمی ، زیادتی در هدایت و کمی از کوری و ضلالت .

وبدانید نیست بر أحدی بعد از قرآن حاجتی ، و نه مر أحدی را پیش از قرآن از دولتی ، پس طلب شفا نمائید از او از دردهای ظاهری و باطنی خودتان ، و طلب یاری کنید بالا و برشد تهای خودتان ، پس بدرستی که در او است شفا از بزرگترین دردها و آن کفر است و نفاق و گمراهی است و ضلالت ، پس مسالت نمائید از خدا بوسیله قرآن : و متوجه باشید بسوی پروردگار با محبت قرآن ، و سؤال ننمائید بواسطت قرآن از مخلوقی ، بذستی که متوجه نشد بندگان بسوی خدا با مثل قرآن .

وبدانید که بدرستی که قرآن شفاعت کننده است و مقبول الشفاعة ، و گوینده است تصدیق شده ، و بدرستی که کسی که شفاعت نماید مر اورا قرآن در روز قیامت شفاعت او قبول می شود در حق آن ، و کسی که بدگوئی نماید از او قرآن در روز قیامت تصدیق شده می شود پر ضرر آن .

پس بدرستی که ندا کنند ندا کننده در روز قیامت این که آگاه باشید بدرستی که هر کشت کار امتحان خواهد شد در کشت خود و در عاقبت عمل خود غیر از کشت کنندگان قرآن پس باشید از کشت کاران قرآن و تبعیت کنندگان او و لیل اخذ نمائید اورا بر پروردگار خود ، و طلب نصیحت کنید از او بر نفسهای خود ، و متهم دارید رأیهای خود را که برخلاف او است ، و مغشوشه شمارید و مقابله قرآن خواهشات خود را .

مواظبت نمائید پر عملها و مهارعت نمائید بنهایت و عاقبت کار ، و ملازمت نمائید بر استکاری پس از آن و منصف باشید با صبر و تحمل ، و ترک نکنید ورع و پرهیز کاری را ، بدرستی که شماراست نهایت و عاقبتي پس منتهی شوید بسوی نهایت خود ، و بدرستی که شماراست علم و نشانه پس هدایت یابید با علم خود ، و بدرستیکه مراسلام راست غایت و نهایتی پس منتهی شوید بسوی غایت او ، وخارج بشوید بسوی خداوند تعالی از چیزی که واجب نموده برشما از حق خود و بیان نموده است شمارا ازوظیفهای خود ، من شاهد هستم از برای شما وحجه آورندام در روز قیامت از جانب شما .

آگاه باشید بدرستیکه آنچه مقدّر شده بود سابقاً بتحقیق واقع گردید ، وقضای الهی که نافذ و ممضی است تدریجاً بوجود در آید ، و بدرستیکه من تکلم کننده ام بوعده خدا و بحجه او فرموده است خدا در کتاب عزیز خود : بدرستی که آنکسانی که گفتند که پروردگار ما خداست پس در آن مستقیم شدند نازل میشود بر ایشان ملائکه که نترسید و محزون نباشید وبشارت دهید بیهشت غمبوسرشت که در دنیا وعده داده شده بودید .

وبتحقیق که گفتید شما پروردگار ما خداست پس مستقیم باشید بر کتاب کریم او ، و بر راه روش امرا و بر طریقه شایسته از عبادت و بندگی او ، پس از آن خارج نشوید و بیرون مروید از آن طریقه واحداث بدعت نکنید در آن و مخالفت نکنید در آن پس بدرستیکه اهل خروج از عبادت بهم بریده شده اند از ثواب دائمی نزه خدای تعالی در روز قیامت .

الفصل الثاني منها

ثُمَّ إِبَاكُمْ وَتَهْزِيْعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيْفَهَا، وَاجْمَلُوا الْلِسَانَ وَاحِدًا،
 وَلِيَخْتَرِنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ فَإِنْ هَذَا الْلِسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، وَاللَّهُ مَا أَرَى
 عَنْدَأَ يَتَقَى تَقوِيَّةَ تَنْفُعَهُ حَتَّى يَخْتَرِنِ لِسَانَهُ، وَإِنْ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ
 وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنْ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ
 أَنْ يَكَلِّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي تَفْسِيهِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا
 وَارِدًا، وَإِنْ الْمُنَافِقَ يَتَكَلِّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَذْرِي مَا ذَالَهُ وَمَا ذَا
 عَلَيْهِ، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَسْتَقِيمُ إِلَيْهِ عَبْدٌ حَتَّى يَسْتَقِيمَ
 قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، فَقَنْ أَسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ
 يَلْقَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ نَعِيْرُ الرَّاحَةَ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ
 الْلِسَانُ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلَيَفْعُلُ.
 وَاغْمَمُوا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَامًا أَوْلَ،
 وَيُحرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَمَ عَامًا أَوْلَ، وَإِنْ مَا أَحَدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ
 شَيْئًا مِمَّا حَرَمَ عَلَيْكُمْ، وَلِكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَمَ اللَّهُ،
 فَقَدْ جَرَبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَسْتُمُوهَا وَوُظِّنْتُمُ بَنَ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَصُرِّبَتِ

الْأَمْتَالُ لَكُمْ، وَدُعِيْتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلَا يَبْصُمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا
أَبْصَمْ، وَلَا يَمْسِي عَنْهُ إِلَّا أَعْنَى، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ
لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ،
وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ، فَإِنَّ النَّاسَ رُجَلَانِ : مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدَعَةً،
لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ شَرِيكٌ، وَلَا ضِيَاءٌ حُجَّةٌ .

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَبْيَظْ أَحَدًا بِعِنْدِهِ هَذَا الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ حِبْلُ اللَّهِ
الْمُتَّيْنُ، وَسَبِيلُ الْأَمِينِ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنْتَهِي مُعَلِّمٌ، وَمَا
لِالْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقَى النَّاسُونَ
أُولُو الْمُتَنَاسُوتِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعْيُنُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًا
فَأَذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ إِعْمَلْ خَيْرًا
وَدَعْ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ فَاقْصُدْ .

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ لَذَلِكَ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتَرَكُ، وَظُلْمٌ
مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ الشَّرُكُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ قَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ »، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ
فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتَرَكُ فَظُلْمُ
الْعِبَادِ بِعَصْمِهِمْ بَعْضًا، الْقِصاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَزْحًا بِالْمُدْنِيِّ،

وَلَا ضرَبَّا بِالسُّيَاطِ، وَلِكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغِرُ ذَلِكَ مَعْهُ، فَإِيَا كُمْ وَالتلُونُ فِي
دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيهَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرًا مِنْ فُرْقَةٍ فِيهَا تُجْهَونَ
مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُنْظِرْ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّا مَضى وَلَا
مِمَّا يَقْبِي.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبٌ لِمَنْ شَفَلَهُ عَيْبَهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبٌ لِمَنْ لَزِمَ لَيْدَتَهُ وَأَكَلَ قُوَّتَهُ وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَبَكَى عَلَى حَظِيقَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ.

اللغة

(هزعت) الشجر تهز يعاً كسرّته و فرقته و (خزن) المال واختزنه أحجزه
و (ضرسته) البحروب أى جربته و أحكمته و (صمت) الأذن صمماً من باب
تعب بطل سمعها هكذا فسّره الأزهري وغيره ، و يسند الفعل إلى الشخص أيضاً
فيقال : صم يصم صمماً ، فالذكرا صم والأثني صماء والجمع صم مثل أحمر و حمراء
و حمر ، ويتعذر بالهمزة فيقال أصمه الله وربما استعمل الرباعي لازماً على قلة ولا
يستعمل الشاذ متعدياً فلا يقال صم الله الأذن و لا يبني للمفعول فلا يقال صمت
الأذن .

و (السبب) العجل وهو ما يتوصل به إلى الاستعلاء ثم استعين بكلّ ما يتوصل به إلى الأمور فقيل هذا : سبب هذا وهذا مسبب عن هذا و (الجواب) الفرس السابق الجيد و (هن) بالتحريف كآخر كنایة عن كل اسم جنس كما في مصباح اللغة للقیومی أو عما يستتبع ذكره ولا مها محنوفة ففي لغة هی ها في صغر على هنیمة

و منه يقال مكث هنئه أى ساعة لطيفة ، وفي لغة هي واو فيصغر في المؤنث على هنئه و الهمز خطاء إذلاوجه له و جمعها هنوات و ربما جمعت على هنات مثل عدات هكذا في المصباح وضيّقه الفيروز آباد بفتح الهاء وهكذا فيما رأيته من نسخ النهرج و (طوبى) وزان فعلى اسم من الطيب والواو منقلية عن ياه وقيل اسم شجرة في الجنة كما سنشير إليه في بيان معناه .

الاعراب

قوله : و إِيَّا كُمْ و تهزيز الأخلاق ، انتصاب تهزيز على التحذير قال الشارح المعترض : وحقيقة تقدير فعل و صورته جنباً أنفسكم تهزيز الأخلاق فايّا كم قائم مقام أنفسكم ، والواو عوض عن الفعل المقدر وقد جاء بغiero او في قول الشاعر : إِيَّاكَ أَنْ ترضي صاحبة ناقص فتح خط قدر أمن علاك و تحررا

قوله : عاماً أوّل بدون تنوين لا^ن غير منصرف للوصفيّة و وزن الفعل فان^ن الصحيح أن أصله أوّل على وزن أفعى مهموز الوسط فقلبته الهمزة الثانية وأوّل وادغمت .

قال الجوهرى^{و يدل على ذلك قوله} : هذا أوّل منك ، والجمع الا وائل والوالى أيضاً على القلب ، قال الشهيد في تمهيد القواعد : وله استعمالان أحدهما أن يكون اسمًا فيكون مصروفًا ومنه قوله ما له أوّل ولا آخر ، قال في الارتفاع: وفي محفوظي أن^ن هذا يؤنث بالباء و يصرف أيضًا فيقال أولة و آخرة بالتنوين ، والثاني أن يكون صفة أى أفعى التفضيل بمعنى الأسبق فيعطي حكم غيره من صيغ أفعى التفضيل كمنع الصرف وعدم تأنيثه بالباء ودخول من عليه .

المعنى

اعلم أنه ^{لما تليه} لما ختم الفصل السابق بالأمر بالاستقامة والنهي عن المرroc و الخروج عن جادة الشريعة أردفه بالتحذير عن تهزيز الأخلاق الملازم للتفاق

قال :

(نَمْ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيْعَ الْأَخْلَاقِ) وَتَفْرِيقَهَا (وَتَصْرِيفَهَا) وَتَقْلِيْبَهَا وَنَقْلَهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ كَمَا هُوَ شَأنُ الْمُنَافِقِ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى خَلْقٍ وَلَا يَسْتَمِرُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ قَدْ يَكُونُ صَادِقًا وَقَدْ يَكُونُ كاذِبًا، وَتَارَةً وَفِيَّا وَأُخْرَى غَادِرًا، وَمَعَ الظَّالِمِينَ ظَالِمًا وَمَعَ الْعَدُولِ عَادِلًا .

روى في الكافي عن محمد بن الفضيل قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أُسْأَلَه عن مسألة ، فكتب إلى إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يَرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكَّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مَذْبُذُبِيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لِإِلَى هُؤُلَاءِ وَلِإِلَى هُؤُلَاءِ وَمَنْ يَضْلِلَ اللَّهُ فَلَمْ يَجِدْ لِهِ سَبِيلًا، لَيْسُو امْنَ الْكَافِرِينَ وَلَيْسُو امْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسُو امْنَ الْمُسْلِمِينَ يَظْهَرُونَ إِلَيْهِمْ وَيَصِيرُونَ إِلَى الْكُفُرِ وَالتَّكْذِيبِ لِعِنْهُمُ اللَّهُ وَلَمَّا حَذَّرَ عَنْ تَصْرِيفِ الْأَخْلَاقِ وَالنِّفَاقِ أَمْرَ بِقُولِهِ (وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدَّا) عَلَى اتِّحَادِ اللِّسَانِ اذْتَعَدَ دَالِ اللِّسَانِ مِنْ وَصْفِ الْمُنَافِقِ يَقُولُ فِي السُّرِّ غَيْرَ مَا يَقُولُ فِي الْعَلَانِيَةِ ، وَفِي الْغَيَابِ خَلَفَ مَا يَقُولُ لِهِ فِي الْحُضُورِ، وَيَتَكَلَّمُ مَعَ هَذَا غَيْرَ مَا يَتَكَلَّمُ مَعَ ذَلِكَ .

روى في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : بَئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذَا وَجْهِيْنَ وَذَا لِسَانِيْنَ يَطْرَى أَخَاهُ شَاهِدًا وَيَأْكُلُهُ غَايِبًا ، إِنْ أَعْطَى حَسْدَهُ وَإِنْ ابْتَلَى خَذْلَهُ .

وَفِيهِ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَسْبَاطِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَمَانِ بْنِ حَمَادَ رَفِعَهُ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا عِيسَى لِيَكُنْ لِسَانُكَ فِي السُّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لِسَانًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ قُلْبُكَ إِنِّي أُحذِّرُكَ نَفْسَكَ وَكَفَى بِي خَيْرًا لَا يَصْلِحُ لِسَانَنَ فِي فَمٍ وَاحِدٍ وَلَا سِيفَانَ فِي غَمَدٍ وَاحِدٍ وَلَا قَلْبَانَ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ وَكَذَلِكَ الْأَذْهَانُ .

قال بعض شرّاح السكري : أمره الله تعالى بثلاث خصال هي أُمُّهات جميع الخصال الفاضلة والأعمال الصالحة :

الأَوْلَى أَنْ يَكُونَ لِسَانَهُ فِي جَمِيعِ الْأَهْوَالِ وَاحِدًا يَقُولُ الْحَقَّ وَيَتَكَلَّمُ بِهِ فَلَا يَقُولُ فِي السُّرِّ خَلَفَ مَا يَقُولُ فِي الْعَلَانِيَةِ كَمَا هُوَ شَأنُ الْجَهَالِ ، لَأَنَّ ذَلِكَ خَدْعَةٌ

ونفاق وحيلة وتفريق بين العباد وإغراء بينهم .

الثاني أن يكون قلبه واحداً قابلاً للحق وحده غير متلوث بالجحيل ولا متلوث بالمكر والخبيث ، فان ذلك يميّز القلب ويبعده من الحق ويورثه أمرضاً مهلكة .
الثالث أن يكون ذهنه واحداً وهو الذكاء والقطنة ، ولعل المراد به هنا الفكر في الأمور الحقة النافعة ومبادئها ، وبوحدته خلصه عن الفكر في الباطل والشروع وتحسين مبادئها وآليّة الوصول إليها ، وبالجملة أمره أن يكون لسانه واحداً وقلبه واحداً وذهنه واحداً ومطلبه واحداً هذا .

ولما أمرهم بجعل لسانهم واحداً أرده به بالآمر بحفظه وحرزه فقال (وليختنزن الرجل لسانه) أى ليلزم الصمت (فان هذا اللسان جموح بصاحبها) يقبحه في المعاطب والمهالك ، ولذلك قال رسول الله ﷺ إن كان في شيء الشوم ففي اللسان ، وفي حديث آخر قال ﷺ : نجاۃ المؤمن من حفظ لسانه رواهـما في الكافي عنه ﷺ ، وقد تقدّم في شرح كلماته السابعة والسبعين فصل واف في فوائد الصمت وآفات اللسان وأوردنا بعض ما ورد فيه من الأخبار وأقول هنا :

روى في الكافي عن ابن القداح عن أبي عبدالله ؓ قال : قلل لفمان لابنه يا بنى إن كنت زعمت أن الكلام من فضة فان السكوت من ذهب .

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قال أبوالحسن ؓ : من علامات الفقد العلم والحلب والصمت إن الصمت باب من أبواب الحكمة إن الصمت يكسب المحبة إنـه دليل على كلـ خير .

وعن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر ؓ يقول : كان أبوذر يقول : يا مبتغى العلم إن هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك و ورقك .

وعن علي بن حسن بن رباط عن بعض رجاله عن أبي عبدالله ؓ قال : لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكناً فإذا تكلّم كتب محسناً أو مسيئاً .
فقد علم بذلك كله أن سلامـة الإنسان في حفظ اللسان وأن نجاـته من و بالـ

(ج)

في الأُمر باختزان اللسان وحفظه

(٤١٧)

الدّنياونكال الآخرة في الامساك عن فضول الكلام ، وإليه أشار بقوله (والله ما أرى عبداً يتقى تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه) فان التقوى النافع هو ما يحفظه من غضب الجبار وينجيه من عذاب النار ، ولا يحصل ذلك إلا ”بالاتقاء“ من جميع المحرمات والموبقات الموقعة في الجحيم والسيطرة العظيم ، والكذب والنفيه والهجراء و السعيه والنفسيه والقذف و السب ونحوها من حصائد الألسنة من أعظم تلوك الموبقات ، فلابد من الاتقاء منها واختزان اللسان عنها .

ولما أمر باختزان اللسان ونبه على توقف التقوى النافع عليه أردفه بالتنبيه على أن اختزانه من فضول الكلام وسقطات الألفاظ من خواص المؤمن وعدم اختزانه من أوصاف المنافق وذلك قوله : (وان لسان المؤمن من وراء قلبه) يعني أن لسانه تابع لقلبه (وان قلب المنافق من وراء لسانه) يعني قلبه تابع للسانه .

بيان ذلك ما أشار بقوله (لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبّره في نفسه) وتق Kerr في عاقبته (فان كان خيراً) ورشداً تكلم به أي ظهره و (أبداً وإن كان شرّاً) وغيرها اختزن لسانه عنه أي (واراه) وأخفاه فكان لسانه تابع لقلبه حيث انه نطق به بعد حكم العقل وإجازته (وان المنافق) يسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره و (يتكلّم) من دون فكر وروية (بما تى على لسانه لا يدرى ماذا له وماذا عليه) فكان قلبه تابع لسانه لأنه بادر إلى التكلّم من غير ملاحظة ثم رجع إلى قلبه فعرف أنّ ما تكلّم به مضرّ له .

ثم استشهد بالحديث النبوى ﷺ على أن استقامة الإيمان إنّما هو باستقامة اللسان على الحقّ وخرزه عن الباطل وهو قوله (ولقد قال رسول الله ﷺ لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) ظاهر هذا الحديث يفيد ترتّب استقامة الإيمان على استقامة القلب وترتّب استقامة القلب على استقامة اللسان .

اما ترتّب الأول على الثاني فلا غبار عليه ، لأنّ الإيمان حسبما عرفت في شرح الخطبة المأة والتاسعة عبارة عن الاعتراف باللسان والادعاء بالجنان فاستقامة

القلب جزء من مفهومه وهو جهة الفرق بينه وبين الاسلام كما أنه لا غبار على ترتيبه على الثالث على قول من يجعل العمل بالأركان أيضا شطرا منه.

وأما ترتيب الثاني على الثالث فلا يخلو من اشكال واغلاق ، لظهور أن اللسان ترجمان القلب فاستقامته موقوفة على استقامته لا بالعكس ، وبعد التنزيل عن ذلك فغاية الا أمر تلازمهما وارتباط كل منهما بالآخر، وأما التوقف فلا .

ووجه التلازم أن القلب لما كان رئيس الأعضاء والجوارح ومن جملتها اللسان كان استقامتها مستلزمة لاستقامتها وكذلك استقامتها مستلزمة لاستقامتها لأنها لو لم تكن مستقيمة بأن صدر منه الذنب والباطل يسرى عدم استقامتها أى فسادها إلى القلب فيفسد بفسادها .

ويدل على ذلك ما رواه في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليهما السلام قال : مامن عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا أذنب ذنبنا خرج في النكتة نكتة سوداء ، فان تاب ذهب ذلك السواد ، وإن تمادي في الذنب زاد ذلك السواد حتى يغطى البياض ، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله عز وجل « كلام بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

فإن هذه الرواية والآية المستشهد بها كما ترى مصافة إلى الروايات الأخرى تدل على اسوداد لوح القلب بكثرة الذنوب الصادرة من الجوارح ، فيوجب عدم استقامتها لعدم استقامتها واستقامتها لاستقامتها .

لكنه يتوجّه عليه أن غاية ما يتحصل من هذا التقرير أن عدم استقامتها سبب لعدم استقامتها ، و أما أن استقامتها سبب لاستقامتها فالافتراض جيداً .

مع أن لقائل أن يقول : إن مرجع صدور الذنب عنها الموجب للعدم استقامتها في الحقيقة إلى عدم استقامتها لأن القلب إذا كان سالما مستقيما لا يعزز على معصية ولا يريدها ، ومع عدم إرادتها لا يصدر ذنب عن الأعضاء حتى يسرى ظلمته ورينه إلى القلب .

فقد علم من ذلك كله أن استقامة اللسان كسائر الأعضاء موقوفة على استقامة

القلب ومتربة عليها لا بالعكس .

وبعد **الْتَّيَاوَاتِي** فالذى يخطر بالبال في حلّ الاشكال السابق أنّ معنى الحديث أنّه لا يعرف استقامة ايمان عبد إلاّ لأنّ يعرف استقامة قلبه ، ولا يعرف استقامة قلبه إلاّ باستقامة لسانه ، فيستدلّ باستقامة اللسان على الحقّ أى بتنطقه على كلّمة التوحيد والنبوة والولاية ، وبامساكه عن الغيبة والنّيممة والكذب وغيره من هفوات اللسان على استقامة القلب أى على إذعانه بما ذكر وعلى خلوه عن الأّمراض النفسانية ويستدلّ باستقامتها على استقامة الإيمان أى على أنّ العبد مؤمن كامل .

ويقرب هذا التوجيه أنّه **يُتَبَّعُ** لما ذكر أنّ لسان المؤمن من وراء قلبه وأنّ قلب المنافق من وراء لسانه عقبه بهذا الحديث ليميز بين المؤمن والمنافق ، ويحصل لك المعرفة بها حقّ المعرفة فيسهل عليك التشخيص إذا بينهما إذ تعرف بعد ذلك البيان أنّ مستقيمه اللسان مؤمن وغير مستقيمه منافق .

قال الشارح الفقير الغريق في بحر الذّنب والتقصير : إنّي قد أطلت فكري وأتعبت نظري في توجيهي معنى الحديث وأسهرت ليلتي هذه وهي الليلة الثالثة عشر من شهر الله المبارك في حلّ إشكاله حتى مضت من أول الليل ثمان ساعات وأثنتُ ما سبع بالخطاب وأدى إلى النّظر القاصر ، ثم تجلّى بحمد الله سبحانه ومنتّه نور العرفان من ألطاف صاحب الولاية المطلقة على القلب القاسي فأسفر عنه الظلام واهتدى إلى وجه المرام فسنج بالبال توجيهه وجيه هو أعنذب وأحلى ، ومعنى لطيف هو أمن وآصفي وهو أن يقال :

إنه **يُتَبَّعُ** كنّي باستقامة الإيمان والقلب واللسان عن كمالها وأنّ مراده أنّ من أراد أن يكون إيمانه كاملاً أى إيماناً نافعاً في العقبى لا بدّ من أن يكمل قلبه أى يكون بريئاً سالماً من الأّمراض النفسانية ، ومن أراد كمال قلبه فلا بدّ له من أن يكمل لسانه أى يكون محفوظاً من العثرات مختزناً إلاّ عن خير ، ففى الحقيقة الغرض من الحديث التّنبئي والإرشاد إلى تكميل القلب واللسان لتحصيل كمال الإيمان .

و نظيره ما رواه عن الحلبـي رفعـه قال : قال رسول الله ﷺ : أمسـك لـسانـك فـانـتها صـدقـة تـصـدقـ بـه عـلـى نـقـسـك ثـمـ قال : و لا يـعـرـف عـبـد حـقـيقـة الـإـيمـان حـتـى يـخـزـن مـن لـسانـه .

و على هذا التوجـيه التـام أـجزاء كـلام الـإـمام عـلـى أـحسن اـيـتـالـاف و اـنـسـجـام إـذ يـكون الـحـدـيـث حـيـثـنـ أـشـدـ اـرـتـبـاطـا بـسـابـقـه ، لـأـنـه يـتـبـعـه لـمـا أـمـرـ بـأـنـ يـخـتـنـ الرـجـل لـسانـه و أـكـدـه بـأـنـ خـزـنـ اللـسـان مـنـ وـظـاـيـفـ الـمـؤـمـن لـكـونـ لـسانـه مـنـ وـرـاءـ قـلـبـه ، عـقـبـه بـهـذـا الـحـدـيـث تـأـيـيدـا و تـقوـيـة و اـسـتـشـهـادـا عـلـى مـا أـمـرـ بـه مـنـ اـخـتـنـانـ اللـسـان و يـكـون مـنـاسـبـتـه لـلـاحـقـه أـيـضاً كـثـرـ و هـوـ قـولـه :

(فـمـن اـسـطـاعـ مـنـكـم أـنـ يـلـقـيـ اللـهـ سـبـحـانـه وـهـوـ نـقـيـ الرـاحـةـ) وـ الـكـفـ (مـن دـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ) أـيـ سـالـهـاـمـنـ قـتـلـهـمـ (وـأـمـوـالـهـمـ سـلـيـمـ اللـسـانـ مـنـ اـعـراضـهـ) أـيـ مـتـجـنـبـاـ مـنـ الغـيـبةـ وـالـفـحـشـ وـالـنـمـيـةـ وـالـهـجـاءـ وـنـحـوـهـاـ (فـلـيـفـعـلـ) لـأـنـ ذـلـكـ مـنـ شـرـ اـيـطـ الـاسـلامـ وـلـوـازـمـ الـإـيمـانـ فـانـ الـمـسـلـمـ مـنـ سـلـمـ الـمـسـلـمـوـنـ مـنـ لـسانـهـ وـيـدـهـ .

قال الشـارـح الـبـحـرـانـيـ وـ شـرـطـ ذـلـكـ أـيـ الـكـفـ عـنـ دـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ وـ أـمـوـالـهـمـ وـأـعـراضـهـ بـالـاسـطـاعـةـ لـعـسـرـهـ وـ شـدـّهـ وـإـنـ كـانـ وـاجـبـ التـرـكـ عـلـىـ كـلـ حـالـ وـأـشـدـهـ الـكـفـ عـنـ الغـيـبةـ فـانـهـ يـكـادـ أـنـ لـاـيـسـتـطـاعـ اـنـتـهـيـ .

أـقـولـ : الـظـاهـرـ مـنـ قـولـهـ : وـاـنـ كـانـ وـاجـبـ التـرـكـ عـلـىـ كـلـ حـالـ ، وـجـوبـ تـرـكـهـ حـتـىـ مـعـ دـمـ الـاسـطـاعـةـ وـهـوـ باـطـلـ ، اوـ الـاسـطـاعـةـ مـساـوقـ لـلـقـدـرـهـ وـهـيـ شـرـطـ فيـ جـمـيعـ الـتـكـالـيفـ الـشـرـعـيـهـ قـالـ اللـهـ تـعـالـيـ « لـاـيـكـلـفـ اللـهـ نـفـسـاـ إـلـاـ وـسـعـهـاـ » وـقـالـ رسولـ اللـهـ ﷺ : إـذـا أـمـرـتـكـمـ بـشـيـءـ فـأـقـتـوـاـ مـنـهـ مـاـاـسـتـطـعـتـمـ .

ثـمـ إـذـهـ يـتـبـعـهـ عـلـىـ بـطـلـانـ الـعـمـلـ بـالـرـأـيـ وـالـمـقـايـيسـ وـنـهـيـ عـنـ مـتـابـعـةـ الـبـدـعـ فـقـالـ : (وـأـعـلـمـوـ اـبـادـ اللـهـ أـنـ " الـمـؤـمـنـ يـسـتـحـلـ " الـعـامـ مـاـاـسـتـحـلـ عـامـاـ أـوـلـ وـيـحـرـ مـعـاـمـ حـارـ مـعـاـمـاـ) أـوـلـ (يـعـنـيـ أـنـ " الـمـؤـمـنـ إـذـا ثـبـتـ عـنـدـهـ سـابـقـاـ حـلـيـةـ شـيـءـ بـالـكـتـابـ أـوـ السـنـنـةـ وـ حـكـمـ بـحـلـيـتهـ عـنـ نـصـ فـيـ حـكـمـ بـحـلـيـتهـ الـآنـ ، وـلـاـ يـنـقـضـ حـكـمـ الشـابـتـ بـالـنـصـ بـرـأـيـهـ وـاجـتـهـادـهـ وـكـذـلـكـ إـذـا ثـبـتـ عـنـدـهـ سـابـقـاـ حـرـمـةـ شـيـءـ بـهـماـ حـكـمـ بـحـرـمـتـهـ عـنـ دـلـيـلـ فـيـ حـكـمـ بـحـرـمـتـهـ)

الآن ، ولا يخالف الحكم الثابت ولا يتعدى عنه بالرأي و القياس و هكذا ساير الأحكام الشرعية .

(وانَّ ما أحدث الناس) من البدع بعد رسول الله ﷺ :

مثل ما صدر عن أبي بكر من طلب البيضة من فاطمة سلام الله عليها في باب فدك مع كون البيضة على المدعى ، وغضب فدك عنها مع مخالفته لنص الكتاب والرسول ﷺ .

و ما أحدثه عمر من صلاة القراءيج ، ومن وضع الخراج على أرض السواد ، وازدياده أى أخذة الزيادة الجزية عما قررها رسول الله ﷺ .

و ما أبدعه عثمان من التفضيل في العطاء وإحداثه الأذان يوم الجمعة زايداً عمّا سنّه رسول الله ﷺ ، وتقديمه الخطيبتين في العيددين مع كون الصلاة مقدمة عليها في زمان الرسول ﷺ ، وإتمامه الصلاة بمنى مع كونه مسافراً ، و إعطائه من بيت المال الصدقة المقاتلة وغيرها ، وحمايته لحمى المسلمين مع أنَّ رسول الله ﷺ جعل لهم شرعاً سواه في الماء والكلأ إلى غير هذه من البدعات التي أحدثوها في الدين وفضلها أصحابنا رضوان الله عليهم في ذيل مطاعنهم .

فإنَّ شيئاً من ذلك (لا يحلّ لكم شيئاً مما حرم عليكم) ولا يحرّم شيئاً عليكم مما أحلّ لكم ، يعني قول هؤلاء المبدعين المغيّرين للأحكام لا يوجب تغييرها في الواقع ، فلا يجوز الاعتماد على أقوالهم والاعتقاد بآرائهم ، وقد ذم الله اليهود والنصارى بائتمانهم اتّخذوا أخبارهم ورهبائهم أرباباً من دون الله ، فالآخذون بقول هؤلاء المبدعين يكُونون مثل اليهود والنصارى .

روى في الوسائل عن تقسيير العياشي عن جابر عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : سأله عن قول الله « اتّخذوا أخبارهم ورهبائهم أرباباً من دون الله » قال الله أعلم أما أنتم لم يأخذوههم آلة إلا أنتم أحللوا لهم حلالاً فأخذوا به ، وحرموا حراماً فأخذوا به ، فكانوا أرباباً لهم من دون الله .

وعن حذيفة قال : سأله عن قول الله عزوجل : اتّخذوا الآية ، فقال لم يكونوا

يُعبدونهم ، ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلّوها ، وإذا حرّموا عليهم حرّ موهـا .
وفي الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : اتّخذوا الآية ، فقال
ـ سـاـ وـ اللـهـ مـاـ دـعـوـهـمـ إـلـىـ عـبـادـةـ أـنـفـسـهـمـ وـلـوـدـعـوـهـمـ مـاـ أـجـابـوـهـمـ ،ـ وـلـكـنـ أـحـلـواـهـمـ حـرـاماـ
ـ وـحرـ مـوـاـ عـلـيـهـمـ حـلـلاـ فـعـبـدـوـهـمـ مـنـ حـيـثـ لـاـ يـشـعـرـونـ .

وفي تفسير علي بن إبراهيم عند تفسير قوله تعالى « والشّعراء يتبعهم الغاون »
قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : نزلت في الذين غيرروا دين الله وخالفوا مأْمَرَ الله ، هلرأيت
شاعراً فقط تبعه أحد إنماعني بذلك الذين وضعوا ديننا بأرائهم فتبعهم الناس على ذلك .
ويؤكّد ذلك قوله « ألم تر أنهم في كلّ وادي هم يموتون » يعني ينظرون
بـالـأـبـاطـيلـ وـيـجـاهـلـونـ بـالـحـجـجـ الـمـضـلـيـنـ وـفـيـ كـلـ مـذـهـبـ يـذـهـبـونـ « وـأـنـهـمـ
يـقـولـونـ مـاـ لـيـفـعـلـونـ » قال عليه السلام يـعـطـوـنـ النـاسـ وـلـاـ يـتـعـظـوـنـ وـيـنـهـوـنـ عـنـ
الـمـنـكـرـ وـلـاـ يـنـتـهـوـنـ ،ـ وـيـأـمـرـوـنـ بـالـمـعـرـوفـ وـلـاـ يـعـمـلـوـنـ ،ـ وـهـمـ الـذـيـنـ قـالـ اللهـ فـيـهـمـ :
ـ أـلـمـ تـرـ « فـيـهـمـ وـأـنـهـمـ فـيـ كـلـ وـادـيـهـمـوـنـ » أـيـ فـيـ كـلـ مـذـهـبـ مـذـهـبـوـنـ « وـأـنـهـمـ يـقـولـونـ
ـ مـاـ لـيـفـعـلـونـ » وـهـمـ الـذـيـنـ غـصـبـوـ آـلـ مـحـمـدـ حـقـقـهـمـ .

فـظـهـرـ بـذـلـكـ كـلـهـ أـنـ مـتـابـعـةـ هـؤـلـاءـ حـرـامـ ،ـ وـاستـحـلـالـهـمـ استـحـلـالـ ماـ أـحـلـوهـ
ـ وـاسـتـحـرـامـ ماـحـرـ مـوـهـ غـيـرـ وـضـلـالـ ،ـ إـذـ لـيـسـ لـهـمـ أـنـ يـغـيـرـوـاـ الـأـحـكـمـ مـنـ تـلـقـاءـ أـنـفـسـهـمـ،ـ
ـ وـلـاـ أـنـ يـبـدـ لـوـ الـحـالـلـ بـالـحـرـامـ وـالـحـرـامـ بـالـحـالـلـ .

كـمـ أـشـارـ إـلـيـهـ بـقـولـهـ (ـ وـلـكـنـ الـحـالـلـ مـاـ أـحـلـ اللهـ وـالـحـرـامـ مـاـحـرـ مـ اللهـ) الـإـلـامـ
ـ فـيـ لـفـظـيـ الـحـالـلـ وـ الـحـرـامـ لـلـجـنـسـ فـتـقـيـدـ قـصـرـ الـمـسـنـدـ إـلـيـهـ فـيـ الـمـسـنـدـ كـمـ تـقـدـمـ
ـ تـحـقـيقـهـ فـيـ شـرـحـ الـكـلـامـ الـمـأـةـ وـ الـرـابـعـ وـ الـأـرـبـعـينـ عـنـ دـشـرـحـ قـوـلـهـ عليه السلام :ـ أـنـ الـأـئـمـةـ مـنـ
ـ قـرـيـشـ ،ـ وـ يـحـتـمـلـ أـنـ تـكـوـنـ لـلـمـعـهـدـ فـتـقـيـدـ الـحـصـرـ أـيـضاـ كـمـ عـرـفـهـ فـيـ شـرـحـ الـخـطـبـةـ
ـ الـمـأـةـ وـ الـثـالـثـةـ وـ الـخـمـسـيـنـ عـنـ دـشـرـحـ قـوـلـهـ عليه السلام :ـ نـحـنـ الشـعـارـ وـ الـأـصـحـابـ ،ـ فـيـكـونـ
ـ الـمـعـنـىـ أـنـ مـاهـيـةـ الـحـالـلـ وـ الـحـرـامـ وـ حـقـيـقـتـهـمـ إـذـ الـحـالـلـ الـمـعـهـودـ الثـابـتـ مـنـ الـشـرـيعـةـ
ـ أـيـ الـذـيـ يـجـوزـ تـنـاوـلـهـ وـ الـحـرـامـ الـمـعـهـودـ الثـابـتـ مـنـهـاـ أـيـ الـذـيـ لـاـ يـجـوزـ اـتـكـابـهـ هـوـمـنـحـصـرـ
ـ فـيـمـاـ أـحـلـهـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـ حـرـمـهـ وـ أـفـصـحـ عـنـ حـلـيـتـهـ وـ حـرـمـتـهـ فـيـ كـتـابـهـ الـكـرـيمـ وـلـسـانـ
ـ نـبـيـتـهـ الـحـكـيمـ ،ـ فـغـيـرـ ذـلـكـ مـاـ أـحـلـهـ الـمـاسـ وـ حـرـمـهـ لـيـسـ حـلـلاـ وـلـاـ حـرـاماـ إـذـ حـلـلـ

تحذير^{نـ} حلال إلى يوم القيمة وحرام إلى يوم القيمة .
كما يدل عليه مارواه في الكافي عن زراة قال : سألت أبا عبد الله ^{عليه السلام} عن الحال والحرام فقال ^{عليه السلام} : حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيمة وحرام محمد حرام أبداً إلى يوم القيمة لا يكون غيره ولا يجيء غيره .

وقال : قال علي ^{عليه السلام} : ما أحد يدع بدعة إلا ترك بها سنة، هذا .
ولا يخفى عليك أن هذه الخطبة إن كان صدورها بعد قتل عثمان و البيعة له بالخلافة كما حكيناه سابقاً عن بعض الشارحين ، فالأشبه على ذلك أن يكون قوله ^{عليه السلام} : وأن ما أحدث الناس إلى آخره توطئة وتمهيداً لما كان مسكننا في خاطره من تغيير المحدثات في أيام خلافة الثلاثة وإجراء الأحكام الشرعية على وجوهها بعد استقرار أمر خلافته لو كان متمكناً منه حتى لا يعرض عليه الناس ولا يطعنوا عليه ، كما بان عنه في بعض كلماته الآتية في الكتاب حيث قال : لو قداستوت قدماء من هذه المذاخر لغيرت أشياء، ولكن ^{عليه السلام} لم يتمكن من التغيير .

وقد روى في البخار من التهذيب عن علي بن الحسن بن فضال عن أئمذبن الحسن عن عمرو بن سعيد المدايني عن مصدق بن صدقة عن عمّار عن أبي عبد الله ^{عليه السلام} قال : سأله عن صلاة في رمضان في المساجد قال : لما قدم أمير المؤمنين ^{عليه السلام} الكوفة أمر الحسن بن علي ^{عليه السلام} أن ينادي في الناس لاصلاة (١) في شهر رمضان في المساجد جماعة ، فنادى في الناس الحسن بن علي ^{عليه السلام} بما أمره به أمير المؤمنين ^{عليه السلام} ، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي ^{عليه السلام} ، صاحوا : وأعمراه وأعمراه فلما رجع الحسن إلى أمير المؤمنين ^{عليه السلام} قال له : ما هذه الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين الناس يصيرون وأعمراه وأعمراه ، فقال أمير المؤمنين ^{عليه السلام} : قل لهم: صلوا ، هذا .

ولما يمس انحصار الحال والحرام فيما أحله الله سبحانه وحرمه أرده بقوله (فقد جو بتم الأمور وضر سموها) أي أحکمتموها بالتجربة والممارسة ، وظاهر لكم جيدها من ربها وحقها من باطلها (وعظتم بمن كان قبلكم) أي وعظكم الله

(١) نهى عن فعل نافلة رمضان جماعة كما ورد التصریح به في اخبار اخر (منه ده)

سبحانه في كتابه بالام الماضية وبما جرى منه في حق المؤمنين منهم من الجزاء الجميل وما جرى في حق العاصيـن منهم من العذاب الوـبيل (وضربـت) في الفرقـانـ الحكـيمـ (الأـمـالـ لـكـبـرـ)ـ الكـثـيرـ المـوـضـحـةـ لـلـحقـ منـ الـبـاطـلـ وـالـفـارـقـةـ بـيـنـهـمـ (ودعـيـتمـ إـلـىـ الـأـمـرـ الـواـضـحـ)ـ أـىـ إـلـىـ أـمـرـ الدـيـنـ وـالـاسـلـامـ الـذـيـ أـوـضـحـهـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ رـسـولـهـ حـقـ الـوـضـحـ وـلـمـ يـبـقـ عـلـيـهـ سـتـرـةـ وـلـاحـجـابـ.

وـ المـقـصـودـ مـنـ هـذـهـ الـجـمـلـاتـ تـبـيـهـ الـمـخـاطـبـيـنـ عـلـىـ أـنـهـ بـعـدـ مـاـحـصـلـ لـهـمـ هـذـهـ الـأـمـورـ أـعـنـىـ تـجـرـيـةـ الـأـمـورـ وـأـحـكـامـهـ وـالـمـوـعـظـةـ وـضـرـبـ الـأـمـالـ الـظـاهـرـةـ وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ إـلـأـمـ الـوـضـحـ يـحـقـ لـهـمـ أـنـ يـعـرـفـواـ أـحـكـامـ الشـرـيعـةـ حـقـ الـمـعـرـفـةـ، وـ أـنـ يـمـيـزـواـ بـيـنـ الـبـدـعـاتـ وـالـسـنـنـ إـذـتـلـكـ الـأـمـورـ مـعـدـةـ لـحـصـولـ الـمـعـرـفـةـ وـلـوـضـحـ الـفـرـقـ بـيـنـ الـبـدـعـةـ وـالـسـنـنـ وـبـيـنـ الـمـجـمـولـةـ وـالـحـقـيقـةـ.

(فلا يـصـمـ عـنـ ذـلـكـ)ـ أـىـ لـاـ يـغـفـلـ عـنـ مـاـذـكـرـ مـنـ الـأـمـورـ أـوـعـنـ إـلـأـمـ الـوـضـحـ الـذـىـ دـعـواـ إـلـيـهـ (إـلـاـ)ـ مـنـ هـوـ (أـصـمـ)ـ أـىـ الـغـافـلـ الـبـالـغـ فـيـ غـفـلـتـهـ الـنـهـاـيـةـ وـالـتـنـوـيـنـ لـلـتـفـخـيمـ وـالـتـعـظـيمـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «ـ وـعـلـىـ أـبـصـارـهـمـ غـشاـوـةـ»ـ أـىـ غـشـاـوـةـ عـظـيـمـةـ وـهـكـذـاـ فـيـ قـوـلـهـ: (ـ وـلـاـ يـعـمـىـ عـنـ إـلـأـعـمـىـ)ـ أـىـ لـاـ يـضـلـ عـنـهـ وـلـاـ يـجـهـلـ بـهـ إـلـاـ مـنـ هـوـ شـدـيدـ الـقـالـلـ وـالـجـهـالـةـ.)
(وـمـنـ لـمـ يـنـفـعـهـ اللـهـ بـالـبـلـاءـ)ـ أـىـ بـمـاـبـلـاهـ بـهـ مـنـ الـمـكـارـهـ وـالـمـصـائبـ (وـ)ـ بـ(ـالـتـجـارـبـ)ـ الـمـكـتـسـبـةـ مـنـ مـزاـوـلـةـ الـأـمـورـ وـمـقـاسـةـ الشـدـائـدـ (ـلـمـ يـنـفـعـ بـشـيءـ مـنـ الـعـظـةـ)ـ لـأـنـ تـأـثـيرـ الـبـلـاءـ وـالـتـجـارـبـ فـيـ النـفـسـ أـشـدـ وـأـقـوىـ مـنـ تـأـثـيرـ النـصـحـ وـالـمـوـعـظـةـ، لـأـنـ الـمـوـعـظـةـ اـحـالـةـ عـلـىـ الـغـايـيـبـ، وـالـبـلـيـمـةـ وـالـتـجـرـبـةـ مـدـرـكـةـ بـالـجـسـسـ فـمـنـ لـاـ يـنـفـعـهـ الـأـقـوىـ لـاـ يـنـفـعـهـ الـأـضـعـفـ بـالـطـرـيـقـ الـأـوـلـىـ (ـ وـأـتـاهـ النـقـصـ مـنـ أـمـامـهـ)ـ أـىـ مـنـ بـيـنـ يـدـيهـ.

قال الشارح البحرياني: لـأـنـ الـكـمـالـاتـ الـتـيـ يـتـوـجـهـ إـلـيـهـ بـوـجـهـ عـقـلـهـ تـفـوـتـهـ لـمـقـصـانـ تـجـرـبـتـهـ وـوـقـوفـ عـقـلـهـ عـنـهـاـ فـأـشـبـهـ فـوـتـهـاـ لـهـ مـعـ طـلـبـهـ لـهـاـ إـتـيـانـ النـقـصـ لـهـ مـنـ أـمـامـهـ. وـقـوـلـهـ (ـحـتـىـ يـعـرـفـ مـاـأـنـكـرـ وـيـنـكـرـ مـاعـرـفـ)ـ إـشـارـةـ إـلـىـ غـایـيـةـ نـقـصـانـهـ، وـهـىـ الـاختـلاـطـ وـالـحـكـمـ عـلـىـ غـيـرـ بـصـيرـةـ، فـتـارـةـ يـتـخيـلـ فـيـمـاـأـنـكـرـهـ وـجـهـلـهـ أـنـهـ عـارـفـ بـحـقـيـقـتـهـ، وـتـارـةـ

ينكر ما كان يعرفه ويحكم بصحته لخيال يطreo عليه .
 قال الشارح المعتزلي : حتى تخيل فيما أنكره أنه قد عرفه وينكر ما قد
 كان عارفاً به وسمى اعتقاد العرفان وتخيله عرفانا على المجاز .
 ثم فرع على ما ذكر انقسام الناس إلى قسمين فقال : (فان الناس رجالان
 متبوع شرعاً) أي متشرع آخذ بشرائع الدين ، وسائلك لمنهج الشرع المبين ، وهو
 العامل بكتاب الله سبحانه وسمنته و المقتبس من نورهما والمنتفع بما فيهما من
 النصائح والمواعظ والأمثال المضروبة ، وهو من الدين قال الله فيهم « وتلك الأمثال
 نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون » .

(ومبتدع بدعة) وهو الذي لم ينتفع بهما بل نبذ أحكامهما ورائيه واتبع هويه
 وعمل برأيه ومقاييسه فأعمى الله قلبه عن معرفة الحق وأصمته عن استماعه كما قال :
 صم بكم عمي فهم لا يرجعون (ليس معه من) عند (الله) سبحانه (برهان سنة ولا
 ضياء حجة) أي ليس له فيما أحدهه من البدعة دليل عليه من سنة ولا حجة بيضة
 واضحة من الكتاب الكريم تنجيه لوضوحها وضياءها من ظلمة الجهل والضلal .
 قال أبو شيبة الخراساني : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن أصحاب المقايس
 طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزد هم المقايس من الحق إلا بعداً وان دين الله لا يصاب
 بالعقل ، رواه في الكافي .

وفيه أيضاً عن محمد بن أبي عبد الله رفعه عن يونس بن عبد الرحمن قال : قلت
 لا يا الحسن الأول عليه السلام : بما أوحد الله عز وجل ؟ فقال : يا يونس لا تكون مبتدعاً
 من نظر برأيه هلك ، و من ترك أهل بيت نبيه عليه السلام ضل ، و من ترك كتاب الله
 وقول نبيه كفر .

ولما ذكر أن أصحاب البدع ليس لهم دليل من سنة يمسكون به ولا نور
 حجة يستنبطون به أردفه بذكر ممادح القرآن تنبئها على كونه البرهان الحق
 و النور المضيء أحق بالاتباع و الاهتمام ، وأحد أن يقتبس من أنواره و يتغطى
 بمواعظه و نصائحه ، وعلى أن الراغبين عنه التابعين لا هواهم و الآخذين بالأراء

والمقاييس تائرون في بوادي الجهة، هائمون في فيها في الضلال فقال : (وإنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْظِمْ أَحَدًا بِمِثْلِهِ) لأنَّ الغرض من جميع المواعظ المقصودة للوعيد والترغيب والتهديد هو الجذب إلى طرف الحق والإرشاد إلى حظيرة القدس ، والقرآن أبلغ منها كلها في إفادته ذلك الغرض وأكمل في تحصيل ذلك المقصود (فانه حبل الله المتيين) من تمسك به نجا و من تركه فقد هو ، وصفه بالمتانة و الأحكام لأنَّه حبل ممدود من الأرض إلى السماء من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصال لها (و سببه الأمين) وصفه بالأمانة لأنَّه لا يخون المتوصَّل به في ايصاله إلى حظائر القدس ومجالس الأنبياء وقرب الحق (وفيه ربيع القلب) لأنَّ القلوب تلتقد وتنشط وترتاح بتلاوة آياته وتدبر ما فيها من المحسنات والمزايا وتفكر ما تضمنته تلك الآيات من النكات المبدعة واللطائف العجيبة ، كما أنَّ النفوس تلتقد بأزهار الربيع وأنواره .

(و) فيه (ينابيع العلم) استعارة بالكتابية حيث شبه العلم بالماء إذ به حياة الأرواح كما أنَّ بالماء حياة الأبدان ، وذكر الينابيع تخليل ، وفي نسخة الشارح بدل ينابيع العلم : ينابيع العلوم والمقصود واحد ، وإنما كان ينابيع العلوم اذ جميع العلوم خارجة منه لتضمنه علم ما كان وما هو كائن وما يكون كما قال عزَّ من قائل : « ولا رطب ولا يابس إلَّا في كتاب مبين » .

(و ما للقلب جلاء غيره) إذ فيه منار المهدى ومصابيح الدّجى و التفكير فيه يجعلو القلوب من رين الشكوك ويرتفع به عنها صدا الشبهات كما يجعلو الصيقل المرآت .

فإن قلت : لم جعل الجلاء مقصوراً فيه مع حصوله بغierre من العلوم الحقة ؟
قلت : لما كان القرآن ينابيع جميع العلوم حسبما عرفت يؤهل حصول الجلاء بها إلى الجلاء به في الحقيقة ، أو أنَّ المراد نفي الكمال أى ليس للقلب جلاء كامل غيره .

و هذا الجواب أولى مما أجاب به الشارح البحرياني من أنَّ هذا الكلام صدر

عنه **﴿كُلُّ﴾** ولم يكن في هذا الزمان علم مدوّن ولا استفادة للمسلمين إلاّ من القرآن الكريم ، فلم يكن إذا جلا للقلب غيره .

ووجه الأولوية أنَّ الْأَحادِيثُ النَّبُوَيَّةُ كانت موجودة بـأيديهم يومئذ والاستفادة منها كانت ممكناً لمن أرادها ، وأما غير المريد لها من الذين على قلوبهم أفالها فالقرآن والحديث بالنسبة إليهم أيضاً على حد سواء كما لا يخفى .

(مع أنه قد ذهب المتذكرون) بالقرآن المتذبذرون في معانيه المستهضيون بضيائه المقتبسون من أنواره (وبقي الناسون) له حقيقة (أو المتناسون) المظہرون للنسیمان لأغراض دنيوية .

وارتباط هذا الكلام أعني قوله : مع أنه آه بما سبق أنه لما ذكر ممادح القرآن وأنه أبلغ المواقع وأجلى للقلوب ، وكان الغرض منه حتّى المخاطبين و تحريرهم على اتباعه والتذكّر به أتبّعه بذلك أسفًا على الماضين و تقريراً على الباقيين بأنّهم لا يقدّرون بهولا يتّبعونه ولا يتّبعون بمواقعه .

و محصلة إظهار اليأس من قبولهم للموعظة واستبعاد ذلك لما تفرّس منهم من فساد النيات ومتابعة الهوى والشهوات .

و يحتمل أن يكون توطئة و تمهيداً لما كان يريده من أمرهم باعانته الخير وتجنب الشرّ ، يعني مع أنَّ المتذكرين وأولى البارصير قد مروا ولم يبق إلاّ الغافلون الجاهلون وتأثير الموعظة فيهم صعب جداً ، مع ذلك أعظمكم واذكّركم وإن لم تنفع الذكري بقولي (فإذا رأيتم خيراً فأعینوا عليه وإذا رأيتم شرّاً فاذهبا عنه) لفظ الخير والشرّ وإن كان مطلقاً شاملاً بطلاقه لكلّ خير وشرّ ، إلاّ أنَّ الأشبه أن يكون نظره فيما إلى الخير والشرّ المخصوصين .

بأن يكون مراده من الخير الذي كان يريده في حقّهم وإن كان مكرورها و كانوا لهم متنقرين عنه بطبعهم من التسوية في العطاء والحمل على جادة الوسطى و مرّ الحقّ ، ويكون المراد باعانتهم عليه تسليمهم له في كلّ ما يأمر وينهى ورضاهم

بكل ما يفعل ويريد ، وسعيهم في مقاصده وماربه .

وأن يكون مراده من الشرّ ما تفترّس منهـم بل شاهدهـم لنـكث البيـعة وثوران الفتـة ، ويـكون المرـاد بالذـهـاب عنـه الاعـراض عـنه والتـرك لـه .

و إنما قلنا إن الاشبه ذلك لما حكينا عن بعض الشرائح من أن هذه الخطبة خطب بها في أوائل الميوعة وفقرينة الحال والمقام تشعر بما ذكرناه .

وَ كَيْفَ كَانَ فَلَمَا أَمْرَكَهُ بِمَا أَمْرَكَهُ بِالْمُحَدِّثِ النَّبُوِيِّ عَنْهُ تَكَلَّمَ فَقَالَ (فَانْتَ رَسُولُ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلْ الْخَيْرَ وَدُعِ الشَّرَّ) أَىٰ اتَرْ كَهْ (فَإِذَا أَنْتَ جَوَادْ قَاصِدْ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْقَاصِدِ الرَّاشِدِ الْغَيْرِ الْمَجَا وَزْ عَنِ الْحَدَّ فِي سِيرِهِ بِأَنْ لَا يَكُونَ سَرِيعُ السَّيْرِ فَيَتَعَبُ بِسُرْعَتِهِ، وَلَا بَطْئُ السَّيْرِ فَيَفْوَتُ الْغَرْضَ بِمَطْوَئِهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهِ السَّائِرِ فِي قَصْدِ السَّيْلِ أَىٰ غَيْرُ الْخَارِجِ عَنِ الْجَادَةِ الْوَسْطَىِ، وَتَشْبِيهِ عَامِلُ الْخَيْرِ وَتَارِكُ الشَّرِّ بِهِ عَلَى الْأَوَّلِ مِنْ أَجْلِ اتِّصافِهِ بِالْعَدْلِ فِي أَمْوَارِهِ وَبِرَاءَتِهِ مِنِ الْأَفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَعَلَى الثَّانِي مِنْ أَجْلِ كَوْنِ سُلُوكِهِ عَلَى الْجَادَةِ الْوَسْطَىِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصَلِ بِهِ إِلَى نَصْرَةِ الْمُعْتَمِ وَالْفُوزِ الْعَظِيمِ .

ثم نبئه على أقسام الظلم تلميحاً إلى مظلوميته عليها وتنبيهها على أن ظلامته لا تترك فقال (الأوان) الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر ، وظلم لا يترك ، وظلم مغفور لا يطلب، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله) لما (قال الله سبحانه إن الله لا يغفر أن يشرك به) عدم الغفران بالشرك مشروط بعدم التوبة ، لأن الأمة أجمعـت على أن الله يغفره بالتوبـة وإن كان الغفران مع التوبـة عند المعتزلـة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضـل والإنعام كما يأتي التصرـيف بذلك عن مجمع البـيان .

(وأمّا الظلم الذي يغفر فظلم العبد تجاهه عند بعض الهنات) لعل المراد بذلك البعض الصغائر لأن الاجتناب عن الكبائر يكون كفارة لها كما قال تعالى: « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » .

وأمّا حمله على المغفرة بالتنويء أو الشفاعة ففيه أن المغفرة بهما الاختصاص لها ببعض الهنات السيئات بل جميع المعااصي تكون مغفورة بعد حصول التوبه والشفاعة

على أن حمله على صورة التوبة يوجب عدم الفرق بينه وبين القسم الأول لما عرفت هناك من الأجماع على غفران الشرك أيضاً بالتوبة كسائر المعااصي صغيرة أو كبيرة فلا يكون على ذلك للتفكير بين القسمين وجه .

و الحاصل أن الشرك وغيره مشتركان في الغفران بالتوبة وفي عدمه بعدهما إلا الصغائر فأنها تغفر مع عدمها أيضاً إذا حصل الاجتناب عن الكبائر هذا .

ولكن ظاهر قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» هو غفران مادون الشرك مطلقاً صغيراً كان أو كبيراً ، بل صرّح به في بعض الأخبار .

و هو ما رواه في الصّافى من الكافي عن الصادق عليهما السلام في هذه الآية قال : الكبائر فما سواها .

وفيه منه ومن الفقيه أنه عليهما السلام سئل هل تدخل الكبائر في مشيئة الله ؟ قال : نعم ذاك إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ عَفَى عَنْهَا .

و في تفسير علي بن إبراهيم عند تفسير هذه الآية قال : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : قلت له : دخلت الكبائر في الاستثناء ؟ قال : نعم .

قال الطبرسي في مجمع البيان في تفسيرها : معناها أن الله لا يغفر أن يشرك به أحد ولا يغفر ذنب المشرك لأحد ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يريد قال المحققون : هذه الآية أرجى آية في القرآن ، لأنّ فيه إدخال ما دون الشرك من جميع المعااصي في مشيئة الغفران وقف الله المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل ، وذلك صفة المؤمن ، ولذلك قال الصادق عليهما السلام : لو وزن رجاه المؤمن وخوفه لاعتدلا .

قال الطبرسي : ووجه الاستدلال بهذه على أن الله يغفر الذنوب من غير توبة أنه نفى غفران الشرك ولم ينف غفرانه على كل حال بل نهى أن يغفر من غير توبة لأنّ الأمة اجتمعت على أن الله يغفره بالتوبة وإن كان الغفران عند المعتبرة على

وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضل ، وعلى هذا يجب أن يكون المراد بقوله: و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ، أَنَّه يغفر مادون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين .

ولامعنى لقول المعتزلة إِنَّ فِي حَمْلِ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَإِدْخَالِ مَادُونِ الشَّرْكِ فِي الْمُشِيشَةِ إِغْرَاءَ عَلَى الْمُعْصِيَةِ ، لَأَنَّ الْأَغْرِيَةَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْقُطْعَنِ عَلَى الْغَفْرَانِ فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْغَفْرَانُ مَعْلَقاً بِالْمُشِيشَةِ فَلَا إِغْرَاءَ فِيهِ . بل يكون العبد به واقعاً بين الخوف والرجاء وبهذا وردت الأخبار الكثيرة من طريق الخاص والعام ، وانعقد عليه اجماع سلف أهل الاسلام .

و من قال في غفران ذنوب البعض دون البعض ميل ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله .

فجوابه أنَّ اللَّهَ مُتَفَضِّلٌ بِالْغَفْرَانِ وَلَمْ يَتَفَضَّلْ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَى قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ وَأَنْسَانٍ دُونَ اَنْسَانٍ ، وَهُوَ عَادِلٌ فِي تَعْذِيبِ مَنْ يَعْذِبُهُ ، وَلَيْسَ يَمْنَعُ الْعُقْلَ وَالشَّرْعَ مِنَ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ .

و من قال منهم أنَّ لفظة مادون ذلك وإن كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك فإنما تخصّها وتحملها على الصغار أو ما يقع منه التوبة لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد .

فجوابه إننا نعكس عليكم ذلك فنقول : بل خصّصوا ظواهر تلك الآيات لعموم هذه الآية وهذا أولى لما روى عن بعض أئمته قال إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِسْتِئْنَاءٌ عَلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ يَرِيدُ بِهِ اللَّهُ أَعْلَمُ جَمِيعَ آيَاتِ الْوَعِيدِ .

وأيضاً فان الصفاير يرتفع عندكم محبطة ولا تجوز المؤاخذة بها ، وما هذا حكمه فكيف تعلق بالمشيشة فانَّ أَحَدَا لَا يقول إنني أفعل الواجب إن شئت وأردَ الوديعة إن شئت، انتهى .

وبما ذكرنا ظهر لك فساد ما توهّمه الشارح المعتزلـي فأنه بعد ما ذكر أنَّ الكبائر حكمها حكم الشرك عند أصحابه المعتزلـة في عدم المغفرة اعتراض على

نفسه بأن الآية صريحة في التفكير يبينها وبينه، وأجاب بما ملخصه أن المراد من لفظ الغفران هو الستر في موقف القيامة والمراد أن الله لا يسرى في موقف القيامة من مات مشركاً بل يفضحه على رؤوس الأشهاد، وأمّا من مات على كبيرة من أهل الإسلام فأن الله يستر في الموقف ولا يفضحه بين الخالائق وإن كان من أهل النار، وقد يكون من أهل الكبائر ممن يقر بالذنب من تعظم كبائره حداً فيفضحه الله في الموقف كما يوضح المشرك، فهذا معنى قوله: «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» انتهى.

وجه الفساد أن الغفران إن كان في اللغة بمعنى الستر والتغطية إلا أنه في الآيات والأخبار حيثما يطلق يراد به التجاوز عن الخطايا والعفوه عن الذنوب والستر عليها، فحمله على الستر المخصوص بالموقف خلاف ظاهر الاطلاق، والأصل عدم التقيد فلا داعي إلى المصير إليه.

وأقول على رغم المعتزلة أنهم لنفسكم بمحاجة خلفائهم الصالحين المصلين وانحرافهم عن أولياء الدين أسوأ وأعظمهم بالله رب العالمين وحكموا في مرتکبی الكبایر من المسلمين بكونهم في النار معدّین كالکفار والمشرکین، والله سبحانه مجازيّهم على نياتهم وعقيدتهم وحاشرهم يوم القيمة مع من يتولونه ثم يردهم إلى أسفال السافلين من الجحيم مخلدين فيها ولهم عنها يخرجون.

وأمّا نحن فلأعتقدنا بالعروة الوثقى والحبيل المتين أعني ولاية أمير المؤمنين وولاية آله المعصومين نحسن ظننا بالله ونرجو غفرانه وعفوه والحضر مع أوليائنا وإن كنا في بحار الذنوب مغرقين، ولا نظن في حق ربنا الغفور الرحيم أنه يسمع في النار صوت عبد مسلم سجن فيها بمخالفته وذاق طعم عذابها بمعصيته وحبس بين أطباقها بجرمه وجريته وهو يوضح إلينه ضجيج مؤمل لرحمته ويناديه بلسان أهل توحيده ويتوسل إليه برب بيته، فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ماسلك من حلمه ورأفته، أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضله ورحمته، أم كيف يحرقه لهبها وهو يسمع صوته ويرى مكانه، أم كيف يشتمل عليه زفيرها وهو يعلم ضعفه، أم كيف يتغلغل بين أطباقها وهو يعلم صدقه، أم كيف تزجره زبانيتها وهو يناديها يا ربّه، أم كيف يرجو فضله في

عنه منها فيتر كه فيها هيئات ماهكذا الظن به ولا المعروف من فضله ، ولا مشبه لما عامل به الموحدين من بره وإحسانه ، فباليقين نقطع لولا ماحكم به من تعذيب جاحديه وقضى به من إخلاد معانديه لجعل النار كلها برداً وسلاماً وما كان لأحد من شيعة أمير المؤمنين ومحبيه مقرّاً ولا مقاماً (١) .

و لقد روى في الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : و لقد سمعت حبيبي رسول الله عليه السلام يقول : أو أن المؤمن خرج من الدنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكن الموت كفارة لتلك الذنوب ثم قال عليه السلام : ومن قال لا إله إلا الله بالخلاص فهو بريء من الشرك ، ومن خرج من الدنيا لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ثم تلى عليه السلام هذه الآية : « إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء » من شيعتك ومحبيك يا علي قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقلت : يا رسول الله هذا الشيعتي ؟ قال عليه السلام اى وربّي هذا لشيعتك ، هذا .

(وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً) فقد روى في الكافي عن شيخ عن النجاشي قال : قلت لا يغفر لي إني لم أزل وألياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا فهل لي من توبة ؟ قال : فسكت ثم أعدت عليه فقال : لا حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه .

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من ظلم مظلومة أخذ بها في نفسه أو في ماله أو في ولده .

و عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليهما السلام قال : قال : ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم وذلك قول الله عز وجل « وكذلك نولت بعض الظالمين بعضاً » .

وفيه عن أبي عبد الله عليهما السلام عن رسول الله وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آلهما : من خاف القصاص كف عن ظلم الناس .

(فـ) ان (القصاص هناك) أي في الآخرة مضافا إلى قصاص الدنيا (شديد) ، ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم لأنّ يوم الظالم الدنيا فقط ،

(١) هذه الفقرات اقتباس من دعا كميل رضي الله عنه (منه و)

في يوم المظلوم الدّنيا والآخرة والمنتقم هو الله سبحانه و (ليس هوأى قصاصه وانتقامه (جرحا بالمدى) والسيكاكين (ولا ضربا بالسيط) والعصا و نحو ذلك من مولمات الدنيا (ولكنه ما يستصغر ذلك معه) هو نار الجحيم والعذاب الأليم والخرزى العظيم.

قال الشارح : قد أشرت سابقاً إلى أنَّ في ذكره أقسام الظلم وما يتربّع عليها من العقوبات تلميحاً إلى مظلوميته عليه السلام وتنبيهاً على أنَّ الظلم الذي وقع في حقه ليس بحيث يترك ويرفع اليديه ، بل يقتضى من ظالميه البينة وينتفع به مقتضى العدل والله عزيز ذو انتقام ، وحيث إنَّ ظلامة آل محمد عليهم السلام أعظم ما وقع في الأرض من المظالم حيث غصبو أخلاقهم وأحرقوا بباب بيتهم وأسقطوا محسنهم وقتلوا أمير المؤمنين وابنيه الحسن والحسين عليهم السلام بالسم وسفيف العدوان وأداروا رأسه ورأس أصحابه على الرماح والسنان ، وشهرروا نساءه وبناته في الأصفاع والبلدان إلى غير ذلك من الظلم والطغيان الذي يعجز عن تقريره المسان ويضيق عنده البيان ، فلابد أن يكون قصاص ظلاماتهم أشدّ وعقوبة ظالمتهم أعظم وأخزى وأحببت أن أورد بعض ما ورد فيه من الأخبار باقتضاء المقام .

فاقول : روى في البحار من كتاب الاحتجاج عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في يوم بيعة أبي بكر : لست بقاتل غير شيء واحداً ذكركم بالله أيماناً بأربعة - يعنيني والزبير وأبازر والمقداد - أسمعتم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول : إنَّ تابوتا من النار فيه اثنى عشر رجلاً ، ستة من الأولين وستة من الآخرين في جبّ الجهنم في قعر جهنم في تابوت مغلق على ذلك الجبّ صخرة فإذا أراد الله أن يسurgجهنتم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجبّ فاستعادت جهنم من وحيج ذلك الجبّ .

فسائلناه عنهم وأنتم شهود ، فقال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه :

أمّا الأولين فابن آدم عليه السلام الذي قتل أخاه ، وفرعون الفرعان ، والذي حاج إبراهيم في دبة ، ورجلان من بنى اسرائيل بدلاً كتابهما وغير استقراهما أمّا أحدهما

فهؤلاء اليهود والآخر نصر النصارى وإبليس سادسهم والدجال في الآخرين .
و هؤلاء الخمسة أصحاب الصحيحفة الذين تعاهدوا و تعاقدوا على غداوتك يا أخي والتظاهر عليك بعدي هذا وهذا حتى عدهم وسماتهم ، فقال سلمان : فقلنا صدق نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ .

و في تفسير على بن إبراهيم عن الصادق عليهما السلام في قوله تعالى « قل أعدك برب الفلق » قال عليهما السلام : الفلق جب في جهنم يتعود أهل النار من شدة حره سأل الله أن يأذن له فيتنفس فأذن له فتنفس فأحرق جهنم ، فقال عليهما السلام : وفي ذلك الجب صندوق من نار يتعود منه أهل الجب من حر ذلك الصندوق وهو التابوت وفي ذلك ستة من الأولين وستة من الآخرين .

فأما السيدة التي من الأولين فابن آدم الذي قتل أخاه ، ونمrod وإبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار ، وفرعون موسى ، والسامري الذي اتّخذ العجل ، والذى هو ديهود ، والذى نصر النصارى .

وأما الستة من الآخرين فهو الأول ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، وصاحب الجوارح ، وابن ملجم « ومن شر عاسق إذا وقب » قال عليهما السلام : الذى يلقى الجب يقب فيه .

وفي البخار من الخصال وعقاب الأعمال عن إسحاق بن عمّار عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال لي يا سحاق إنّ في النار لواديًا يقال له سقر لم يتنفس منذ خلق الله لوأدنه الله عز وجل له في التنفس بقدر محيط حرق ما على وجه الأرض ، وإنّ أهل النار ليتعودون من حر ذلك الوادي وتنفسه وقدره وما أعد الله فيه لأهله ، وإنّ في ذلك الوادي جبلا يتعود جميع أهل ذلك العجل من حر ذلك الشعب وتنفسه وقدره وما أعد الله فيه لأهله ، وإنّ في ذلك الشعب لقليباً يتعود جميع أهل ذلك الشعب من حر ذلك القليب وتنفسه وقدره وما أعد الله فيه لأهله ، وإنّ في ذلك القليب لحية يتعود أهل ذلك القليب من خبث تلك الحية وتنفسها وقدرها وما أعد الله في أنبيائها من السم للذعها ، وإنّ في جوف تلك الحية سبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة واثنان

من هذه الأمة .

قال : قلت : جعلت فداك ومن الخمسة ؟ ومن الاثنين ؟

قال : فأمّا الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل ، ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربّه وقال أنا أحبي وأميّت ، وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى ، ويهود الذي هوّد اليهود ، وبولس الذي نصر النصاري ، ومن هذه الأمة: الأعرابيان .

أقول : الأعرابيان : الأول والثاني اللذان لم يؤمننا بالله طرفة عين .

وفيه من عقاب الأعمال عن حنّان بن سدير قال : حدّثني رجل من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول إنَّ أشد الناس عذابا يوم القيمة لسبعة نفرو لهم ابن آدم الذي قتل أخاه ، ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربّه ، واثنان في بني إسرائيل هودا قومهما ونصرهما ، وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى ، واثنان في هذه الأمة أحدهما شرّهما في تابوت من قوارير تحت الفلك في بحار من نار .

وفيه من كتاب الاختصاص عن يحيى بن مخلد الفارسي عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله قال : خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة و بين يدي قفير فقلت يا قفير ترى ما أرى ؟ فقال : قد ضوء الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمي عنه بصرى ، فقلت : يا أصحابنا ترون ما أرى ؟ فقالوا : لا قد ضوء الله لك يا أمير المؤمنين عمّا عمي عنه أبصارنا فقلت و الذي فلق الحبة وبرى النسمة لترونه كما أراه ولتسمعن كلامه كما أسمع .

فما لبثنا أن طلع شيخ عظيم الهامة له عينان بالطول فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقلت: من أين أقبلت يالعين ؟ قال: من الآنام، فقلت: و أين تريدين ؟ فقال: الآنام ، فقلت. بئس الشيخ أنت ، فقال: تقول: هذا يا أمير المؤمنين فوالله لاحدثنك بحديث عني عن الله عزوجل ما بثنا ثالث ، فقلت عنك عن الله عزوجل ما ينفكما ثالث ؟ قال: نعم .

قال: انته لما هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت إلهي وسيدي ما أحسبك خلقت من هو أشقي مني ، فأوحى الله تبارك وتعالي بلى قد خلقت من هو

أشقى منك فانطلق إلى مالك يريمه ، فانطلق إلى مالك فقلت : السلام يقرئك السلام ويقول : أرني من هو أشقي مني ، فانطلق بي مالك إلى النار فرفع الطبق الأعلى فخرجت نار سوداء ظنت أنها قد أكلتني وأكلت مالكا ، فقال لها : أهدئي ، فهدأت ، ثم انطلق بي إلى الطبق الثاني فخرجت نار هي أشد من تلك صواداً وأشد حمي فقال لها : أخمدى ، فخدمت ، إلى أن انطلق بي إلى السابع وكل نار يخرج من طبق يخرج أشد من الأول فخرجت نار ظنت أنها قد أكلتني وأكلت مالكا وجميع مخلقه الله عز وجل فوضعت يدي على عيني وقلت : مرحباً يا مالك أنت تخدم وإلا خدمت فقال : أنت لم تخدم إلى الوقت المعلوم ، فأمرها فخدمت ، فرأيت رجلين في أعنادها سلاسل التيهان معلقين بها إلى فوق وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النير ان يcumون بهما بها ، فقلت : يا مالك من هذان ؟ فقال : أو ما قرئت في ساق العرش و كنت قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بالفقي عام لإله إله الله محمد رسول الله أيدته ونصرته بعلى ، فقال : هذان عدوا ذلك وظالماهم .

ثم إن حذرهم عن التلوّن في الدين فقال (فياكم والتلوّن في دين الله) تحذير لهم عن عدم الثبات على خلق واحد في أمر الدين وعن التقلب والتذبذب في أحكام الشرع المبين .

والظاهر أنه راجع إلى جماعة بلغه ^{يكتب} من بعضهم توقيفهم في بيعته كعبد الله ابن عمرو وسعد بن أبي وقاص وحسان بن ثابت واسامة بن زيد وأضرابهم ، وعن بعضهم إزادة النكث والنقض للبيعة بعد توكيدها ممثل طلحة والزبير وأتباعهما . ومرجع هذا التحذير في الحقيقة إلى التحذير عن النفاق ، لأن المنافق لا يستقيم على رأى واحد .

وقد ذم الله المنافقين على ذلك بقوله « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا » و قال أيضا « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهدى لهم سبيلا بشّر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين »

روى في الصافي عن العياشي عن الصادق عليهما السلام في قوله : « إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ، قال هما والثالث والرابع وعبد الرحمن وطلحة وكانوا سبعة الحديث .

وعن الصادق عليهما السلام نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا برسول الله عليهما السلام في أول الآيات ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال من كنت مولاه فعللي مولاه ثم آمنوا بالبيعة لا مير المؤمنين عليهما السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايدهم آثم كفروا حيث مضى رسول الله عليهما السلام فلم يقرروا بالبيعة لا ثم ازدادوا كفراً باخذهم من بايدهم بالبيعة لهم فهو لا لم يبق من الایمان شيء وكيف .

فلما حذرهم عن التلوّن الملازم للنفاق والتفرق عليهما السلام بقوله (فإن جماعة فيما تكررون من الحق خيره من فرقة فيما تحبسون من الباطل) يعني الاجتماع على الحق خير من الانفراق على الباطل وإن كان الأول مكروها لكم والثاني محظوظاً لديكم ، ولعل المراد أن اجتماعكم على يعني وثباتكم عليه خيراً لكم عاجلاً وآجلاً من انفراقكم عنها ابتغاء للفتن وحبها لها .

وأكّد ذلك بقوله (وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفِرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّا مَضِيَ وَلَا مَا بَقِيَ) لفظة با في الموصعين إماً بمعنى من ويؤسده ما في أكثر النسخ من لفظة من بدلها فيكون المراد أنه لم يعط أحداً من السلف ولا من الخلف خيراً بسبب الانفراق ، وإماً بمعناها الأصلي فيكون المعنى أنه تعالى لم يعط أحداً بسبب الانفراق خيراً من الدنيا ولا من العقبى .

وذلك لأنَّ الإنسان مدنى بالطبع يحتاج في اصلاح أمر معيشته ومعاده وانتظام أولاه وأخراه إلى التعاون والاجتماع والاتفاق .

ولذلك قال عليهما السلام في كلامه المأة والسبعين والعشرين: والزموا السواد الأعظم فإنَّ يد الله على الجماعة وإياكم والفرقـةـ فـانـ الشـادـ منـ النـاسـ للـشـيطـانـ كماـ أـنـ الشـادـ منـ الغـمـ للـذـئـبـ .

وقال رسول الله عليهما السلام من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربة الاسلام عن عنقه هذا .

ولكثرة فوائد الاجتماع والاختلاف وعظم ما يترتب عليها من التغيرات الدينية
حبّ مؤكداً فعل الجمعة والجماعة والأخبار الواردة في الحثّ والتغريب عليهم
فوق حدّ الاحماء.

(أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه) ومحاسبة نفسه (عن عيوب الناس)
وغيتهم روى في عقاب الأعمال عن الحسن بن زيد عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أسرع الخير ثوابا البر وإن أسرع الشر عقاباً البغي ،
وكفى بالمرء عيوباً أن ينظر من الناس إلى ما يعمى عينه من نفسه ، ويغير الناس بما
لا يستطيع تركيهو يؤذى جليسه بما لا يعنيه .

قال الطريحي في قوله تعالى « طوبى لهم وحسن مآب » أى طيب العيش ، وقيل
طوبى الخير وأقصى الأمانة ، وقيل اسم للجنة بلغة أهل الهند ، وفي الخبر عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنها شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها في دار على عليهما السلام فقيل
له في ذلك فقال : داري ودار على في الجنة بمكان واحد ، قال و في الحديث هي
شجرة في الجنة أصلها في دار النبي عليهما السلام وليس مؤمن إلا وفي داره غصن منها لا
يختلط على قلبه شهوة إلا أتاه ذلك الغصن ، ولو أن راكباً مجدداً سار في ظلّها
مئة عام ماخراً ولو طار من أسفلها غراباً مابلغ أعلاها حتى سقط هرماً .
(و طوبى لمن لزم بيته) قد من الكلام مشبعاً في فوائد العزلة وثمراتها في
شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة والثانية .

فإن قلت : أليس الاعتزال ملازمـةـ البيت ملازماً للفرقـةـ التي نهى عنها سابقاً
فكيف يجتمع النهي عن الفرقـةـ مع الحثّ على العزلـةـ المستفاد من هذه الجملـةـ
الخبرـيةـ ؟

قلت : لاتفاقـيـ بينـهـماـ ، لأنـ النـهـيـ السـابـقـ محمـولـ علىـ الـاقـتـارـ لـنـاثـرـةـ الفتـنةـ
وطلبـ البـاطـلـ كـمـاـ يـشـعـرـ بـهـ كـلـامـهـ السـابـقـ أـيـضاـ ، وـهـذـاـ مـحـمـولـ عـلـىـ الـاعـتـزـالـ لـطـلبـ
الـحـقـ وـمـنـاجـاهـ الرـبـ وـتـزـكـيـةـ النـفـسـ مـنـ رـزـائـلـ الـأـخـلـاقـ .
كمـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ قـوـلـهـ (وـأـكـلـ قـوـتـهـ وـاشـتـغـلـ بـطـاعـةـ رـبـهـ وـبـكـيـ عـلـىـ)ـ سـالـفـ

(خطيئته) وموبق معصيته (فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة) أى بدأ و لسانا .

روى في الكافي عن أبي البلاط رفعه قال . جاء أباً إلى النبي ﷺ وهو يريده بعض غزوته فأخذ بغيره (١) راحلته فقال : يا رسول الله ﷺ علمني عملاً أدخل به الجنّة ، فقال ﷺ ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فاتّه إلّيهم ، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إلّيهم ، خلّ سبيل الراحلة .

وفيه عن عثمان بن جبارة عن أبي جعفر ع ع قال : قال رسول الله ﷺ ثلات خصال من كنّ فيه أو واحدة منها " كان في ظل " عرش الله يوم لا ظل . إلّا ظله : رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم ، ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك الله رضي ، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيوب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه فإنه لا ينفي منها عيباً إلّا بذاته عيب وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس

الترجمة

پس از آن حذر نمائید از متفرق ساختن خلقها و از برگرداندن آنها و بگردانید زبان را یک زبان ، و باید که حفظ نماید مرد زبان خود را از جهه اینکه این زبان سرکش است بصاحب خود ، قسم بخدا نمی دینم بنده را پرهیز کند پرهیز کاری که منفعت بخشد اورا تا اینکه نگه دارد زبانش را ، پس بدرستی که زبان مؤمن از پشت قلب او است و بدرستی که قلب منافق از پشت زبان او است ، بجهة اینکه اگر مؤمن بخواهد تکلم بنماید بسخنی اندیشه میکند آن را درپیش نفس خود پس اگر خوب باشد آن سخن اظهار مینماید آن را ، واگر بد باشد پنهان میسازد اورا ، و بدرستیکه منافق تکلم مینماید به رچه زبان او میآید و نمیداند چه چیزی منفعت دارد باو و چه چیز ضرر دارد بر او .

وبتحقيق فرموده است حضرت رسالتما بصلوات الله وسلامه عليه وآلـهـ كـهـ :

(١) القراء بالفتح والسكون ركاب الراحلة من جلد وإذا كان من خشب أو حديد فركاب « منهـرهـ »

مستقیم نشود ایمان بنده مگر اینکه مستقیم شود قلب او ، و مستقیم نشود قلب او مگر اینکه مستقیم شود زبان او ، پس هر کس قدرت داشته باشد از شما باینکه ملاقات کند پرورد گار خودرا در حالتیکه پاک باشد دست او از خونهای مسلمانان و مالهای ایشان و سالم باشد زبان او از عرضهای ایشان پس باید که بگند آنرا .

و بدایید ای بند کان خدا که بدرستی مرد صاحب ایمان حلال میسازد امسال آن چیزیرا که حلال دانسته در سال گذشته و حرام میشمارد امسال چیزیرا که حرام شمرده در سال گذشته ، و بدرستی چیزیکه تازه احداث کرده است آن را مردمان حلال نمینماید از برای شما هیچ چیز از آنچه که حرام گردانیده شده است بر شما ، ولکن حلال منحصر است با آنچه که خدا حلال فرموده ، و حرام منحصر است با آنچه که خدا حرام فرموده .

پس بحقیق که تجر به کرده اید کارها را ، و محکم گردانیده اید آنها را ، و نصیحت داده شده اید با کسانی که بوده اند پیش از شما ، وزده شده از برای شما مثلها ، و دعوت شده اید بسوی أمر روشن ، پس کر نمی شود در آن مگر کسی که زیاد کر باشد ، و کور نمی شود از آن مگر کسی که بغایت کور باشد ، و آنکسی که نفع نداد اورا خدای تعالی با امتحان و تجر بها منتفع نشد بچیزی از موعله و آمد اورا ضرر و تقصیر از پیش او تا اینکه خیال میکند معرفت چیزیرا که انکار داشت اورا ، و انکار مینهاید چیزیرا که معرفت داشت باو .

پس بدرستی که مردمان دو مردند: یکی آنکه پیروی کننده است بشریعت را و دیگری آنکه اختراع کننده است بعد از رادر حالتی که نیست با او از جانب خداوند دلیلی از سنت ، و نه روشنی دلیلی .

وبدرستیکه خدای تعالی موعله نفر موده هیچ أحدی را بمثل این قرآن ، پس بدرستیکه قرآن رسماً محکم خدا است و رسماً است که ایمن است ، و در او است بهار قلبها و چشمها علمهها ، و نیست هر قلب را جلاه و صیقلی غیر آن با وجود

اینکه رفتند صاحبان تذکر، و باقی مانده است صاحبان نسیان و فراموشی یاخود را بفراموشی زنندگان، پس چون ببینید چیز نیکوئی را پس اعانت نمائید براو، و چون مشاهده کنید چیز بدی را پس کناره جوئی کنید از آن پس بدرستی که حضرت رسالت‌آب صلوات‌الله‌علی‌ہ و‌آمدی‌ہ می‌فرمود کهای پسر آدم عمل کن خیر را و ترک کن شر را، پس این هنگام تو میباشی پسندیده رفتار و پسندیده کردار.

آگاه باشید بدرستیکه ظلم سه قسم است: ظلمیست که آمر زیده نمی‌شود، و ظلمی است که ترک کرده نمی‌شود، و ظلمیست که آمر زیده خواهد شد. پس اما ظلمی که بخشیده نخواهد شد پس عبارتست از شرک آوردن بخدا خداوند تعالی فرموده: بدرستیکه خدا نمی‌بخشد در اینکه شرک آورده باو، و اما ظلمی که بخشیده خواهد شد پس آن ظلم کردن بنده است بر نفس خود در بعض اعمال قبیحه و معاصی، و اما ظلمیکه متزوك نمی‌شود پس آن ظلم بنده کان است بعضی بر بعضی، و دیگر قصاص ظالم در آخرت سخت و باشد تست نه از قبیل زخم زدن است با کاردها و نه زدن با تازیانها ولیکن عذاییست که کوچک شمرده می‌شود این زخم و ضرب در جنب او

پس بترسید از متلوں شدن و دو رنگ بودن در دین خدای تعالی، پس بدرستیکه اتفاق کردن در چیزیکه ناخوش میدارید از امر حق بهتر است از مفترق گشتن در چیزیکه دوست میدارید از امر باطل، و بدرستی که خدای تعالی عطا نکرد أحدی را بسبب افتراق و اختلاف خیر و منفعتی نه از گذشتگان و نه از آیندگان. ای مردمان خوش امر آنکسیرا که مشغول سازد اورا عیب او از عیوبهای مردمان و خواامر آنکسیرا که ملازم بشود خانه خود یعنی منزوی شود و بخورد - قوت حلال خود را و مشغول شود بطاعت پروردگار خود و گریه کند بگناهان خود، پس باشد از نفس خود در شغلیکه مشغول او شود و مردمان ازاو در راحت.

وَمِنْ كَلَامِهِ فِي مَعْنَى الْحُكْمَيْنِ وَهُوَ الْمَأْةُ وَالسَّادِسُ وَالسَّبْعُونُ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَ

فَاجْمَعْ رَأْيُ مَلَائِمٍ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخْذَنَا عَلَيْهِمَا أَنْ
يُجْعِلُهُمَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلَا يُجَاوِزُاهُ، وَتَكُونُ أَسْتِنْتَهَا مَعَهُ، وَفُؤُودُهُمَا
تَبَعَّهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبَصِّرَا نِيهَ، وَكَانَ الْجَوْزُ هَوَاهُمَا،
وَالْإِغْوَاجُ رَأْيُهُمَا، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِنْتَهَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْمَدْلِ
وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْزُ حُكْمِهِمَا، وَالثَّقَةُ فِي أَيْدِيهِمَا لَا تُقْسِنَا
جِنَّ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَنْيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَفْكُورِيْنِ الْحُكْمِ.

اللغة

(الملا)، أشراف النّاس ورؤسائهم ومقدّموهم الذين يرجع إلى قولهم قال في
محكم النهاية: في حديث علي عليهما السلام أن (يجمعهما عند القرآن) أي يقيما عنده
يقال: جمجم القوم إذا أنا خوابا لجمجماع، وهي الأرض والجمجماع أيضا الموضع
الضيق الخشن و (التبع) محرّكة التابع يكون مفرداً وجمعها ويجمع على أتباع
مثل سبب وأسباب.

الاعراب

سوه رأيهم بالتنصب مفعول استثنائنا أو سبق أيضا على سبيل التنازع والأول
أظهر قوله: في الحكم، متعلق بقوله: سبق.

المعنى

قال الشارح البحرياني: هذا الفصل من خطبة خطبها لما بلغه أمر الحكمين . أقول : والظاهر أنه توهّم من قول السيدـره ومن كلام له في معنى الحكمين أنه تكلّم به حين بلغه أمرهما ، فان كان ظفر ب تمام الخطبة واطلع على أنه خطبها حين بلوغ أمرهما فهو ، وإلا فالظاهر أنـ هذا الكلام من فصول الاحتياجات التي كانت له مع الخوارج وقد مرـ نظير هذا الكلام منه في ذيل الكلام المأة والسابع والعشرين .

وبالمراجعة إلى شرح الكلام المذكور وشرح الكلام المأة والخامس والعشرين المتضمن لاحتياجاته معهم يظهر لك توضيح ما ذكره في هذا المقام وتعرف أنه ناظر إلى ردـ احتجاجـهم الذي احتجـوا به عليه وهو : أنـك قد حكمـت الرـجالـ في دين الله ولـم يكنـ ذلكـ إـلـيـكـ ثمـ أـنـكـ رـجـلـ حـكـمـهـ لـمـ حـكـمـواـ عـلـيـكـ . فـأـجـابـهـمـ بـيـلـيـمـ بـقـوـلـهـ (فأـجـمـعـ رـأـيـ مـلـاـكـ) أـىـ عـزـمـ رـؤـسـاءـ كـمـ وـ كـبـرـاءـ كـمـ وـ اـتـقـ آـرـاـهـمـ (عـلـىـ أـنـ اـخـتـارـواـ رـجـلـينـ) هـمـ أـبـوـمـوسـىـ الـأشـعـرـىـ وـعـمـرـ وـبـنـ الـعـاصـمـ لـعـنـهـمـ اللـهـ تـعـالـىـ مـنـ غـيـرـ رـضـىـ مـتـىـ بـتـحـكـيمـهـمـاـ بـلـ عـلـىـ غـايـةـ كـرـهـ مـتـىـ بـذـلـكـ .

كـمـ يـدـلـ " قـوـلـهـ لـابـنـ الـكـوـافـيـ التـهـرـوـانـ فـيـ الرـوـاـيـةـ الـتـيـ روـيـناـهـ مـنـ كـشـفـ الغـمـةـ فـيـ شـرـحـ الخطـبـةـ السـادـسـةـ وـالـثـلـاثـيـنـ حـيـثـ إـنـهـ لـماـ اـعـتـرـضـ عـلـيـهـ بـأـمـرـ الـحـكـمـينـ قـالـ بـيـلـيـمـ لـهـ : أـلـمـ أـقـلـ لـكـمـ إـنـ أـهـلـ الشـامـ يـخـدـعـونـكـمـ بـهـ (١) فـانـ الـحـربـ فـدـعـضـتـهـمـ فـذـرـوـنـيـ أـنـاجـزـهـمـ فـأـيـسـتـمـ أـلـمـ اـرـدـ نـصـبـ اـبـنـ عـمـيـ . أـىـ عـبـدـالـهـ بـنـ الـعـبـاسـ . وـ قـلـتـ اـنـهـ لـاـ يـنـخـدـعـ فـأـبـيـتـمـ إـلـاـ أـبـاـمـوسـىـ وـفـقـتـمـ رـضـيـنـاـبـهـ حـكـمـاـ فـأـجـبـتـكـمـ الـوقـتـ أـعـوـانـاـ غـيـرـ كـمـ لـمـ أـجـبـتـكـمـ .

(فـأـخـذـنـاـ عـلـيـهـمـ) أـىـ عـلـىـ الرـجـلـيـنـ الـحـكـمـينـ (أـنـ يـجـعـجـمـاـ عـنـ الدـقـرـآنـ) أـىـ يـقـفـادـونـ وـيـجـبـ نـفـسـهـمـاـ عـلـيـهـ (وـلـاـ يـجـاـزوـهـ) أـىـ لـاـ يـجـاـزوـهـ عـنـ أـوـامـرـهـ وـنـوـاهـيـهـ (وـيـكـونـ أـلـسـنـتـهـمـاـ مـعـهـ وـقـلـوـبـهـمـاـ تـبـعـهـ) أـىـ يـكـوـنـاـنـ تـابـعـيـنـ لـهـ وـيـعـمـلـانـ بـحـكـمـهـ (فـتـاهـاـ) أـىـ ضـلـالـاـ

(١) أـىـ بـالـصـاحـفـ وـرـفـقـهـاـمـنـهـ

(عنه وتركا الحقّ وهم يبصرونـه) أى عدلاً عن القرآن وعن حكمـه الحقّ الذي هو خالـقـتهـمـعـعلمـهـماـوـعـرـفـهـماـبـحـقـيـقـتـهـ كـماـعـرـفـتـ تـفـصـيلـ ذـلـكـ كـلـهـ فـيـ شـرـحـ الخطـبـةـ الخامـسـةـ وـالـثـلـاثـيـنـ .

وـالـحـاـصـلـ أـنـهـمـاـ تـرـكـاـ الـحـقـ عـمـدـاـ عـنـ عـلـمـ لـاـعـنـ جـهـلـ وـلـمـ يـكـنـ ذـلـكـ فـتـنـةـ مـنـهـمـاـ بـلـ كـانـ بـنـائـهـمـاـ مـنـ أـوـلـ الـأـمـرـ عـلـىـ ذـلـكـ (وـكـانـ الـجـورـ) وـالـحـيـفـ فـيـ الـحـكـمـ (هـوـاهـمـاـ وـالـاعـوـجـاجـ) عـنـ الـحـقـ وـالـانـحرـافـ عـنـ الدـيـنـ (رـأـيـهـمـاـ) وـفـيـ بـعـضـ النـسـخـ دـأـبـهـمـاـ وـهـوـأـولـىـ أـىـ لـمـ يـكـنـ ذـلـكـ أـوـلـ حـيـفـهـمـاـ بـلـ كـانـ دـيـدـنـاـ وـعـادـةـ لـهـمـاـوـشـيمـةـ طـبـعـتـ عـلـيـهـاـ قـلـوبـهـمـاـ .

فـمـأـجـابـ عـمـاـ نـقـمـواـ عـلـيـهـ مـنـ إـنـكـارـهـ التـحـكـيمـ بـعـدـ رـضـاهـ بـهـ بـقـوـلـهـ (وـقـدـ سـبـقـ اـسـتـشـاؤـنـاـ عـلـيـهـمـاـ فـيـ الـحـكـمـ بـالـعـدـلـ وـالـعـمـلـ بـالـحـقـ) سـوـهـ رـأـيـهـمـاـ وـجـورـ حـكـمـهـمـاـ) أـرـادـ بـهـ مـاـ كـانـ شـرـطـهـ عـلـىـ الـحـكـمـينـ حـيـنـ عـزـمـواـ عـلـىـ التـحـكـيمـ أـنـ يـحـكـمـهـمـاـ بـمـاـ حـكـمـ الـقـرـآنـ وـبـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ فـيـهـ مـنـ فـاتـحـتـهـ إـلـىـ خـاتـمـتـهـ وـإـلـاـ فـلـاـ يـنـفـذـ حـكـمـهـمـاـ فـيـهـ وـفـيـ أـصـحـاحـهـ ،ـ فـقـدـ قـدـمـ عـلـيـهـمـاـ أـنـ لـاـ يـعـمـلـاـ بـرـأـيـهـمـاـ وـهـوـهـمـاـ وـلـاـ يـحـكـمـهـمـاـ بـشـيـءـ مـنـ تـلـقـاءـ أـنـفـسـهـمـ الـأـمـارـةـ بـالـسـوـهـ .

(وـالـثـقـةـ فـيـ أـيـدـيـنـاـ لـأـنـقـسـنـاـ) أـىـ إـنـاـ عـلـىـ بـرـهـانـ وـثـقـةـ مـنـ أـمـورـنـاـ وـلـيـسـ يـلـازـمـ لـنـاـ اـتـبـاعـ حـكـمـهـمـاـ (خـيـنـ خـالـفـاـ سـبـيلـ الـحـقـ) وـاـنـحـرـفـاـ عـنـ سـوـاـ السـبـيلـ (وـأـتـيـاـ بـمـاـ لـاـ يـعـرـفـ) أـىـ لـاـ يـصـدـقـ بـهـ (مـنـ مـعـكـوسـ الـحـكـمـ) يـعـنـيـ أـنـهـمـاـ نـبـذـاـ كـتـابـ اللـهـ وـرـاءـ ظـهـورـهـمـ وـخـالـفـاهـ وـحـكـمـهـمـاـ بـعـكـسـ حـكـمـ الـكـتـابـ وـقـدـ اـسـتـحـقـاـبـهـ اللـؤـمـ وـالـعـقـابـ يـوـمـ الـحـسـابـ

التـرـجمـةـ

ازـجـملـهـ كـلـامـ فـصـاحـتـ نـظـامـ آـنـ اـمـامـ عـلـيـهـاـ استـ ذـرـذـرـ كـهـ خـطـابـ فـرمـودـهـ بـآـنـ خـوـارـجـ نـهـرـوـانـ رـاـ درـمـقـامـ اـجـتمـاعـ بـاـيـشـانـ مـيـفـرـمـاـيدـ :
پـسـ مـتـقـقـ شـدـ رـأـيـ رـؤـسـاءـ وـأـشـرـافـ شـمـاـ بـرـأـيـهـكـهـ اـخـتـيـارـ كـرـدـنـدـ دـوـ مـرـدـ رـاـكـهـ

یکی ابوموسی اشعری بود و یکی عمر و بن عاص پس عهد و میثاق گرفتیم برایشان که واایستند و حبس کنند نفس خود را در نزد قرآن و تجاوز نکنند از آن و باشد زبان ایشان با آن قرآن و قلب های شان تابع آن، پس هر دو گمراه شدند از قرآن و ترک کردند حق را و حال آنکه هر دو میدیدند حق را، و بود جور و ظلم آرزوی ایشان و کجی و اعوجاج رأی ایشان.

وبتحقيق که سابق شده بود استثناء کردن ما بر آن دومرد در خصوص حکم کردن با عدالت و عمل کردن بحق بدی رأی ایشان را و ستم کردن ایشان را در حکمی که نینمایند، یعنی استثناء کرده بودیم که ایشان با رأی فاسد خود رفتار نکنند و با حکم جور حکم ننمایند، و وثوق و اعتماد در دست ما است از برای تقسیه ای خود ما در وقتیکه مخالفت راه حق کردند و آورند چیزی را که غیر معروف بود از حکمی که بعكس حکم قرآن بود و برخلاف شرط ما.

و من خطبة له ﷺ و هي المأة والسابعة و السبعون من المختار في باب الخطب

خطبها بعد قتل عثمان في أول خلافته كما في شرح المعتزلی والبحراني.
 لا يشغل شأنه، ولا يغيره زمانه، ولا يخويه مكانه، ولا يقصيه إنسان، لا يغزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا أسواف الريح في الهواء، ولا دبيب التمبل على الصفاء، ولا مقبل الذر في الليلية الظلماء، يعلم مساقط الأوزار، وخفى طرف الأحداث.
 وأشهد أن لا إله إلا الله غير ممدوبيه، ولا مشكوك فيهم،

وَلَا مَكْفُورٌ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٌ تَكْوِينُهُ، شَهادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ،
وَصَفَتْ دُخْلَتُهُ، وَخَلُصَّ يَقِينُهُ، وَلَقُلْتَ مَوازِينُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، الْمُجَتبى مِنْ خَلْقِهِ،
وَالْمُعْتَامُ لِشَرِحِ حَقِّ اِيمَانِهِ، وَالْمُخْتَصُ بِعَقَائِيلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُضْطَفُ
لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوَضِّحةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمَجْلُوسُ
غَرِيبُ الْعِيَ.

أَهْمَّ النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَفَرُّ الْمُؤْمِلَهَا، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ
بَعْنَ نَافِسِ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا.

وَأَئِمَّةُ اللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضْنِيَّةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ
إِلَّا بِذُنُوبٍ أَجْتَرُوهَا، لَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ، وَلَوْ أَنَّ
النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمَ، وَتَنْزُولُ عَنْهُمُ الشَّغْمَ، فَزِعُوا إِلَيْهِمْ بِصِدْقِ
مِنْ نِيَاتِهِمْ، وَوَلَهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَ عَلَيْهِمْ كُلُّ شَارِدٍ، وَأَنْصَلَحَ لَهُمْ
كُلُّ فَاسِدٍ، وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ
أُمُورٌ مَضَتْ مُلْتُمِّمَ فِيهَا مَيْلَةٌ كُفُوتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرُ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ
رَدَ عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ إِنَّكُمْ لَسَعْدَاءُ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجَهَدُ، وَلَوْ أَشَاءَ أَنْ
أُقُولَ لَقُلْتُ : عَفَى اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

اللغة

(سفت) الريح التراب أى ذرته و (الدخلة) بالكسر والضم باطن الشيء و (المعتم) بالباء المثناة فاعل من اعتم أى اختار ما خود من العتمة وهو خيار المال و (الغربيب) وزان قنديل الأسود شديد السواد قال سبحانه : وغرائب سود .
 و(أخلد إلى الأرض) أى د肯 إليها و اعتمد عليها (ومعلى إلا الجهد) في نسخة الشارح البحرياني بفتح الجيم وضيظه الشارح المعترضي بالضم وبهما قوله سبحانه : والذين لا يجدون إلا جهدهم ، قال الفيومي : الجهد بالضم في الحجاج وبالفتح في لغة غيرهم الواسع والطاقة ، وقيل : المضموم الطاقة والمفتوح المشقة ، والجهد بالفتح لا غير الغاية والنهاية ، وهو مصدر من جهد في الأمر جهداً من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته في الطلب .

الاعراب

الظاهر تعلق قوله في الليلة الظلماء بالدبيب و المقيل على سبيل التنازع ، وغير معدول بنصب غير حال من الله ، وفي قوله : في غض نعمة ، للظرفية المجازية ، والباء في قوله : بصدق ، للمصاحبة ، وجملة عفى الله عما سلف وغايتها لم محل لها من الاعراب وعلى ذلك فمقول قلت محنوف ، ويجوز أن يكون في محل النصب مقولة للقول والثاني أظهر لاحتياج الأول إلى الحدف والأصل عدمه .

المعنى

اعلم أن مدار هذه الخطبة على فصول أربعة

أولها

تفريغ الله سبحانه و تمجيده بجملة من أوصاف الجلال وصفات الجمال وهو قوله (لا يشغله شأن) عن شأن أى أمر عن أمر لأن الشغل عن الشيء بشيء آخر إمام التقى كان القدرة أو العلم وهو تعالى على كل شيء قادر و بكل شيء محيط ، فلا يشغلهم مقدور

عن مقدور ولا معلوم عن معلوم (ولا يغيره زمان) لأنّه تعالى واجب الوجود والمغيّر في ذاته أو صفاته لا يكون واجباً فلا يتحقق التغيير ولا أنه خالق الزمان ولا زمان يتحققه فلا تغيير يتحققه بتغييره (ولا يحيي مكان) اذا لو كان محوياً يلزم أن يكون محدوداً وكل محدود جسم، وقد غرفت في شرح الفصل الخامس من الخطبة الأولى وفي شرح الخطبة المأة والثانية والخمسين تحقيق الكلام في تنزّهه عن المكان وعن الحدود بما لا مزيد عليه فليراجع المقامين .

وأقول هنا مضافاً إلى ما سبق : إن المتشبهة قد تعلقت بقوله سبحانه : الرحمن على العرش استوى ، في أنّ معبودهم جالس على العرش وقد تقدم في شرح الفصل الخامس من الخطبة الأولى تأويل هذه الآية وظاهر لك فساد قولهم وبطحان تمسّكهم بها، وقد أقام المتكلمون المتألهون أدلة عقلية ونقلية على فساد مذهبهم وعلى استغنايه تعالى عن المكان لا بأس بالإشارة إلى جملة منها .

أحدها أنّه تعالى كان ولا عرش ولا مكان ، ولما خلق الخلق لم يحتاج إلى مكان غنياً عنه فهو بالصفة التي كان لم ينزل عليها إلا أن يقال لم ينزل مع الله شيء كالعرش وهو أيضاً باطل لأنّه يلزم أن يخلو عن المكان عند ارتحاله عن بعضها إلى بعض فيختلف نحو وجوده بالحاجة إلى المكان والاستغناء عنه وهو محال .

ثانية أنّه الجالس على العرش إما أن يكون متمكناً من الانتقال والحركة عنه أم لا ، فعلى الأول يلزم ما ذكرنا من الاستغناء والاختلاف في نحو الوجود أعني التجدد والتجسم .

لا يقال : هذا منقوص بانتقال الإنسان مثلاً من مكان إلى مكان .

فلينـاـتـهـيـنـتـقـلـ عـلـىـ الـاتـصالـ مـنـ مـكـانـ إـلـىـ مـكـانـ وـهـوـ فـيـمـاـ بـيـنـهـ مـالـمـيـنـفـاـتـ عـنـ مـكـانـ وأـمـاـ الـبـارـىـ جـلـ ذـكـرـهـ فـالـمـكـانـ الذـيـ يـنـتـقـلـ إـلـيـهـ مـخـلـوقـ لـهـ فـلـابـدـ أـنـ يـخـلـقـهـ أـوـ لـاحـتـيـ يمكنـ اـنـقـالـهـ إـلـيـهـ فـهـوـ فـيـمـاـ بـيـنـهـ مـعـرـفـاـتـ عـنـ مـكـانـ أـسـوـهـ حـالـاـ مـنـهـ ، فـانـ الزـ مـنـ يـتـمـكـنـ مـنـ الـحـرـكـةـ عـلـىـ رـأـسـهـ وـمـعـبـودـهـ غـيرـ مـتـمـكـنـ وـثـالـثـاـ أـنـهـ جـالـسـ عـلـىـ عـرـشـ لـابـدـ وـأـنـ يـكـونـ الـعـزـمـ الـحـاـصـلـ مـنـهـ فـيـ يـمـينـ

العرش غير الجزء الحاصل منه في شمال العرش فيكون من كيماً لفامن الأجزاء المقدارية ومر كباً من صورة زيادة ، وكل من كان كذلك يحتاج إلى مؤلف ومر كب والحاجة من أوصاف الممكن ، هذا.

وهذه الأدلة الثلاث كما يبطل كونه جالساً على العرش كذلك تبطل كونه محظياً للمكان أي مكان كان كما هو غير خفي على الفطن العارف فتذهب .
(ولا يصفه لسان) أي لا يقدر لسان على وصفه ومدحه لأن اللسان إنما هو ترجمان للقلب معتبر عن المعاني المخزونة فيه ، والقلب إذا كان عاجزاً عن البلوغ إلى وصفه وعن تعقل صفاتة فاللسان أعجز وألكن .

بيان ذلك أن وصف الشيء والثناء عليه إنما يتصور إذا كان مطابقاً لما هو عليه في نفس الأمر ، وذلك غير ممكن إلا بتعقل ذاته وكنته ، لكن لا يمكن للعقل تعقل ذاته سبحانه وتعقل ماله من صفات الكمال ونعوت الجلال ، لأن ذلك التعقل إما بحصول صورة متساوية لذاته تعالى وصفاته الحقيقية الذاتية أو بحضور حقيقته وشهود ذاته المقدسة والأول محال إذ لا ممثل لذاته كما قال عز من قائل : ليس كمثله شيء ، لأن كل ماله مثل أوصورة متساوية له فهو ذ وجهاً كليّاً وهو تعالى لا مهبة له ، والثاني أيضاً كذلك إذ كل متساوية من العقول والآنفوس والذوات والهويات معلم له مقنور تحت جلاله وعظمته وكثيراً ما كان يهار عين الخفافش تحت نور الشمس ، فلا يمكن للعقل لقصورها عن درجة الكمال الواجبي إدراك ذاته على وجه الاكتفاء والاحاطة ، بل كل عقل له مقام معلوم لا يقدر على التعدي عنه إلى ما فوقه ، ولهذا قال جبرئيل إلا مين لما تختلف عن خير المرسلين ليلة المراج: لودنوت أنملة لاحتقت، فأنسى للعقل البشرية الاطلاع على النعوت الالهية والصفات الأحادية على ما هي عليه من كمالها .

فالقول والكلام وإن كان في غاية الجودة والبلاغة واللسان والبيان وإن كان في نهاية الحدة والفصاحة يقف دون أدنى مراتب مدحه ، والمادحون وإن صرفوا جهدهم وبذلوا وسعهم وطاقةهم في وصفه والثناء عليه فهم بمراحلبعد عمّا هو ثناء عليه

بما هو أهله ومستحقه .

ولهذا قال سيد النبئين وأكمل المادحين : لا احصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ثم وصفه باحاطة علمه سبحانه بجميع الجزيئات وخفيات ما في الكون ، وقد عرفت في شرح الفصل السابع من الخطبة الأولى عموم علمه تعالى بجميع الموجودات وعدد من ذلك هنا أشياء فقال (لا يعزب عنه) أى لا يغيب عن علمه (عدد قطر الماء) المنزل من السماء والراكد في متراكم البحار و الغدران و الآبار و البخارى في الجداول والأنهار (ولا) عدد (نجوم السماء) من الثوابت والسيارات (ولا سوا في الريح في الهواء) أى التي تسفو التراب وتذروه .

وتخصيصها بالذكر من جهة أنها غالب أفرادها ، فلا دلالة فيها على اختصاص علمه بها فقط ، لأن الوصف الوارد مورد الغلبة ليس مفهومه حجّة كما صرّح به علماء الأصولية ومثله قوله تعالى : وربّائكم اللاتي في جحوركم ، ويمكن أن يكون غرضه الاشارة إلى أنه لا يخفى عليه سبحانه السوا في مع ما تسفوه من التراب ، فإن التراب الذي تحمله الريح وتبثه في الجو لا يعلم مقداره وأجزاءه وذراته إلا الله سبحانه العالم بكل شيء .

(ولا) يعزب عنه (دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء) أى لا يخفى حركة آحاد النمل على الصخر إلا ملمس في الليلة المظلمة ، ولا محل قيلولة صغار النمل فيها مع فرط اختفائهما عليه سبحانه بل علمه تعالى محظوظ بهما وبغير هما من خفيات الموجودات وخبيتها .

فإن قلت : لم خصّ دبيب النمل بكونه على الصفا ؟

قيل : لعدم التأثير بالدبيب كالتراب إذ يمكن في التراب و نحوه أن يعلم الدبيب بالتأثير .

وفيه إن بقاء أثر الدبيب في التراب مسلم إلا أن حصول العلم به بذلك الأثر إما أن يكون في الليل أو في النهار ، والأول ممنوع لأن ظلمة الليل المظلم مانعة

عن مشاهدة الآخر كنفس المؤثر والصفا والتراب سيان في اختفاء الدبيب فيها على كلّ منها ، والثاني مسلم إِنَّه إِذَا كان فِي النَّهَار فَهُوَ مُشَاهِد لِكُلِّ أَحْدُو مَعْلُومٍ بِنَفْسِهِ من دون حاجة إلى الاستدلال بالأثر من غير فرق أيضًا في ظهوره بين كونه على الصفا وبين كونه على التراب .

إِنَّ يقال : إِنَّه مع كونه في الليل على التراب يبقى أثره إلى النهار فممكن حصول العلم به منه ، بخلاف ما إذا كان على الصفا فلا يكون له أثره أصلًا حتّى يبقى إلى النهار ويتحصل منه العلم .

ولكن يتوجّه عليه إِنَّ ظاهر القضية أَنَّه لا يخفى عليه دبيب حين دبّه أَغْنِى في الليلة المظلمة ولا مقيم النّور حين قيلولتها .

فإن قلت: هذا مسلم لو جعلنا قوله : في الليلة الظلماء قيداً لكلا الأمرين ، أمّا لوجعلناه قيداً للأَخْير فقط لارتفاع الاشكال .

قلت: لا بدّ من إرجاع القيد إِلَيْهِما جميـعاً إِذ الدبيب الحاصل في النهار مشاهـد لكلّ أحد ومرئـي معلوم ولا اختصاص لعدم اختفائه بالله سبحانه حتّى يتمدّح به . والـذي يلوـح للـخاطر في سـر التـخصـيص هو أـنَّ غالـباً أـفرادـالـحيـوانـوـمنـهـالـنـملـإـذـاسـارـتـبـالـلـيلـعـلـىـالـتـرـابـلـاـيـظـهـرـصـوتـقـوـائـهـوـحـوـافـهـالـلـلـيـنـالـتـرـابـ،ـفـيـخـتـفـيـسـيرـهـغالـباًـعـلـىـالـنـاسـ،ـوـأـمـاـإـذـاـصـارـتـعـلـىـالـصـفـاـفـيـطـلـعـعـلـىـالـنـاسـلـاـيـظـهـرـصـوتـالـحـوـافـرـوـالـأـقـدـامـ،ـوـأـمـاـالـنـملـفـاـلـاـيـظـهـرـدـبـيـبـهـعـلـىـالـصـفـاـعـلـىـالـنـاسـفـضـلـاـعـنـالـتـرـابـلـمـيـعـزـبـعـلـىـهـسـبـحـانـهـدـبـيـبـهـمـعـفـرـطـخـفـائـهـفـاقـهـجـيـداًـ.

وـكيفـكـانـفـقـدـظـهـرـمـنـذـلـكـكـلـهـأـىـمـاـذـكـرـهـيـتـبـلـغـهــهـنـاـوـمـاـذـكـرـنـاهـوـمـمـاـقـدـمـهـوـقـدـمـنـاهـأـنـهـلـاـيـعـزـبـعـنـهـمـثـقـالـذـرـةـفـيـالـسـمـاـوـاتـوـلـاـفـيـالـأـرـضـوـلـاـأـصـفـرـمـنـذـلـكـوـلـاـأـكـبـرـإـلـاـفـيـكـتـابـمـبـيـنـ.

فـانـقـدـحـمـنـهـأـنـهـسـبـحـانـهـ(ـيـعـلـمـمـسـاقـطـالـأـوـرـاقـ)ـعـدـلـعـنـنـفـيـالـمـعـزـوبـإـلـىـإـثـبـاتـالـعـلـمـعـلـىـقـاعـدـةـالـيـقـيـنـوـتـصـدـيقـعـلـمـهـبـمـسـاقـطـالـأـوـرـاقـمـضـافـةـإـلـىـغـيرـهـاـقـولـهـ

تعالى : وعنه مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .
 (و) هو يدل أيضاً لعمومه على أنه يعلم (خفى طرف الأحداث) وأراد بالطرف انطباق أحد الجفنيين على الآخر أى يعلم ما خفى من ذلك على الناس كما قال سبحانه : يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

الفصل الثاني

في الشهادة بالتوحيد والرسالة وهو قوله (أشهدان لا إله إلا الله) مضى تحقيق الكلام فيه بما لا مزيد عليه في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثانية فليراجع ثمة وأكّد الشهادة بالوحدةانية بقوله (غير معدول به) أى حالكونه سبحانه لم يجعل له مثل وعديل (ولا مشكوك فيه) أى في وجوده لمنافاة الشك فيه بالشهادة بوحدانيته (ولا مكفور دينه) للازمية التصديق بالوحدةانية بالاعتراف بالدين المنافي للجحود ويدل على التلازم مامر في الفصل الرابع من الخطبة الأولى من قوله : أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده (ولام جحود تكوينه) أى اتحاده للموجودات وتكوينه لها لشهادتها جميعاً بوجود مبدعها ووحدانيتها بارئها .

ووصف شهادته بنكونها مثل (شهادة من صدقتك نيتها) أى صادرة عن صميم القلب وعن اعتقاد جازم (وصفت دخلته) أى موصوفة بصفاء الباطن وسلامتها من كدر الرياء والنفاق (وخلص يقينه) من رين الشكوك والشبهات (وذهلت موازينه) إذ الشهادة إذا كان على وجه الكمال توجب نقل ميزان الأعمال .

ويدل على صريحنا ما قدمنا روايته في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثانية من ثواب الأعمال عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : قال الله جل جلاله لموسى بن عمران : ياموسى لوأن السماوات وعمر بيهم عندي والأرضين السبعة في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله .

(ج) ١٠)

في التحذير عن الرّكون إلى الدّنيا

(٢٥٣)

(وأشهد أنَّ مُهَداً عبده ورسوله المجتبى) المصطفى (من خلائقه) وقد عرفت توضيحة في شرح الخطبة الثالثة والتسعين (والمعتمام لشرح حقيقة) أي المختار لشرح حقائق توحيده أي لا يضاهى العلوم الالهية (والمختص بمقابل كراماته) النفيضة من الكلمات النفسانية والأخلاق الكريمة التي اقتدر معها على هداية الأئمَّة وتأسيس أساس الإسلام (وال Yusuf Al-Qurayshi المصطفى لكرامات رسالته) أي لرسالاته الكريمة الشريفة وجمعها باعتبار تعدد أفراد الأُمر والأحكام النازلة عليه، فانَّ كلَّ أمر بتبليغه وأدائه رسالة مستقلة وإن كان باعتبار المجموع رسالة واحدة (والموضحة به أشراط الهدى) أي أعلام الهدایة فقد أوضح بقوله وفعله وتقريره ما يوجب هداية الأنام إلى النهج القويم والصراط المستقيم (والجملة به غريب العمى) أي المنكشف بنور نبوّته ظلمات الجهلة .

الفصل الثالث

في تنبيه الرَاكِنِينَ إِلَى الدّنِيَا وِيَقْاظِ الْغَافِلِينَ عَنِ الْعَقْبِيِّ وَهُوَ قَوْلُهُ (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدّنِيَا تَغْرِيُ الْمُؤْمِنَ لِهَا وَالْمُخْلَدَ إِلَيْهَا) وَذَلِكَ مَشْهُودٌ بِالْعِيَانِ مَعْلُومٌ بِالتَّجْرِيبَةِ وَالْوَجْدَانِ ، فَإِنَّا نَرَى كَثِيرًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا وَالرَاكِنِينَ إِلَيْهَا تَعْرَضُ لَهُمْ مَطَالِبٌ وَهُمْ يَتَّهِمُونَ خِيَالِيَّةً فَتَوَجَّبُ ذَلِكَ طُولَ أَمْلَاهُمْ فِي خِتَافِهِمُ الْمَوْتُ دُونَ نِيلِهَا وَيَنْكَشِفُ بَطْلَانَ تَلْكَ الْخِيَالَاتِ ، وَقَدْ تَقْدِمُ تَفْصِيلُ ذَلِكَ فِي شَرْحِ الْخَطْبَةِ الثَّانِيَةِ وَالْأَرْبَعِينَ (وَلَا تَنْفَسْ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا) أي لا تضمن ممّن ضمن (١) بها لنفاستها ، بل ترميه بالنواصب والألام وبسهام المصائب والأسقام (وَتَغْلِبُ مِنْ غَلْبِ عَلَيْهَا) أي من ملكها وأخذها بالقهر والغلبة فمن قليل تقهّره وتهلكه .

الفصل الرابع

في التنبيه على وجوب شكر النعم واستدراكها بالفزع إلى الله فأقسام بالقسم

(١) ضمن بالشيء من باب تعب بخل به ، منه .

البار وهو قوله (وأيم الله ما كان قوم قط في خضّع نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنب اجترحوها) على أن زوال النعمة الطرية ورغيد العيش عن العباد ليس سببه إلا كفران النعم والذنوب التي اكتسبوها كما قال عز من فائق : إن الله لا يغفر ما قوم حتى يغيروا ما بآنفسهم ، وذلك لأنّهم لو استحقوا مع الكفران واكتساب الآثام لافاضة العيّاء لكان منعهم منها منعاً لامستحق المستعد وذلك عين الظلم وهو محال على الله سبحانه (لأن الله ليس بظلام للعبيد) فعلم من ذلك أن سبب زوال النعمة وحصول النعمة ليس إلا الذنب المكتسبة هذا .

ولايختفي عليك أن هذا الكلام منه عليه السلام محمول على الغالب وإن كان ظاهره العموم ، وذلك لأن كثيراً من العباد يبدّل الله نعمتهم بالنقمة ورخائهم بالشدة ومن هم بالمحنة من باب الابتلاء والامتحان إعلاه للدرجات وإحباطاً للسميات وإضعافاً للحسنات كما قال عز من فائق : ولنبلوتكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات الآية .

ولما نبّه على أن علة زوال النعمة ونزول النعمة اكتساب المعصية أرشدهم إلى طريق تداركها بقوله (ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربّهم) وضرعوا إليه سبحانه (بصدق من نياتهم) أى بخلاصها وإخلائها من شوب العجب والرّيا (ولوه من قلوبهم) أى بتحيير منها في محبتته سبحانه ولذة مناجاته وتفريح ساحتها عن كل ما سواه تعالى (لرد عليهم كل شارد) من النعم (وأصلح لهم كل فاسد) من الأمور .

ثم تخلص إلى تعریض المخاطبين بالاشارة إلى بعض حالاتهم الغير محمودة التي كانوا عليهما حثّاهم على الارتداع عنها فقال : (وإنّي لاخشى عليكم أن تكونوا وافياً فترة) أى في حالة فترة مثل حالة أهل الجاهلية الذين كانوا على فترة من الرسل أى أخاف عليكم أن تكونوا مثل هؤلاء في التعصبات الباطلة بحسب الأهواء المختلفة وغلبة الجهل والضلالة على الأكثرين (وقد كانت أمور مضت) وهو تحليفهم للفساق وتقديم أجلاف العرب الثلاثة عليه وأتباعهم بهم .

وحملها على اختيارهم لمثمن فقط وعدولهم عنه يوم الشورى كما في شرح المعتزلي خلاف ظاهر النقوض على نحو الاطلاق معتقداً بقوله (ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين) لـ^{أيهم} بسبب تقديم كل من ثلاثة و الاتباع عليه مالوا عن نهج الحق و عدلوا عن منهجه السُّواب واستحقوا اللّوم والعتاب .
 (ولئن رد عليكم أمركم) أى شغلكم الذي كنتم عليه في زمن الرسول ﷺ (انكم لسعداء) أى تكونون سعيداً بعد اتصفكم بالشقاوة (وما على إلا الجهد) أى بذل الوسع والطاقة في الاصلاح والتصححة (ولو أشاء أن أقول) وأشارح ما جرى من الظلم والعدوان وما وقع منكم من التفريط والتقصير في (لقلت) ذلك وشرحه ولكننى لا استصلحه لتضمنه التعریض على المتخلفين و التقریع على المخاطبين والصلاح في العفو والاغماض لأنّ الصفح حسن والعفو جميل فقد (عفى الله عما سلف) اقتباس من الكتاب العزيز قال تعالى : عفواً اللهم عفواً سلف ومن عاد فلينقم اللهم منه والله عزيز ذو انتقام .

قال الشارح المعتزلي : وهذا الكلام يدل على مذهب أصحابنا في أنّ ما جرى من عبد الرحمن وغيره يوم الشورى ، وإن كان لم يقع على الوجه الأفضل فانه مغفور عنه مغفور لفاعله لأنّه لو كان فسقاً غير مغفور لم يقدر أمير المؤمنين عليه السلام : عفواً اللهم عما سلف .

أقول : ويتجه عليه أنة بعد الاعتراف يكون ما صدر عن ابن عوف وأصرابه فسقاً كما هو كذلك لكونه ظلماً فاحشاً في حقه عليه السلام فهذا الكلام لا دلالة فيه على العفو عنه والغفران له لأنّ هذا الكلام كما يحتمل أن يكون جملة إنشائية أو غایية أو اختيارية مسوقة لبيان حسن العفو ودليلًا عليه كما عليه مبني كلام الشارح ، فكذلك يحتمل أن يكون مقولاً لقوله : قلت ومتصل به لا مقطوعاً عنه .

فيكون محصل الكلام أني لو شئت أن أقول عفواً اللهم عما سلف لقلته أى لواحببت أن أدعوا بالعفو لدعوت ، فعلى هذا كما يصدق الشرطية باستثناء عين المقدم ينتفع عين التالي فكذلك يصدق برفع المقدم المفيد لرفع التالي ، أى لكننى لم أشاء ذلك

فلا فلته وحيثند لا يكون لکلامه عليه السلام دلالة على ما رامه الشارح لو لم يكن دلالة على خلافه أظهر ، فافهم وتبصر .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار و وصی مختار است در وصف حضرت کردگار و نعمت حضرت ختم النبیین و نصیحت و ملامت مخاطبین میفرماید که : مشغول نمینماید حق تعالی را امری از امر دیگر ، و تغییر نمیدهد اورا زمانی و احاطه نمیکند اورا هیچ مکانی ، و وصف نمیتواند بکند او را هیچ زبانی ، غایب نمیشود از علم او عدد قطرهای آب و نه ستارهای آسمان ، و نه بادهای سخت وزنده و نه حرکت مورها بر روی سنجگها و نه خوابگاه مورچه ادر شب تاریک ، و میداند مواضع افتادن بر گهای درختان ، و پنهان نگریستن چشمان را .

و شهادت میدهم باینکه هیچ معبدود بحقی نیست مگر خداوند متعال در حالی که هیچ برابر کرده نشد باو چیزی و شک کرده نشد در وجود او و انکار کرده نشد دین او وجود نشد ایجاد و تکوین او ، مثل شهادت کسی که صادق بشود نیست او و صافی باشد باطن او و خالص گردد یقین او و سنجگین شود میزان اعمال او . و شهادت میدهم باینکه محمد مصطفی صلوات الله و سلامه عليه و آله بنده او است و رسول بر گزیده از مخلوقات او و اختیار کرده شده از برای کشف حقایق توحید او ، و مخصوص شده بکرامتهای نفیسه او ، و بر گزیده شده برسالات کریمه او ، و روش گرده شده با علامت‌های هدایت ، و جلا داده شد بنور او سوادی و سیاهی ضلالت .

ای گروه مردمان بدرسی دنیا فریب میدهد امید دارنده اورا آرام گیرنده اورا و بخل نمیکند بکسی که بخیل باشد در هجابت او و غلبه مینماید بر کسی که غلبه کند براو .

و قسم بخدا که نبودند هیچ قومی هر گز در طراوت نعمت از زندگانی دنیا پس زوال یافت آن نعمت از ایشان مگز و سبب گناههای که کسب گردند آن را از جهه اینکه خداوند عالم نیست صاحب ظلم بربند گان، واگر مردمان در وقیکه نازل بشود بایشان عقوبته او زایل بشود از ایشان نعمتها پناه ببرند بسوی پروردگار بر استی از نیتیهای خودشان و فرط محبت از قلبهاشان، هر اینه باز گرداند حقس بحانه بسوی ایشان هر رمیده از نعمتها را، و اصلاح میفرماید از برای ایشان هر فاسد از اموراترا، و بدرستی که من میترسم برشما اینکه باشید در حالت اهل جاهلیت، و بتحقیق که واقع شد کارهای که گذشت میل گردید در آن امور از جاده شریعت میل گردندی، در حالتی که بودید در آن امور در نزد ما پسندیده، واگر باز گردانیده شود برشما کار شما هر آینه میباشد از اهل سعادت، و نیست بermen مگر بدل و سع و طاقت، واگر بخواهم بگویم هر آینه میگفتم که عفو فرمود خدای تعالی از آنچه که گذشت.

و من كلام له ﴿بِكَلَمٍ﴾ و هو المأة و الثامن و السبعون من المختار في باب الخطب

وهو مروي في الأصول المعتبرة كالكافي والتوحيد والاحتجاج والارشاد بطرق مختلفة باجمال وتفصيل و اختلاف تطلع عليه بعد الفراج من شرح ما أورده السيد (ره) .

و قد سئله ذغلب اليهاني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام : أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أُرَى ! قال : وَكَيْفَ تَرَاه ؟ قال عليه السلام :

لَا تُدْرِكُهُ الْعَيْنُ بِشَاهِدَةِ الْعَيْنِ ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِعَقَائِقِ

الإيان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مبائن، متكلم لا بروية، مرید بلا همة، صانع لا بجراحته، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرق، تعنوا الوجوه لمعظمته، وتجب القلوب من مخافته.

اللغة

(الذعلب) في الأصل الناقة السريعة ثم صار علما للانسان كما نقلوا بكرأ عن فتى الابل إلى بكر بن وايل و (اليمني) منسوب إلى اليمن اقليم معروف سمى به لكونه على يمين الكعبة وأصله يمني بتشديد الياء ثم جعلوا الألف بدلا عن الياء الثانية فقالوا يمني بالتحفيف في يمني و (جفوت) الرجل أعرضت عنه أو طرده وقد يكون مع بعض وجفاثثوب يجفوا إذا غلظ فهو جاف، ومنه جفاء اليد وهو غلطتهم وفظاظتهم و (عننا) يعني عنواً من باب قعد ذل و خضع و الاسم العناء بالفتح والمد فهو عان و (وجب) الحايط و نحوه وجية سقط و وجوب القلب وجبا ووجبيا رجف.

الاعراب

قوله: فأعبد استفهم على سبيل الإنكار والابطال و قوله: قريب خبر لمبتدأ ممحذوف و قوله: غير ملامس بنصب غير كما في أكثر النسخ حال من فاعل قريب المستتر وفي بعضها بالرفع فيكون صفة لقريب، وكذلك قوله غير مبائن، ومثلهما جملة لا يوصف تحتمل أن تكون في محل النصب على الحال، وفي محل الرفع على الوصف.

المعنى

اعلم أن هذا الكلام له ~~عذائب~~ من كلماته المعروفة وقد ظهر لك في شرح الخطبة

الشائنة والتسعين أنه ملتفط من كلام طويل له عليه السلام قدمنا روایته هناك من توحيد الصدوق كما ظهر أنه عليه السلام كلام به مع ذعلب ، فانه لما قال على المنبر غير مرّة سلوني قبل أن تفقدوني ، قام إليه ذعلب و كان رجلا ذرب اللسان بلغًا في الخطب شجاع القلب فقال : لقد ارتقى ابن أبي طالب مرفة صعبة لا يجلنته اليوم لكم في مسألتي إياته فقال له (هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين) وكان هذا السؤال منه من باب التعمّت والتقرير بقصد التعميم عن الجواب لا الاستفهام الحقيقي كما يدل عليه أول كلامه الذي حكيناه .

(فقال عليه السلام أَفَأَعْبُدُ مَا لَا يَرَكُ ، لَأَنَّ الْعِبَادَةَ مُتَضَمِّنَةٌ للسؤال والمخاطبة والمكالمة وطلب الرحمة والمغفرة وغير ذلك من المخصوص والخشوع والتضرع والتملّق والاستكانة وهذه كلّها تستدعي حضور المعبد وإدراكه ورؤيته . و لما توهّم السائل من كلامه عليه السلام أَنَّ مراده به رؤية البصر أعاد السؤال و(قال و كيف تراه) على سبيل الاستفهام التوبيخي يعني أَنَّ رؤيته غير ممكنة فكيف أدعّيتها .

فأجابه و(قال عليه السلام لا تدر كه العيون بمشاهدة العيان) يعني أَنَّ رؤيته ليست بالعين وبمشاهدة القوة البصرية الجسمانية ، فانَّ هذه غير جايبة كما عرفت تحقيقه في شرح الخطبة التاسعة والأربعين ، وهو صريح في بطلان مذهب الأشاعرة والمشبهة والكرامية المジョّ زين للرؤوية (ولكن تدر كه القلوب بحقائق الإيمان) أى تدر كه العقول الصافية عن ملابسة الأبدان وغواشي الطبيع و الأجرام بحقائق الإيمان أى بأنوار العقلية الناشئة من الإيمان والإذعان الخالص كما مرَّ تحقيقه في شرح الخطبة التاسعة والأربعين أيضًا .

وقال الشارح البحرياني: أراد بحقائق الإيمان أركانه وهي التصديق بوجود الله ووحدانيته وسائر صفاته واعتبارات أسمائه الحسنى .

وقال العلامة المجلسي ره في مرآت العقول: حقائق الإيمان العقائد التي هي حقائق أى عقائد عقلية ثابتة يقينية لا يتطرق إليها الزوال والتغيير أى أركان

الإيمان أى الانوار والآثار التي حصلت في القلب من الإيمان أو التصديق والادعيات التي تحقق أن تسمى إيماناً.

أو المراد بحقائق الإيمان ما ينتمي إليه تلك العقائد من البراهين العقلية، فإنّ الحقيقة ما يصير إيمانه حقاً الأمر و وجوبه ذكره المطرز في الغربيين انتهى .
اقول: هذه المعانى كلها صحيحة مختتمة لكن الأ ظهر هو المعنى الثانى المطابق لما ذكرناه .

ويؤيده ما في الاحتجاج عن أبي عبدالله ظهير أنه سأله زنديق كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؛ قال ظهير : رأته القلوب بنور الإيمان وأثبتته العقول بيقظها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بمارأت من حسن التركيب و أحكام التأليف ، ثم الرسل وآياتها والكتب ومحكماتها واقتصرت العلما على مارأت من عظمته دون رؤيتها قال: أليس هو قادر أن يظهور لهم حتى يروه فيعرفوه فيعبد على يقين ؟ قال ظهير: ليس للمحال جواب ، هذا.

ولما نبأه على كونه سبحانه مدركا بالعقل عقبه بذكر جملة من صفات كماله التي هي جهات ادراكه فقال (قريب من الأشياء غير ملامس) يعني أن قربه منها بالاحاطة والقبوبيّة لا بالاتصال و الملامسة التي هي من عوارض الجسمية (بعيد عنها غير مبادر) يعني أن بعده منها بنفس ذاته المقدّسة لابغوان التعاند والمضادة ، و قد مر تحقيق ذلك مع سابقه في شرح الفصل السادس من الخطبة الأولى عندشرح قوله ظهير : مع كل شيء لا بمقارنة وغير كذشىء لا بمزايلة .

(متكلّم لا بروية) يعني أن تكلّمه تعالى ليس بالفكرة والتروي كساير آحاد الناس فأن كلامهم تابع للتروي و الأفكار يتفكرون أو لا في نظم الألفاظ و ترتيبها ودلائلها على المعانى المقصودة ثم يتكلّمون والله سبحانه منزه عن ذلك .

قال الشارح البحرياني: و كلامه تعالى يعود إلى علمه بصور الأ وامر والنواهى وساير أنواع الكلام عند قوم وإلى المعنى النفسي عند الأ شعرى وإلى خلقه الكلام في جسم النبي عند المعتزلة .

أقول: وستعرف تحقيق معنى كلامه وتكلّمه سبحانه فانتظر .

(مريد بلاهمة) أى ليست إرادةك إرادتنا مسبوقة بالعزم والهمة .

قال الشارح المعتزلي قوله: بلاهمة، أى بلاعزم، والعزم عبارة عن إرادة متقدمة للفعل تفعل توطييناً للنفس على الفعل وتمهيداً للإرادة المقارنة له ، وإنما يصح ذلك على الجسم الذي يتربّد فيها يدعوه إليه الدواعي ، فاما العالم لذاته فلا يصح ذلك فيه .

(صانع لا بجارية) أى ليست صنعته بالأعضاء والجوارح التي هي من لواحق الجسمية وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (الطيف لا يوصف بالخفاء) قال الشارح البحرازي المطيف يطلق ويراد به رفيق القوام ويراد به صغير الجسم المستلزمن للخفاء وعديم اللون من الأجسام والمحكم من الصنعة، وهو تعالى منزه عن اطلاقه بأحد هذه المعاني لاستلزم الجسمية والأمكان فيبقى اطلاقها عليه باعتبارين: أحدهما تصرفه في الذوات والصفات تصرّ فاخفيّا يفعل الأسباب المعدّة لها لافاضة كمالاتها .

الثاني جلالة ذاته وتنزيتها عن قبول الأدراك البصري، يعني لاستحالة رؤيتها شابه الأ أجسام اللطيفة فاطلق عليه لفظ اللطيف بهذا الاعتبار .
أقول: وهنا اعتبار ثالث ذكره الشارح المعتزلي وغيره، وهو أنه لطيف بعياده كما في الكتاب العزيز أى يفعل الأطفاف المقربة لهم من الطاعة المبعدة لهم عن المعصية، أولطيف بهم بمعنى أنه يرحمهم ويرفق بهم .

واعتبار رابع وهو علمه بالأشياء اللطيف رواه في الكافي مرفوعاً عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: وكذلك سمعناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك وموضع النشوء منها والعقل والشهوة للسفساد والحدب على نسلها واقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمخاوز والأودية والقفار فعلم منها أن خالقها لطيف بلا كيف، وإنما الكيفية للمخلوق المكيف .

ورواه أيضاً فيه مع اعتبار خامس عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن

فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ سُأَلَ فِيهِ عَنْ تَفْسِيرِ مَعْنَى الْوَاحِدِ وَحْدَانِيَّتِهِ تَعْالَى
إِلَى أَنْ قَالَ قَلْمَةٌ: جَعَلْتُ فَدَاكَ فَرَجَتْ عَنِ فَرَجِ اللَّهِ عَنْكَ فَقُولُكَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ
فَسَرَرَ لِي كَمَا فَسَرَرَ الْوَاحِدَ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ لَطْفَهُ عَلَى خَلَافِ لَطْفِ خَلْقِهِ لِلْفَصْلِ غَيْرِ
أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَشْرَحَ لِي ذَلِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ: يَا فَتَحْ إِنَّا قَلَنَا الْلَّطِيفَ لِلْخَلْقِ الْلَّطِيفِ
لَعْلَمْهُ بِالشَّيْءِ الْلَّطِيفِ أَوْ لَاتَرِي وَقَوْكَ اللَّهُ وَبَثَثْكَ إِلَى أَثْرِ صَنْعِهِ فِي النَّبَاتِ الْلَّطِيفِ وَغَيْرِ
الْلَّطِيفِ وَمِنَ الْخَلْقِ الْلَّطِيفِ وَمِنَ الْحَيَوانِ الصَّغَارِ وَمِنَ الْبَعْوضِ وَالْجِرَحِسِ وَمَا هُوَ
أَصْغَرُ مِنْهَا مَا لَا يَكَادُ تَسْتَيْنِيهِ الْعَيْوَنُ بَلْ لَا يَكَادُ يَسْتَبَانُ لِصَغْرِهِ الْذَّكْرُ مِنَ الْأَنْثَى وَالْحَدِيثُ
الْمُولُودُ مِنَ الْقَدِيمِ، فَلَمَّا رَأَيْنَا صَغْرَ ذَلِكَ فِي لَطْفَهِ وَاهْتِدَائِهِ لِلْمَسْفَادِ وَالْهَرْبِ مِنَ الْمَوْتِ
وَالْجَمْعِ لِمَا يَصْلِحُهُ وَمَا فِي لَجْجِ الْبَحَارِ وَمَا فِي لَحَاءِ الْأَشْجَارِ وَالْمَفَاوِزِ وَالْقَفَارِ وَافْهَامِ
بَعْضِهَا عَنِ بَعْضِ مَنْظَقَهَا وَمَا يَفْهَمُ بِهِ أَوْلَادُهَا عَنْهَا وَنَقْلُهَا لِلْغَذَاءِ إِلَيْهَا ثُمَّ تَأْلِيفُ أَلوَانِهَا
حُمْرَةُ مَعَ صَفَرَةٍ وَبَيْاضُ مَعَ حُمْرَةٍ وَأَنَّهُ مَا لَاتَكَادُ عَيْوَنُنَا تَسْتَيْنِيهِ لِدَمَامَةِ خَلْقِهَا لَاتَرَاهُ
عَيْوَنُنَا وَلَا تَلْمِسُهُ أَيْدِينَا عَلِمْنَا أَنَّ خَالِقَ هَذَا الْخَلْقِ لَطِيفٌ بِخَلْقِ مَا سَمَّيْنَا بِلَا عَلاجٍ
وَلَا أَدَاءً وَلَا آلَةً، وَأَنَّ كُلَّ صَانِعٍ شَيْءٍ فَمَنْ شَيْءٌ صَنَعَ وَاللَّهُ خَالِقُ الْلَّطِيفِ الْجَلِيلِ خَلْقِ

فقد قرر **الله** أنَّ اطلاق اسم اللطيف عليه سبحانه بوجهين .

أحد حما للخلق اللطيف يعني لخلقه الأشياء اللطيفة والاعتبار الأول الذي حكيناه عن البحرياني يعود إلى ذلك أقرب منه.

وثانيةً لما لعلمه بالأشياء اللطيفة (كبير لا يوصف بالجفاء) يعني أنه موصوف
بالكثير ياه والعظمة لحالته شأنه وعظمة سلطانه، ومنزه عما عليه سائر الكبار، والأعظم
من المخلوقين كالملوك والسلطين من الفظاظة و غلظ الطبيعة والجفاه، لمن تحت
ولايتهم من الرّعية

وقال الشارح المعتزلي : لاما كان لفظ الكبير إذا استعمل في الجسم أفاد تباعد
أفكاره ثم وصف الباري بأنه كبير ، أراد أن ينزعه عما تدل لفظة كبير عليه إذا
استعمل في الأجسام، انتهى - والظهور ما قبلها.

(بصير لا يوصف بالحاسة) أَمَا أَنَّه بصير فقد مرَّ تحقيقه في شرح الفصل السادس من الخطبة الأولى ، وأَمَّا تنزّهه عن الحواس فلأنَّها من صفات الجسم (رحيم لا يوصف بالرقة) لما كان الرحمة في الخلق عبارة عن رقة القلب والانفعال النفسي وهمامن أوصاف الممكن فحيثما يطلق عليه لفظ الرحيم يراد به ما هو لازم الرحمة من الانعام والفضائل ، وكذلك سائر الأوصاف التي لا يصح اتصافه تعالى بها باعتبار مباديهما يوصف بها باعتبار غایاتها كالغضب في قوله : غضب الله عليهم ، فيراد به الانتقام والعقوبة لاستلزماته له ، والمكرفي قوله : ومكر الله والله خير الماكرين فيراد به جزاءه سبحانه لمكرهم بالجزاء السوء .

(تعنو الوجوه لعظمته) أَى تذلل و تخضع لأنَّه الإله المطلق لكل موجود و ممكِّن والعظيم الذي كلّ مقهور تحت مشيَّته وإرادته و داخل تحت جلاله وجبروته و عظمته (و تجب القلوب من مخافته) أَى ترجم و تضطرب من هيئته عند ملاحظتها لع神性 سلطانه وعلو شأنه .

تنبيه

قد وعدناك تحقيق الكلام في معنى متكلّمته تعالى وأنَّ كلامه سبحانه حادث

أو قديم فنقول :

قد توالت الآباء عن الأنبياء والرسُّل ، وأطبقت الشريائع والملل على كونه عز وجل متكلّماً لا خلاف لأحد في ذلك ، وإنما الخلاف في معنى كلامه تعالى وفي قدمه وحدوده .

فذهب أهل الحق من الإمامية وفائق المعتزلة إلى أنَّ كلامه تعالى مؤلَّف من حروف وأصوات فامة بجوهر الهوا ، ومعنى كونه متكلّماً أنه موجود للكلام في جسم من الأجسام كالملك والشجر ونحو ذلك ، وعلى مذهبهم فالكلام حادث لأنَّه مؤلَّف من أجزاء مترببة متعاقبة في الوجود ، وكل ما هو كذلك فهو حادث .

وقالت الحنابلة : كلامه تعالى حروف وأصوات يقونان بذاته وأنَّه قديم ، وقد

بالغ بعضهم حتى قال جهلاً بقدم الجلد والغلاف أيضاً فضلاً عن المصحف . والكرامية وافقهم في أنَّ كلامه حروف وأصوات وأنها قائمة بذاته تعالى إلا أنَّهم خالفوهم في القول بقدمها و قالوا بأنها حادثة لتجويزهم قيام الحوادث بذاته تعالى .

وذهبت الاشاعرة إلى أنَّ كلامه تعالى ليس من جنس الحروف والأصوات بل هو مبنيٌ قدِيمٌ قائمٌ بذاته تعالى يسمى الكلام النفسي وهو مدلول الكلام اللغظي المركب من المحرف .

قال الشارح الجديد للمتجريد : واختلاف الأحوال مبنيٌ على قياسين متعارضين أحدهما أنَّ كلامه تعالى صفة له وكلما هوصفة له فهو قدِيمٌ فكلامه قدِيمٌ وثانيهما أنَّ كلامه مؤلَّفٌ من أجزاء متراكبةٍ متعاقبةٍ في الوجود ، وكلما هو كذلك فهو حادثٌ فكلام حادثٌ ، فاضطرَّ إلى الالتجاه في أحد القياسين ومنع بعض المقدّمات لاستحالة حقيقة المتناقضين .

فالمعزلة صحتوا القياس الثاني وقد حموا في صغرى القياس الأول والحنابلة صحتوا القياس الأول ومنعوا كبرى القياس الثاني ، والكرامية صحتوا القياس الثاني وقد حموا في كبرى القياس الأول ، والاشاعرة صحتوا القياس الأول ومنعوا من صغرى القياس الثاني .

إذا عرفت ذلك فنقول : الحقُّ الموافق للتحقيق من هذه الأقوال كما قلنا هو القول الأول ، لأنَّ المتبدَّل إلى الفهم عند اطلاق لفظ الكلام هو المؤلَّف من الحروف والألفاظ دون المعنى ، والتباادر علامه الحقيقة ، واطلاق لفظ المتكلَّم عليه سبحانه على ذلك ليس باعتبار قيام الكلام به ، لاستلزم إثبات الجواز ، بل باعتبار خلقه الكلام في الأجسام النباتية والجمادية وألسن الملائكة إماماً مجازاً من باب اطلاق اسم المسبَّب على السبَّب ، أو حقيقة كما هو الأَظْهَر لأنَّ المتكلَّم مشتقٌ من التكلُّم أو من الكلام بمعنى المصدر كالسلام ونحوه ، والتكلُّم والكلام بهذا المعنى بمعنى إيجاد اللفظ ، ولا شئَّ أنَّ إيجاده قائم بالموجد كما أنَّ التأثير قائم بالمؤثر

فالمتكلّم بصيغة الفاعل عبارة عن منشيء الكلام و موجده ، و إنشاء الكلام وايجاده لاقيام له إلا بالفاعل، كما أنه بصيغة المفعول عبارة عن نفس الكلام المؤلف ولاقيام له إلا بجوهر الهواء .

لا يقال: التكلّم بمعنى ايجاد الكلام لم يجيء في اللغة

لأننا نقول: ذلك غير مسلم كيف و التكلّم اللفظي عند الأشاعرة ليس إلا بهذا الاعتبار وهم قد صرّحوا بكون الكلام مشتركاً لفظاً بين اللفظي والنفسي كما سبق ذكره وعلى هذا فيكون إطلاق المتكلّم عليه بمعنى موجود الكلام حقيقة لامجازاً .

قال صدر المتألهين في كتاب المبدى والمعدى: المتكلّم عبارة عن محدث الكلام في جسم من الأُجسام كالهوا وغيرها ، فانا إذا تكلّمنا أحدثنا الكلام في بعض الأُجسام التي لنا قدرة على تحريكها ، فالمتكلّم مقام به التكلّم لما قام به الكلام كماتوهم ، والتكلّم بمعنى ما به يحصل الكلام فيما ملكته قائمة بذواتنا بها نتمكن من إفاده مخزوناتنا العلمية على غيرنا ، وفي الواجب تعالى عين ذاته من حيث انه يخلق الأصوات والحراف في أيّ موضع كان من الأُجسام لافادة ما في قضائه السابق على من يشاء من عباده .

وما ثبته المتكلّمون من الكلام النفسي فإن كان له معنى محصل فيرجع إلى خطرات الأوهام، أو يحتمل ما يوجد من الكلام ، ولاشك في برائته تعالى عنه وعن سایر ما يتخيّله العوام .

و استدل الحنابلة على أن كلامه مؤلف من الحروف والأصوات بـأنَّ كلامه مسموع ولا مسموع إلا حروف و صوت فكلامه ليس إلا حروف و صوت أما الصغرى فلتقوله تعالى: وإن أحد من المشركين استجبارك فأجره حتى يسمع كلام الله، وأمّا الكبرى فظاهرة، ثم ثبتوها كونه قدّيماً بأنه لو كان حدثاً لكان إمّا قائماً بذاته أو بغيره أولاً في محلّه والأقسام الثلاثة كلّها باطلة أمّا الأول فلا يستلزم أنه كون الذات محلّاً للمحوادث وهو حينئذ كلام مستعر فيه، وأمّا الثاني فلامتناع أن يقوم صفة الشيء بغيره، وأمّا الثالث فلا سببية حاله قيام العرض في الوجود بلا محلّ فثبت أنه

صفة قديمة .

والجواب أن كونه حرفا وصوتا يستلزم حدوثه بالضرورة و تعليل قدمه بأنه حدوثه مستلزم لأحد الأقسام الثلاثة الباطلة فيه ان منع بطلان القسم الثاني لم لا يجوز أن يقوم بغيره وإن اشتق له منه خلقه ولا امتناع في ذلك حسبما عرفت .

واما الكرامية ببطلان مذهبهم بعد بطلان جواز حلول الحوادث على الذات واضح، وجها بطلانه أن وجوب الوجود ينافي ذلك، لأن حدوث الحوادث فيه يدل على تغييره وانفعاله وذلك ينافي الوجوب الذاتي، ولأن المقتضى لذلك الحادث إن كان ذاته لم يكن حادثا وإن كان غيره يلزم الافتقار، ولأن الحادث إن كان صفة نفس استحال انتصاف الذات بها وإن كان صفة كمال امتنع خلوتها عنها والمفروض أنها حادثة أى موجودة بعد العدم فحيث كانت معروفة كان الذات خالية عنها .

واما الاشاعره فيينوس امرادهم من الكلام النفسي أولا واستدروا على اثباته ثانياً وثبتوا كونه قد ياما ثالثاً، ثم قالوا إنه واحد مع أنه أمر ونهى وخبر واستخبار وغيرها .

قال الامدى : ليس المراد من إطلاق لفظ الكلام إلا المعنى القائم بالنفس ، وهو ما يجده الانسان من نفسه إذ الأمر غيره أو نهاه أو أخبره أو استخبر منه ، وهذه المعانى هي التي يدل عليها بالعبارات وينبئه عليها بالاشارات .

وقال عمر النسفي و هو من أعاظم الاشاعرة في عقайдه : و هو أى الله سبحانه متكلما بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات ، والله متكلما بها آمنا به مخبر القرآن كلام الله غير مخلوق ، و هو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقر و بالستينا مسروع بأذاننا غير حال فيها .

وقال التفتازاني في شرحه ما محصله: إن الاجماع والتواتر قدقام على كونه تعالى متكلما بكلام هو صفة له ، ضرورة امتناع اثبات المشتق من غير قيام مأخذ الاشتقاد به ، و هذه الصفة معنى قائم بالذات وقديمة ، ضرورة امتناع قيام الحوادث بذات الله سبحانه ، وليس من جنس الحروف والأصوات ، ضرورة حدوثها لأن التكلم

(ج) ١٠)

تحقيق الكلام في متكلميّة تعلّى

(٢٦٧)

بعضها مشروط بانقضاء الآخر بل عبر عنها بهاوسمى المعتبر بالقرآن المركب من الحروف وهي صفة واحدة تتکثّر إلى الأمر والنهي والخبر باختلاف العلاقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات، فهذه الصفة الواحدة باعتبار تعلقها بشيء على وجه مخصوص يكون خبراً، و باعتبار تعلقها بشيء آخر على وجه آخر يكون أمراً وهكذا.

والقرآن الذي هو كلام الله سبحانه القائم بذاته غير حادث و مكتوب في مصاحفنا بأشكال الكتابة و صور الحروف الدالة عليه محفوظ في قلوبنا باللّفاظ المخيّلة، مقرّ وبالسنّتنا بحروفه الملفوظة المسموّعة، مسموع بذاته بهذه أيضًا. ومع ذلك كله ليس حالاً في المصاحف ولا في القلوب والألسنة والأذهان، بل معنى قديم قائم بذاته سبحانه يلفظ ويسمع بالنظام الدالّ عليه ويحفظ بالنظم المخيلي ويكتب بالنقوش و صور وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه كما يقال النار جوهر مجرّد يذكر باللفظ و تكتب بالقلم و لا يلزم منه كون حقيقة النار صوتاً و حرفاً.

وتحقيقه أن للشيء وجوداً في الأعيان، ووجوداً في الأذهان وجوداً في العبارة وجوداً في الكتابة فالكتابات تدل على العبارة وهي على ما في الأذهان وهو على ما في الأعيان فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازمه القديم كما في قولنا: القرآن غير مخلوق، فالمراد حقيقته الموجودة في الخارج، و حيث يوصف بما هو من صفات المخلوقات والمعحدثات يراد به الألفاظ المنطقية المسموّعة كما في قولنا قرأت نصف القرآن أو المخيّلة كما في قولنا حفظت القرآن أو الأشكال المنقوشة كما في قولنا يحرّم للمحدث مس القرآن.

ولما كان دليلاً للأحكام الشرعية هو الملفظ دون المعنى القديم عرفه أئمة الأصول بالمكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر وجعلوه اسمًا للنظم والمعنى جميعاً أى للنظم من حيث الدلالة على المعنى للمجرّد المعنى.

ثم قال في آخر كلامه: والتحقيق أن كلام الله اسم مشترك بين الكلام النفسي

القديم ومعنى الاضافة كونه صفة له وبين المفظي الحادث ومعنى الاضافة أنه مخلوق الله تعالى ليس من تأليفات المخلوقين فلا يصح نفي كونه كلام الله .
وما في عبارة بعض المشايخ من أَنَّه مجاز فليس معناه أنه غير موضوع للنظم المؤلف، بل معناه أَنَّ الكلام في التحقيق وبالذات اسم للمعنى القائم بالنفس وتسمية المفظ به و وضعه لذلك إنما هو باعتبار دلالته على معنى، انتهى ما أَهْمَنَا نقله من محصل كلامه بعد ردّ أوّله إلى آخره ، و هذا القدر كاف في بيان مراد هـ من الكلام النفسي .

واستدلّوا على إثباته بقول الأخطل :

إِنَّ الْكَلَامَ لِفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّاسَانَ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

وقول القائل: في نفسي كلام أُريد أن أذكره لك .

وبَأَنَّ الْأَلْفاظَ الَّذِي تَكَلَّمُ بِهَا مَدْلُولَاتٌ فَآئِمَّةٌ بِالنَّفْسِ، وَهَذِهِ الْمَدْلُولَاتُ هِيَ الْكَلَامُ النَّفْسَانِيُّ وَهُوَ أَمْرٌ غَيْرُ الْعِلْمِ مَدْلُولُ الْخَبَرِ إِذَا أَخْبَرَ بَشَّيْءٍ إِذَا رَبَّا يَخْبِرُ الرَّجُلَ عَمَالًا يَعْلَمُهُ بَلْ يَعْلَمُ خَلَافَةً أَوْ يُشَكُّ فِيهِ، فَالْخَبَرُ عَنِ الشَّيْءِ غَيْرُ الْعِلْمِ بِهِ وَغَيْرُ الْإِرَادَةِ أَيْضًا عَنْدَنَا أَمْرٌ لَاَنَّهُ قَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَا يَرِيدُهُ كَالْمُخْتَبِرُ لِعَبْدِهِ هَلْ يَطِيعُهُ أَمْ لَاَوْ كَالْمُعْتَذِرُ مِنْ ضَرْبِ عَبْدِهِ بِعَصِيَانِهِ فَإِنَّهُ قَدْ يَأْمُرُهُ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ لَا يَفْعُلَ الْمَأْمُورُ بِهِ لِيَظْهُرَ عَذْرُهِ عَنْدَ مَنْ يَلُومُهُ، فَإِنَّ مَقْصُودَ الْمُتَكَلِّمِ فِي هَذِينِ الْأَمْرَيْنِ لَيْسَ الْإِتِّيَانُ بِالْمَأْمُورِ بَلْ مَجْرِدُ الْإِخْتِبَارِ وَالْإِعْتِذَارِ أَيْضًا إِذَا نَهَى لَاَنَّهُ قَدْ يَنْهَا الرَّجُلُ عَمَالًا يَكْرَهُهُ بَلْ يَرِيدُهُ فِي صُورَتِي الْإِخْتِبَارِ وَالْإِعْتِذَارِ .

واعتراض على دليلهم الأول بمنع كون البيت من الأخطل ، وعلى تسليمهم فليس حجة لأنَّه مبني على اعتقاده ثبوت الكلام النفسي تقليدياً أو على أنه لما كان ما في الضمير مدلولاً عليه بالكلام فاطلق عليه من باب اطلاق اسم الدال على المدلول وحصره فيه تبييناً على أنه آلة يتوصّل بها إلى فكاهة المستحق لاسم تلك الآلة .

وعلى دليلهم الثاني بمنع ما ذكروه من أنَّ مدلول الخبر غير العلم معللاً بأنه قد يخبر بما لا يعلم ، إذ لا يعقل ، إن يقول: إنَّ المعنى النفسي الذي يدعون أنه غير العلم

هو ادراك مدلول الخبر أعني حصوله في الذهن مطلقاً يقينياً كان أو مشكوكاً فلا يكون مغايراً للمعلم وبعبارة أخرى إنما يدل على مغایرته للمعلم اليقيني للعلم المطلق، ضرورة أن كلّ عاقل تصدّى للاخبار يحصل في ذهنه صورة ما أخبر به ومنع انه مغایر للإرادة والكراءة عند الأمر أو النهي، إنما تشبيثوا به من صورتي الاختبار والاعتدار فيه إنّ الموجود في هاتين الصورتين صيغة الأمر والنهي لاحقيقتها إذ لا طلب فيما أصلاؤه ولا إرادة ولا كراحته فطبعاً وبالجملة فما يدّعونه غير معقول لأنّه ليس له تعالى صفة زايدة على الذات أصلاؤه ولو كان عين الذات فمرجعه إلى العلم أو الإرادة أو الكراهة أو سائر الصفات .

توضيح ذلك أنه اذا صدر عن المتكلّم خبر فهناك ثلاثة لشيء احدها العبارة الصادرة والثانية علمه بثبت النسبية أو انتقادها بين طرفى القضية والثالث ثبوت تلك النسبة أو انتقادها في الواقع، والأخير ان ليسا كلاماً حقيقياً اتفاقاً فتعين الأول وإذا صدر عنه أمر أو نهي فهناك شيئاً احدهما لفظ صادر عنه والثانى إرادة أو كراهة قائمة بنفسه متعلقة بالمامور به أو بالمنهى عنه وليستا أيضاً كلاماً حقيقياً اتفاقاً فتعين الأول .

و استدلّوا على قدمه بمثل ما استدلّ به الحنابلة من الدليل الذي قدّ منه والجواب الجواب .

و استدلّوا على اتحاده بأنه اذا ثبت الكلام النفسي كان كساير الصفات مثل العلم والقدرة فكما أنّ العلم صفة واحدة تتعلق بمعلومات متعددة و كذلك القدرة كذلك الكلام صفة واحدة تنقسم إلى الأمر والنهي والخبر والاستفهام والنداء وهذا بحسب التعلق بذلك الكلام باعتبار تعلقه بشيء على وجه مخصوص يكون خبراً، وباعتبار تعلقه بشيء آخر أو على وجه آخر يكون أمراً وكذا الباقي . وفيه إنّ وحدته متفرّعة على ثبوت أصله و حيث عرفت فساد الأصل ففساد الفرع ظاهر .

قال العلامة الجلّي قدّس الله روحه : المعقول من الكلام على ما تقدم أنه

المحروف والأصوات المسموعة وهذه الحروف المسموعة إنما تتم كلاماً مفهوماً إذا كان الانتظام على أحد الوجوه التي يحصل لها الأفهام ، و ذلك بأن يكون خبراً أو مرآءاً أو نهياً أو استفهاماً أو تنبئها و هو الشامل للتنمية والترجي والتعجب والقسم ، النداء ، ولا وجود له إلا في هذه الجزئيات .

و الذين أثبتوا قدم الكلام اختلفوا فذهب بعضهم إلى أن كلامه تعالى واحد غير لهذه المعاني ، و ذهب آخرون إلى تعدد ، و الذين أثبتوا وحدته خالفوا جميع العقلاه في ثبات شيء لا يتصورونه هم ولا خصومهم ، ومن أثبت الله وصفاً يعقله لا يتصوره هو ولا غيره كيف يجوز أن يجعل إماماً يقصدى به ويناط بكلامه حكم .

تكميلة

قد أشرنا إلى أن هذا الكلام مروي عنه عليهما السلام في غير واحد من الأصول المعتبرة لرق مختلفة مع اختلاف في متنه ، و ينبغي أن نروى ما فيها على ما جرى عليه دمنا في هذا الشرح فأقول :

روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني قدس الله روحه في باب جوامع التوحيد عن محمد بن أبي عبد الله رفعه عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليهما السلام يخطب على منبر كوفة إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذو لسان بلين في الخطب شجاع القلب فقال: أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال عليهما السلام: ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربّاً أره، فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟ فقال: ويلك يا ذعلب لم تره العيون شاهدة إلا بصاروا لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إن ربّي لطيف طاففة لا يوصف باللطف، عظيم المظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبriاء لا يوصف كبير، جليل الجلالة لا يوصف بالغلوظ، قبل كل شيء لا يقال شيء قبله، وبعد كل شيء لا يقال له بعد، شاء الأشياء لابهنة، دراك لا بخدعه، في الأشياء كلّها غير متمازج

بها ولا بابين منها ، ظاهر لا بتأويل المباشرة ، متجلّ لا باستهلال رؤية ، ناه لا بمسافة قريب لا بمدانة ، لطيف لا بتجسم ، موجود لا بعد عدم ، فاعل لا باضطرار ، مقدر لا بحركة ، مريد لا بهمامة ، سميع لا بألة ، بصير لا بأداة ، لاتحويه الأماكن ، ولا تضمّن الأوقات ، ولا تحدّ الصفات ، ولاتأخذ السنّات ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والابتداء أزله ، بتشهير المشاعر عرف أن لامشعر له ، وبتجهيز الجوادر عرف أن لاجوهر له ، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لاصدّله ، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا فرين له ، ضد التور بالظلمة ، واليأس بالبلل ، والخشى باللين ، والصرد بالحرور ، مؤلف بين متعدياتها ، مفرق بين متداينياتها ، دالة بتفریقها على مفرّقها و بتأليفها على مؤلّفها ، وذلك قوله تعالى : و من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، ففرق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد له ، شاهدة بغير ايزها أن لا غريزة لمغرزها ، مخبرة بتقويتها أن لا وقت لموتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لاحجاب بينه وبين خلقه ، كان ربّاً إذلاً مربوب ، وإلهاً إذلاً مأله ، و عالماً إذلاً معلوم ، وسميناً إذ لا مسموع .

وفي الاحتجاج روى أهل السير أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله أرأيته حين عبدته ؟ فقال أمير المؤمنين : لم أك بالذى أعبد من لم أره فقال له : كيف رأيته يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته العقول بحقائق اليمان ، معروف بالدلائل منعوت بالعلامات ، لا يقاس الناس ، ولا يدرك بالحواس .

فانصرف الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وفي الإرشاد للمفید روى أهل السيرة وعلماء النقلة أن رجلا جاء - وساق الحديث إلى قوله حيث يجعل رسالته - نحو ما رويانا عن الاحتجاج .

وفي الكافي في باب إبطال الرؤية عن عدد من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الموصلي عن أبي عبدالله عليهما السلام قال :

جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبادته ؟ قال : فـقال : وـيلك ما كنت أعبد ربـا لم أره ، قال : وكيف رأيته ؟ قال : وـيلك لاقدرـ كـ العيون في مشاهدة الأ بصـار ولكن رأـته القـلوب بـحقـائق الـيمـان .

الترجمة

از جمله کلام بالاغت نظام آن مقتدائی آنام عليه الصلاة والسلام است که فرموده است آن را در حالتیکه سوال کرد از آن بزرگوار ذعلب یمانی پس گفت آیا دیده پروردگار خود را ای أمیر مؤمنان ؟ پس فرمود آنحضرت : آیا عبادت میکنم چیزی را که نمی بینم ؟ گفت ذعلب : چطور میبینی اورا ؟ فرمود : درک نمیتواند بکند او را چشمها با مشاهده معاينه ولـکن درک میکند اورا قلبها با نورهای ایمان ، نزدیک است پروردگار عالمین ازأشیاء در حالتیکه چسیان نیست بـآنها ، دوراست از آنها در حالتیکه جدا نیست ، صاحب تکلم است نه با فکر و رویه ، اراده کـمنـده است بدون عزم و همت صاحب صـنـعت است نـهـ باـاعـضاـ وـجوـارـ ، لطـیـفـ است کـهـ متـصـفـ نـیـسـتـ بـهـ پـنـهـانـیـ ، بـزرـگـ است کـهـ متـصـفـ نـمـیـشـودـ باـغـلـظـتـ وـخـشـونـتـ طـبـیـعـتـ ، بـیـمـنـدـهـ استـ متـصـفـ نـهـیـشـودـ باـحـاسـةـ بـصـرـ ، رـحـیـمـ استـ موـصـوـفـ نـمـیـشـودـ بـارـقـتـ قـلـبـ ، ذـلـیـلـ مـیـشـودـ روـیـهـایـ مـخـلـوقـاتـ اـزـ بـرـایـ عـظـمـتـ اوـ ، وـمـضـطـرـبـ مـیـشـودـ قـلـبـهـایـ خـلـقـ اـزـ تـرسـ اوـ .

وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عليه السلام فِي ذِمَّةِ أَصْحَابِهِ وَهِيَ الْمَأْةُ
وَالْتَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَةِ
أَحَمَّ اللَّهَ عَلَىٰ مَا قَضَىٰ مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَىٰ ابْتِلَاثِي
بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أُمِرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إِنْ

(ج)

(٢٧٣)

فِي ذَمِّ أَصْحَابِهِ الْمُلْلَى وَالْتَّوْبِيخِ لَهُمْ

أَهْمَلْتُمْ حُضُّتُمْ، وَإِنْ هُوَ بُنْتُمْ خَرْتُمْ، وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِيمَامٍ
 طَغَفْتُمْ، وَإِنْ أَجْبَتُمْ إِلَى مَشَاقَةٍ نَكَصْتُمْ، لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ، مَا تَنْتَظِرُونَ
 بِنَصْرِكُمْ، وَالْجِهَادِ عَلَى حَقْكُمْ، الْمَوْتُ أَوِ الدُّلُّ لَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ
 جَاءَ يَوْمِي وَلَيَأْتِيَنِي - لَيُفَرِّقَنِي وَيَنْسَكُمْ وَأَنَا لِصُخْبَتِكُمْ قَالَ ، وَبِكُمْ
 غَيْرُكُمْ كَثِيرٌ، اللَّهُ أَنْتُمْ أَمَا دِينُ يَجْمُوكُمْ، وَلَا حَمِيمَةٌ تَشَحَّذُكُمْ، أَوْ لَيْسَ
 عَيْبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاهَ الطَّغَامَ فَيَتَبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعْوَنَةٍ وَلَا عَطَاءِ،
 وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيَكَةُ الْإِسْلَامِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعْوَنَةِ أَوْ
 طَائِفَةٍ مِنَ الْمَطَاءِ فَتَفَرُّقُونَ عَنِي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ، إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ
 مِنْ أَمْرِي رِضَا فَتَرَضَّوْنَهُ، وَلَا سَخَطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَحَبَّ مَا
 أَنَا لَاقَ إِلَى الْمَوْتِ، قَدْ دَارَتُكُمُ الْكِتَابَ، وَفَاتَتْكُمُ الْحِجَاجَ،
 وَغَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوْغَتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ لَوْكَانَ الْأَغْنِيَ يَلْحَظُ،
 أَوِ النَّاسِ يَسْتَيْقِظُ، وَأَقْرَبَ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهَنَّمِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ،
 وَمَؤْدِبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ.

اللغة

(أَهْمَلْه) أى رفق به وأخْرُه وفي بعض النسخ أَهْمَلْتُمْ أى ترَكْتُم و (خرْتُم)
 بالخاء المعجمة والراء المهملة من الخور بمعنى الضعف أو من خوار الشور وهو صياغة
 قال تعالى : عجلًا جسدًا له خوار ، وعن بعض النسخ جرْتُم بالجيم من جار أى عدل

عن الحق و(طعنتم) في بعض النسخ بالظاء المعجمة ارتحلتم وفارقتم و(أجبتم) بالجيم و الباء المعجمة على البناء على المعلوم من أجاب إجابة ، وفي نسخة الشارح المعتزلي اجتئم بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة و البناء على المجهول أي الجئتم قال تعالى : فَأَجَاءَهَا الْمُخَاصِّرُ إِلَى جَذْعِ النَّخْلَةِ .

و (النكوص) الرجوع إلى ما وراء قال تعالى : فلما ترأت الفئران نكس على عقبيه و (شحدت) النصل والسكنين حدّ تهما و (الجفاة) جمع الجافي وهو الغليظ من الناس و (الطعم) بالطاء المهملة والغين المعجمة أراذل الناس وأوغادهم الواحد والجمع سواء و (التريةكة) ببيضة النعامة يتذكرها في مجثمها و (درس) الكتاب قرأ و (ساغ) الشراب دخل في الحلق بمسؤوله قال الشاعر :

فساغ لي الشراب و كنت قبلا
أكاد أغص بالماء الفرات
و (مججته) من فمِي أى رميته به .

الاعراب

يحتمل أن يكون مافي قوله : على ما فضا ، مصدرية وموصلة فيكون العايد مخدوفا .

و قوله : لا أبا لغيركم قال الشارح البحرياني : أصله لا أب والالف زايدة إما لاستئصال توالى أربع فتحات ، أو لا شـم قصدوا الإضافة وأتوا باللام للتأكيد .

أقول : ويعيد الثاني ما حكاه نجم الأئمة عن سيبويه من زيادة اللام في لا أبا لك و قال الشارح المعتزلي : الأفضل لا أب بمحض الألف ، و أمّا قولهم لا أبا لك بآياته فدون الأول في الفصاحة ، كأنهم قصدوا الإضافة وأفحموا اللام مزيدة مؤكدة

كما قالوا : ياتيتم تيم عدى (١) و هو غريب لأن حكم لا أن تعمال في النكرة فقط وحكم الألف أن تشتت مع الاضافة والاضافة تعرف فاجتمع حكمان متنافيان فصار من الشواذ وقال أبوالبقاء يجوز فيها وجهان آخران : أحدهما أنها تشبع فتحة الباء فتشأت الألف والاسم باق على تنكيره و الثاني أن يكون باللغة من قال لها أبا في جميع أحوالها ، مثل عصا ومنه : إن أباها وأبا أباها .

وقوله: الموت أو الذل لكم، في أكثر النسخ برفعهما وفي بعضها بالنون صب أمّا الرفع فعلى الابتداء ولكم خبر والجملة دعائية لا محل لها من الاعراب، وأمّا النصب فبتقدير أرجو وأطلب فتقون دعائية أيضاً، وتحتمل الاستفهام أي أنتظرون .

وقوله: فوالله لئن جاء يومي ول يأتيتني ليفرقن آه، جملة ليفرقن جواب للقسم واستغنى بها عن جواب الشرط، وجملة ول يأتيتني معترضة بين القسم والشرط وجوابيهما المذكور والمحدوف وتعرف نكتة الاعتراض في بيان المعنى وجملة: وأنا لصحبيتكم قال، منصوبة المحل على الحال، وبكم متعلق بغير كثير قدم عليه للتوسيع .

وقوله: الله أنتم، قال الشارح المعتزلي: الله في موضع رفع لأنّه خبر عن المبتدأ

(١) قال نجم الآئمة المنادى المفرد اذا تكرر لفظه وولى الاسم الثاني اسم مجرور بالاضافة فالثاني واجب النصب ، ولك في الاول الضم والنصب قال :

يا تيم تيم عدى لا أبالكم
لا يلقينكم في سوء عمر

و قال :

يا زيد زيد اليعملات الذيل

أما الضم في الأول فواضح لأنّه منادى مفرد معرفة ، والثاني عطف بيان وهو البدل على ما يأتي في بابه ، وأما نصب الأول فقال سبويه تيم الثاني مقحم بين المضاف والمضاف اليه ، وهو تأكيد للفظي لتيم الأول و قد مر في توابع المنادى المبني أن التأكيد اللغظى في الغلب حكم الأول ، وحركته حر كته اعرابية كانت أو بنائية فكما أن الأول محنوف التنوين للاضافة فكذلك الثاني ، مع أنه ليس بمضاف ، وشبه سبويه باللام المقحمة بين المضاف والمضاف اليه في لا باللك لتأكيد اللام المقدرة (منه)

الذى هو أنتم، ومثله الله درّ فلان، والله بلاد فلان، والله أبوك ، واللام هننا فيها معنى التعجب، والمراد بقوله الله أنتم الله سعيكم أول الله عملكم كما قالوا: الله درك، أى عملك فحذف المضاف وأقام الضمير المنفصل المضاف اليه مقامه قال الشارح: ولا يجيء هذه اللام بمعنى التعجب في غير لفظ الله كما أنت تاء القسم لم تأت إلا في اسم الله، انتهى وقال نجم الأئمة الرضي: قولهم إن لام القسم يستعمل في مقام التعجب يعنيون إلا من العظيم الذي يستحق أن يتوجه منه فلابيقال لله لقد قام زيد، بل يستعمل في الأمور العظام نحو الله لتبعشن ، وقيل إن "اللام في ليلاف قريش ، وللمقراء الذين أحصروا للتعجب، والأولى أن يقال إنها للاختصاص إذ لم يثبت لام التعجب إلا في القسم انتهى كلامه رفع مقامه .

أقول: المستفاد من نص كلام الشارح أن لام التعجب مختصة بالدخول على لفظ الجملة، ومن ظاهر كلام الرضي أنها ملزمة للقسم، ويشكل ذلك في نحو الله دره والله أبوك والله أنتم وما صاحاها، لأنهم اتفقوا على أنها في هذه الأمثلة للتعجب مع أنه لا معنى للقسم بل لا تصوير له فيها إنما كانت للقسم لاحتاجت إلى الجواب وليس فليس .

وقد صرّح الرضي نفسه في مبحث التمييز من شرح مختصر ابن الحاجب بأنّ معنى الله دره فارساً عجبنا من زيد فارساً وهو يعطى أنها فيه للتعجب فقط للتعجب والقسم على أنها لوجعلت للقسم لا يكون لله خبراً مقدمًا ودره مبتدء ولا يكون للدرّ عامل رفع كما هو ظاهر لا يخفي .

وبعد المتيقا والمتيقن فالتحقيق أن يقال : إن اللام قد تكون للتعجب مجردة عن القسم ولا يلزم دخولها على لفظ الجملة كما زعمه الشارح المعتزلي بل قد تدخل عليه كما في الله دره فارساً والله أنت وقوله :

شباب وشيب وافتقار وثروة فلله هذا الدهر كيف تردد

وقد تدخل على غيره كما في ليلاف قريش أى اعجبوا ليلاف قريش كما حكاه في الكشاف عن بعضهم وفي قوله :

فيما لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل بشدت بيذبل
وقد تكون للتعجب والقسم معاً ، و هذه مختصة بالدخول على لفظ الجلالة كما
في الله لا يؤخر الأجل ، و قوله تعالى : الله لتبعشن وقول الشاعر :
الله يبقى على الأيام ذويه بعدهم خير به الظبيان والآس
فقد ظهر من ذلك أن لام القسم ملازم للتعجب ولا التعجب غير ملازم للقسم كما
زعمه الرضي ولا للدخول على لفظ الجلالة كما زعمه الشارح المعترضي هذا .
وأما تتحقق معنى التعجب في هذه الموارد فهو ما أشار إليه الرضي فيما حكى
عنه بقوله : وأمامعني قوله الله درك ، فالدر في الأصل ما يدرك أي ينزل من السُّرع
من اللَّبن ومن الغيم من المطر وهو هنا كناية عن فعل الممدوح والصاد عنه ، وإنما
نسب فعله إليهقصدأ للتعجب منه لأن الله تعالى من شيء العجائب ، فكل شيء عظيم
يريدون التعجب منه ينسبونه إليه تعالى ويضيفونه إليه نحو قوله : الله أنت ، والله
أبوك ، فمعنى الله دره ما أعيجب فعله .

وقال عز الدين الزنجاني في محكي كلامه من شرح الهايدي : الله دره كلام
معناه التعجب ، والعرب إذا أعظموا الشيء غاية الاعظام أضافوه إلى الله تعالى أيذا
بأن هذا الشيء لا يقدر على ايجاده إلا الله تعالى وبأن هذا جديه بأن يتعجب منه
لأنه صادر عن فاعل قادر مصدر للأشياء العجيبة هذا .

وقوله عليه السلام : أما دين يجمعكم ، قال الشارح المعترضي ارتفاع دين على أنه
فاعل فعل مقدر أي ما يجمعكم دين يجمعكم ، اللفظ الثاني مفسر للأول كما قدرناه
بعد إذا في قوله : إذا السيماء انشقت ، ويجوز أن يكون حمية مبتده والخبر محدوف
تقديره أمالكم حمية ، إنهم .

أقول : لزوم تقدير الفعل بعد أنها إنما هو مسلم إن جعل أنها من كبة حرف
عرض بمنزلة لولا ، لاختصاصها بالدخول على الفعل كما أن إذا مختصة بالدخول
عليه ، ولذلك احتاج إلى تقديره في الآية الشريفة ، وأما إذا جعلنا الهمزة للاستفهام
على سبيل الإنكار التوبيني أو على سبيل التقرير وما حرف نفي فلا حاجة إلى تقدير

ال فعل لأنّ ماعلى ذلك ماء حجازية بمعنى ليس ودين اسمها ويجمعكم خبرها .
والظاهر من قول الشارح : أى ما يجمعكم أنه لا يجعلها حرف عرض وحيمند
فتقديره للمفعول باطل ، ثم إنّ تجويزه كون حمية مبتدء و الخبر مبوزفاً فيه أنّ
الأصل عدم الحذف مع وجود الجملة الصالحة للخبرية ، وإنّ أراد بالتجويز مجرد
الصحة بالقواعد الأدبية فلا يأس به .

وقوله : أوليس عجبًا استفهام تقريري ؟ وعلى في قوله عليه : على غير معونة ،
بمعنى مع كما في قوله تعالى : و آتى المال على حبه ، وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم ، وإلى في قوله : إلى المعونة ، متعلق بقوله ادعوك ، وجملة : و انت
تربيكة الاسلام آه ، معتبرة بينهما فليس لها محلٌ من الاعراب ، ويحمل كونها
في محل النصب على الحالية من مفعول أدعوك ولكن الأول أظهر .

والضمير في قوله : إنه للشأن ، وجواب لوفي قوله لو كان الأعمى يلحظ أو النائم
يستيقظ ممحظ بدلالة الكلام كما في قوله تعالى : ولو أنّ قرآنًا سيرت به العجمان
أوقطعت به الأرض أوكلت به الموتى ، أى لكن هذا القرآن .

وقوله عليه : وأقرب بقوم من الجهل بالله ، فعل تعجب والباء زيادة كما في أحسن
بزيده قال سيبويه افعل صورته أمر و معناه الماضي من افعل أى صار ذا فعل كالحمد أى
صار ذا لحم ، والباء بعده زيادة في الفاعل لازمة ، وقد يحذف إن كان المتعجب منه
أن وصلتها نحو أحسن أى أن يقوم أى أن يقوم على ماهو القياس .

و ضعف قوله بأنّ الأمر بمعنى الماضي مما لم يعهد بل الماضي يجيء بمعنى
الأمر مثل أتقى امروئ ربه ، وبأنّ افعل بمعنى صار ذا فعل قليل ولو كان منه لجاز الهم
بزيده وأشحم به ، وبأنّ زيادة الباء في الفاعل قليل والمطرد زيادتها في المفعول .

وقال الفراء وتبعه الزمخشري وغيره ان احسن امر لكل احديان يجعل زيداً
حسناً ، و انما يجعله كذلك بأن يصفه بالحسن فكانه قيل : صفة بالحسن كيف شئت
فإنّ فيه منه كلّ ما يمكن أن يكون في شخص كما قال الشاعر :

و قد وجدت مكان القول ذاته
فان وجدت لسانا قائلًا فعل

و هذا معنی مناسب للتعجب بخلاف تقدير سیبویه و أيضاً همزة الجعل أكثر من همزة صار كذا و ان لم يكن شيء منها قياساً مطرداً ، وعلى ذلك فهمزة أحسن به للمجعل كـ همزة ما أحسن والباء مزيدة في المفعول وهو كثیر مطرد هذا .

و إنما لم يجمع لفظ أقرب مع كون المقصود بالخطاب غير مفرد ، لأن فعل التعجب لا يتصرف فيه فلا يقال أحسنا وأحسنا وأحسنا وإن خوطب به هنئي أو مجموع أؤمنت ، وسهل ذلك انمایع معنی الأمر فيه اريد به محض انشاء التعجب ولم يبق فيه معنی الخطاب حتى ينتهي أو يجمع أورؤنت .

ثم إنّه يجب أن يكون المتتعجب منه مختصاً فلا يقال ما أحسن رجالاً ، لعدم الفائدة فان خصّته بوصف نحور رجاله في موضع كذا جاز ، ولذلك أتى بالجملة الوصفية أعني قوله قائدتهم معاوية بعد قوله بقوم ، لئلا يخلو عن الفائدة ، فالجملة على ذلك في محل الجر على الصفة فافهم ذلك كله واغتنم .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليهم السلام كما نبه عليه السيد (ره) وارد في ذم أصحابه والتوبیخ لهم ، والأشبیه أنه عليهم السلام قاله بعد التّحکیم وانقضاء أمر الحکمین تقریباً لا أصحابه على القعود عن قتال معاوية ، فافتتح كلامه بحمد الله تعالى وثنائه على ما جرى عليه سيرته في أغلب كماته الواردة في مقام الخطابة فقال :

(الحمد لله على ما قضا من أمر و قدر من فعل) يحتمل أن يريد بقوله قضا و قدر معنی واحداً و كذلك الأمر والفعل فيكونان متراذفين كال فعلين ، وأن يريد بالقضاء الحکم الالهي بوجود الأشياء ، وبعبارة اخرى هو عالم الأمر و لذا فسّره بقوله : من أمر ، وبالقدر ما قدره من الخلق والايجاد وبعبارة اخرى هو عالم الخلق ولذا بيّنه بقوله : من فعل ، فيكون المعنی الشاملة على قضائه و قدره أي على أمره و فعله أو على ما قضاه وقدره على مقتضياته من الأوامر والاحکام ، وعلى مقدراته من الصنائع والأفعال وقد مضى تفصیل الكلام مشیعاً في معنی القضا و القدر في شرح الفصل

النinth من الخطبة الأولى .

وأقول هنا : إن قوله عليه السلام هذا مؤيد لما ذهب إليه اتباع الأشراقيين من أن القضاء عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات فايضة عنه تعالى على سبيل الابداع دفعة بلازمان ، لكونها عندهم من حملة العالم ومن أفعال الله تعالى المبادنة وذاتها لذاته ، خلافاً لاتباع المشائين كالشيخ الرئيس ومن يحذو حذوه فإنه عندهم عبارة عن صور علمية لازمة لذاته بلا جعل وتأثير وتأثر ، وليس من أجزاء العالم ، إذ ليست لها جهة عدمية ولا إمكانات واقعية .

وأمام القدر فهو عبارة عن وجود صور الموجودات في العالم إسماوي على الوجه الجزئي مطابقة لما في موادها الخارجية الشخصية مستندة إلى أسبابها وعللها لازمة لا وفاتها المعينة وأمكنتها المشخصة هذا .

وعلى ما استظهرناه من ورود هذا الكلام عنه عليه السلام بعد التحكيم فيجوز أن أن يراد بما قضاه وقده خصوص ما وقع من أمر الحكمين وإضاء الأمر إلى معاوية ، فإن كل ما يقع في العالم فلا يكون إلا بقضاء من الله وقدر ، فيكون مساق هذا الكلام مساق قوله عليه السلام في الخطبة الخامسة والثلاثين : الحمد لله وإن أتي الدّهر بالخطب الفادح والحدث الجليل .

فإن قلت : فما معنى حمده على وقوع هذه الأمر مع أنه ليس نعمة موجبة للثناء
قلت : اللازم على العبد الكامل في مقام العبودية والبالغ في مقام العرفان أن يحمد الله على بلاء الله سبحانه كما يحمد على نعمائه حسب ما عرفت توضيحة في شرح قوله : نحمدك على آلاءك كما نحمدك على بلاء في الخطبة المأة والحادي والثلاثين ، و لما كان وقوع ما وقع بلية له عليه السلام في الحقيقة لا جرم حمد الله سبحانه على ذلك .

ويفيد ذلك أيضاً قوله (على ابتلائي بكم) خصوصاً ما يروى في بعض النسخ على ما ابتلاني بكم (أيتها الفرقـة التي إذا أمرت لم تطع وإذا دعوت لم تجب) والآتيان بالموصول لزيادة التقرير أعني تقرير الغرض المسوـق له الكلام ، فإنه لما بين ابتلائه بهم إجمالاً عقبـه بتفصيل جهـات الابتـلاء ، و هو كونـهم مـخالفـين لـه في

جميع الأئمّة والمتّمرّين عن طاعته عند الأمر بالقتال ، متشاقلين عن إجابته عند الدّعوة إلى الحرب والجدال .

(إن امهلتم) وعن بعض النسخ إن اهملتم أى تركتم على حالكم (حضرتم) في لھوا الحديث وفي الضلاله والأھواء الباطلة (وإن حوربتم خرتم) أى ضعفتم وجبنتم أو صحتم صباح الثور، وعن بعض النسخ جرتم بالجيم أى عدلتكم عن الحرب فراراً (وإن اجتمع الناس على إمام) أراد به نفسه (طعنتم) على المجتمعين (وإن اجتتم إلى مشافة) عدو أى مقاطعته ومصارحته (نكصتم) على أعقابكم ورجعتم محجومين (لأنّا لغيركم) دعاء بالذلّ وفيه نوع تلطيف لهم حيث قال لغيركم ولم يقل لكم (ماتنتظرون) استفهم على سبيل التقرير والتوبیخ أى أى شئ تنتظرون (بنصركم) أى بتأخير نصرتكم لدين الله (و) بتأخير (الجهاد على حرككم) اللازم عليكم وهو إعلاء كلامه الله (الموت أو الذلّ لكم) قال الشارح المتعزّى : دعاء عليهم بأن يصيّبهم أحد الأئمّة مرين كأنّه شرع داعياً عليهم بالفناء الكلّي و هو الموت ثم استدرك فقال أو الذلّ، لأنّه نظير الموت في المعنى لكنه في الصورة دونه، ولقد أحیب دعائه ^{عليهم} بالدعوة الثانية فان شيعته ذلّوا بعده ^{في الأيام الأولى} .

أقول: وقد مضى له معني آخر في بيان الاعراب وعلى ذلك المعنى ففيه اشارة إلى أن تأخير الجهاد إما مؤدّ إلى الموت على الفراش أو الذلّ العظيم على سبيل منع الخلوّ ، وأهل الفتنة والمروة لا يرضي بشيء منها ، والقتل بالسيف في الجهاد منهم أئمّة وأشهرى كما مر بيانيه في شرح المختار المأة والثاني والعشرين .

ثم أقسم بالقسم الباري بأنه إذا جاء موته ليكون مفارقته لهم عن قلّي وبغضّ فقال (فوالله لئن جاء يومي الموعود ولبياتيست) جملة معترضة أتي بها لدفع ايمام خلاف المقصود .

بيان ذلك أى لفظة إن وإذا الشرطتين تشتهر كان في إفادة الشرط في الاستقبال لكن أصل إن أن يستعمل في مقام عدم الجزم بوقوع الشرط وأصل إذا أن يستعمل في مقام الجزم بوقوعه، ولذلك كان الحكم النادر الواقع موقعا لأن لكونه غير مقطوع

(ج) (١٠)

بـ في الغالب، والحكم الغالب الواقع مورد الأذا وغلب لفظ الماضي معهـ لدلالة على الواقع قطعاً نظرـاً إلى نفس الملفـ وإن نقلـ هـ هنا إلى معنى الاستقبالـ قال سـ بـ حـانـهـ مـ بـيـنـا لـحـالـ قـوـمـ مـوسـىـ طـلاقـاً : «فـإـذـا جـاءـ تـهـمـ الـحـسـنـةـ قـالـواـ لـنـاـ هـذـهـ وـإـنـ تـصـبـهـمـ سـيـئـةـ يـطـيرـوـاـ بـمـوـسـىـ وـمـنـ مـعـهـ» جـىـ، فـيـ جـانـبـ الـحـسـنـةـ بـلـفـظـ الـمـاضـيـ مـعـ إـذـا لـأـنـ الـمـرـادـ الـحـسـنـةـ الـمـطـلـقـةـ الـقـيـ وـقـوـعـهـ مـقـطـوـعـ بـهـ وـلـذـلـكـ عـرـفـ بـلـامـ الـجـنـسـ لـأـنـ وـقـوـعـ الـجـنـسـ وـالـمـاهـيـةـ كـالـوـاجـبـ لـكـثـرـتـهـ وـ وـسـعـتـهـ، وـ فـيـ جـانـبـ السـيـئـةـ بـلـفـظـ الـمـضـارـعـ مـعـ إـنـ لـنـدـرـتـهـاـ وـقـلـتـهـاـ وـلـذـلـكـ نـكـرـتـ لـدـلـالـةـ التـنـكـيرـ عـلـىـ التـقـليلـ .

إـذـا عـرـفـتـ ذـلـكـ فـتـقـولـ: إـنـ مـوـتـهـ طـلاقـاً لـمـاـ كـانـ أـمـرـاًـ مـحـقـقاًـ مـعـلـومـ الـوـقـوعـ كـانـ الـمـقـامـ مـقـتـضـيـاًـ لـلـاتـيـانـ باـذـاـ، لـكـنـهـ أـتـىـ بـاـنـ الـمـوـهـمـةـ لـعـدـمـ جـزـمـهـ طـلاقـاًـ بـهـ . فـاستـدـرـكـ ذـلـكـ أـوـلـاـ بـالـعـدـولـ فـيـ الشـرـطـ عنـ الـاسـتـقـبـالـ إـلـىـ الـمـاضـيـ حـيـثـ قـالـ:

جـاءـ يـوـمـيـ وـلـمـ يـقـلـ يـجـيـءـ إـبـراـزـاـ لـغـيـرـ الـحـاـصـلـ فـيـ مـعـرـضـ الـحـاـصـلـ وـ كـوـنـ مـاـ هـوـ لـلـوـقـوعـ كـالـوـاقـعـ بـقـوـةـ أـسـبـابـهـ الـمـعـدـّـةـ لـهـ مـعـ مـاـ فـيـهـ مـنـ إـظـهـارـ الـرـغـبـةـ وـ الـاشـتـيـاقـ الـىـ حـصـولـ الشـرـطـ، فـانـ الـطـالـبـ إـذـاـ عـظـمـتـ رـغـبـتـهـ فـيـ حـصـولـ أـمـرـيـكـثـرـ تـصـوـرـهـ إـيـاهـ فـرـبـماـ يـخـيـلـ ذـلـكـ أـلـاـ مـرـإـيـهـ حـاـصـلـاـ فـيـعـتـبـرـ عـنـهـ بـلـفـظـ الـمـاضـيـ .

وـاستـدـرـكـ كـهـ ثـانـيـاـ بـقـولـهـ: وـلـيـاتـيـنـيـ، فـتـبـهـ طـلاقـاًـ بـهـذـينـ الـاسـتـدـرـاكـينـ عـلـىـ أـنـهـ جـازـمـ بـمـجـيـءـ، يـوـمـهـ الـمـوـعـودـ قـاطـعـ بـهـ وـأـنـمـجـيـئـهـ قـرـيبـ الـوـقـوعـ وـهـوـمـشـتـاقـ الـيـهـ وـأـشـدـ حـبـّـاـ لـهـ مـنـ الـطـفـلـ بـشـدـىـ أـمـهـ كـمـ صـرـحـ بـهـ فـيـ غـيـرـ وـاحـدـةـ مـنـ كـلـمـاتـهـ، وـهـذـاـ مـنـ لـطـاـيفـ الـبـلـاغـةـ وـمـحـسـنـاتـهـ الـبـدـيـعـةـ الـتـيـ لـاـ يـلـقـتـ إـلـيـهـ إـلـاـ مـشـلـهـ طـلاقـاًـ هـذـاـ .

وـقـولـهـ (لـيـفـرـ قـنـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـمـ وـأـنـاـ بـصـحـبـتـكـمـ قـالـ)ـ يـعـنـيـ إـذـاـ جـاءـ مـمـاـ تـىـ يـكـونـ فـارـقاـ بـيـنـنـاـ وـالـحـالـ أـنـىـ مـبـغضـ لـكـمـ مـسـتـنـكـفـ عـنـ مـصـاحـبـتـكـمـ (وـبـكـمـ غـيـرـ كـثـيرـ)ـ أـىـ غـيـرـ كـثـيرـ بـسـبـبـكـمـ قـوـةـ وـعـدـةـ لـأـنـ نـسـبـتـكـمـ إـلـىـ كـالـحـجـرـ فـيـ جـنـبـ الـإـنـسـانـ لـاـ أـعـوـانـ صـدـقـ عـنـدـ مـبـارـزـةـ الشـجـعـانـ، وـلـاـ إـخـوـانـ ثـقـةـ يـوـمـ الـكـرـيـهـ وـمـنـاضـلـةـ الـأـقـرـانـ (الـلـهـ أـنـتـمـ)ـ أـىـ اللـهـ دـرـ كـمـ وـهـوـدـارـ وـفـيـ مـقـامـ التـعـجـبـ وـ الـمـدـحـ تـلـطـفـاـ قـالـ العـلـامـةـ الـمـجـلسـيـ، رـهـ وـلـعـلـهـ لـمـتـعـجـبـ عـلـىـ، سـيـمـيلـ الدـمـ .

أقول : إن أراد انفهام الهمزة منه بقرينة المقام فلا بأس و إلا فهو خلاف ما اصطلاحوا عليه من استعمالها في مقام المدح حسماً عرفة تقضيلاً في شرح الاعراب . و قوله (أمادين يجمعكم ولا حمية تشحذكم) أى تحددكم في معنى الطلب والترغيب على الاجتماع على الدين و ملازمة الحمية سواء جعلنا أمّا حرف عرض و تحضيض أو الهمزة للاستفهام التوجيهي أو التقريري وما حرف نفي .

أمّا على الأول فواضح لأنّ معنى التحضيض في المضارع هو الحاضر على الفعل والطلب له فهو فيه بمعنى الأمر وقلما يستعمل فيه إلا في موضع التوجيه واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب .

وأمّا على جعل الهمزة للإنكار التوجيهي فكذلك لاقتضاءه وقوع ما بعدها وكون فاعله ملوماً ولوم المخاطبين وتوجيههم على عدم الدين وترك الحمية مستلزم طلب الدين والحمية منهم .

وأمّا على جعلها للتقرير فلا لأنّ معنى التقرير هو حمل المخاطب على الاقرار بأمر قد استقرّ عنده ثبوته أو نفيه ، والقرار هنا التقرير بما بعد النفي أى تقرير المخاطبين وحملهم على الاعتراف بالدين الجامع والحمية الشاحنة وحملهم على الاعتراف بذلك في معنى طلبه منهم وحملهم عليهم حتى لا يكونوا كاذبين

وإلى ذلك ينظر مقالة العالمة التفتازاني : من أنّ العرض مولد من الاستفهام أى ليس بباباً على حدة ، فالهمزة فيه همزة الاستفهام دخلت على النفي وامتنع حملها على حقيقة الاستفهام لأنّه يعرف عدم النزول مثل فالاستفهام عنه يكون طلباً للحاصل فتولد منه بقرينة الحال عرض النزول على المخاطب وطلبه ، وهي في التحقيق همزة الإنكار ، أى لا ينبغي لك أن لا تنزل (١) وإنكار النفي إثبات .

وفيه أيضاً ومن مجيء الهمزة للإنكار أليس الله بكاف ، أى الله كاف عبدك ، لأنّ إنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات ، وهذا المعنى برأي من قال : إنّ الهمزة للتقرير بما بعد النفي لا بالنفي ، وهكذا ألم نشرح لك صدرك ، وألم يجدك يتيمماً ، وما

(١) أى لا تنزل بناءً

أشبه ذلك ، فقد يقال : إنَّ الهمزة للإنكار وقد يقال إنها للتقرير وكلاهما حسن انتهى .

ومن ذلك علم أنَّ الهمزة في قوله (أوليس عجبًا) أيضًا تتحمل الإنكار والتقرير كاجملة السابقة إلا أنَّ بينهما فرقاً ، وهو أنَّ الإنكار في السابق للتبيخ و هنا للابطال ، ومقتضاه أن يكون ما بعده غير واقع و مدعيه كاذبًا فيكون مفاده إنكار عدم العجب وأنَّ من أدعى عدمه فهو كاذب ويلزمه ثبوت العجب لأنَّ نفي النفي إثبات كما مرَّ في نحو : أليس الله بكاف عبده ، وأمامًا على كونها للتقرير فلا فرق بينهما لأنَّها هنا أيضًا للتقرير بما بعد النفي أي حملهم على الإقرار بشيئوت العجب .

وعلى أي تقدير فالمعنى من الكلام بقرينة الحال والمقام حثُّهم على رفع ما أوجب التعجب عن قبلهم وهو تقرُّرهم عنه و اختلافهم عليه .

كما أشار إلى تفصيله بقوله (إنَّ معاوية يدعو الجفاة الطعام) أي الأرذل والأوغاد من الناس (فيتبعونه) ويجيرون دعوته (على غير معونة ولا عطاء) قال الشارح المعترض : الفرق بينهما أنَّ المعونة إلى أنجد شىء يسير من المال يرسم لهم لترهيم أسلحتهم وإصلاح دوابهم ويكون ذلك خارجاً عن العطاء المفروض شهرًا فشهرًا والعطاء المفروض شهرًا فشهرًا يكون شيئاً له مقدار يصرف في أيام الأقوات ومعونة العيال وقضاء الدّيون

فإن قلت : كيف يجتمع قوله فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء بما هو المعروف من بذل معاوية وأنه يمد جيشه بالأموال والرغائب

قلت : قد أجاب عنه الشارح المعترض بـأنَّ معاوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء ، وإنما كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن وساكنى الشام الأموال الجليلة تستعبدهم بها ويدعوا أولئك الرؤساء أتباعهم من العرب فيطبعونه ، فمنهم من يطيعهم حمية و منهم من يطيعهم دينًا للطلب بدم عثمان ، ولم يكن يصل إلى هؤلاء الأتباع من أموال معاوية قليل ولا كثير ، وأمامًا أمير المؤمنين فإنه كان يقسم بين الرؤساء والاتباع على وجه العطاء والرزق لا يرى شريف على مشرف فضلاً

وإلى ذلك أشار بقوله (وأنا أدعوكم وأتعمّم ترثيكة الاسلام وبقيّة) المسلمين من (الناس) لا يخفى ما في الاتيان بهذه الجملة من النكتة اللطيفة وهو الالهاب لهم والتهييج على المتابعة واستعداد لهم لفظ الترثيكة لكونهم خلف الاسلام وبقيّة السلف كالترثيكة التي يترکها النعامة . أى أدعوكم مع كونكم خلف الاسلام وبقيّة السلف وأولى الناس بالقيام على هراسمه وبسلوك نهج الاسلاف (إلى المعونة أو طائفة من العطاء فتفرقون عنّي) وتقاعدون (وتختلفون على) ولا تجتمعون .

وعمدة أسباب التفرق والتقاعد هو ما أشرنا إليه هنا إجمالاً وقدمناه في شرح الخطبة الرابعة والثلاثين تفصيلاً من تسويته عليهم السلام في العطاء بين الشريف والوضيع والرّئيس والمرؤوس والموالي والعبيد ، فكان الرؤساء من ذلك واجدين في أنفسهم فيخذلونه باطناؤينصرونـه ظاهراً، وإذا أحسنـ الاتباع بتحاذلـ الرؤساء تخاذلوا أيضاً فلم يكن يجد عليهم السلام لما أعطى الاتباع من الرّزق ثمرة ، لأنـ قتالـ الاتباع لا يتصور وقوعـه منـ تحاذلـ الرؤساء فكانـ يذهبـ ما يعطـيـهمـ ضياعـاً،ـ هذاـ .

وقد تحصلـ منـ قوله عليهم السلام أليسـ عجباً ،ـ إلىـ قولهـ :ـ تختلفـونـ علىـ أنـ منـشـاـ

تعجبـ بهـ عليـهـ السـلامـ أمـورـ :

أولـهاـ أنـ داعـيـهمـ معاـويـةـ إـمامـ القـاطـسـطـينـ وـداعـيـ هـوـلـاـ،ـ أمـيرـ المؤـمنـينـ إـمامـ المـقـتـنـينـ وـالـأـوـلـ يـدـعـوـهـ إـلـىـ درـكـ الجـحـيمـ وـالـثـانـيـ يـدـعـوـهـ إـلـىـ نـضـرـةـ النـعـيمـ .ـ وـثـانـيـهاـ أنـ المـدـعـوـ هـنـاكـ الأـوـغـادـ الطـغـامـ معـ خـلـوـهـ غالـباـ عنـ الغـيـرـةـ وـالـحـمـيـةـ وـهـنـاـ تـرـثـيـكةـ الـاسـلـامـ وـبـقـيـةـ أـهـلـ التـقـوـىـ وـالـمـرـوـةـ .ـ وـثـالـثـيـهاـ مـتـابـعـةـ الـأـوـلـينـ عـلـىـ إـمامـهـمـ مـنـ غـيـرـ مـعـونـةـ وـلاـ عـطـاءـ وـمـخـالـفـةـ الـآخـرـينـ لـاـمـهـمـ مـعـ المـعـونـةـ وـالـعـطـاءـ .ـ

ثـمـ أـشـارـ إـلـىـ مـخـالـفـهـمـ لـهـ عليـهـ السـلامـ فـيـ جـمـيـعـ الـأـحـوـالـ فـقـالـ (إـنـ لـاـ يـخـرـجـ إـلـيـكـمـ مـنـ أـمـرـيـ رـضاـ فـتـرـضـونـهـ وـلـاـ سـخـطـ فـتـجـتـمـعـونـ عـلـيـهـ)ـ أـىـ لـاـ يـخـرـجـ إـلـيـكـمـ مـنـ أـمـرـيـ شيءـ مـنـ شـانـهـ أـنـ يـرـضـيـ بـهـ كـالـمـعـونـةـ وـالـعـطـاءـ فـتـرـضـونـهـ أـوـ مـنـ شـانـهـ أـنـ يـسـخـطـ مـنـهـ كـالـحـرـبـ وـالـجـهـادـ لـكـرـاهـةـ الـمـوـتـ وـ حـبـ الـبـقـاءـ فـتـجـتـمـعـونـ عـلـيـهـ،ـ بـلـ لـابـدـ لـكـمـ مـنـ

المخالفة والتفرق على الحالين أى لا تقبلون من أمرى وما أقول لكم شيئاً سواه كان فيه الرضا أو السخط .

ثم قال (وإن أحب ما أنالـ إلـي المـوت) أـي أـحب الأـشيـاء إـلـي لـقاء المـوت
قال الشـارح المـفتـزلـي : وـهـذـهـ الـحـالـ الـتـي ذـكـرـهـاـ أـبـوـ الـطـيـبـ فـقـالـ :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً
وبحسب المنايا أن يكنّ أمانياً
تمنيتها لما تمنيت أن أرى
صديقاً فاعياً أو عدوًّاً مراجعاً

ثم أشار ^{بِيَتِهِ} إلى جهة محبسته للقاء الموت وكراهته لصحابتهم ، وهو تشقالهم من إجابة الحقّ وعدم قبولهم لمواعظه ونصايحه ، وذلك معنى قوله : (قد دارستكم الكتاب) أى فرأته عليكم للتعليم وقرأتم على ^{للتعلم} (وفاتحتكم الحجاج) أى حاكمتكم بالمحاجة والمجادلة (وعرفتكم ما أنكرتم) أى عرفتكم ما كانت منكرة مجهولة عندكم من طريق الصلاح والسداد وما فيه انتظام أمركم في المعاش والمعاد (وسوّغتكم ما مجحتم) أى أعطتكم من الأرزاق والأموال ما كنتم محروميين عنها فاستعار لفظ التسويف للاعطاء ، والجامع سهولة التناول كما استعار لفظ الميج وهو ^{اللّفظ} من الفم للحرمان ، والجامع امتناع الارتفاع .

و قوله (لو كان الأعمى يلحظ أو النائم يستيقظ) أى لو كان الأعمى يلحظ لا بصرتم، ولو كان النائم يستيقظ لانتبهتم، وهو تعریض عليهم بأن لهم أعيناً لا يبصرون بها، وآذاناً لا يسمعون بها، وقلوباً لا يفتقرون بها، فهم صمّ بكم عمي وهم لا يعقلون ثم تعجب من حال أهل الشام ومتابعهم على معاودة فقال (وأقرب بقوم) قد مرّ لطف هذه اللفظة وافتادتها لل明珠بة في التعجب في بيان الاعراب أى ما أشدّ قرب قوم (من الجهل بالله) وبشرائمه وبأحكامه (قاددهم معاودة) المتفاق بين الكافر (ومؤدّبهم) ومشيرهم (ابن النابغة) الغادر الفاجر، وأراد به عمرو بن العاص اللعن وطوى عن ذكر اسمه تحبيراً وتعریضاً على خسنته ودناته وقد حا في نسبة على ما عرفته تفصيلاً في شرح المختار الثالث والثمانين.

الترجمة

از جمله کلام بالاغت نظام آن امام أنام است عليه الصلاة والسلام در مذمت

أصحاب خود مير مايد :

حمد وئنا ميکنم معبد بحق را بر آنچه فضا فرمود از هر أمر و تقدير کرد
از هر فعل ، و بر امتحان شدن من بشما اي گروهي که چون أمرمی کنم مرا اطاعت
نمینمایید ، و اگر دعوت بکنم اجابت نمیکنید ، واگرمهمل گذاشته شوید یامهلت
داده شده باشید غوص میکنید در لغو و باطل ، و اگر محاربه کرده شوید ضعیف
میباشید یا صدا میکنید مثل صدای گاو ، و اگر جمعیت نمایند مردم بر امامی طعن
میزند یا اینکه مفارقت نمینمایید ؛ واگر خوانده شوید یا ملجم شوید بسوی مشقت
يعني محاربه بازميگرديد

بى يدر باشد غير شماچه انتظار ميکشيد با تأخير ياري کردن و مجاھده نمودن
بر حق خودتان ، مرگ يا ذلت باد از برای شما ، پس سو کند بخدا اگر بيايد روز
وفات من والبته خواهد آمد هر آينه جدائی ميأند ازد ميان من و ميان شمادر حالتیکه
من دشمن گيرنده باشم صحبت شمارا ، و در حالتیکه من بسبب شما صاحب کثرت
قوّت و زیادتی شوکت نمیباشم ، از برای خدا است خیر شما آیانیست دینی که جمع
نماید شمارا ، آیانیست حمیت غیرتی که باعث حدت شما بشود ، آیا نیست عجیب
اینکه معاویه دعوت میکند جفا کاران و فرومایگان را پس متابعت میکنند بر او
بدون اینکه جیره و مواجبی آنها بدهد ، ومن دعوت میکنم شمارا در حالتی که شما
پس مانده اسلام و بقیه مردمان هستید بسوی معونت یا طائقه از عطا پس متفرق
ميشوید و اختلاف میورزید بر من .

بدرستیکه خارج نمیشود بسوی شما از امر من چیزیکه متضمّن رضا
و خوشنودیست پس خوشنود بشوید از آن ، یا چیزی که متضمّن سخط و خشم است
پس اجتماع نماید بر آن ، و بدرستی که دوست ترین چیزی که من ملاقات کنندام
بسوی من مرگ است ، بتحقیق که من درس گفتم شما را کتاب خدارا و محاکمه

کردم باشما با اجتماع وشناساندم شمارا چیزی را که نمیدانستید، و گواراساختم از برای شما چیزی را که از دهان انداخته بودید اگر نایینا میدیدید یا اینکه خواب کفنه بیدار میشد، چقدر نزدیک است قومی از جهالت بخدا که پیشوای ایشان معاویه است و ادب دهنده ایشان پسر زن زنا کار که عبارت است از عمر و بن عاص بی دین.

و من كلام له بِكَلَامِهِ و هو المأة والثمانون من المختار في باب الخطب

وهو مروری في البحار وفي شرح المعتزلی وفي شرح المختار الرابع والأربعين جميعا من كتاب الفارات لابراهيم بن عبد الثقفي باختلاف قطع عليه.

قال السيد ره وقد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم قوم من جند الكوفة قد همروا باللھاق بالخوارج وكأنوا على خوف منه بِكَلَامِهِ فلما عاد إليه الرجل قال بِكَلَامِهِ له :

أَمْنَوْا فَقَطَنُوا أَمْ جَبَنُوا فَظَعَنُوا؟ فقال الرجل بل ظعنوا يا أمير المؤمنين

قال بِكَلَامِهِ :

بُنَدَّا لَهُمْ كَمَا بَعْدَتْ نَمُوذْ أَمَالَوْ أَشْرَعَتْ الْأَسْنَةُ إِلَيْهِمْ وَصَبَّتِ
الشِّيَوْفُ عَلَى هَا مَا تَهِمْ لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ
قَدْ اسْتَفَلَهُمْ وَهُوَ غَدَّاً مُتَبَرِّيَّا مِنْهُمْ، وَمُخَلِّ عَنْهُمْ فَحَسَبَهُمْ بِخُرُوجِهِمْ
مِنَ الْهُدَى وَأَرْتَكَاهُمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَيْ وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَجَمَاهِرُ

في بِكَلَامِهِ

اللغة

(يعلم له) مصارع علم و(قطن) بالمكان من باب قعد أقام به وتوّطنه فهو قاطن و (طعن) ظعنَا من ناب منع ارتحل والاسم ظعن بفتحتين (وبعد) بالضمّ بعضاً ضدّ قرب فهو يعيد وبالكسر من باب تعب هلك و(ثمود) قوم صالح النبي عليه السلام وسموا باسم أبיהם الأَكْبَر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح، وقيل: سميت القبيلة بذلك لقلة مائتها من الثمدو هو الماء القليل وكانت مساكنها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى و (أشعرت) الرمح إلى زيد سدته وصوّبته نحوه و (الهامت) جمع الهمة رأس كلّ شيء قال الشاعر:

تذر الجمام ضاحياً هاماً هما
بله الاَّ كف كأنها لم تخلق
(قد استغلّهم) في أكثر النسخ بالفاء أى وجدهم فلا لاخير فيهم أو مغلولين منهزمين،
وفي بعضها بالقاف أى حملهم قال سبحانه: أفلت سحاباً ثقالاً، أو اتّخذهم قليلاً وسهلاً
 عليهم أمرهم، وفي بعضها استفزّهم أى استخفّهم، وفي بعضها استقبلهم أى قبلهم .
 و (الركس) قال الجوهرى هو رد الشيء مقلوباً، وارتكس فلان في أمر كان قد نجا منه و قال الفيومي: ركست الشيء ركساً من باب قتل قلبته و ردت أوّله على آخره، وأر كسته بالآلف ردته على رأسه و (جمع) الفرس من باب منع اعتز
فارسه وغله فهو جموج .

الاعراب

بعدأ لهم منصوب على المصدر، وثمود بدون التنوين غير مصروف إذا اريد به القبيلة، ومع التنوين على الانصراف وإرادة الحسّ، أو باعتبار الأصل لأنّه اسم أبיהם الأَكْبَر قاله الزمخشرى في الكشاف في تفسير قوله تعالى «وإلى ثمود أخاهم صالح» وبهذا قرأ، أيضاً في الآية، والباء في قوله: بخر وجههم، زيادة كما زيدت في كفى با الله

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما أشار إليه السيد قاله عليه السلام (و قد أرسل رجالاً من

أصحابه) وهو عبدالله بن قعین (يعلم له علم قوم) وفي بعض النسخ علم أحوال قوم أي أرسل لهم فيخبره به و هم خریت بن راشد أحد بنی ناجیة مع جماعة من أصحابه كانوا (من جند الكوفة) شهدوا معه صفين حسبما عرفته في شرح المختار الرابع والأربعين وتعرف هنا أيضاً تقسیلاً

(همّوا) بعد انتهاء صفين وبعد تحکیم الحکمین (باللّحاق بالخوارج) كانوا على خوف منه فلما عاد أى رجع اليه (الرجل قال له: أَمْنُوا) وفي بعض النسخ باسقاط همزة الاستفهام كما في قوله تعالى: سواه عليهم أندثتهم ، على قراءة ابن محيص قال: أَتَه بِهِمْزَة وَاحِدَة عَلَى لَفْظِ الْخَبَرِ وَهِمْزَةُ الْاسْتِفَهَامِ مَرَادَةً ولکن حذفها تخفیفاً للدلالة: أَمْ لَمْ تَنْذِرْهُمْ ، عَلَيْهِ لَاَنْ أَمْ يَعْدَلُهُمْ ، وَقَرَاءُ الْأَكْثَرُونَ على لفظ الاستفهام .

وقوله (فقطنوا) أى أقاموا (أَمْ جَبَنُوا فَظَعَنُوا) أى ارتحلوا (فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمیر المؤمنین فقال : بعداً لهم) أى هلكوا لهم أو أبعد هم الله من رحمته بعداً والمعنيان متلازمان (كما بعدت ثمود) بكسر العين في أكثر النسخ وكذا في المصاحف .

ثم أخبر عن مستقبل حالهم بأنهم يندمون على تفريطهم فقال (أما لو اشرعت الأسنة إليهم وصبت السیوف على هماماتهم) استعار لفظ الصب الذي هو حقيقة في صب الماء لکثرة وقع السیوف على الرؤوس ، والجامع سرعة الواقع ، يعني أنهم لو عاینوا القتال والرجوم عليهم بالقتل والاستیصال (لقد ندموا) حيثش (على ما كان منهم) من التقصیر والخطاء

ثم تنبه على أن ما صدر عنهم من الظعن واللّحاق بالخوارج إنما هو من عمل الشیطان يقول للإنسان اکفر فلما کفر قال إني بریء منه و هو قوله (إن الشیطان اليوم قد استغلهم) أى وجدهم بمعزل من الخیر فزین لهم اللّحوق بأولیائه (وهو عدو أمیریه منهم ومخل عنهم) اى تارک لهم كما شأنه مع سایر أولیائه قال تعالى (وإذنی لهم الشیطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانی جار لكم فلما

ترأيت الفتنان نكس على عقبيه وقال إني برىء منكم إني أرى مالاترون إني أخاف
الله والله شديد العقاب ،

(فحسبهم بخر وجه من الهدى) أى يكفيهم خروجهم منه عذاباً ووبالاً
(وارتکاسهم في الفسال والعمى) أى رجوعهم إلى الضلال القديم والجهل الذى كانوا
عليه بعد خروجهم منه ونجاتهم عنه بهدايته عليه السلام (وصدّهم) أى إعراضهم (عن الحق)
اللازم عليهم وهو طاعة إمامهم المفترض طاعته (وجماحهم في التيه) و الضلال أو
مفارة المعصية ، هذا

وأما قصة هؤلاء القوم الذين هموا باللحاق بالخارج فقد مضى طرف منها
في شرح الكلام الرابع والأربعين لارتباطه به ، وأورد هنا باقتضاء المقام مالم يتقدم
ذكره فأقول :

روى العلامة المجلسي ره في كتاب البحار و الشارح المعتزلي جميماً من
كتاب الغارات لابراهيم الثقفي بتلخيص مني عن الحارث بن كعب الأزدي عن عمّه
عبد الله بن قعین قال : كان الخريت بن راشد أحد بنى ناجية قد شهد مع علي عليه السلام
صفين ، فجاء اليه بعد انتفاضة صفين وبعد تحكيم الحكمين في ثلاثة من أصحابه
يمشي بينهم حتى قام بين يديه فقال : لا والله لا أطيع أمرك ولا أصلّي خلفك وإني غداً
لمفارق لك .

فقال عليه السلام : شكلتك أمك إذا تنقض عهلك وتعصي ربّك و لا تضر إلا نفسك
أخبرني لم تفعل ذلك ؟

قال : لأنك حكمت في الكتاب و ضعفت عن الحق اذ جد الجدor كنت إلى
القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك راد وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباین
فقال له علي عليه السلام : و يحك هلم إلى أدارسك و أنا ظرك في السنن وأفا تحك
أموراً من الحق أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف ما أنت الآن له منكر ، و تبصر ما
أنت الآن عنه غافل ، وبه جاھل .

فقال الخريت: فانا غاد عليك غداً

فقال علي عليه السلام اغد ولا يستهوينك الشيطان ولا يقتحمن بك رأى السوء، ولا يستحقنك الجهلاء الذين لا يعلمون، فوالله إن استرشدتني واستئنفحتني وقبلت مني لأهديتك سبيل الرشاد.

فيخرج الخريت من عنده منصرفا إلى أهله.

قال عبدالله بن فعیان فعجلت في أثره مسرعا و كان لي من بنی عمه صديق فأردت أن القyi ابن عمه في ذلك فاعلمه بما كان في قوله لا أمیر المؤمنین عليه السلام و أمر ابن عمه أن يشتمد بمسانده عليه و أن يأمره بطاعة أمیر المؤمنین عليه السلام و مناصحته ويخبره أن ذلك خير له في عاجل الدنيا و آجل الآخرة.

قال: فخرجت حتى أتيت إلى منزله وقد سبقنى فقمت عند باب داره فيه رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معهدخوله على أمیر المؤمنین فوالله ما رجع ولا ندم على ما قال لا أمیر المؤمنین عليه السلام ولارد عليه ولكنها قال لهم: يا هؤلاء إني قد رأيت إن أنا أفارق هذا الرجل وقد فارقته على أن أرجع إليه من غد ولا أرى إلا المفارقة فقال له أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيه فإن أتاك بأمر تعرفه قبلت منه وإن كانت الأخرى فما أدرك على فراقه قال لهم نعم مارأيت.

قال فاستاذنت عليهم فأذنوا إلى فأقبلت على ابن عمه وهو مدرك بن الريان الناجي وكان من كبراء العرب فقال له: إن لك على حقا لاحسانك وودك وحقيق المسلم على المسلم إن ابن عمك كان منه ما قد ذكرك فاصل به فاردد عليه رأيه وعظم عليه ما أتى، وأعلم أنني خائف إن فارق أمیر المؤمنین عليه أن يقتلوك ونفسه وعشيرته، فقال: جزاك الله خيرا من أخ إن أداد فراق أمیر المؤمنین عليه فقي ذلك هلاكه وإن اختار مناصحته والإقامة معه ففي ذلك حظه ورشه

قال: فأردت الرجوع إلى علي عليه السلام لا علمه الذي كان ثم أطماهنت إلى قول صاحببي فرجعت إلى منزلي، فبنت ثم أصبحت فلما ارتفع النهار أتيت أمیر المؤمنين عليه السلام فجلست عنده ساعة وأنا أزيد أن أحدثه بالذى كان على خلوة، فأطلعت الجلوس

ولايزاد الناس إلا كثرة، فدنوت منه فجلست ورائيه فأصغي إلى برأسه فأخبرته بما سمعته من الخريت وما قلت لابن عمّه ومارد على

فقال عليه: دعه فان قبل الحق ورجع عربنا له ذلك وقبلناه منه

فقلت: يا أمير المؤمنين عليه ام لا تأخذن الآن و تستوثق منه؟

فقال عليه: إنما لو فعلنا هذا بكل من يفهم من الناس ملأنا السجون منهم ولا أراني يسعني الوثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يظهر والى الخلاف.

قال: فسكت عنه وتنحّيت وجلست مع أصحابي هيئة فقال عليه لى : ادْنِ مَنْتِي، فدنوت فقال لى: سر إلى منزل الرّجل فاعلم ما فعل فانه قل يوم لم يكن يأتي فيه قبل هذه الساعة، فأتيت إلى منزله فإذا ليس في منزله منهم ديار فدرت على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه فإذا ليس فيها داع و لا مجيب فأقبلت إلى أمير المؤمنين عليه

فقال لي حين رأني: أقطنوا فأقاموا أم جبنوا فظعنوا؟ قلت: لا بل ظعنوا فقال أبعدهم كما بعدت تمود أما والله لو شرعت لهم الأسنة وصبت على هاماتهم

السيوف لقد ندموا إن الشيطان قد استهواهم وأضلهم وهو متبرّئ منهم ومخل عنهم

فقام إليه زياد بن حفصة فقال يا أمير المؤمنين إنه لولم يكن من مضره هؤلا

إلا فراقهم إياً نالم يعظم فقدتهم علينا فاتّهم قل ما يزيدون في عدتنا لواقاموا معنا

و قلما ينقضون من عدتنا بخروجهم متنا، و لكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة

كثيرة ممّن يقدمون عليهم من أهل طاعتكم، فائذن لي في اتباعهم حتى أردّهم

عليك انشاء الله

فقال عليه له: فاختر في آثارهم راشداً فلما ذهب ليخرج قال له: وهل تدرى أين توجه القوم؟ قال: لا والله ولكنّي أخرّج فأسأل واتبع الآخر، فقال اخرج

رحمك الله حتى تنزل دير أبي موسى ثم لا تبرحه حتى يأتيك أمرى فانهم انخرعوا

ظاهرين بارزين للناس في جماعة فإن عمّا لي ستكتب إلى بذلك، و إن كانوا

متفرّقين مسخين فذلك أخفى لهم وساً كتب إلى من حولي من عمالٍ فيهم .
فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قره عليه كتابي هذا من العمال أمّا
بعد فأن رجالنا عندهم تبعة خرجوا هرابة نظمهم خرجوا نحو بلاد البصرة فأسأل
عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك ثم أكتب إلى
بما ينتهي إليك عنهم

فخرج زيد بن حفيظة حتى أتاداره وجمع أصحابه وأخذمعه منهم مائة وثلاثين
رجالاً وخرج حتى أتي دير أبي موسى .

و روى بساند عن عبد الله بن وال التميمي قال إني لعند أمير المؤمنين إذ أفيج
قد جاءه يسعى بكتاب من قرطة كعب الأنصاري وكان أحد عماله فيه .

أما بعد فاتني أخبر أمير المؤمنين أن خيلاً مرت من قبل الكوفة متوجة
وإن رجلاً من دعايين أسفل الفرات قد أسلم وصلي يقال له زاذان فروخ أقبل من
عند أحوال له فلقوه فقالوا أسلم أنت أم كافر قال بل مسلم قالوا فما تقول في على
عليه قال : أقول فيه خيراً أقول إنه أمير المؤمنين وسيمّد البشر ووصي رسول الله عليه
قالوا : كفرت يا عدو الله ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعواه بأسيافهم وأخذوا
معه رجلاً من أهل الذمة يهودياً ، فقالوا له : ما دينك ؟ قال يهودي ، فقالوا : خلوا
سبيل هذا لاسبيل لكم عليه ، فأقبل إلى نازلك الذمي فأخبرنا الخبر وقد سالت عنهم
فلم يخبرني أحد عنهم بشيء فليكتب إلى أمير المؤمنين عليه فيهم برأيه أنه إليه
إنشاء الله .

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه أمّا بعد فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة
التي مرت بعلمك فقتلت البر المسلم وامن عندهم المخالف المشرك ، وإن أولئك
قوم استهواهم الشيطان فضلوا كالذين حسبوا الآيكون فتنة فعموا وصموا فاسمع بهم
وابصر يوم يحشر أعمالهم فالزم عملك واقبل على خراجه ، فانك كما ذكرت في
طاعتك ونصيحتك ، والسلام .

قال : فكتب إلى زياد بن حفصة مع عبدالله بن وال التيمي كتاباً نسخته .
 أما بعد فقد كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتى يأتيك أمرى دونك
 إنني لم أكن علمت أين توجهه القوم وقد بلغنى أنهم أخذوا نحو قرية من قرى السواد
 فاتبع آثارهم وسل عنهم فانهم قد قتلوا رجلاً من أهل السواد مسلماً مصلياً فازاً أنت
 لحقت بهم فاردهم إلى قان أبوها فناجزناهم واستعن بالله عليهم فانهم قد فارقو الحق
 وسفكوا الدّم الحرام وأخافوا السبييل ، والسلام .

قال عبدالله بن وال فأخذت الكتاب منه ^{عليه السلام} وأنا يومئذ شاب حدث فمضيت
 غير بعيد ثم رجعت إليه فقلت يا أمير المؤمنين لا أمضي مع زياد بن حفصة إلى
 عدوكم إذا دفعت عليه كتابكم ؟ فأذن ودعالي ثم مضيت إلى زياد بالكتاب، فقال
 لي زياد: يا ابن أخي والله ما لي عنك من غنى وإنني أحب أن تكون معى في وجهي هذا ،
 فقلت : إنني قد استأذنت أمير المؤمنين ^{عليه السلام} في ذلك فأذن لي فسر بذلك .

ثم خرجنا حتى أتينا الموضع الذي كانوا فيه فلحقناهم وهم نزول بالمداين
 وقد أقاموا بها يوماً وليلة وقد استراحوا وعلقوا دوابهم وخيولهم وأتيناهم وقد قطعنا
 وتبعدنا ونصبنا ، فلما رأينا وثبو أعلى خيولهم فاستروا عليها فجئنا حتى انتهينا إليهم .

فتادي الخبر يت بن راشد أخبرونا ما تريدون ؟
 فقال له زياد و كان مجرباً رفيقاً ، قد ترى ما بنا من النصب واللّغوب والذى
 جئنا له لا يصلح فيه الكلام علانية ولكن تنزلون وتنزل ثم تخلو جميعاً فنذاكر
 أمرنا و ننظر فيه فان رأيت ما جئنا له حظ النفسك قبلته وإن رأيت فيما اسمع منك
 أمراً أرجو فيه العافية لنا ولنك لم ارد عليك .

فقال الخبر يت انزل ، فنزلنا ونزل و تفرقنا وتحلقنا عشرة وتسعة وثمانية
 وبسبعين تضع كل حلقة طعامها بين أيديها فتناكل ثم تقوم إلى الماء فتشرب ، و قال
 لنزياد علقوا خيولكم فعلقنا عليها محاليلها (١) ووقف زياد في خمسة فوارس أحدهم

عبد الله بن والي بيننا وبين القوم وانطلق القوم ففتحوا فنزلوا وأقبل إلينا زياد .
فلما رأى تفرقنا قال سبحان الله أنتم أصحاب حرب والله لو أن هؤلاء جاءكم على هذه الحالة ما أرادوا من عزتكم أفضل من حوالكم التي أنتم عليها فجعلوا قوما إلى خيولكم .

فأسرعنا فمن أمن يتوضأ ومنا من يشرب ومنا من يسقى فرسه حتى إذا فرغنا من ذلك أتيانا زياداً فكان زياد : ليأخذ كلَّ رجل منكم بعنان فرسه فإذا دنوت منهم و كلمت صاحبهم فان تابعنى على ما أريد و إلا" فإذا دعوتكم فاستروا على متون خيولكم ثم أقبلوا معاً غير متفرقين .

ثم استقدم أمامنا و أنا معه و دعى أصحابهم الخبريت فقال له : اعزز نظر في أمرنا فأقبل إليه في خمسة نفر فقلت لزياد : أدعوك لك ثلاثة نفر من أصحابك حتى تلقاءهم في عددهم فقال : ادع من أحببت ، فدعوت له ثلاثة فكنا خمسة .
قال له زياد : ما الذي نقمت على أمير المؤمنين عليه السلام و علينا حتى فارقنا؟ .
قال : لم أرض أصحابكم إماماً و لم أرض بسيرتكم سيرة فرأيت أن أعزز وأكون مع من يدعوك إلى الشورى بين الناس ، فإذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الأمة رضي كنت مع الناس .

قال زياد : ويحك وهل يجتمع الناس على رجل يدانى علياً عالما بالله وبكتاب الله وسنة رسوله مع قرابته وسابقته في الإسلام؟ .
قال الخبريت هو ما أقول لك .

قال : فقيم قتلتكم الرجل المسلم؟

قال الخبريت ما أنا قتلته قتلته طائفه من أصحابي ، قال : فادفعهم إلينا قال : ما إلى ذلك من سبيل ، قال : أو هكذا أنت فاعل؟ قال : هوماتسمع .

قال : فدعونا أصحابنا و دعى الخبريت أصحابه ثم أقتلنا فوالله ما رأيت قتالاً مثله منذ خلقني الله لقد تعطينا بالرماح حتى لم يبق في أيدينا رمح ، ثم اضطررنا بالسيوف حتى اثخت وعقرت عامه خيلنا وخيلهم و كثرت الجراح فيما بيننا وبينهم

وقتل منها رجالان مولى لزياد كانت معه رايتها يدعى سويداً، ورجل آخر يدعى وافد ابن بكر، وصرع منهم خمسة نفرو حال الليل بيننا وبينهم وقد والله كرهونا وكرهناهم وهزمونا وهزمناهم وقد جرح زياد وجراحت .

ثم إننا بتنا في جانب وتنحىوا فمكثوا ساعة من الليل ثم مضوا فذهبوا ، وأصبحنا فوجدناهم قد ذهبوا فوالله ما كرها ذلك فمضينا حتى أتينا البصرة وبلغنا أنهم أتوا الأهواز فنزلوا في جانب منها وتلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مائين كانوا معهم بالكوفة لم يكن لهم من القوة ما ينهرضون معهم حين نهضوا ، فاتبعوهم من بعد لحوهم بالأهواز فأقاموا معهم .

وكتب زياد إلى علي عليه السلام أما بعد فاتاً لقيانا عدو الله الناجي وأصحابه بالمداين فدعوهناهم إلى المهد والحق والكلمة السواء فتولوا عن الحق وأخذتهم العزة بالاثم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فقصدونا ، وصمدنا صمدّهم فاقتتلنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظاهر إلى أن دلكت (١) الشمس ، واستشهد منار جلان صالحان وأصيب منهم خمسة نفر وخلوا لنا المعركة وقد فشت فيها وفيهم الجراح ، ثم إن القوم لما ادرّكوا الليل خرجوا من تحته متذمّرين إلى أرض الأهواز وقد بلغني أنهم نزلوا من الأهواز جانباً ونحن بالبصرة نداوى جراحتنا ونتظّر أمرك رحمك الله وسلام .

فلما أتاه الكتاب قرأه على الناس ، فقام إليه معقل بن قيس الرّياحي إلى آخر ما قدمنا ذكره في شرح المختار الرابع والأربعين فليرجع هنالك .

الترجمة

ازجمله کلام آن بزر گوار است در حالتی که فرستاده بود مردی را از أصحاب خود تا بداند خبر طایفه از لشکر کوفه را که قصد کرده بودند آن طایفه ملحق شدن خوارج را ، و بودند آن گروه ترسان و هو اسان از آن حضرت ، چون باز گشت

(١) دلکت دلو کافر بـ او اصغرـت (ق)

آن مرد بسوی آن حضرت فرمود اورا آیا ایمن شدند پس اقامت کردند یا اینکه ترسیدند پس کوچ کردند ؟ پس گفت آنمرد کوچ کردند ای امیر مؤمنان پس فرمود :

هلاک کند خداوند ایشان را هلاک کردند چنانچه هلاک شدند قوم ثمود ، آگاه باش که اگر راست کرده شود نیزها بسوی ایشان وریخته گردد شمشیرها بر فرقهای آن مردوهان ، هر آینه البته پشمیان خواهند شد بر آن چیزی که از ایشان سرzed ، بدستیکه شیطان ملعون امر و رایشان را بی خیر و منفعت یافت جلوه داد کوچ کردن را در نظر ایشان ، واو فردا بی زاری خواهد جست از ایشان و تارک ایشان خواهد گشت ، پس بس است خارج بودن ایشان از طریق هدایت ، و باز گشتن ایشان در ضلالات و کوری ، و اعراض ایشان از حق ، و سرکشی ایشان در بیابان حیرانی و سرگردانی .

و من خطبة له ﷺ و هي المأة والواحدة

و الثمانون من المختار في باب الخطب

و شرحها في فصول :

الفصل الأول

روى عن نوف البكالي قال : خطبنا بهذه الخطبة بالكافية أمير المؤمنين علي عليه السلام
و هو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف
و حمايل سيفه من ليف وفي رجليه نعلان من ليف و كان جبينه ثقنة بغير فصال عليه :

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصْأَرُ الْخَلْقِ ، وَعَوْاقِبُ الْأَفْرِ ، نَحْمَدُهُ
 عَلٰى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ ، وَنَبِرُ بُزُّهَا نِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ ، حَمْدًا
 يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ، وَلِشَكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلٰى ثَوَابِهِ مُقْرَبًا ، وَلِحُسْنِ
 مَزِيدِهِ مُوجِبًا ، وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤْمِلٍ لِنِفْعِهِ ،
 وَانِقٰي بِدَفْعِهِ ، مُغْتَرِفٌ لَهُ بِالطُّولِ ، مُذْعِنٌ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ ، وَنُؤْمِنُ
 بِهِ إِنْهَا فَمَنْ رَجَاهُ مُوْقَنًا ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا ،
 وَأَخْلَصَ لَهُ مُوْحِدًا ، وَعَظِيمَةُ مُسْبَدَّا ، وَلَا ذَرَ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا ، لَمْ يُولَدْ
 سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُونَاهَا لِكَا ،
 وَلَمْ يَتَقْدِمْ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا تُقْصَانٌ ، بَلْ
 ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَالَمَاتِ التَّقْدِيرِ الْمُتَقْنِ ، وَالْقَضَاءِ الْبُرَمِ .
 فَمَنْ شَوَاهِدَ خَلْقَهُ خَلْقُ السَّوْاْتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ ، فَإِنَّهَا بِلَا
 سَنَدٍ ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبُنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكَّنَاتٍ وَلَا مُبْطِنَاتٍ ،
 وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالْبُوْلَيَّةِ ، وَإِذْعَانُهُنَّ بِالْطَّوَاعِيَّةِ ، لَمْ يَجْلِمُنَّ
 مَوْضِعَهُ ، وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَصْدَدًا لِلْكَلْمِ الطَّيِّبِ
 وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ ، جَعَلَ بِنُجُومِهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي
 مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا إِذْ هُنَّ سَبَقُ الْأَنْسِلِ

الْمُظْلِمُ ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِبُ سَوَادِ الْحَنَادِيسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَائِئِ نُورِ الْقَمَرِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ سَوَادُ غَسْقِ دَاهِجٍ ، وَلَا لَيْلٌ سَاجٌ فِي بَقَاعِ الْأَرَضَيْنِ الْمُتَطَاطِيْنَ ، وَلَا فِي يَقَاعِ السُّفْمِ الْمُتَجَاهِرَاتِ ، وَمَا يَتَجَلَّ لِيَهُ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاثَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَيَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقْرَهَا ، وَمَسْحَبَ الدَّرَّةِ وَمَجْرَهَا ، وَمَا يَكْفِي الْبَعْوَضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا ، وَمَا تَخْلِلُ الْأَنْثَى فِي بَطْنِهَا .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيًّا ، أَوْ عَرْشًا ، أَوْ سَماءً ، أَوْ أَرْضًا ، أَوْ جَاهَنَّمَ ، أَوْ إِنْسَانًا ، لَا يُذْرَكُ بِوَمِ ، وَلَا يُقْدَرُ بِفَهْمٍ ، وَلَا يَشْغُلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ، وَلَا يَنْظُرُ بَيْنَيْنِ ، وَلَا يَحْدُدُ بَيْنِيْنِ ، وَلَا يُوَصِّفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يَخْلُقُ بِمَلَاجِ ، وَلَا يُذْرَكُ بِالْحَوَاسِ ، وَلَا يُقْاسِ بِالنَّاسِ ، الَّذِي كَلَمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا ، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ، وَلَا نُطُقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ .

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيْمَانَهَا الْمُتَكَلَّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ ، فَصِيفٌ جِبْرِيلٌ وَمِيكَائِيلٌ وَجُنُودُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبِينَ فِي حُجُّرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجِحَيْنَ ،

مُتَوَهَّمَةً عَقْوَلُهُمْ أَنْ يَحْدُوَا أَخْسَنَ الْخَالِقِينَ، وَإِنَّمَا يُذْرَكُ بِالصَّفَاتِ ذَوُوا
الْمَهِنَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمْدَادَهُ بِالْفَنَاءِ، فَلَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

اللغة

(البكاني) بكسر الباء قال في القاموس : وبنو بکال کكتاب بطن من حمير
منهم ثوف بن فضالة التابعي وأکمير حى من همدان ، وعن الجوهرى أنه بفتح الباء ،
و عن قطب الرواندي في شرح النهج أن بکال وبکيل شيء واحد وهو اسم حى من
همدان وبکيل أكثر ، والصواب كما قاله الشارح المعتزلي ما في القاموس .

و (ثغنة) البعير بالكسر ركبته و ما مس الأرض من كركره و سعد انانه
وأصول أفحاده ، وثغنت يده من باب فرح غلظت و (العمد) جمع عماد على خلاف
القياس قال سبحانه : في عمد ممددة و (تلکأ) عليه اعتئل و عنه أبطأ و (الطوعية)
وزان ثمانية الطاعة و (المختلف) الاختلاف و التردد أو موضعه أو من المخالفة
و (الفج) الطريق الواسع بين الجبلين و (القطر) الجانب والناحية و (السجف)
بالفتح والكسر الستر والجمع سجوف وأسجاف و (الحنادس) جمع الحندس وزان
زيرج الليل شديد الظلمة و (اليفاع) واليفع محرّكة التل و (السعف) بالضم جمع
سفعة وهو من الألوان ما اشرب حمرة و (المسقط) اسم مكان كمقعد ومجلس .

و (الأنواء) جمع نوء وهو سقوط النجم من منازل القمر ثمانية و العشرين
في المغرب من الفجر وطلوع رقيبه من المشرق مقابلا له من ساعته وستعرف زيادة
تحقيق له في بيان المعنى و (اللهوات) والمهيات جمع الدهاء وهي اللحمة المشفرة
على الحلق أو بين منقطع اصل المسان و منقطع القلب من أعلى الفم و (ارجحن)
يرجحن كاقشعر مال واهتز وعن الجزرى أرجحن الشيء إذا مال من ثقله وتحرّك .

الاعراب

من في قوله : والعمل الصالح من خلقه ، ابتدائية نسوية ، قوله : في مختلف فجاج آه ، متعلق بالحيران أو بقوله : يستدلّ ، قوله : لم يمنع ضوء نوره ادلهام ، في أكثر النسخ برفع ادلهام على أنه فاعل يمنع ونصب ضوء على أنه مفعوله ، وفي بعض النسخ بالعكس قال الشارح المعتزلي : وهذا أحسن وستعرف وجه الحسن في بيان المعنى .

وأو في قوله : أورعش وما بعدها بمعنى الواو ، قوله : لا يحدّ بأين قال الشارح المعتزلي : لفظة أين في الأصل مبنية على الفتح فإذا نكرتها صارت اسمًا متمكنا من الاعراب ، وإن شئت قلت بأنّه يُلْقِلُه تكلّم بالأصطلاح الحكمي والأين عندهم حصول الجسم في المكان وهو أحداً لمقولات العشر وقوله : في حجرات القدس ، إما متعلق بالمقرّ بين أو بمر جهين ، والأول أقرب لفظاً والثاني معنى ، والاضافة في قوله : أمدحه ، بيانه وقوله : بالفتنه متعلق بقوله : ينقضى

المعنى

قال السيد ره (روى عن نوف) بن فضالة (البكالى) الحميرى انه (قال خطيبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَوْفَةُ بالكوفة) الظاهر أنَّ المراد بجامع الكوفة (وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي) وهو ابن اخت أمير المؤمنين عَلَيْهِ وَآمَّةُ آمَّةٍ هاني بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم وأبوه كما قاله السيد ره : هبيرة وهو ابن أبي وهب بن عمرو بن عايد بن عمران بن مخزوم ، وكان فارساً شجاعاً فقيها والى خراسان من جانب أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَوْفَةُ ، ومن شعره الذي يباهى فيه بنسبة قوله :

أبي من بنى مخزوم إن كنت سائلا
ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي باهي على بحاله
كبحالي على ذي الندى و عقيل
(وعليه عَلَيْهِ الْكَفَوْفَةُ مدرعة) أي جبطة تدرع بها (من صوف و حمائل سيفه من ليف) النخل

(وفي رجليه نعلان من ليف) أياً و كفي بذلك زهداً (وكان جيئنه) من طول المسجد
(نفنة بعيد) و كفي به عناء و عبادة

وقد ورثه منه **عليه السلام** ابن ابيه علي بن الحسين زين العابدين و سيد الساجدين
صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبناءه أجمعين حتى اشتهر ولقب بالسجاد ذى الثفنتان
قال دعبدل الخزاعي في قصيده المعروفة :

دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحَسِينِ وَجَعْفَرٍ وَهُمْ مُحَمَّذَةٌ وَمُسْجَدَةٌ ذَوِي التَّفَنَّاتِ

(فقال الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمور) أى إليه مر جع
الخالق في المبدء والمأب وعواقب أمرهم يوم الحساب كما قال تعالى: إِنَّ إِلِيْنَا يَأْتِيهِمْ
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ، وقال: وإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

إنما أتى عليه السلام بلفظ الجمع مع أن المصدر يصح إطلاقه على القليل والكثير باعتبار كونه أي الجمع المضاف نصاً في العموم مفيدةً لكون جميع رجوعات المخلوقات إليه سبحانه في جميع حالاتهم لافتقار الممكן إلى الواجب و حاجته إليه في الوجود والبقاء والفناء فهو أول الأولين وآخر الآخرين وإليه المصير والمنقلب.

(نحمده على عظيم احسانه) الذى أحسن إلينا به وهو معرفته و توحيده إِذْ لِإِحْسَانٍ
أعظم من ذلك، و قول الشارح المعتزلى : إنه أصول نعمه كالحياة و القدرة والشهوة
و نحوها ، وكذا قول الشارح البحرياني إنه الخلق و الإيجاد على وفق الحكمة
والمنفعة فليسا بشيء

ويؤيد ما قلناه تعقيبه بقوله (ونير برهانه) فإن المراد به الأدلة الواضحة التي أقامها في الأفق والأنفس ومن طريق العقل والنقل للدلالة على ذاته وصفات جماله وجلاله (ونواهي فضلها وامتنانه) أراد بها نعمه النامية الذاكية التي أفضل بها على عباده وامتن بها عليهم باقتضاء ربوبيته وحفظها لبقاء النوع .

وقوله (حمداً يكون لحقه قضاء و لشكته أداء) من باب المبالغة في كمال ثنائه سبحانه كما في قوله حمد أملاه السماوات والأرض، وإن فالحمد الذي يقضى حقه

و يؤدى شكره على ما هو أهل له و مستحقه فهو خارج عن وسع البشر كما عرفت تحقيق ذلك في شرح الفصل الأول من المختار الأول و شرح المختار السابع والسبعين أيضاً

(ولى ثوابه مقرّباً) لأنّه سبحانه وعد الثواب للشاكرين و قال: فاشكروني أشكرونكم، من باب المشاكلة أى اثبّتكم على شكركم (١) و معلوم أنّه سبحانه منجز لوعده ومن أوفي به عهده من الله (ولحسن مزيده موجباً) لأنّه أخبر عن ايجاب الشكر لزيادة النعمة ووعد به و قال: لئن شكرتم لا زيد لكم، و معلوم أنّه صادق في وعده لا يخلف الميعاد.

(ونستعين به استعاناً) صادرة عن صميم القلب و كمال الرجا والوثوق باعانته و لذلك وصفها بكونها مثل استعانته (راج لفضله مؤمّل لنفعه واثق بدفعه) فإن المستعين المتّصف بهذه الأوصاف لا تكون استعانته إلا على وجه الكمال إذ رجاه للفضل وأمله لا يصل المصالح و وثوقة بدفع المضار إنما هو فرع المعرفة بفضله وإحسانه وبقدرته وقهره على كل شيء، وبأنه لراد لحكمه ولا دافع لقضائه وأن بيده خزانة الملك والملائكة، و معلوم أنّ من عرف الله تعالى بذلك يكون طليبه للإعانته أكدر وأشد، و هذه الأوصاف الثلاثة في الحقيقة مظنة للإعانته باعتبار صفات العظمة والكمال في المستعين.

ثم وصفها بوصفين آخرين هما مظنة للإعانته باعتبار وصف الذل والاستكانة في المستعين وهو قوله (معترف له بالطّول مذعن له بالعمل والقول) فإنّ من اعترف لطوله وإفضا له وأذعن أي خضع وذل وانقاد على ربّ بيته وأسرع إلى طاعته فولا و عملا فتحقيق على الإعانته وجدّين بالآفاف.

ثم أردف ذلك بالاعتراف بالإيمان الكامل فقال (ونؤمن به) إيماناً كاملاً مستجماً لصفات الكمال وإنما يكون كذلك إذا كان مثل (إيمان من رجاه) للمطالب العالمية (موقناً) بأنه أهل لقدرته على إنجاح المأمول وقضاء المسئول (وأناب إليه مؤمناً)

علمًا منه بأنّ مرجع العبد إلى سيده ومعوله إلى مولاه (وختن) أي خضع (المدعنا) بأنّ نفسه ذليل أسير في رفق الافتقار والامكان وأنّ ربّه جليل متّصف بالعزّة والعظمة والسلطان (وأخلص له موحداً) أي أخلص له العبودية حال الكون معتقداً بوحدانيته علما منه بأنّ من كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً (وعظمته ممجداً) أي عظمته بصفات العزّ والكبرياء والجلال حال التمجيد له بأوصاف القدرة والعظمة والكمال (ولادبه) أي لجأ إليه (رغباً مجتهدًا) أي راغباً في الالتجاه مجددًا في الرغبة والالتجاه علماً منه بأنه الملاذ والملجأ، هذا ولما حمد الله سبحانه واستعان منه وامن به أخذ في تنزيهه وتقديسه باعتبارات

سلبية وإضافية هي غاية وصف الواصفين ومنتهاي درك الموحدين فقال (لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً) أي ليس له والد حتى يكون له شريك في العزّ والملك لجريان العادة بكون والد العزيز عزيزاً غالباً (ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً) أي ليس له ولد حتى يهلك ويرثه ولده كما هو الغالب عادة من موت الوالد قبل الولد وراثة الولد عنه وبرهان تنزيهه سبحانه عنهم أنّهما من لواحق الحيوانية المستلزم للجسمية فهو يفيد لنفي تولّده سبحانه عن شيء ونفي تولّد شيء عنه بالمعنى المعروف في الحيوان.

ويدلّ على تنزيهه سبحانه عن ذلك مطلقاً مارواه في البخاري والصافي من كتاب التوحيد للصادق بسنده عن وهب بن وهب القرشي قال: حدّثني الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقي عن أبيه عليه السلام أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصدد، فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلاتخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله عليه السلام يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوه مقعده في النار، وأنه سبحانه قد فسر الصمد فقال الله أحد الله الصمد ثم فسّره فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وساير الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس

(ج)

ولainشعب منه البدوات كالسنّة والنوم والخطرة والهمُّ و الحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والساممة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيءٌ وأن يتولد منه شيءٌ كثيفٌ، أولطيفٍ، ولم يولد لم يتولد من شيءٍ، ولم يخرج من شيءٍ كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكيزها كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الانف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، وكالنار من الحجر، لابل هو الله الصمد الذي لامن شيءٍ ولا في شيءٍ ولا على شيءٍ، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بهشيمته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد

(ولم يقدّمه وقت ولا زمان) قال الشارح المعتزل: الوقت هو الزمان وإنما خالف بين اللفظين وأتى بحرف العطف تقنيّاً، وقال الشارح البحرياني: الوقت جزء الزمان، وقال العلامة المجلسي ره: و يمكن حمل أحددهما على الموجود والأخر على الموهوم، وعلى أي تقدير فهو خالقهما ومبدعهما و مقدم عليهما فكيف يتصور تقدّمهما عليه تعالى.

(ولم يتعاونه) أي لم يختلف ولم يتناوب عليه (زيادة ولا نقصان) لاستلزم امهما التغير المستلزم للإمكان المنزه قدسه عزّوجلّ عنه .
فإن قلت: كان اللازم أن يقال زيادة و نقصان لأنّ التعاون يقتضي الضدين معًا كما أنّ الاختلاف كذلك تقول: لم يختلف زيد و عمرو ولا تقول لم يختلف زيد ولا عمرو.

فقلت: أجاب عنه الشارح المعتزل بأنّ مراده الزيادة لما كانت مختلفة جاز أن يقال: لا يتعوره الزيادة، وكذلك القول في جانب النقصان و جرى كلّ واحد من النوعين مجرّد أشياء متنافية يختلف على الموضع الموصوف بها .

(بل ظهر للعقل) وتجلى للبصائر (بما أرانا من علامات التدبير المتقن) المحكم (و) آيات (القضاء المبرم) في الأنفس والآفاق في أصناف الموجودات وأنواع المصنوعات المبدعة على أحسن نظام وأتقن انتظام على ما عرفت تفصيلاً وتحقيقاً في شرح المختار التاسع والأربعين.

ونزيد عليه ايضاحاً و تاكيداً ما قاله الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر في حديثه المعروف: يا مفضل أول العبر والأدلة على الباري جل قدسه تهيئه هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فانك إذا تأملت العالم بفكرك و ميزته بعقلك وجدتـه كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباد، فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط، والنجمون منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونـة كالذخـير، وكل شيء فيها لشأنه معد، والإنسان كالمملك ذلك البيت والمخلوق جميع ما فيه، وضروب النبات مهيئة لماربه، وصنوف الحيوان مصروفـة في صالحـه ومنافعـه، ففي هذا دلالة واضحة على أنـ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة وأنـ الخالق له واحد، وهو الذي ألقـه ونظمـه بعضاً إلى بعض جلـ قدسه وتعالـي جدهـ وكرم وجهـه ولـإلهـ غيرـه، تعالى عـما يقولـ البـاجـادـونـ وـ جـلـ وـ عـظـمـ عـما يـنـتـحـلـهـ الملـحـدـونـ، هـذاـ.

ولما ذكر أرجـاماً أـنـهـ تعالىـ تـجـلـيـ للـعـقـولـ بماـ ظـهـرـ منـ آـيـاتـ الـقـدـرـةـ وـعـلـامـاتـ التـدـبـيرـ يـشـيرـ إـلـىـ بـعـضـ تـلـكـ الـآـيـاتـ تـفـصـيـلاـ وـهـوـ خـلـقـ السـمـاـواتـ.

فقال (فمن شواهد خلقـهـ) أيـ آـيـاتـ الـابـداعـ وـعـلـامـاتـ التـدـبـيرـ المحـكمـ أوـمـاـ يـشـهـدـ منـ الـخـلـقـ بـوـجـودـ سـبـحـانـهـ وـتـدـبـيرـهـ وـعـلـمـهـ أـوـمـاـ حـضـرـ منـ خـلـقـهـ أـيـ ظـهـرـ وـجـودـ بـحـيثـ لاـيمـكـنـ لـاحـدـ إـنـكارـهـ منـ آـيـاتـ تـدـبـيرـهـ تـعـالـيـ (خـلـقـ السـمـاـواتـ) وـ تـخـصـيـصـهـ منـ بـيـنـ سـاـيـرـ الشـوـاهـدـ بـالـبـيـانـ لـكـوـنـهـاـ منـ أـعـظـمـ شـوـاهـدـ الـقـدـرـةـ ، وـ أـظـهـرـ دـلـايـلـ الرـبـوبـيـةـ، وـأـوـضـحـ عـلـامـ التـدـبـيرـ حـيثـ خـلـقـتـ (مـوـطـدـاتـ) أـيـ مـحـكـمـاتـ الـخـلـقـةـ مـثـبـتـاتـ فـيـ مـحـالـهـ عـلـىـ وـفـقـ النـظـامـ وـ الـحـكـمـةـ (بـلـ اـعـمـدـ) تـرـوـنـهـاـ وـلـادـسـارـ يـنـظـمـهـاـ (فـائـمـاتـ) فـيـ الـجـوـ (بـلـ اـسـنـدـ) يـكـونـ عـلـيـهـ اـسـتـنـادـهـ وـبـهـ اـعـتـمـادـهـ (دـعـاهـنـ) سـبـحـانـهـ فـقـالـ لـهـاـ وـلـلـأـرـضـ اـتـقـيـاـ

طوعاً أو كرها (فأجبن طائعات) كما قال حكاية عنها وعن الأرض: قالت أتينا طائعين ولفظ الدعا والاجابة في كلام الإمام عَلِيٌّ إِمَّا محمولان على حقائقهما نظراً إلى أن للسماءات أرواحاً مدبرة عاقلة كما هو قول بعض الحكماء والمتكلمين أو نظراً إلى أنه تعالى خاطبها وأقدرها على الجواب.

وإما محمولان على المجاز والاستعارة تشبيهها لتأثير قدرته تعالى فيها وتأثرها عنها بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: كن فيكون، وهذا هو الأظهر و يؤيده ماحكى عن ابن عباس في تفسير الآية المتقدمة أعني قوله : أتينا طائعين، أنه قال أنت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وأنت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار، وليس هناك أبداً بقول حقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبر سبحانه عن اختراعه للسماءات والأرض وإن شائه لهما من غير تعذر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال أفعل فيفعل من غير تلبّث ولا توقف ولا تأنّ وهو كقوله: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

ومن ذلك علم أن قوله: (مذعنات غير مملكتان ولا مسيطرتان) أراد به انقيادهن من غير توقيف ولا إبطاء في الاصابة وخضوعهن في رق الامكان الحاجة واعتراضهن بلسان الذل والافتقار بوجوب وجود مبدعها وعظمة سلطان مبدئها.

(ولولا) اعترا فهن و (اقرارهن له بالربوبية) و القدرة والعظمة و لأنفسهن بالامكان والذل الحاجة (واذعنهم بالطوعية) و الامتثال لبارئهن (لما جعلهن موضعاً لعرشه)

قال الشارح البحرياني إقرارهن بالربوبية راجع إلى شهادة لسان الحال الممكن بالحاجة إلى رب والانقياد لحكم قدرته، وظاهر أنه لو لا امكانها وانفعالها عن قدرته وتدبره لم يكن فيها عرش ولم يكن أهلاً لسكنى الملائكة وصعود الكلم الطيب المشار إليه بقوله (ولامسكنة الملائكة) ولعل المراد بهم المقربون أو الآئمة لأنّ منهم من يسكن الهواء والأرض والماء (ولام صدعاً للكلم الطيب) وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وَالْمُتَّقِيُّ (والعمل الصالح) الصادر (من خلقه) وهو

الخيرات والحسنات من القراءض والمندوبات .

والمراد لصعود هما صعود الكتبية بصحائف الأعمال إلية وإليه الاشارة بقوله سبحانه وتعالى: إلية يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، هذا وقد تقدم في تذيلات الفصل الثامن من الخطبة الأولى وفي شرح الفصل الرابع من الخطبة التسعين فصل واف في عجائب خلقة السماء وما أبدعه الله سبحانه فيها من دلائل القدرة وآيات التدبير والحكمة فانظر ما ذكرى، و اشرافتها وكون مادتها أقبل خص عليك السلام هنا طاعتها بالذكر وإن كانت الأرض مشاركة لها في الطاعة مذكورة معها في الآية .

ولما ذكر خلق السماوات وكونها من شواهد الرّبوبيّة وأدلة التوحيد استطرد إلى ذكر النجوم والكواكب لما فيها من بدايع التدبير و عجائب التقدير، وقد مر في الفصل الثامن من فصول المختار الأول و الفصل الرابع من المختار التسعين وشرحهما منه عليك السلام ومنها جملة وافية من الكلام عليها وأشار هنا إلى بعض منافعها فقال:

(جعل نجومها أعلاماً يستدلّ بها الحيران) أي جعلها علامات يهتدى بها المتحيرون كما قال عزّ من قائل: علامات وبالنّجم هم يهتدون (في مختلف فجاج الأقطار) أي يستدلّ بها الحيارى في اختلاف فجاج الأقطار وتردداتها، أو في محلّ اختلافها أو في حال مخالفة الفجاج الموجودة في أقطار الأرض و نواحيها و ذهاب كلّ منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر

(لم يمنع ضوء نورها ادّهمام سجف الليل المظلم) أي شدة ظلمة ستّر الليل ذي الظلمة لم تكن مانعة من إضاءة النجوم، وعلى رواية ادّهمام بالنصب فالمعنى أنّ ضوء نورها لم يمنع من ظلمة الليل.

(ولا استطاعت جلابيب سواد الجنادس) أي أنّواب شواد الليل المظلمة شديدة الظلمة لم تكن مستطيعة من (أن تردد ماشاء) وظاهر (في السماوات من تلاّث نور

القمر) ولمعانه.

قال الشارح المعترض لي بعد روايته عن البعض نصب لفظ الادهمام : و هذه الرواية أحسن في صناعة الكتابة لمكان الاذدواج أى لا القمر والكواكب تمنع الليلية من الظلمة، ولا الليل يمنع الكواكب والقمر من الاضاءة

أقول: ومحصل مقصود الامام عَلَيْهِمَا سَلَامٌ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ لَمَا قَدِرَ بِلَطِيفِ حُكْمِهِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّيْلَ سَبَاتًا وَرَاحَةً لِلْخَلْقِ جَعَلَهَا مَظْلَمَةً لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَوْلَا ظَلَمَتْهُ الْهَمَّ وَالرَّاحَةُ لِسَكُونِ أَبْدَانِهِمْ وَجَمْوُنِهِمْ وَابْنَاعِثِ الْقُوَّةِ الْهَاضِمَةِ لِهَضمِ الطَّعَامِ وَتَنْفِيدِ الْغَذَاءِ إِلَى الْأَعْصَاءِ

ولما كان شدة ظلمتها وكونها داحية مدللة مانعة عن جميع الأعمال وربما كان الناس محتاجين إلى العمل فيها لضيق الوقت عليهم في تقضي الأعمال بالنهار أو شدة الحر وإفراطه المانع من الزرع والحرث وقطع الفيا في والأسفار جعل بيديع صنعه فيها كواكب مضيئة وقمرًا منيراً وليهتدى بها في ظلمات الير والبحر والطرق المجهولة، ويقام بالأعمال من الزرع والفرس والحرث وغيرها عند ميسى الحاجة، وجعل نورها ناقصاً من نور الشمس كيلا يمنع من الهدوء والراحة.

(فسبحان من) جعل النور والظلام على تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه وسبحان من هو يكلّ شيء، محيط حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء و (لا يخفى عليه سواد غسق داج) أى ظلمة مظلمة والعطف للمبالغة من قبيل شعر شاعر (والليل ساج) أى ساكن و في الاستناد توسع باعتبار سكون الناس وهدوئهم فيها (في بقاع الأرضين المتقطعتين) المنخفضات (ولا في يفاع السفع المتجاوزات) أى في مرتفع الجبال المتجاوزة وإنما عبر عن الجبال بالسعف لأن لونها غالباً مشرب حمرة ولا يخفى ما فيما بين لفظ البقاع واليفاع من جناس الخط وهو من محاسن البديع حسبما عرفته في دببةجة الشرح.

(و) لا يخفى عليه عزوجل أياً (ما يتجلجل) ويصوت (به الرّعد في افق السماء)
وأراد بتجلجله تسبيحه المشار إليه في قوله تعالى: ويسبح الرّعد بحمده
قال الطبرسي : تسبيح الرّعد دلاته على تنزيه الله تعالى و وجوب حمده
فكانه هو المسبّح، وقيل : إن الرّعد هو الملك الذي يسوق السحاب و يزجره بصوته
 فهو يسبح الله ويحمده.

وقال البرازى: في قوله تعالى ويسبح الرّعد بحمده أقوال :
الاول أن الرّعد اسم ملك من الملائكة و الصوت المسموع هو صوت ذلك
الملك بالتسبيح و التهليل عن ابن عباس ، ان اليهود سألت النبي ﷺ عن الرّعد
ما هو فقال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب حيث شاء الله قالوا: فما الصوت الذي نسمع ؟ قال: زجر السحاب، وعن الحسن
أنه خلق من خلق الله ليس بملك

فعلى هذا القول الرّعد هو الملك الموكل بالسحاب وصوته تسبيح الله تعالى
وذلك الصوت أيضاً يسمى بالرّعد و يؤكّد هذا ما روى عن ابن عباس كان اذا سمع
الرّعد قال: سبحان الذي سبّحت له، و عن النبي ﷺ قال : إن الله ينشي السحاب
التقال فينطق أحسن المنطق و يضحك أحسن الضحك، فنطّقه الرّعد وضحكه البرق
واعلم أن هذا القول غير مستبعد، و ذلك لأنّ عند أهل السنة البنية ليست
شرطًا لحصول الحياة، فلا يبعد من الله تعالى أن يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق
في أجزاء السحاب، فيكون هذا الصوت المسموع فعاله .

و كيف يستبعد ذلك ؟ و نحن نرى أنّ السنن يتوّلد في النار ، و الشفاعة
تتوّلد في الماء البارد ، والدوامة العظيمة ربما تتولّد في الثلوج العظيمة .
و أيضاً فإذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود عليه السلام و لا تسبيح الحصى في
زمان محمد عليه السلام فكيف يستبعد تسبيح السحاب .

و على هذا القول فهذا الشيء المسمى بالرّعد ملك أو ليس بملك
فيه قولان :

أحدهما أنه ليس بملك لأنّه عطف عليه الملائكة فقال: و الملائكة من خيفته .

والثاني أنه لا يبعد أن يكون من جنس الملائكة وإنما حسن إفراده بالذكر على سبيل التشيريف كما في قوله : وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل ، وفي قوله: وإذ أخذنا من النّبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح .

القول الثاني أن الرّعد اسم لهذا الصوت المخصوص ومع ذلك فإن الرّعد يسبّح الله سبحانه ، لأن التسبّيح والتقدیس وما يجري مجرّها ليس إلا وجود لفظ يدل على حصول التنزيه والتقدیس لله سبحانه وتعالى ، فلما كان هذا الصوت دليلا على وجود موجود متعال عن النقص والأمكان كان ذلك في الحقيقة تسبّيحاً وهو معنى قوله : وإن من شيء إلا يسبّح به محمد .

والقول الثالث أن المراد من كون الرّعد مسبّحاً أن من يسمع الرّعد فإنه يسبّح الله تعالى ، فلهذا المعنى أضيف هذا التسبّيح إليه .

(و) لا يعزب عنه (ماتلاشت) وأضمه محلّت عنه (بروق الغمام) يعني أنه سبحانه عالم بالأقطار التي يضمحل عنها البرق بعد ما كانت مضيئة به ، و تخصيص ماتلاشت عنه بالذكر مع اشتراك غير المتلاشية عنه مجده في إحاطة علمه سبحانه به كالاول ، لأن علمه بما ليس بمضي بالبرق أعجب وأغرب ، وأماماهو مضى به ولم يضمحل عنه فيمكن إدراك غيره سبحانه له من أولى إلا بصار الصحيح ، هذا .

وأعجب من ذلك ما في نفس البرق من عظيم القدرة ودلاته على عظمة بارئه .
قال الفخر الرازمي : واعلم أنَّ أمر الصاعقة عجيب جداً ، وذلك لأنَّها نارت تولّد من السحاب وإذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان في قعر البحر و الحكماء بالغواهي وصف قوتها ، و وجه الاستدلال أنَّ النار حارة يابسة وطبيعتها ضد طبيعة السحاب ، فوجب أن تكون طبيعتها في الحرارة واليابوسة أضعف من طبيعة النير ان العادنة عندنا ، لكنه ليس الأمر كذلك ، فانها أقوى نير ان هذا العالم ، فثبتت أن اختصاصها بمزيد تلك القوة لابد وأن يكون بسبب تخصيص الفاعل .

المختار (و) لا يغيب عنه (ما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأَنواه وانهطال السماء) أى الرياح الشديدة المنسوبة إلى الأَنواه وانصباب الأمطار .

والنَّوْءُ سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين ^{الّتِي عرفتها تفصيلاً في} شرح الفصل الرابع من فصول المختار التسعين في المغرب (١) مع الفجر و طلوع رقيبه من المشرق من ساعته مقابل له في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة إلَّا الجهة فإن لها أربعة عشر يوماً .

وفي البحار من معاني الأخبار مسندأ عن الباقي ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} قال : ثلاثة من عمل الجاهلية : الفخر بالأنساب ، والطعن في الأحساب ، والاستسقاء بالأَنواه .

قال الصَّدُوق (ره) أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الزَّنجَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ عَدَّةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُونَ : إِنَّ الْأَنْوَاءَ ثَمَانِيَّةٌ وَعَشْرُونَ نَجْمًا مَعْرُوفَةُ الْمَطَالِعِ فِي أَزْمَنَةِ السَّنَةِ كُلُّهَا مِنَ الصَّيفِ وَالشَّتَاءِ وَالرَّبِيعِ وَالخَرِيفِ ، يَسْقُطُ مِنْهَا فِي كُلِّ ثَلَاثِ عَشَرَةِ لَيْلَةٍ نَجْمٌ فِي الْمَغْرِبِ مَعَ طَلُوعِ الْفَجْرِ وَيَطْلُعُ آخَرُ يَقَابِلُهُ فِي الْمَشْرُقِ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَكُلُّهُمَا مَعْلُومٌ مَسْمَى وَانْقَضَاءُهُمْ هُذِهِ الثَّمَانِيَّةُ وَالْعَشْرُونَ كُلُّهَا مَعَ انْقَضَاءِ السَّنَةِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْأَمْرُ إِلَى النَّجْمِ الْأَوَّلِ مَعَ اسْتِيَنَافِ السَّنَةِ الْمُقْبَلَةِ وَكَانَتْ فِي الجاهلية إِذَا سَقَطَ مِنْهَا نَجْمٌ وَطَلَعَ آخَرُ قَالُوا : لَابَدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ذَلِكَ رِيَاحٌ وَمَطَرٌ ، فَيَنْسِبُونَ كُلِّهِ مِنْهُ إِلَى ذَلِكَ النَّجْمِ الَّذِي يَسْقُطُ حِينَئِذٍ فَيَقُولُونَ مَطَرُنَا بْنُو الشَّرِيَّا وَ الدَّبْرَانِ وَ السَّمَاكِ ، وَمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ النَّجْمَوْنَ فَعَلَى هَذَا فَهَذِهِ هِيَ الْأَنْوَاءُ وَاحِدَهَا نَوْءٌ وَإِنَّمَا سَمَّى نَوْءًا لَأَنَّهُ إِذَا سَقَطَ السَّاقِطُ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ نَاهٌ الْمَطَالِعِ بِالْمَشْرُقِ بِالْمَطَلُوعِ وَهُوَ يَنْوِي نَوْءًا ، وَذَلِكَ النَّهْوُ فِي النَّوْءِ فَسَمَّى النَّجْمَ بِهِ وَكَذَلِكَ كُلُّ نَاهِضٍ يَنْتَقِلُ بِابْطَاءِ فَاتِّهٍ يَنْوِي عِنْدَ نَهْوِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

لَنَوْءٌ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ .

وَفِيهِ عَنِ الْجَزَرِيِّ فِي النَّهَايَةِ قَالَ : قَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ النَّوْءِ وَالْأَنْوَاءِ فِي الْحَدِيثِ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : مَطَرُنَا بْنُوهُ كَذَا قَالَ : وَإِنَّمَا غَلَظَ النَّبِيُّ ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} فِي أَمْرِ الْأَنْوَاءِ ، لَا نَ

(١) متعلق بسقوط (منه) .

العرب كانت تنسب المطر إلـيـها، فـاـمـاـ من جـعـلـ المـطـرـ من فـعـلـ اللهـ وـأـرـادـ بـقـولـهـ مـطـرـناـ بنـوـءـ كـذـاـ أـىـ فـيـ وـقـتـ كـذـاـ وـهـوـ هـذـاـ النـوـءـ الفـلـانـيـ فـاـنـ ذـكـ جـايـزـ، أـىـ إـنـ اللهـ تـعـالـىـ قـدـ أـجـرـىـ العـادـةـ أـنـ يـأـتـيـ المـطـرـ فـيـ هـذـهـ الـأـوقـاتـ، اـنـتـهـىـ.

وـقـالـ ابنـ العـرـبـيـ مـنـ اـنـتـظـرـ المـطـرـ مـنـهـ عـلـىـ أـنـهـاـ فـاعـلـةـ مـنـ دـوـنـ اللهـ أـوـ يـجـعـلـ اللهـ شـرـيكـاـ فـيـهـاـ فـهـوـ كـافـرـ. وـمـنـ اـنـتـظـرـ مـنـهـاـ عـلـىـ اـجـرـاءـ العـادـةـ فـلـاشـيـهـ عـلـيـهـ هـذـاـ وـمـنـ ذـكـرـ ذـكـرـ كـلـهـ عـلـمـ أـنـ إـضـاقـتـهـ عـلـيـهـ الـأـنـوـاءـ مـنـ جـهـةـ أـنـ اللهـ العـرـبـ تـضـيـفـ الـأـنـارـ الـعـلـوـيـةـ مـنـ الـبـرـ يـاحـ وـالـأـمـطـارـ وـكـذـلـكـ الـحـرـ وـالـبـرـدـ إـلـيـهـ (ويـعـلـمـ مـسـقـطـ القـطـرـةـ وـمـقـرـهـاـ) أـىـ مـحـلـ سـقوـطـهـاـ وـمـوـضـعـ قـرـارـهـ (وـمـسـحـبـ الـذـرـةـ وـمـجـرـهـاـ) أـىـ مـحـلـ سـحـبـ صـغـارـ النـصـلـ وـجـرـهـاـ (وـمـاـ يـكـفـيـ الـبـعـوضـةـ مـنـ قـوـتهاـ)

قال الدـميرـيـ فـيـ حـيـاةـ الـحـيـوانـ: الـبـعـوضـةـ وـاـحـدـةـ الـبـعـوضـ، وـالـبـعـوضـ عـلـىـ خـلـقـةـ الـفـيـلـ إـلـاـ أـنـهـ أـكـثـرـ أـعـضـاءـ مـنـ الـفـيـلـ، فـاـنـ لـلـفـيـلـ أـرـبـعـ أـرـجـلـ وـخـرـطـومـاـ وـذـنـبـاـ، وـلـهـ مـعـ هـذـهـ الـأـعـضـاءـ رـجـلـانـ زـاـيـدـتـانـ وـأـرـبـعـةـ أـجـنـحةـ، وـخـرـطـومـ الـفـيـلـ مـصـمـتـ وـخـرـطـومـهـ مـجـوـفـ نـافـذـ لـلـجـوـفـ فـأـذـاـ طـعـنـ بـهـ جـسـدـ الـإـنـسـانـ اـسـتـقـىـ الـدـمـ وـقـذـفـ بـهـ جـوـفـهـ فـهـوـ لـهـ كـالـبـلـعـومـ وـالـحـلـقـومـ وـلـذـكـ اـشـتـدـ عـضـهـاـ وـقـوـيـتـ عـلـىـ خـرـقـ الـجـلـودـ الـفـلـاـظـ، وـمـاـ أـلـهـمـهـ اللـهـ أـنـهـ اـذـ جـلـسـ عـلـىـ عـضـوـ مـنـ أـعـضـاءـ الـإـنـسـانـ لـاـيـزـالـ يـتوـخـيـ بـخـرـطـومـهـ الـمـسـامـ الـتـيـ يـخـرـجـ مـنـهـاـ الـعـرـقـ لـأـنـهـ أـرـقـ بـشـرـةـ مـنـ جـلـدـ الـإـنـسـانـ فـاـذـاـ وـجـدـهـاـ وـضـعـ خـرـطـومـهـ فـيـهـ، وـفـيـهـ مـنـ الشـرـهـ أـنـ يـمـصـ الـدـمـ إـلـىـ أـنـ يـنـشـقـ وـيـمـوتـ أـوـإـلـىـ أـنـ يـعـجزـ عـنـ الطـيرـانـ وـذـلـكـ سـبـبـ هـلـاـكـهـ.

قال : وـ الـبـعـوضـةـ عـلـىـ صـغـرـ جـرـمـهـاـ قـدـ أـوـدـعـ اللهـ فـيـ مـقـدـمـ دـمـاغـهـ قـوـةـ الـحـفـظـ وـفـيـ وـسـطـهـ قـوـةـ الـفـكـرـ، وـفـيـ مـؤـخـرـهـ قـوـةـ الذـكـرـ، وـخـلـقـ لـهـ حـاسـةـ الـبـصـرـ، وـحـاسـةـ الـلـمـسـ، وـحـاسـةـ الشـمـ، وـخـلـقـ لـهـ مـنـفـذـاـ لـلـعـذـاءـ، وـمـخـرـجـاـ لـلـفـضـلـةـ، وـخـلـقـ لـهـ جـوـفـاـ وـأـمـعـاءـ وـعـظـاماـ، فـسـبـحـانـ مـنـ قـدـرـ فـهـدـيـ، وـلـمـ يـخـلـقـ شـيـئـاـ مـنـ الـمـخـلـوقـاتـ سـدـيـ . (وـ) يـعـلـمـ (ماـ تـحـمـلـ الـأـشـيـ) مـنـ الـبـعـوضـةـ وـمـنـ غـيرـهـاـ (فـيـ بـطـنـهـاـ) كـمـاـ قـالـ

عَزَّ مَنْ قَائِلٌ : وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ .

ثُمَّ عَادَ إِلَى حَمْدَهُ سُبْحَانَهُ بِاعْتِبَارِ تَقْدِيمٍ وَجُودِهِ عَلَى سَابِرِ مَخْلُوقَاتِهِ فَقَالَ (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِلِ) أَئِ الْمَوْجُودُ (فَبِلِّ أَنْ يَكُونُ كَرْسِيًّا أَوْ عَرْشًا أَوْ سَمَاءً أَوْ أَرْضًا أَوْ جَانَّ أَوْ أَنْسًا) لَا يَخْفِي مَا فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنْ حَسْنِ التَّأْدِيَةِ .

وَالْمَرْادُ بِالْجَانِ إِمَّا إِبْلِيسُ أَوْ أَبُو الْجَنَّ ، وَبِهِمَا فَسَرَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَالْجَانُ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمْوُمِ ، قَالَ الرَّازِيُّ فِي تَقْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْجَانَ مَنْ هُوَ قَالَ عَطَا عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ : يَرِيدُ إِبْلِيسُ وَهُوَ قُولُ الْحَسْنِ وَمُقَاتِلُ وَقَاتِدَةٍ وَقَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ أَخْرَى : الْجَانُ هُوَ أَبُو الْجَنَّ وَهُوَ قُولُ الْأَكْثَرِيْنِ وَسَمَّى جَانَّا لِتَوَارِيهِ عَنِ الْأَعْيُنِ كَمَا سَمَّى الْجَنَّ جَنَّا لِهَذَا السَّبِيلِ وَالْجَنِّينَ مُتَوَارٍ فِي بَطْنِ أُمَّهُ وَمَعْنَى الْجَانِ فِي الْلِّغَةِ السَّاتِرِ مِنْ جَنَّ الشَّيْءِ إِذَا سَمِّرَ فِي الْجَانِ الْمَذَكُورُ هُنَّا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَانًا لَّا نَهُ يَسْتَرُ نَفْسَهُ عَنْ بَنِي آدَمَ ، أَوْ يَكُونُ الْفَاعِلُ يَرِادُ بِهِ الْمَفْعُولُ كَمَا فِي مَا دَفَقَ وَعَيْشَةَ رَاضِيَةَ .

وَفِي الْبَحَارِ مِنَ الْعُلُلِ وَالْعَيْوَنِ عَنِ الرَّضَا عَنْ آبَائِهِ ئَلِلَّهِ عَلَيْهِ الْحَمْدُ قَالَ : سَأْلُ الشَّامِيِّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ئَلِلَّهِ عَنْ اسْمِ أَبِي الْجَنَّ فَقَالَ شُوْمَانُ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ مَارِجٍ .

قَالَ الطَّبَرِسِيُّ : مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ أَئِ نَارٌ مُخْتَلَطٌ أَحْمَرُ وَأَسْوَدُ وَأَيْضًا عَنْ مجاهِدٍ وَفِيلٍ الْمَارِجِ الصَّافِيِّ مِنْ لَهْبِ النَّارِ الَّذِي لَا دُخَانٌ فِيهِ .

وَقَالَ الْبَيْضَاطِيُّ فِي تَقْسِيرِ قَوْلِهِ : مِنْ نَارِ السَّمْوُمِ مِنْ نَارِ شَدِيدِ الْحَرَّ النَّافِذِ فِي الْمَسَامِ وَلَا يَمْتَنِعُ خَلْقُ الْحَيَاةِ فِي الْأَجْرَامِ الْبَسيِطِ كَمَا لَا يَمْتَنِعُ خَلْقُهَا فِي الْجَوَاهِرِ الْمُجْرَّدةِ فَضْلًا عَنِ الْأَجْسَادِ الْمُؤْلَفَةِ الَّتِي الْفَالِبُ فِيهَا الْجَزْءُ النَّارِيُّ فَإِنَّهَا أَقْبَلَ لِهَا مِنَ الَّتِي الْفَالِبُ فِيهَا الْجَزْءُ الْأَرْضِيُّ ، وَقَوْلُهُ : مِنْ نَارٍ بِاعْتِبَارِ الْفَالِبِ كَمَّ قَوْلُهُ : خَلْقُكُمْ مِنْ قَرَابٍ .

ثُمَّ نَزَهَ تَعَالَى بِاعْتِبَارَاتِ سُلْبِيَّةٍ

أَحَدُهَا أَنَّهُ (لَا يَدْرِكُ بِوَهْمِهِ) كَمَا نَقَلَ عَنِ الْبَاقِرِ ئَلِلَّهِ عَلَيْهِ الْحَمْدُ مِنْ قَوْلِهِ : كُلُّمَا مَيَّزْتُمُوهُ بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدْقَ مَعَانِيهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنْكُمْ مُرْدُودٌ إِلَيْكُمْ .

(و) الثاني أنه (لا يقدر بفهم) أي لا يحذّف العقول، والمراد به وبسابقه تفزيه سبحانه عن إدراك العقول والأوهام لذاته وقصورها عن الوصول إلى حقيقته، وقد مر برهان ذلك في شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى وغيره أيضاً.
وأقول هنا إن الجملة الثانية يحتمل أن تكون تأكيداً للمجملة الأولى، ويحتمل أن تكون تأسيساً.

أما التأسيس فعلى أن يراد بالجملة الأولى عدم إمكان إدراك القوّة الوهيمية له وهي قوّة جسمانية للإنسان محلّها آخر التجويف الأوسط من الدّماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاونه، وهذه القوّة هي التي تحكم في الشّاة بأنّ الذئب مهرب عنه وأنّ الولد معطوف عليه، وهي حاكمة على القوى الجسمانية كلّها، مستخدمة إياها استخدام العقل للقوى العقلية، ويراد بالجملة الثانية عدم امكان تقديره وتحديده بالقوّة العقلية.

أمّا عدم إمكان إدراك الأوهام له فلا نّه (١) لاجزء له وما لا جزء له لاحدله حتىّ
والأجسام والجسمانيات، والله سبحانه متعال عن ذلك.

وأمّا عدم إمكان تحديد العقول فلا نّه (١) لاجزء له وما لا جزء له لاحدله حتىّ
يمكن تحديده.

وأيضاً فهو سبحانه غاية الغايات فليس بذاته حدّ ونهاية حتّى يكون له حدّ
معين وقدر معلوم يمكن تقديره وتحديده كما لساير الممكّنات، قال عزّ من قائل:
وما قدروا الله حقّ قدره.

و قال أمير المؤمنين عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ في خطبة له معروية عن التوحيد لما شبهه العادلون
بالخلق البعض المحدود في صفاته ذي الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته وكان
عزّ وجّل الموجود بنفسه لا بآداته انتفى أن يكون قد رأوه حقّ قدره فقال تفزيه النفس
عن مشاركة الانداد وارتفاعها عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفرة العباد: و ما
قدروا الله حقّ قدره.

(١) والازم التركيب المستلزم للاقتدار وهو من صفات الممكّن < منهجه >

فقد علم بذلك أنه لا يقدر بالحدود والنهيات الجسمانية كما أنه لا يقدر ولا يحد بالحد العقلي المركب من الجنس والفصل

واما التاكيد فعلى أن يراد بالوهم في الجملة الأولى المعنى الأعم من القوة الوهمية المتعلقة بالمحسوسات جميماً والقوة العقلية المتعلقة بالمعقولات واطلاق الوهم على ذلك المعنى شائع في الاستعمال واردفي كثير من الأخبار قال بعض المحققين: اعلم أن جوهر الوهم بعينه هو جوهر العقل ومدركته بعينه هو مدركات العقل، والفرق بينهما بالصور والكمال، فما دامت القوة العقلية ناقصة كانت ذات علاقة بالماء الحسيّة منتبكة النظر إليها لاتدرك المعنى إلا متعلقة بالماء مضافة إليها، وربما تذعن لأحكام الحسن لضعفها وغلبة الحواس والمحسوسات عليها، فتحكم على غير المحسوس حكمها على المحسوس، فما دامت في هذا المقام اطلق عليها اسم الوهم، فإذا استقام وقوى صار الوهم عقلاً وخلص عن الزيف والضلال والآفة والوبال، انتهى.

وعلى ذلك فيكون المقصود بالفهم في الجملة الثانية المعنى الأعم أيضاً، ويكون حاصل المراد بالجملتين عجز الأوهام أو القوة الوهمية والعقلية جميماً عن إدراك ذاته وتعقل حقيقته، لأنّ تعقله إما بحصول صورة مساوية لذاته تعالى، أو بحضور ذاته المقدسة وشهاد حقيقته، والأول محال إذ لم يمثل لذاته وكل ما له مثل أو صورة مساوية له فهو ذو ماهية كلية وهو تعالى لا ماهية له، والثاني محال أيضاً إذ كل متساوية من العقول والذوات والموايات فوجده منقرضاً تحت جلاله وعظمته وسلطانه القهار عين الخفاش في مشهد نور الشمس، فلا يمكن للعقل لتصورها عن درجة الكمال الواجبى لإدراك ذاته على وجه الاكتفاء و الاحتاطة بمنعوت جلاله وصفات جماله.

فاثتضح من ذلك كله أنه سبحانه لا يدرك بالأوهام، ولا يقدر بالأفهام جل شأنه وعظم سلطانه.

(و) الثالث أنه (لا يشغله سائل) عن سائل آخر كما يشغل السائل من المخلوق

عن توجّهه إلى سائل آخر، وذلك لقصور ذواتنا وقدرتنا وعلمنا، وأمّا الله الحيُّ القَيْوَمُ فلكمال ذاته وعموم قدرته وإحاطته فلا يمنعه سؤال عن سؤال ولا يشغله شأن عن شأن.

الاتری أنه يرزق الخالق جميعاً على قدر استحقاقهم في ساعة واحدة، وكذا يحاسبهم يوم القيمة دفعة كما قال عز من قائل في سورة التحل: و ما أمر الساعة إلا كلام البصر فهو أقرب إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قدير، أي كرجع الطرف على الحدقة إلى أسفلها أو هو أقرب لا يقع دفعة وقال في سورة القمر: وما أمرنا إِلَّا واحدة كلام بالبصر، قال القمي: يعني يقول كن فيكون.

(و) الرابع أنه (لابن نفسه نائل) وعطاء كملوك الدّنيا إذ مقدوراته تعالى غير متناهية فكرمه لا يضيق عن سؤال أحد، ويده بالعطاء أعلى من كلّ يد، وهو نظير قوله في الفصل الأول من المختار التسعين : لا يعزّه المنع و الجمود ولا يكديه الإعطاء والوجود، وقد مر في شرحه رواية الحديث القدسي وهو قوله سبحانه: ياعبادي لوأنّ أولكم و آخركم و انسكم و جنسكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلّ إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلاّ كما ينقص المحيط إذا دخل البحر أى لا تنقصه شيئاً فإنّ المحيط وإن كان يرجع بشيء محسوس قليل، لكنه لقلته لا يعد شيئاً فكأنه لم ينقص منه شيء.

(و) الخامس أنه (لابن بعين) أى ليس بإدراكه بحاسة البصر وإن كان بصيراً لنفسه عن المشاعر والحواس.

(و) السادس أنه (لابن بعين) لأنّ الآية عبارة عن نسبة الجسم إلى المكان وهو سبحانه منزه عن ذلك لبرائته عن التحيّز

روى في البحار من التوحيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي يقال له شجت فقال: يامحمد جئت أسألك عن ربّك فان أجبتني بما أسألك عنه وإلا رجعت، فقال له: سل عمما شئت، فقال: أين ربّك؟ فقال: هو في كلّ مكان وليس هو في شيء من المكان بمحدود، قال: فكيف هو؟ فقال: وكيف أصف ربّي بالكيف

والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه .

وعن أبي عبدالله عليه السلام أيضاً من زعم أنَّ الله من شيءٍ فقد جعله محدثاً، و من زعم أنَّه في شيءٍ فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنه على شيءٍ فقد جعله محمولاً قوله عليه السلام: محصوراً أى عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان ، أو محصوراً بذلك الشيء ومحواً يا به فيكون له انقطاع وانتهاه فيكون ذات حدود وأجزاء وقوله: محمولاً أى محتاجاً إلى ما يحمله .

قال الصدوق ره: الدليل على أنَّ الله عزَّ وَ جلَّ لا في مكان إنَّ الأماكن كلها حادثة وقد قام الدليل على أنَّ الله عزَّ وَ جلَّ قد تم سابق للاماكن، وليس يجوز أن يحتاج الغنى القديم إلى مكان غنياً عنه ، و لا أن يتغير عما لم ينزل موجوداً عليه فصح اليوم أنه لا في مكان كما أنه لم ينزل كذلك

و تصديق ذلك ما حدثنا به الفطان عن ابن زكرياقطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن سليمان المروزي عن سليمان بن مهران قال: قلت لجعفر ابن محمد عليه السلام: هل يجوز أن نقول إنَّ الله عزَّ وَ جلَّ في مكان؟ فقال: سبحانه الله وتعالى عن ذلك إنه لو كان في مكان لكان محدثاً، لأنَّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان والاحتياج من صفات الحديث لا القديم .

(و) السابع أنه (لا يوصف بالأزواج) وهي نفي الكمية المنفصلة عنه أى ليس فيه اثنينية وتعدد.

وقال العلامة المجلسي ره: أى لا يوصف بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج أليس فيه تركب وازدواج أمران أو بأنَّ له صاحبة .

(و) الثامن أنه (لا يخلق بعلاج) أى لا يحتاج في خلقه للمخلوقات إلى مزاولة و معالجة و حيلة كساير أرباب الصنائع ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

(و) التاسع أنه (لايدرك بالحواس) لاختصاص إدراكها بالأجسام والجسمانيات والله سبحانه منزٌ عن الجسمية ولو احدها .

روى في البحار من التوحيد عن عبد الله بن جوين العبدى عن أبي عبد الله عليهما السلام أنه كان يقول : الحمد لله الذي لا يحس ولا يخس ولا يمس ولا يدرك بالحواس الخمس ولا يقع عليه الوهم ولا تصفه الألسن وكل شيء حسنته الحواس أولمسته الأيدي فهو مخلوق .

(و) العاشر أنه (لا يقاس بالناس) أى لا يشبه شيئاً من خلقه في جهة من الجهات كما يزعمه المشبهة والمجسمة .

روى في البحار من التوحيد بسنده عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : من شبه الله بخلقه فهو مشرك إن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبه بشيء وكلما وقع في الوهم فهو بخلافه .

قال الصّدّيق (ره) الدليل على أن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات أنه لا جهة لشيء من أفعاله إلا محدثة ، ولا جهة محدثة إلا وهي تدل على حدوث من هي له ، فلو كان الله جل ثناؤه يشبه شيئاً منها لدللت على حدوثه من حيث دللت على حدوث من هي له ، إذ المتماثلين في العقول يقتضيان حكمًا واحدًا من حيث تماثلاً منها وقد قام الدليل على أن الله عز وجل قديم ، ومحال أن يكون قدّيماً من جهة حادثنا من أخرى .

ومن الدليل على أن الله تبارك وتعالى قديم أنه لو كان حادثاً لوجب أن يكون له محدث ، لأن الفعل لا يكون إلا بفاعل ولكان القول في محدثه كالقول فيه و في هذا وجود حادث قبل حادث لا إلى أول وهو محال ، فيصبح أنه لا بد من صانع قديم وإذا كان ذلك كذلك فالذى يوجب قدم ذلك الصانع ويدل عليه يوجب قدم صانعنا ويدل عليه .

والحادي عشر أنه متكلّم لا كتكلم المخلوقين وإليه أشار بقوله (الذي كلام

موسى) عليه السلام في شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة (تكليماً) أتى به تأكيداً و دفعاً لتوهم السامع التجوز في كلامه سبحانه ، وقد عرفت تحقيق معنى كلامه و كونه متكلماً في شرح المختار المأة والتاسع والسبعين .

وقوله (وأداء من آياته عظيماً) يحتمل أن يراد بها الآيات التسع المشار إليها في قوله تعالى : ولقد آتينا موسى تسع آيات بيتين ، قال الصادق عليه السلام : هي الجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والبحر والحجر والعصاو يده ، رواه في الصافي من الحال عنه عليه السلام ومن العياشي عن الباقر عليه السلام مثله .

وفيه من قرب الاسناد عن الكاظم عليه السلام وقد سأله نفر من اليهود عنها فقال : العصا وإخراجها يده من جيبه بيضاء والجراد والقمل والضفادع و الدم ورفع الطور والمن والسلوى آية واحدة وفرق البحر قالوا : صدقت

وأن يراد بها الآيات التي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات الست ومن روبيته ناراً بيضاء تتقى من شجرة خضراء لاختروية الشجر تطفى النار ولا النار توقد الشجرة .

قال الباقر عليه السلام فأقبل نحو النار يقتبس فإذا شجرة ونار تلتهب عليها فلم يذهب نحو النار يقتبس منها أهوت إليه ففزع وعدا ورجعت النار إلى الشجرة فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة ، فرجع الثانية ليقتبس فاهوت إليه فعدا وتركتها ثم التفت وقد رجعت إلى الشجرة ، فرجع إليها الثالثة فاهوت إليه فعدا ولم يعقب أى لم يرجع فناداه الله عز وجل أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين قال موسى : مما الدليل على ذلك ؟ قال عز وجل : ما في يمينك يا موسى قال : هي عصاى قال : ألقها يا موسى فألقيها فإذا هي حيّة تسعي ، ففزع منها وعدا فناداه الله عز وجل خذها ولا تخف أشك من الآمنين ، هذا .

ويؤيد الاحتمال الثاني أى كون المراد من الآيات الظاهرة عند التكلم قوله عليه السلام (بلا جوارح ولا أدوات ولا نطق ولا لهوات) إذ الظاهر تعلقه بالتكليم وعلى

الاحنصال الأول يلزم الفصل بين المتعلق والمتعلق بالأجنبي .

و المراد به أن كلامه مع موسى ليس ككلام البشر صادرًا عن الحنجرة واللسان واللهوات أى اللهمات في سقف أقصى الفم وعن مخارج الحروف وغيرها بل كلام معه بأن أوجد الكلام في الشجرة كما هو صريح قوله سبحانه : فلما أتيها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أَن ياموسى هذا . وفي كلامه دلالة على عدم جواز وصفه بالنطق ولعله لصراحة النطق في إخراج الحروف من المخارج ، بخلاف الكلام .

ويستفاد من خطية له ~~ظفلاً~~ آتية في الكتاب ومرورية في الاحتجاج أيضاً عدم جواز وصفه باللفظ أيضاً بخلاف القول حيث قال فيها : يخبر لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق وأدوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ .

ولعل السر فيه أيضاً صراحة التلفظ في اعتماد الملفظ على مقطع الفم واستلزماته للأدوات دون القول .

ثم نبّه على عجز القوى البشرية عن وصف كماله تعالى بقوله (بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلّف) أى المتحمل للتكلفة والمشقة (لوصف ربّك) في وصفه (فصف) بعض خلقه وهو (جبرئيل وميكائيل وجندو الملائكة المقربين) والأمر للتعجبين كما في قوله تعالى : فأتوا بسورة من مثله .

قال الشارح البحرياني : هي صورة قياس استثنائي متصل نبّه به على عجز من يدعى وصف ربّه كما هو ، و تقديره إن كنت صادقاً في وصفه فصف بعض خلقه و يتبع باستثناء تقديره أى لكيك لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى ، بيان الملازمة أنّ وصفه تعالى إذا كان ممكناً لك فوصف بعض آثاره أسهل عليك ، وأما بطلان التالي فإنّ حقيقة جبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة المقربين غير معلومة لأحد من البشر ، ومن عجز عن وصف بعض آثاره فهو عن وصفه أعجز .

أقول : ويشهد بما ذكره هنا من عدم امكان وصف الملائكة على ما هي عليه ما تقدم منه ~~شيئاً~~ و متنافي الفصل الخامس من فصول المختار التسعين و شرحه ، فقد

مضى هناك انمازج من وصف الملائكة يتغيّر فيه العقول ويدعس الأفهام ويقشعر العجلود فكيف إذا أُريد البلوغ إلى غاية أوصافهم .

وقوله (في حجرات القدس) أى منازل الطهارة عن العلاقات العنصرية ومقارنة التمسّك عن تعلقات النفس الامارة .

وقوله (من جحدين) أى خاضعين تحت سلطانه وعظمته وقال العلامة المجلسي (ره) أى ما يليين إلى جهة التحت خضوعا لجلال البارى عز سلطانه ، ويحتمل أن يكون كنایة عن عظمة شأنهم وازانة قدرهم أو عن نزولهم وقتا بعد وقت بأمره تعالى .
حالكونهم (متولهة عقولهم) أى متغيّرة متشتّتة (أن يحدو أحسن الخالقين)
أى يدركوا حقيقته بحدوة يعرفوا كنه ذاته سبحانه و هو نظير قوله بَلْ في الفصل التاسع من المختار الأول : لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير ، ولا يجررون عليه صفات المصنوعين ، ولا يحدّونه بالأماكن ، ولا يشيرون إليه بالنظائر .

ولما نبه على عجز العقول عن وصف كماله أردفه بالتبنيه على ما يدرك من جهة الوصف فقال (وانما يدرك بالصفات) ويعرف بالكتنه (ذو الوهّيات والأدوات)
والجوارح والآلات التي يحيط بها الأفهام ، فيدركون ويفرون من جهتها .

(و) كذا يدرك (من ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفنان) أى من ينقضى ويفنى إذا بلغ غايته ، فإنه تقف الأفهام عليه وتتحلل إلى أجزاءه فتطلع على كنهه ، فاما الله سبحانه فلتمسّك عن الوهّيات والصفات النانية وجوده وعدم امكان تطرق الفناء والعدم عليه ، فيستحيل الاطلاع على كنه ذاته وحقيقة صفاته .

ثم عقب ذلك التبنيه بالتوحيد وقال : (فلا إله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام وأظلم بظلمته كل نور) لا يخفى حسن المقابلة والتطبيق بين القرىنتين .

والنور والظلام في القرىنة الأولى يحتملان المحسوس وغيره ، فان أُريد به الظلام المحسوس فالمراد إضائته بأنوار الكواكب والنيرين ، و إن أُريد به الظلام المعقول أعني ظلمة الجهل فالمراد إضائته بأنوار العلم والشرع .

وأما القرينة الثانية والمقصود بها أن جميع الآثار المحسوسة أو المعقولة مضمحة في نور علمه وظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده وكمال جوده هكذا قال الشارح البحرياني.

وفي إنه ~~لم~~ لم يقل أظلم بنوره كل نور بل قال : أظلم بظلمته ، و هو ينافي هذا المعنى فالأَنْسَب أن يراد بالنور والظلمة الوجود والعدم ، ويصح ذلك التأويل في القرينة الأولى أيضاً فيكون الإضافة والظلمات فيما كنايتها عن الإيجاد والإعدام قليل : ويحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله : بظلمته ، راجعاً إلى كل نور لتقديمه رتبة فيرجع خاصل الفقرتين حينئذ إلى أن النور هو ما ينسب إليه تعالى فتلك الجهة نور وأما الجهات الراجعة إلى الممكنات فكلّها ظلمة .

الترجمة

ازجمله خطب شریفه آنحضرت است روایتشده ازنوف بالالی که گفته خطبه فرمود هارا باین خطبه امیر مؤمنان سلام الله عليه وآلـه در کوفه درحال تیکه ایستاده بود آن حضرت برسنگی که نصب کرده بود آن سنگ را از برای او جعدة بن هبیره محزومی پسر خواهر آنحضرت در حال تیکه در تن مبارک او در "اعه از پشم دوالهای شمشیر او از لیف خرما بود ، و بردوپای آن حضرت بود نعلینی از لیف و گویا پیشانی مبارک او از کثرت سجود مانند زانوی شتر بود پس فرمود آن بزرگوار :

حمد وثناء معبود بحقی را سزاست که بسوی او است باز گشتهای مخلوقات و عاقب امورات ، حمد میکنیم ما اورا بـ. بزرگی احسان او و برهان نورانی او و برافزونیهای فضل و منت او چنان حمدی که بشود از برای حق اوقضا ، و از برای شکر اوداء ، و بسوی ثواب او نزدیک کننده ، و زیادتی نیکوئی اورا واجب سازنده و طلب إعانت میکنیم ازواommی طلب اعانت کسیکه امید دارنده فضل او باشد ، آرزو کننده متفعث او ، اعتماد کننده بدفع او ، اعتراض کننده بافضل و کرم او ، گردن

نهنده براو با کردار و گفتار .

وایمان میآوریم اورا مثل ایمان آوردن کسیکه امیدوار باشد باودرحالتیکه یقین کننده باشد ، و باز گردد بسوی او درحالتیکه ایمان آورنده باشد ، و خضوع خشوع کند اورا درحالتیکه گردن نهننده باشد ، و اخلاص ورزد ازبرای او درحالتی که موحد باشد ، و تعظیم کند اورا درحالتیکه تمجید کننده شود ، و پناه بیرد باو درحالتیکه رغبت کننده وسعی نماینده باشد .

متولد نشد حق سبحانه و تعالی تا اینکه درعزّت شریک داشته باشد ، و پسر ندارد تا اینکه میراث برده شده و هالک گردد ، و مقدم نشده براو هیچ وقت و زمانی و نوبه نوبه فراهم نیامده اورا هیچ زیادتی و نقصانی ، بلکه آشکار شد بعقلها با آنچه نمایان کرد مارا از علامات تدبیر محکم و قضاe متقن .

پس از جمله شواهد خلق او است خلقت آسمانها درحالتیکه ثابت و محکم اند بیستونی ، وایستاده اند بدون تکیه گاهی دعوت فرمود آنها را پس اجابت کردند درحالتیکه اطاعت کننده بودند و انقیاد نماینده بدون اینکه توقف داشته باشند یا تأخیر کننده باشند ، و اگر نبود اقرار آنها بربویت او و انقیاد آنها بطاعت او نمیگردانید آنها را محل عرش خود ، و نه مسکن ازبرای فرشتگان ، و نه محل صعود کلمات طیّبات و اعمال صالحه از خلق .

گردانید ستارهای آسمانها را عالمتها تاراه بیابد با آنها شخص مت Hibit سر گردان در محل اختلاف راههای اطراف زمین ، مانع نشد از روشنی نور آن ستارها شدت تاریکی شب تیره ، و ممکن نشد لباسهای سیاه ظلمتهمای باشد از اینکه بر گرداند آنچه که شایع و ظاهر شده در آسمانها از درخشیدن نور ماه .

پس تنزیه میکنم آنکسی را که پوشیده نمیشود براو سیاهی ظلمت باشد اند و نه سیاهی شب آرمیده در بقعهای زمینها که منخفض و پست اند ، و نه در کوههای بلند سیاه رنگ مایل بسرخی که قریب بیکدیگرند ، و مخفی نمیشود براو آنچه

که آواز کند بر او رعد درافق آسمان ، و آنچه که متنالشی و تابود میشود از او بر قهای ابر و بر آنچه که میاقتد از برگ درختان که زایل میگرداند آن برگ را از محل افتادن تن بادها که حاصل میشود بسبب سقوط نجوم ساقط از منازل قمر و بسبب ریخته شدن باران از آسمان و میداند جای افتادن قطرهای باران وقرار گاه آن را و محل کشیدن مورچهای کوچک و مکان جر آنرا و چیزی را که کفایت کند پشه را از خوراک آن و چیزی که حمل نموده است آن را ماده درشکم خود . ستایش مر خدایر است که موجود بود پیش از این که بوده باشد کرسی یا عرش یا آسمان یا زمین یا جان یا انسان درک نمیشود آن پروردگار با وهم و گمان و اندازه کرده نمیشود با فهم عقلها و مشغول نمیگرداند اورا سائلی از سائل دیگر ، و کم نمیگرداند بحر کرم اورا هیچ عطائی ، و نگاه نمیکند با چشم ، و محدود نمیگردد بامکن ، و موصوف نمیشود با جفتها ، و نمیآفریند بمعالجه و مبادرت ، و ادراک نمیشود با حواس ظاهره و باطننه ، و قیاس کرده نمیشود بخلق آنچنان پروردگاری که سخن گفت با جناب موسی عليه السلام سخن گفتني ، و نمایانید اورا از علامتهای قدرت خود چیز بزرگی بی اعضا و جوارحی و بدون نقط و گوشت پارهایی که در آخردهن است و با آن نقط حاصل میشود .

بلکه اگر است گوینده پاشی تو ای مشقت کشنه در وصف پروردگار خود پس وصف کن جیرئیل و میکائیل و لشکرهای فرشتگان را که مقرب در گاه اویند در منزلهای قدس و طهارت خاضع و مایلند بزیر از خضوع در حالی که متغیر است عقلهای ایشان در اینکه حدی فراد بدند بهترین آفریننده گان را ، و جز این نیست که ادراک میشود با صفتها صاحبان صورتها و آلتها و آنکسی که منقى میشود بفنا و نیستی زمانی که بر سد بغايت حد خود ، پس نیست هیچ معبد بحقی غیر او که روشن فرمود با نور خود هرتاریکی ، وتاریک گردانید با تاریکی خود هر روشی را .

الفصل الثاني

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش، وأحسن عليكم
العيش، وتوأن أحداً يجد إلى البقاء سلماً، أو لدفع الموت سبيلاً،
لكان ذلك سليمان بن داود عليهما الله سخر له ملك الجن والإنس
مع النبوة وعظم الزفة، فلما استوفى طعمته، واستكمل مدهته،
رمته قسي الفناء بفبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن
معطلة، وورثها قوم آخرون، وإن لكم في القرون السالفة لمبرة،
أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ أين أصحاب
مداين الرس؟ الذين قتلوا النبيين، وأطقوا سفن الرسلين، وأنجيوها
سفن الجبارين، وأين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الألوف،
وعسكروا القساكر، ومدنو المداين.

اللغة

(الرياش) والريش ما ظهر من اللباس، وقيل: الرياش جمع الريش وهو اللباس
الفاخرو (العيش) والمعيشة مكتسب الإنسان الذي يعيش به (السلم) كسرگ ماير تقي
عليه (القسى) جمع القوس (١) و (النبل) الاستهام العربية لا واحد لها من لفظها

(١) واصلها قوس على فول كضرب وضروب إلا أنهم قدموا اللام فقالوا قسو على قلوع
قلبت الواو يا، وكسروا القاف كما كسروا هم حس فصارت قسي، ابن أبي العديد.

(العمالقة) والعمالق أولاد عمليق وزان قنديل أو عملاق كقرطاس وهو من ولد نوح عليهما السلام حسبما تعرف و (الفراعنة) جمع فرعون و (البرّس) بتشديد السين نهر عظيم بين آذربيجان وارمينية وهو المعروف الآن بالراس مبدؤه من مدينة طرائز وينتهي إلى شهر الكر فيختلطان ويصبان في البحر ، وقال في القاموس : بئر كانت لبئية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه في بئر و (مدن) المداين تمديناً مصراها .

الاعراب

الباء في قوله بنيل الموت زيادة في المفعول، والمدaines مفعول لقوله مدّنا لا فيه كما هو واضح.

المعنون

اعلم أنه لما افتتح الخطبة بتحميم الله سبحانه وتعالى ذكر جملة من صفات
جلاله ونعوت جماله وأشار إلى عجائب قدرته وبدائع حكمته في ملكه وملكته
في الفصل السابق منها، أتبعه بهذا الفصل تذكرة وموعظة للمخاطبين، فاؤصي بما
لا يزال يوصي به وقال:

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله) التي هي الزاد وبها المعاد زاد مبلغ ومعاد منجح وهي أن لا يراك حيث نهاك ولا يغدرك حيث أمرك .

وانما عقب بالموصول أعني قوله (الذى أبسمكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش) تأكيداً للغرض المسوق له الكلام ، وتنبيها على أنه سيعانه مع عظيم احسانه ومنزید فعله وانعامه حيث أنتم عليكم باللباس والرياش وأكمل عليكم المعاش الذين هما سبباً لحياتكم وبهما بقاء نواعكم ، كيف يسون كفران نعمته بالعصيان ، ومقابلة عقوفته بالخطيئة ، بل اللازم مكافأة نعماه بالنتقوى ، وعطياته بالحسنى .

ثم لاما كان رأس كل خطيبة هو حب الدنيا وكان عمدة أسباب الفحمة والضلاله
الر كون اليها وطول الأمثل فيها نيسه على فنائها وزوالها يقوله (و لو ان أحداً يجد

إلى البقاء سلماً) ووسيلة (أو لدفع الموت سبيلاً) وسبباً (لكان ذلك سليمان بن داود عليهما السلام) لأنَّه (الذى) اختصَّ من سائر الخلق لكمال السلطنة والملك العظيم حيث (سخر له ملك الجنَّ والانس) والوحش والطير فهم يوزعون حسبما تعرفه تفصيلاً عن قريب (مع النبوة وعظيم الزلفة) والقربى إلى الحقَّ سبحانه.

ومعلوم أنَّ النبوة والتقرُّب والمنزلة من الوسائل إلى البقاء لاستجابة الدعاء معهما فهما مظنةٌ للتوصل إليه في الباطن كما أنَّ الملك والسلطنة مظنة لأنَّ تكون وسيلةٌ إليه في الظاهر لكنَّه مع نبوته وعظم سلطانه وقدرته على ما لم يقدر عليه غيره لم يوجد وسيلةٌ إلى البقاء، فليس لأحد بعده أن يطبع في وجданه أُما أنه عليه السلام لم يوجد وسيلةٌ إلى ذلك (ف) لأنَّه (لما استوفى طعمته) أى رزقه المقدر (واستكمل مدته) المقررة (رمته قسيَّ الفنا بنيل الموت) إسناد الرّوى إلى القسيٰ من المجاز العقلي والنسبة إلى الآلة، قال الشارح البحرياني: ولفظ القسيٰ والنبا استعارة لمرامي الأَمراض وأسبابها التي هي نبأ الموت (وأصبحت الدّيار منه خالية والمساكن مغطلة ورنها قوم آخرون)

روي في البخار من العدل والعيون عن أحمد بن زياد الهمداني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عليٍّ بن معبعد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن عليٍّ بن موسى الرضا عليهما السلام عن أبيه موسى بن جعفر «عن أبيه جعفر» بن محمد عليهم السلام قال إنَّ سليمان بن داود عليهما السلام قال ذات يوم لاً صاحبه: إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى قد وهب لي ملائيني بغيري لأحد من بعدي سخْرَلِي الريح والأنس والجنَّ والطير والوحش وعلمني منطق الطير وآتاني كلَّ شيءٍ، ومع جميع ما أُعطيت من الملك مات م لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصرى في غد فأصعد أعلىه وأنظر إلى ممالكتي فلا تأذنوا لأحد على لثلاً يرد على ما ينقض على يومي ، قالوا : نعم .

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكتئاً على عصاه ينظر إلى ممالكته مسروراً بما أُتي فرحاً بما أُعطي، إذ نظر إلى

شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره ، فلما بصر به سليمان عليه السلام قال : من أدخلك إلى هذا القصر ؟ وقد أردت أن أخلو فيه اليوم فبادن من دخلت ؟ فقال الشاب : أدخلني هذا القصر ربّه وبادنه دخلت ، فقال عليه السلام : ربّه أحقّ به مني فمن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قال : و فيما جئت ؟ قال : جئت لأقبض روحك قال : امض لما أمرت به فهذا يوم سروري وأبي الله عزّ وجلّ أن يكون لي سروري دون لقائه ، فقبض ملك الموت روحه وهو متكم على عصاه .

فبقي سليمان متكتئاً على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدرون أنه حيّ ، فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال : إنّ سليمان قد بقى متكتئاً على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب إنته لربنا الذي يجب علينا أن نعبد ، و قال قوم : إنّ سليمان ساحر إنه يرينا أنه واقف ومتكتئ على عصاه يسحر أعيتنا وليس كذلك ، فقال المؤمنون : إنّ سليمان هو عبد الله ونبيه يدبر الله بما شاء .

فلما اختلفوا بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فدببت في عصاه ، فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان من قصره على وجهه فشكّر الجنّ للارضة صنيعها فلاّ جل ذلك لا توجد الأرضة في مكان لاوعندها ماء وطين ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلاّ دابة الأرض تأكل منساته ، يعني عصاه فلما خرّ تبيّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبتو في العذاب المهين . تم نبأه عليه السلام على الاعتبار بأحوال القرون الخالية والأمم الماضية فقال : (وان لكم في القرون السالفة لعبرة) وأشار إلى وجدة العبرة على سبيل الاستفهام التقريري قصدآ للذكر والتذكرة بقوله (أين العمالة وأبناء العمالة) .

قال الشارح المعترض : العمالة أولاد لاوزين ارم بن سالم بن نوح عليهما السلام كان الملك باليمن والمحاجزو ما تاخذ ذلك من الأقاليم فمنهم عملاق بن لاوز ، ومنهم طسم بن لاوز أخوه ، ومنهم جديس بن لاوز أخوهما ، و كان العزّ والملك بعد عملاق بن لاور في طسم ، فلما ملكهم عملاق بن طسم بغي وأكثر الفساد في الأرض حتى كان

يطأ العروس ليلة إهدائهما إلى بعلها وإن كانت بكرًا افتضها قبل وصولها إلى البعل ، ففعل ذلك بأمرأة من جديس يقال لها غيرة بنت غفار ، فخرجت إلى قومها وهي تقول:

أهكذا يفعل بالعروسان
لا أحد أذل من جديس

فغضب لها أخوها الأسود بن غفار وتابعه قومه على الفتى بعملاق بن طسم وأهل بيته فقضى الأسود طعاماً ودعى العمالق إليه ثم وثب به وبطسم فأتاى على رؤسائهم ونحاجتهم رباح بن مز فصار إلى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن ، فاستغاث به على جديس فسار ذجيشان في حمير فأتاى بلاد جو وهي قبة اليمامة واستأصل جديس كلها وأخرج اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم إلا يسير منهم ثم ملك بعد طسم وجديس وبازبن ايم «بن ظ» لا وزبن ارم فسار بولده وأهله وتزل برمل عالج فبغوا في الأرض حينا حتى أفنواهم الله ، ثم ملك الأرض بعد وباز عبد صحم بن انيف بن لاوز فنزلوا بالطائف حينا ثم بادوا .

قال الشارح : ومن يعد من العمالقة عاد وثمود .

فاما عاد فهو ابن عويص بن ارم بن سام بن نوح كان يعبد القمر يقال إنه كان رأى من صلبه أولاداً وأولاداً أربعة آلاف ، وأنه نكح ألف جارية و كان بلاده الأحقاف المذكورة في القرآن (١) ، وهي من شجر عمان إلى حضرموت ، ومن أولاده شداد ابن عاد صاحب المدينة المذكورة في سورة الفجر .

واما ثمود فهو ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت دياره بين الشام والحجاز إلى ساحل بحر العرب .

(أين الفراعنة وابناه الفراعنة) و هم ملوك مصر ف منهم الوليد بن الريان فرعون يوسف عليه السلام ، ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ، ومنهم فرعون بن الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وأخرج بيت المقدس .

(١) قال تعالى: واذكروا أخا عاد إذ أنثر قومه بالأحقاف ، قال في مجمع البحرين: هي جمع حرف وهو الرمل المعوج وقيل رمال مستطيلة بناحية شعبرو كانت عاد بين جبال مشرفة على البحر بالتجرب من بلاد البنين (منه وره) .

(أين أصحاب مداين الرس) وستعرف أنباءهم في التذليل الآتي ، وهم (الذين) جحدوا رب العالمين و (قتلو النبىين) مظلومين (وأنطقو سنن المرسلين) وشريعة الدين (وأحيوا سنن الجبارين) وبدع الشياطين (وأين) الملوك (الذين) ساروا بالجيوش وهزموا الألوف) وفتحوا الأمصار (وعسكر والعساكر) وجمعيهم (ومدنوا المداين) وبنوها .

وينبغى تذليل هذا الفصل من الخطبة بامرين:

الأول

في نوادر أخبار ملك سليمان بن داود عليهم السلام المشار إليه في هذا الفصل قال تعالى في سورة النمل : ولقد آتينا داود و سليمان فضلا و قالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير و أتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين .

وفي سورة سباء : ولسميمان الريح غدو شهر وراحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربته ومن يزعغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكرآ وقليل من عبادي الشكور .

قوله سبحانه : « وورث سليمان داود » قال الصادق عليهم السلام في رواية أكمال الدين إن داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان لأن الله عز وجل أوحى إليه يأمره بذلك فلما أخبر بنى إسرائيل ضحوا من ذلك وقالوا : يستخلف علينا حدثاً وفيينا من هو أكبر منه ، فدعى أسياط بنى إسرائيل فقال لهم : قد بلغنى مقالتكم فأذونني تصيّركم فأئى عصا أثمرت فصاحبها ولـي الأمر بعدى ، فقالوا : رضينا ، وقال : ليكتب كل واحد منكم اسمه على عصاه ، فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بيته وأغلق الباب وحرسهرؤوس أسياط بنى إسرائيل : فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم

أقبل ففتح لهم الباب فأخرج عصيهم وقد ورقت عصا سليمان وقد أمرت ، فسلموا ذلك لداود عليه السلام .

وفي البخار من محسن البرقي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : استخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة ، ومكث في ملكه أربعين سنة . و قوله : « علمنا منطق الطير » قبل : إن النطق عبارة وهو مختص بالانسان إلا أن سليمان لما فهم معنى صوت الطير سماه منطقاً مجازاً ، وقال علي بن عيسى إن الطير كانت تكلم سليمان عليهما السلام معجزة له كما أخبر عن اليهود ، ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس الذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة ، ولذلك لم يفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم يفهم هي عنها ، لأن أفهمها مقصورة على تلك الأمور المخصوصة ، و لما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها .

قوله : « وأوتينا من كل شيء ، أي من كل شيء تؤتي الأنبياء والملوك ، وقيل : من كل شيء يطلب طالب لحاجته إليه وانتفاعه به .

وقوله : « ولسليمان الربيع غدوها شهر ورواحها شهر » قال الطبرسي أي وسحرنا لسليمان الربيع مسير غدو تلك الربيع المسخرة مسير شهر ومسير رواحها مسير شهر ، والمعنى أنها كانت تسير في اليوم مسيرة شهر بين للراكب قال قنادة : كانت تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار ويروح مسيرة شهر إلى آخر النهار ، وقال الحسن : كانت تغدو من دمشق فيقبل باصطخر من أرض اصفهان وبينهما مسيرة شهر للمستريخ ، وتروح من اصطخر فتبكيت بكلب وبينهما مسيرة شهر تحمله الربيع مع جنوده أعطاه الله الربيع بدلاً من الصافتات الجياد

« وأسلنا له عين القطر ، أي أذناله عين النحاس وأظهرناها له .

« ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربّه » المعنى وسحرنا له من الجن من بحضرته و امام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدمي بين يدي الآدمي بأمر ربّه تعالى ، وكان يكلفهم الأعمال الشاقة ، وفيه دلالة على أنه قد كان من الجن

من هو غير سخر له .

« ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » أى من يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرواهم لسليمان عما أمرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار في الآخرة عن أكثر المفسرين ، وقيل : نذقه العذاب في الدنيا وأن الله سبحانه وكم لهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم من طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته .

« يعملون له ما يشاء من محاريب » وهى البيوت الشريفة الشريعة قيل : وهى القصور والمساجد يتبع ذلك فيه عن قنادة والجبائي ، قال : وكان مماعملوا بيت المقدس وقد كان الله عز وجل سلط على بنى اسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذماري والأهلين ويقضوا عوا إلى الله تعالى لعله يرحمهم ، وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد ، وارتفاع داود عليه فوق الصخرة فخر ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسبحانه وسجدوا معه ، فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون .

فلمما أن شفع الله داود في بنى اسرائيل جمعهم داود بعد ثلاثة وثلاث وفقال لهم : إن الله تعالى قد من عليكم ورحمةكم فجددوا شكرآ بأن تتحذوا من هذا الصعيد الذي رحمة فيه مسجداً ففعلوا ، وأخذوا في بناء بيت المقدس فكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقة ، وكذلك خيار بنى اسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود يليل يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة ، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه أن تمام بنائه يكون على يد ابنه سليمان .

فلمما صار داود ابن الأربعين ومائة سنة توفي الله تعالى واستخلف سليمان فأحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين فقسم عليهم الأعمال يخص كل طائفة منهم بعمل ، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفائح وجعلها اثنتعاشر ربضاً وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط .

فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأه في بناء المسجد فوجّه الشياطين فرقاً فرقاً
يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها ، وفرقة يقلعون الجوهر والأحجار من
أماكنها ، وفرق يأتونه بالمسك والعنبر وساير الطيب ، وفرق يأتونه بالدر من البحار
فاوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بفتح تلك
الأحجار حتى يصيروها ألواحاً ومعالجة تلك الجوهر واللآلئ .

وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي
وسقفه بألوان الجوهر وفضض سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت والجوهر وبسط
أرضه بألوان الفيروزج ، فلم يكن في الأرض بيت أبهى منه ولا أنور من ذلك
المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

فلما فرغ منه جمع إليه خيار بني إسرائيل فأعلمهم أنه ببناء الله تعالى واتخذ
ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً .

فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بفتح نصر بني إسرائيل
في حرب المدينة و هدمها و نقض المسجد و أخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب
والدر واليواقيت والجوهر ، فحملتها إلى دار مملكته من أرض العراق .

قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه
فعالجهاسليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود عليه السلام إلا فتحت الأبواب
ففرغ له عشرة آلاف من قرآء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار
ولا يأتي ساعة من ليل ونهار إلا ويعبد الله فيها .

« وتماثيل » يعني صوراً من نحاس وشبه وزجاج كانت الجن تعملها ، ثم اختلفوا
فقال بعضهم كانت صوراً للحيوانات ، وقال آخرون كانوا يعملون صور السباع
والبهائم على كرسية ليكون أهيلاً له .

فذكرروا أنهم صورو الأسددين أسفل كرسية ونسرين فوق عمودي كرسية
فكأن إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما ، وإذا علا على الكرسي
نشر النسران أحنتهما فظلاه من الشّمس ، ويقال : إن ذلك كان مما لا يعرفه أحد

من النساء .

فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غالب على بنى إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان ، فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقددها فوقع مغشياً عليه فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي .

قال الحسن ولم يكن يومئذ التصاوير محرمة وهي محظوظة في شريعة نبيتنا صلوات الله عليه وآله وسلامه ، فإنه قال : لعن الله المصورين ، ويجوز أن يكره ذلك في زمان دون زمان ، وقد بيّن الله سبحانه أنَّ المسيح صلوات الله عليه وآله وسلامه كان يصوّر بأمر الله من الطين كهيئة الطير وقال ابن عباس كانوا يعملون صور الأنبياء والعماد في المساجد ليقتدي بهم . وروى عن الصادق صلوات الله عليه وآله وسلامه انه قال : والله ما هى تماثيل النساء والرجال ولكنها الشجر وما أشبهه

« وجفان كالجواب » أي صحاف كالحياض التي يجبي فيها الماء أي يجمع و كان سليمان صلوات الله عليه وآله وسلامه يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان ، فإنه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم ، وقيل : انه كان يجمع على كل جفنة ألف رجل يأكلون من بين يديه .

« وقدور راسيات » أي ثابتات لايزلن عن أمكنتهن لعظمهن ، عن قتادة وكانت باليمين و قيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم و كان سليمان صلوات الله عليه وآله وسلامه يطعم جنده .

وفي البخار عن صاحب الكامل قال . لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان صلوات الله عليه وآله وسلامه على بنى إسرائيل وكان عمره ثلاثة عشر سنة ، وأتاه مع الملك النبوة و سخر له الجن و الإنس و الشياطين و الطير و الريح ، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام الإنس والجن متى يجلس فيه ، وقيل : أنه سخر له الريح والجن و الشياطين و الطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه و أعاده الله إليه و كان أبيض جسماً كثير الشعر يلبس البياض ، وكان يأكل من كسبه ، وكان كثير الغزو ، وكان إذا أراد الغزو أمر فعمل بساط من خشب يسع عسکره فيركبون عليه هم و دوابهم

وما يحتاجون إليه ، ثم أمر الريح فسار في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك ، و كان له ثلاثة زوجة وبعمره سرية وأعطاه الله أخيراً أنه لا يتكلّم أحد بشيء إلا حملته الريح فيعلم ما يقول .

وفيه من كتاب قصص الأنبياء بالاسناد عن أبي حمزة عن الأصبغ بن نباتة قال: خرج سليمان بن داود من بيت المقدس مع ثلاثة ألف كرسى عن يمينه عليهما الانس وثلاثة ألف كرسى عن يساره عليهما الجن ، وأمر الطير فأظلتهم وأمّا الريح فحملتهم حتى وردت بهم المداين ، ثم رجع وبات في اصطخر ، ثم غدا فانتهى إلى جزيرة بركا وان ، ثم أمر الريح فخفضتهم حتى كادت أقدامهم يصيّبها الماء ، فقال بعضهم لبعض : هلرأيتم ملكاً أعظم من هذا ؟ فنادى ملك : لثواب تسبيحة واحدة أعظم ممارأيتم .

وفيه منه عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان ملك سليمان ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر .

وفيه عن الطبرسي قال : قال مثدي بن كعب بلغنا أن سليمان بن داود عليه السلام كان عسكراً مائة فرسخ خمسة وعشرون للأنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلاثة مهيره وبعمره سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرياح فتسير به ، فأوحى الله إليه وهويسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكتك انه لا يتكلّم أحد من الخالائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتك .

وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخ في فرسخ ذهبأ في ابریسم و كان يوضع فيه منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه و حوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة ، فيقعد الأنباء على كراسي الذهب ، والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتنظم الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليهم الشمس ، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ، ومن الرواح إلى الصباح .

وفيه من تفسير الشعلبي قال : وروى أنَّ سليمان عليه السلام لما ملك بعد أبيه أمر باتخاذ كرسي ليعجلس عليه للقضاء وأمر بأن يعمل بدليعاً مهولاً بحيث أن لورآه مبطن أو شاهد زوراً تدعوه وتهيب .

قال : فعمل له كرسي من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت والمؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفظوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نسران من ذهب بعضها مقابلاً لبعض ، وجعلوا من جنبي الكرسي أسددين من الذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر واتخذوا عنافيدها من الياقوت الأحمر بحيث يظل عريش الكرم النخل والكرسي .

قال . و كان سليمان عليه السلام إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلية فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحي المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أحججتهم وتبسط الأسدان أيديهما فتضربان الأرض بأذنايهما ، فكذلك كل درجة يصعدها سليمان عليه السلام .

فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأس سليمان ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران و الطاووسان والأسدان ما يلات برؤوسها إلى سليمان ينفتحن عليه من أجواهها المسك والعنبر . ثم تناولت حمامه من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فيفتحها سليمان و يقرئها على الناس و يدعوهم إلى فصل القضاة ، و يجلس عظماء بنى إسرائيل على كراسي من الذهب المقصصة بالجوهر وهي ألف كرسي عن يومئه ، وتجيء عظماء وتجلس على كراسي الفضة على يساره وهي ألف كرسي حاففين جميعاً بهم يحف بهم الطير فظالمهم وتقديم إليهم الناس للقضاء .

فإذا دعى البيشات والشهدود لإقامة الشهادات دار الكرسي بما فيه مع جميع ما

(ج ١٠)

في بيان مداين الرس وقصة أصحابها

(٣٣٩)

حوله دوران الرحى المسرعة و يبسط الأسدان أيديهما و يضربان الأرض بآذنابهما وينشر النسران و الطاوسان أجنحتهما فيفرغ منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولا يشهدون إلا بالحق .

وفي البخار من كتاب تنبية الخاطر روى أن سليمان بن داود عليه السلام مر في موكيه والطير نطلة والجن و الآنس عن يمينه وعن شماليه بعابد من عباد بنى إسرائيل فقال : والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكا عظيما ، فسمعه سليمان فقال : للتبصيرة في صحيفه مؤمن خير مما اعطي ابن داود وإن ما أعطى ابن داود تذهب وأن التبصيرة تبقى .

و كان سليمان إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء و الأشراف حتى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم ويقول مسكين مع المساكين .

و من ارشاد القلوب كان سليمان مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر وإذا جنته الليل شديدة إلى عنقه فلا يزال قائما حتى يصبح باكيا و كان قوته من سفائف الخوص يعملاها بيده وإنما سأله الملك ليقهر ملوك الكفر .

الثانية

في بيان مداين الرس وقصة أصحابها

قال تعالى في سورة الفرقان « و عاداً و ثمود و أصحاب الرس » وفي سورة ق « كذّبت قبليهم قوم نوح و أصحاب الرس » (١) قال الطبرسي : أي وأهلنا عاداً و ثمود و أصحاب الرس ، وهو بئر رسوا فيها نبيهم أي القوه فيها عن عكرمة وقيل انهم كانوا أصحاب مواش ولهم بئر يقطدون عليها وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا عليه السلام فكذّبوه فانهار البئر و انكسرت بهم الأرض فهلكوا عن وهب .

(١) الرس البئر التي لم تطأ بالحجارة ولا غيرها (مجمع البيان)

وقيل الرسُّ فريدة باليمامية يقال لها فلوج قتلوا نبيَّهم فأهلُكم الله عن قتادة .
وقيل كان لهم نبِيٌّ يسمى حنظلة فقتلوه فأهلُكموا عن سعيد بن جبير والكلبي .
وقيل هم أصحابُ رسُّ والرسُّ يشرُّ بانطاكية قتلوا فيها حبيبَ النجاشي ففسدوا
إليها عن كعب ومقاتل .

وقيل أصحابُ الرسُّ كان نساؤهم سحاقاتٍ عن أبي عبد الله عليهما السلام .
وفي البحر من تفسير علي بن ابراهيم أصحابُ الرسُّ هم الذين هلكوا لأنَّهم
استغفوا الرجال بالرجال والنساء بالنساء .

ومن معاني الأخبار معنى أصحابُ الرسُّ أنَّهم نسبوا إلى نهر يقال له :
الرسُّ من بلاد المشرق .

وقد قيل : إنَّ الرسُّ هو البشر وإنَّ أصحابَه رسُّوا نبيَّهم بعد سليمان بن داود عليهما السلام وكانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبرة يقال لها شاه درخت كان غرسها يافث ابن نوح فأنبتت لنوح عليهما السلام بعد الطوفان وكان نساؤهم يشتغلن بالنساء عن الرجال فعدَّ بهم الله عز وجلَّ بريح عاصف شديد الحمرة وجعل الأرض من تحتهم حجر كبريت يتقدُّ وظلُّتهم سحابة سوداء مظلمة فانكفت عليهم كالقبة جمرة تلتهم فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار .

ومن العرائض للشعلبي قال : قال الله عز وجل « وعادًا وثمود وأصحاب الرسُّ »
وقال « كذَّبتُمْ قبليهم قوم نوح وأصحاب الرسُّ ، اختلف أهل التفسير وأصحاب
الأقوال فيهم .

فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض
وكلَّ أخبار بطائقه من حديث : أصحابُ الرسُّ بقية تمود وقوم صالح وهم أصحابُ
البشر التي ذكرها الله تعالى في قوله « وبئر معطلة وقصر مشيد » و كانوا بفلبيع
اليمامية نزوا على تلك البئر وكل ركبة لم تطو بالحجارة والآجر فهو بئر و كان
لهم نبِيٌّ يقال له حنظلة بن صفوان ، و كان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعداً في
السماء ميلاً ، وكانت العنقاء تنتابه وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كلِّ

لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت تكون في ذلك الجبل تنقض على الطير تأكلها ، فجاءت ذات يوم فاعوزها الطير فانقضت على صبي فذهب به ، ثم إنها انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمّتها إلى جناحين لها صغيرين سوي الجناحين الكباريين ، فشكوا إلى نبيهم فقال : اللهم خذها واقتصر نسلها وسلط عليها آية يذهب بها ، فأصابتها صاعقة فاحتقرت فلم ير لها أثر فضربتها العرب مثلا في أشعارها وحكمها وأمثالها ثم إن أصحاب الرسـ قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى و قال بعض العلماء : بلغني أنه كان رسـ

اما أحدهما فكان أهله بدد وأصحاب غنم ومواشـ فيبعث الله إليهم نبياً فقتلوه ثم بعث إليهم رسولا آخر وغضبه بولـي فقتلوا الرـ سـ ولـ وجاهـ لهم الولي حتى أفحـهم و كانوا يقولون إلهنا في البحر وكانوا على شفيرة وكان يخرج إليـمـ شـيطـانـ في كل شهر خـرـجةـ فيـذـبحـونـ وـ يـتـخـذـونـ عـيـداـ فـقـالـ لـهـمـ الـوـلـيـ أـرـأـيـمـ إـنـ خـرـجـ إـلـيـكـمـ الـذـىـ تـدـعـونـ إـلـىـ وـ أـطـاعـنـيـ أـتـجـبـونـنـىـ إـلـىـ ماـ دـعـوـتـكـمـ إـلـىـ ؟ـ فـقـالـوـاـ بـلـىـ ،ـ وـ أـعـطـوـهـ عـلـىـ ذـلـكـ الـعـمـودـ وـ الـمـوـاتـيقـ .ـ

فـانتـظرـ حـتـىـ خـرـجـ ذـلـكـ الشـيـطـانـ عـلـىـ صـورـةـ حـوتـ رـاكـباـ أـحـوـاتـ وـ لـهـ عـنـقـ مـسـتـعـلـيـةـ وـ عـلـىـ رـأـسـهـ مـثـلـ التـاجـ ،ـ فـلـمـ اـنـظـرـوـاـ إـلـيـهـ خـرـ وـ لـهـ سـجـدـاـ وـ خـرـجـ الـوـلـيـ إـلـيـ فـقـالـ اـئـتـنـيـ طـوـعاـأـ وـ كـرـهـاـ بـسـمـ اللهـ الـكـرـيمـ ،ـ فـنـزـلـ عـنـ ذـلـكـ عـنـ أـحـوـاتـهـ فـقـالـ لـهـ الـوـلـيـ اـئـتـنـيـ عـلـيـهـنـ لـثـلـاـ يـكـوـنـ مـنـ الـقـوـمـ فـيـ أـمـرـيـ شـكـ فـاتـيـ الـحـوتـ وـاتـيـنـ بـهـ حـتـىـ اـفـضـيـنـ بـهـ إـلـىـ الـبـرـ يـجـرـ وـنـهـ .ـ

فـكـذـ بـوـهـ بـعـدـ مـاـ رـأـوـاـ ذـلـكـ وـنـقـضـوـاـ الـعـهـدـ فـأـرـسـلـ اللهـ تـعـالـىـ إـلـيـهـ رـيـحاـ فـقـذـفـهـمـ فـيـ الـبـرـ وـ مـوـاشـيـهـ جـمـيـعـاـ وـ مـاـ كـانـوـاـ يـمـلـكـونـ مـنـ ذـهـبـ وـفـضـةـ ،ـ فـأـتـىـ الـوـلـيـ الصـالـحـ إـلـىـ الـبـرـ حـتـىـ أـخـذـ التـبـرـ وـالـفـضـةـ وـالـأـوـانـيـ فـقـسـمـ عـلـىـ أـصـحـابـهـ بـالـسـوـيـةـ عـلـىـ الصـفـيرـ مـنـهـ وـالـكـبـيرـ وـانـقـطـعـ هـذـاـ النـسـلـ .ـ

وـ اـمـاـ الـاـخـرـ فـهـمـ قـوـمـ كـانـ لـهـمـ نـهـرـ يـدـعـيـ الرـسـ يـمـسـبـونـ إـلـيـهـ وـ كـانـ فـيـهـمـ أـنـبـيـاءـ كـثـيرـةـ قـلـ يـقـومـ نـبـيـ "ـ إـلـاـ قـتـلـ وـذـلـكـ النـهـرـ بـمـنـقـطـعـ آذـرـ بـجـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ أـرـمـيـةـ

فإذا قطعته مدبرأ دخلت في حد أرمنية وإذا قطعته مقبلأ دخلت في حد آذربيجان
يعبدون النيران و كانوا يعبدون الجواري «الفناري» فإذا تمت لاجديهن ثلاثة شهور سنة
قتلوها واستبدلوا غيرهاو كان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ، وكان يرتفع في كل يوم وليلة
حتى يصل إلى أنساف الجبال التي حوله ، وكان لا ينصب في برك ولا بحرا إذا خرج من حدتهم
يقف ويدور ثم يرجع إليهم.

تبعد الله تعالى ملائين نبياً في شهر واحد فقتلواهم جميعاً ، فبعث الله عز وجل
نبياً وأيده بنصره وبعث معه وليساً فجاهدتهم في الله حق جهاده .

بعث الله تعالى إليه ميكائيل حين نابدوه و كان ذلك في أوان وقوع الحب
في الزرع ، و كانوا إذ ذاك أحوج ما كانوا من الماء ، ففجر نهرهم في البحر
فأنصبوا ما في أسفله و أتى عيونه من فوق فسدواه و بعث إليه خمسة ألف من
الملائكة أعوانا له فقرقو ما يبقى في وسط النهر .

ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم عيناً ولا نهرأ إلا أيسه بإذن الله
عز وجل وأمر ملك الموت فانطلق إلى المواشي فأماتهم ربعة واحدة ، وأمر الرياح
الاربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متابع وألقى الله عز وجل
عليهم السبابات، ثم تحفظت الرياح الأربع المتاع أجمع فنهبتها في رؤوس الجبال وبطون الأودية.
فأماماً كأن من على أوتبراً أو آنية فان الله تعالى أمر الأرض فابتلتها فأصبحوا
ولا شاء عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون ولا ماء يشربونه ولا طعام يأكلونه ، فآمن بالله
عند ذلك قليل منهم وهم يذهبون إلى غار في جبل له طريق إلى خلفه فنجوا و كانوا أحداً
وعشرين رجلاً وأربع نسوة و صبيان و كان عدّة الباقيين من الرجال والنساء
والفناري ستة ألف فماتوا عطشا وجوعاً ولم يبق منهم باقية .

ثم عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك
مخلصين أن يجيئهم «ينجيمهم» بزرع وماء و ماشية ويجعله قليلاً لئلاً يطفوا ، فاجاب لهم
الله تعالى إلى ذلك لما علم من صدق نياتهم و علم منهم الصدق و آلوا أن لا يبعث
رسولاً من فاربنهم إلا أعاذه و عضدوه ، و علم الله منهم الصدق فأطلق الله لهم نهرهم

و زادهم على مسائلوا ، فأقام أولئك في طاعة الله عز وجل ظاهراً و باطننا حتى هضوا
و انقرضا .

و حدث بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر و نافقوه في الباطن فأُملى
الله تعالى لهم و كان عليهم قادرآ ، ثم كثرت معاصيهم و خالفوا أولياء الله تعالى فبعث
الله عز وجل عدوهم ممن فارقوه و خالقوهم فأسرع فيهم القتل و يقيت منهم شر دمه
فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد أو بقى نهرهم ومنازلهم ماتي عام لا يسكنها أحد
ثم أتى الله بقرن بعد ذلك فنزلوها و كانوا صالحين سنين ثم أحدثوا فاحشة
جعل الرجل بنته و اخته و زوجته فينبلاها جاره و أخاه و صديقه يلتمس بذلك البر
و الصلة .

ثم ارتفعوا من ذلك إلى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبّن واستفنوا
بالرجال فجاءت النساء شيطانهن في صورة و هي الدليلات بنت ابليس وهي اخت
الشياطين كانت في بيضة واحدة فشهدت إلى النساء ركوب بعضهن بعضًا و علمهن كيف يصنعن
فأصل ركوب النساء بعضهن بعضًا من الدليلات ، فسلط الله على ذلك القرن صاعقة
في أول الليل وخسفا في آخر الليل ، وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية و بادت
مساكنهم ولا احسب منازلهم اليوم تسكن .

وفي البحار من كتابي العيون والعلل عن الهمداني عن علي عن أبيه عن
الhero عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال :

أتى علي بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف تميم يقال
له عمرو فقال : يا أمير المؤمنين أخيرني عن أصحاب الرسـ في أي عمر كانوا
و أين كانت منازلهم ومن كان ملوكهم ؟ وهل بعث الله عز وجل إليهم رسولاً أم لا ؟
وبماذا أهلوكوا ؟ فأنـ أجـدـ فـيـ كـتـابـ اللهـ تـعـالـيـ ذـكـرـهـمـ وـلـأـجـدـ خـبـرـهـمـ .

قال له علي عليه السلام لقد سـأـلـتـ عنـ حـدـيـثـ ماـ سـأـلـنـيـ عنهـ أحـدـ قـسـكـ ولاـ يـحـدـثـكـ
بـهـ أحـدـ بـعـدـيـ إـلـاـ عـنـيـ ،ـ وـمـاـ فـيـ كـتـابـ اللهـ عـزـ وـجـلـ آـيـةـ إـلـاـ وـأـنـأـ عـرـفـ تـفـسـيـرـهـاـ وـفـيـ
أـيـ مـكـانـ نـزـلـتـ مـنـ سـهـلـ أـوـجـيلـ وـفـيـ أـيـ وـقـتـ مـنـ لـيـلـ أـوـنـهـارـ وـإـنـ هـنـاـ لـعـلـمـاـ جـمـاـ -

وأشار إلى صدره - ولكن طلابه يسيرون عن قليل يندمون لوفقدوني .

كان من قصتهم يا أخاتميم أنهم كانوا قوماً يبعدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها روشاب «دوشاب» كانت انبعثت لنوح عليهما بعد الطوفان، وإنما سمّوا أصحاب الرّس لأنّهم رستوا نبضهم في الأرض وذلك بعد سليمان بن داود عليهما السلام .

و كانت لهم اثنتي عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرّس من بلاد المشرق وبهم سمى ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعنده منه ولا فري أكثر ولا أعمّر منها تسمى إحدىهن "أبان ، و الثانية ، آذر ، و الثالثة دى ، والرابعة بهمن ، والخامسة اسفندار ، والسادسة فروردین ، والسابعة اردی بهشت ، و الثامنة خرداد ، و التاسعة مرداد ، و العاشرة تیر ، و الحادى عشرة مهر ، والثاني عشرة شهر يور .

و كانت أعظم مدائنهم اسفندار وهي التي ينزلها ملوكهم ، وكان تر كوزبن غابور بن يارش بن شازن بن نمرود بن كعنان فرعون إبراهيم وبها العين والصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة ، وأجروا إليها نهرًا من العين التي عند الصنوبرة .

فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة وحرّ ما ماه العين و الأنهر فلا يشربون منها ولا أنعامهم ، ومن فعل ذلك قتلوا ويقولون هو حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرّس الذي عليه قراهم .

و قد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع إليه أهلها ، فيضربون على الشجرة التي بها كلّة (١) من حرير فيها من أنواع الصور ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونهما قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب فإذا سطع دخان تلك الذبايح وقارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء حرّاً مسجداً يبكون ويتصرّعون إليها أن ترضي عنهم .

(١) الكلمة بالكسر الستر الرقيق يغاط كالبيت يتوقّى فيه من البق (بعمار) .

فكان الشيطان يجيء فيحرّك أغانٍ منها ويصبح من ساقها صياغ الصبي أن قدرضيت عنكم فطيبوا نفساً وقرّوا علينا فيرّفعون رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضرّون بالمعازف ويأخذون الدستيند فيكون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون .
و إنما سمت العجم شهورها بـأبان ماه و آذار ماه و غيرهما اشتقاً من أسماء تلك القرى لقول أهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا .

حتى إذا كان عيد قريتهم العظيم اجتمع إلية صغيرهم وكبيرهم فضرروا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور وجعلوا له اثنى عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم ويسبدون للصنوبرة خارجاً من السرادق ويقرّبون لها الذين بايج أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قرائهم .

فيجيء أبليس عند ذلك فيحرّك الصنوبرة تحريراً شديداً ويتكلّم من جوفها كلاماً جهوريّاً ويعدهم ويمشيّهم بأكثـر ما وعدـتهم ومنـتهم الشـياطـين كلـها فيرـفعـون رؤوسـهم من السـجـود وبـهـم من الفـرـح والنـشـاط مـالـا يـفـيقـون ولا يتـكـلـمون من الشرـب و العـزـف .

فيكونون على ذلك اثنى عشر يوماً و لياليها بعدد أيامهم سائر السنة ثم ينصرفون .

فلما طال كفرهم بالله عزّ وجلّ وعبادتهم غيره بعث الله عزّ وجلّ إليهم نبياً من بنى إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب ، فلبيث فيهم زماناً طويلاً يدعوهـم إلى عبادة الله عزّ وجلّ و معرفة ربـيـته فلا يـتـبعـونـه ، فـلـمـا رـأـيـ شـدـةـ تـهـادـيـهـمـ فـيـ الغـيـ والـضـلـالـ وـتـرـكـهـمـ قـيـوـلـ ماـ دـعـاهـمـ إـلـيـهـ مـنـ الرـشـدـ وـالـنـجـاحـ وـحـضـرـ عـيـدـ قـرـيـتـهمـ العـظـيـ قال : يا ربّ إـنـ عـبـادـكـ أـبـوـاـ إـلـاـ تـكـذـيـبـيـ وـ الـكـفـرـ بـكـ وـغـدـوـاـ يـعـبـدـونـ شـجـرـةـ لـاـ تـنـفـعـ وـلـاـ تـضـرـ فـأـبـيـسـ شـجـرـهـ أـجـمـعـ وـأـرـهـمـ قـدـرـتـكـ وـسـلـطـانـكـ .

فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كلـها فهـاـهـمـ ذـلـكـ وـفـطـعـ بـهـمـ وـصـارـوـاـ فـرـقـتـينـ فـرـقةـ قـالـتـ : سـحـرـ آلـهـتـكـ هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ زـعـمـ أـنـ رـسـوـلـ رـبـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ إـلـيـكـمـ ليـصـرـفـ وـجـوـهـكـ عنـ آلـهـتـكـ إـلـيـ اللهـ ، وـفـرـقةـ قـالـتـ : لـاـ بلـ غـضـبـ آلـهـتـكـ حـينـ

رأى هذا الرّجل يعيشها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهائها لكي تغضبوا لها فتنصروا منه.

فأجمع رأيهم على قتله فاتخذوا أنا بيب طوالاً من رصاص واسعة الاًفواه ثم أرسلوهافي قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرانج «اليراعخ» وزن حوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قرارها بئراً ضيقاً المدخل عميقه وأرسلوا فيها نبيهم وألقموها فاها صخرة عظيمة ثم أخرجوها الاًنابيب من الماء وقالوا نرجوا الآن أن ترضى عننا آلهتنا إذا رأى أنا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفنناه تحت كثيرون يتشفى منه فيعود لنانورها ونصرتها كما كان.

فبقوا عامه يومهم يسمعون أنين نبيهم عليهم السلام وهو يقول سيدى قد ترى ضيق مكاني وشدة كربلي فارحن ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي حتى هات عليهم السلام.

فقال الله جل جلاله لجبرئيل : يا جبرئيل أين عبادي هؤلاء الذين غرّهم حلمي وأمنوا مكرى وعبدوا غيري وقتلوا رسولي أن يقوموا بغضبي ويخرجوا من سلطاني كيف وأنا المنقم ممتن عصاني ولم يخش عقابي واني حلفت بعزمتي لا جعلتهم عمرة ونکلا للعالمين .

فلهم يوم في يوم عيدهم ذلك الأريح عاصفة شديدة الحمرة فتحبسوا فيه اوذعوا منها وتضام بعضهم إلى بعض ، ثم صارت الأرض تحتهم حجر كبريت يتوقف وأظلمتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبة جمرا يتلمس «يلتهب خ» فإذا بتآبدانهم كما يذوب الرصاص في النار ، فننعوا ذكره تعالى ذكره من غضبه وننزل نعمته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الترجمة

فصل دویم از این خطبه در وصیت بنقوی وپرهیز کاریست می فرماید :

وصیت می کنم شماراً ای بند کان خدا پرہیز کاری خداوندی که پوشانیده

بـشـما لـبـاس فـاخـر، وـواسـع گـرـدانـیده بـرـشـما أـسـباب مـعـيشـت رـا، پـس اـكـرـاحـدـی مـیـيـافت بـسـوـی بـقا نـزـدـبـانـی یـا اـزـبـرـای دـفـع مـرـگـ وـسـیـلـه وـرـاهـی هـرـآـینـه بـودـی آـن شـخـص سـلـیـمـان بن دـاـوـد تـلـقـیـه کـه مـسـخـرـ شـد اـزـبـرـای او پـادـشاـهـی جـنـ وـانـسـان باـمـنـصب پـیـغمـبـرـی وـبـزـرـگـی قـرـبـ وـمـنـزلـتـ، پـس زـمانـی کـه اـسـتـیـفـانـمـود طـعـمـه خـودـرا وـاسـتـکـمال کـرـد مـدـت عمر خـودـرـا اـنـدـاخـت اوـرـا کـمـانـهـای فـتـا بـتـیرـهـای مـرـگـ وـگـرـدـید شـهـرـهـا اـز وجود او خـالـی وـمـسـكـنـهـا اـز او معـطل وـوارـث گـرـدـید آـنـهـارـا دـوـم دـیـگـرـ، وـبـدرـستـی کـه مـرـشـمـارـا درـرـوز گـارـهـای سـابـقـه هـرـآـینـه عـبـرـتـی اـسـتـ.

کـجـایـندـ طـایـفـه عـمـالـقـه وـپـسـرـانـ عـمـالـقـه کـجـایـندـ فـرـاعـنـه وـپـسـرـانـ فـرـاعـنـه کـجـایـندـ اـصـحـابـ مدـیـنـهـای دـرـیـ کـه کـشـتـنـد پـیـغمـبـرـانـ رـا وـخـامـوـشـ کـرـدـنـ روـشـنـائـی طـرـیـقـهـای مـرـسـلـیـنـ رـا وـزـنـدـ کـرـدـنـ طـرـیـقـهـای گـرـدـنـ کـشـانـ رـا وـکـجـایـندـ آـنـکـسـانـی کـه سـیرـ کـرـدـنـ بالـشـکـرـهـا وـغـلـبـهـ کـرـدـنـ باـهـزـارـانـ قـشـوـنـ وـجـمـعـ آـورـدـنـ اـشـگـرـهـا وـبـنا کـرـدـنـدـ شـهـرـهـارـاـ.

الفصل الثالث منها

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنْتَهَا، وَأَخْذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ الْأَقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، وَهِيَ عِنْدَ تَفْسِيهِ ضَالَّةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْتَلُّ عَنْهَا، فَهُوَ مُنْقَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِسَبِيبِ ذَنْبِهِ وَالْأَذْنَقَ الْأَذْنَقَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةً مِنْ بَقِيَّا بُحْجَتِهِ، خَلِيفَةً مِنْ خَلَافَتِ أَنْبِيَائِهِ.

فُمْ فَالْتَّلْقِيَّةُ :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَنَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الْأَنْبِيَاءُ أَمْهُمْ
 وَأَدَبْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَتِ الْأُوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدُهُمْ، وَأَدَبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ
 تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَّوْتُكُمْ بِالرَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسُقُوا، إِنَّكُمْ أَتَوْقَعُونَ
 إِمَامًا غَيْرِي بَطَأْ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَمُرْشِدًا كُمُ السَّبِيلَ، أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ
 الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُذَبِّرًا، وَأَزْمَعَ التَّرْحالَ عِبَادُ
 اللَّهِ الْأَخِيَارُ، وَبَاعُوا أَقْلَلًا مِنَ الدُّنْيَا الْأَيْقَنِيَّ، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَقْنَى.
 مَا صَرَّ إِخْرَانَ الدِّينِ سُفْكَتْ دِمَائِهِمْ وَمُ بِصِقَنْ أَلَا يَكُونُوا
 الْيَوْمَ أَحْيَاءً، يُسَيِّفُونَ الْفُصَصَ، وَيَشْرُبُونَ الرِّنْقَ، قَدْوَ اللَّهِ لَقُوا اللَّهَ
 قَوْفَامُ أَجْوَرَهُمْ، وَأَحْلَمُهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ حَزْفِهِمْ، أَنِّي إِنْخَوَانِيَ الَّذِينَ
 رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْنَا عَلَىَ الْعَقَّ؟ أَنِّي عَمَّارٌ؟ وَأَنِّي ابْنُ التَّيَهَانِ؟
 وَأَنِّي ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَنِّي نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْرَاهِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَىَ
 الْأَنْيَةِ، وَأَنْزَدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَىَ الْفَجَرَةِ.

قال: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطأل البكاء ثم قال عليهما:

أَوْهَ عَلَىَ إِنْخَوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدْبِرُوا الْفَرْضَ
 فَأَقْامُوهُ، أَحْبِبُوا السُّنَّةَ، وَأَمَّا تُوا الْبِذْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا،
 وَتَقُوا بِالْقَانِدِ فَأَتَبَعُوهُ، ثُمَّ نادى بأعلى صوته: الْجِهَادُ الْجِهَادُ عِبَادَ

الله ألا وإنّي مُعْسِنَكِرٌ في يَوْمِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللهِ فَلَيَخْرُجْ .
 قال نوف و عقد للحسين عليهما في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد (ره)
 في عشرة آلاف ، ولا ي أيوب الأنباري في عشرة آلاف ، ولغيرهم على
 أعداد آخر وهو يريد الرّجعة إلى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضرّ به الملعون
 ابن ملجم لمنه الله فترأجمت العساكر فكنا كاغنام فقدت راعيها تختطفها
 الذئاب من كل مكان .

اللغة

(الجنة) بالضم نوع من السلاح (عسيب الذب) قال الشارح المعزّلي أصله
 وقال الفيروزآبادي : العسيب عظم الذنب أو منبت الشعر منه و (جران) البعير صدره
 أو مقدم عنقه و (الحدا) سوق الابل و الغنالها و (الترحال) مبالغة في الرحّلة
 و (الغصص) جمع الغصّة وهي ما يعترض في الحلق و (الرنق) بالفتح والتحريك
 الكدر من الماء ، وفي بعض النسخ بالكسر ولا بأس به قال في القاموس : رنق الماء
 كفرح ونصر رنقاً ورنقاً ورنقاً كدر فهو رنق كعدل و كتف وجبل .
 و (ابن التيهان) قال الشارح بالياء المنقوطة بائنتين تحتها المشددة المكسورة
 وقبلها تاء منقوطة بائنتين فوقها ، وقال العلامة المجلسي (ره) : والمضبوط في أكثر
 النسخ بالياء الساكنة وفتح التاء و كسرها معاً ، وفي القاموس وتيهان مشددة الياء
 ويكسر وتيهان بالسكون .

و (اوه) على إخوانى بسكون الواو و كسر الهاء كلمة توجّع و فيها لغات
 آخر قال في القاموس : اوه كجبر و حيث وأين واه و اوه بكسر الهاء والواو المشددة
 واو بحذف الهاء و اوه بفتح الواو المشددة واووه بضم الواو واه بكسر الهاء منقوطة

داو بكسر الواو منونه و غير منونه وأوتها بفتح الهمزة والواو و المثناة الفوقية
و اوياه بتشدید المثناة التحتية کلمة يقال عند الشکایه او التوجع اه اوها واه تاوها
وتاوه قالها (١).

و (تختطفها) من الاختطاف وهو أخذ الشيء بسرعة وفي بعض النسخ تختطفها

الاعراب

قوله : بقیة خبر لهبته محنوف ، و قوله : الله أنتم ، قد مضى تحقيق الكلام
فيه في شرح المختار المأة والتاسع والسبعين ، و ما في قوله ماضر إخواننا ، نافية
ويحتمل الاستفهام على سبيل الانكار ، و اخواننا بالنصب مفعول ضر وفاعله الأ يكونوا
وجملة يسيغون في محل النصب صفة للاحیاء ، والجهاد الجهاد بالنصب على الاغراء

المعنى

اعلم أنَّ السَّيِّد (ره) قد سلك في هذا الفصل من الخطبة مسلك الالتفاظ
وأسقط صدر الكلام فالتبس الأمر في قوله : (قد لبس للحكمة جنتها) حيث اشتبه
للمرجع لفاعل لبس ولم يدر أنَّ الموصوف بتلك الجملة وما يتلوها من هو ، فمن
ذلك فسره كلَّ على زعمه واعتقاده .

قال العلامة المجلسي (ره) إنَّه إشارة إلى القائم عليهما ونقله الشارح المعتزلي
عن الشيعة الإمامية .

وقال الصوفية إنه عليهما يعني به ولـ الله في الأرض وعندهم لا يخلو الدُّنْيَا من
الأبدال والأولياء .

وقالت الفلسفه : إنَّ مراده عليهما به العارف .

وقالت المعتزلة : انه يريد به العالم بالعدل والتوحيد وزعموا أنَّ الله لا يدخل
الأمة من جماعة من المؤمنين العلماء بالتوحيد والعدل و انَّ الاجماع إنما يكون

(١) أى قال آوه (منه)

حجّة باعتبار قول أولئك ، لكنه لما تعذر معرفتهم بأعيانهم اعتبر اجماع الجميع وإنما الأصل قول أولئك .

قال الشارح المعتزلي بعد نقل هذه الاقوال : وليس يبعد أن يريد ^{عَلَيْهِمَا} به القائم من آل محمد ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ} في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى وإن لم يكن الآن موجوداً ، فليس في الكلام ما يدل على وجوده الآن ، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدّنيا والتكميل لا ينقضى إلا عليه ، انتهى .

أقول : أما ما ذكره من كون المراد به القائم ^{عَلَيْهِمَا} فهو كما ذكره غير بعيد لظهور اتصافه ^{عَلَيْهِمَا} بهذه الأوصاف وكونه مظهراً لها ، وأما ما زعمه كساير المعتزلة من أنه ^{عَلَيْهِمَا} غير موجود الآن وإنما يخلقه الله في آخر الزمان فهو زعم فاسد ووهم باطل ، لقيام البراهين العقلية والنقلية على أن الأرض لو تبقى بغير حجّة لا تخسّفت وساخت ، وعلى أنه لا بد من وجوده في كل عصر وزمان ، وأنه إما ظاهر مشهور أو غائب مستور ، وأن القائم من آل محمد ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ} مخلوق من غابر الزمان وموجود الآن وهو غائب مستور لمصالحة مقتضية لغيبته وانتفاع بوجوده الشريف حال الغيبة كالانتفاع بالشمس المجلّلة للعالم المحجوبة بالسحب .

وبعد قيام الأدلة المحكمة على ذلك كله فلا يعبأ بالاستبعادات الوهمية للمنكرين ، والاستدلالات السخيفة الهرئية للمبطنين على ما يشير إليها في كتب أصحابنا الإمامية المؤلفة في الغيبة مع أجوبتها المتقدمة ، وقد مضى طرف من الكلام على هذا المترام في شرح الفصل الأول من المختار المأة و الشامن و الشّلاشين فليراجع تتمة ، هذا .

والحكمة اسم لمجتمع الخير كله قال أبوالبقاء في عرف العلماء استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية و اكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة قدر طاقتها .

وقال بعضهم : هي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع المعبر عنها بمعرفة مالها ومعرفة ماعليها .

وقال ابن دريد : كل ما يؤدى إلى ما يلزمه أو يمنع من قبيح ، وقيل : ما يتضمن صلاح النشأتين .

وقال في البحار : العلوم الحقة النافعة مع العمل بمقتضاها ، قال : وقد يطلق على العلوم الفايضة من جنابه تعالى على العيد بعد العمل بماعلم .

أقول : والمعانى متقاربة واليها يرجع تفاسير المختلفة ، فقد يفسر بأنه معرفة الله وطاعته ، وقد يفسر بأنه العلم الذي يرفع الانسان عن فعل القبيح ، وفسر في قوله تعالى « بالحكمة والموعظة الحسنة » بالنبوة وفي قوله : « ويعلّمهم الكتاب والحكمة » بالفقه و المعرفة ، وفي قوله : « ويعلّمهم الكتاب و الحكمه » بالقرآن والشريعة ، وفي قوله : « يُؤتى الحكمة من يشاء من عباده ومن يُؤتى الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولاً الألباب » بتحقيق العلم وإتقان العمل

وفي الصافي من الكافي وتقسيم العياشي عن الصادق عليهما السلام في تفسير هذه الآية قال : طاعة الله ومعرفة الامام .

وعنه عليهما السلام معرفة الامام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار .
وعن العياشي عنه عليهما السلام : الحكمه المعرفه والفقه في الدين ومن فقهكم فهو حكيم .
وعن مصباح الشرعية عنه عليهما السلام الحكمه ضياء المعرفه وميراث التقوى وثمرة الصدق ولو قلت ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمه لقلت ، قال الله « يُؤتى الحكمة من يشاء ومن يُؤتى الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولاً الألباب » أى لا يعلم ما أودعت وهيلت في الحكمه إلّا من استخلصته لنفسي وخصتها بها و الحكمه هي الكتاب وصفة الحكمين الثبات عند أوائل الأمور والوقوف عند عوقيها وهو هادى خلق الله إلى الله .

وعن الخصال عن النبي عليهما السلام رأس الحكمه مخافة الله .
وعنه و عن الكافي عنه عليهما السلام أنه كان ذات يوم في بعض أسفاره اذ لقاء ركب فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، فالتفت إليهم وقال : ما أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون ،

قال : فـما حـقـيقـةـ إـيمـانـكـ ؟ قالـوا : الرـضا بـقـضـاءـ اللهـ وـالـتـسـلـيمـ لـأـمـرـ اللهـ وـالـتـقـوـيـضـ إـلـىـ اللهـ ، فـقاـلـ رسولـ اللهـ عـلـيـهـ الـحـلـلـةـ : عـلـمـاءـ حـكـمـاءـ كـادـواـ أـنـ يـكـونـواـ مـنـ الـجـنـةـ أـبـيـاءـ فـانـ كـنـتـمـ صـادـقـينـ فـلاـ تـبـنـواـ مـاـ لـاـ تـسـكـنـونـ ، وـ لـاـ تـجـمـعـواـ مـاـ لـاـ تـأـكـلـونـ ، وـ اـتـقـواـ اللهـ الـذـيـ إـلـيـهـ تـرـجـعـونـ .

إـذاـ عـرـفـتـ ذـلـكـ فـأـقـولـ : قـوـلـهـ : قـدـ لـبـسـ لـلـحـكـمـةـ جـنـتـهـ الـظـاهـرـ أـنـهـ أـرـادـ بـجـنـةـ الـحـكـمـةـ مـخـافـةـ اللهـ كـمـاـ أـنـ النـبـيـ جـعـلـهـ رـأـسـهـ فـيـ روـاـيـةـ الـخـصـالـ الـمـتـقـدـمـةـ ، فـاسـتـعـارـ لـفـظـ الـجـنـةـ لـهـ بـاعـتـبـارـ أـنـ مـخـافـتـهـ سـبـحـانـهـ وـوـجـودـ وـصـفـ التـقـوـيـ المـوجـبـ لـقـعـمـ الـتـقـسـ عنـ الشـهـوـاتـ وـقـلـعـهـ عنـ الـعـلـاـيـقـ وـالـامـنـيـاتـ مـانـعـ عنـ كـوـنـ الـحـكـمـةـ غـرـضـاـنـ الـهـيـاـمـ الـهـوـيـ وـعـنـ وـقـوـعـ الـحـكـمـيـمـ فـيـ الـهـلـاـكـةـ وـالـرـدـيـ ، كـمـاـ أـنـ الـجـنـةـ وـهـوـ ماـ يـسـتـقـرـ بـهـ السـلـاحـ كـالـدـرـعـ وـنـجـوـهـ مـانـعـ لـلـابـسـهـاـ عنـ اـصـابـةـ سـهـامـ الـأـعـدـاءـ . فـيـكـوـنـ مـحـصـلـ الـمـعـنـىـ أـنـ ذـلـكـ الـحـكـمـيـمـ قـدـ اـتـصـفـ بـمـخـافـةـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـخـشـيـتـهـ الـتـيـ هـيـ بـمـنـزـلـةـ الـجـنـةـ لـلـحـكـمـةـ لـأـجـلـ حـفـظـ حـكـمـتـهـ وـكـوـنـهـاـ وـقـاـيـةـ لـهـاـ عـمـاـ يـصـادـمـهـ كـمـاـ أـنـ الـجـنـةـ تـحـفـظـ الـإـنـسـانـ عـنـ صـدـمـاتـ الـأـعـدـاءـ .

وـ بـمـاـ ذـكـرـناـ يـظـهـرـ مـاـ فـيـ كـلـامـ الشـارـحـ الـبـحـرـانـيـ ، فـاـنـهـ قـالـ : لـفـظـ الـجـنـةـ مـسـتـعـارـ فـيـ الـاسـتـعـداـدـ لـلـحـكـمـةـ بـالـزـهـدـ وـالـعـبـادـةـ الـحـقـيقـيـنـ وـالـمـوـاظـبـةـ عـلـىـ الـعـمـلـ بـأـوـامـرـ اللهـ ، وـ وـجـهـ الـاسـتـعـارـةـ أـنـ بـذـلـكـ الـاسـتـعـداـدـ يـأـمـنـ إـصـابـةـ سـهـامـ الـهـوـيـ وـثـورـانـ دـوـاعـيـ الشـهـوـاتـ الـقـائـدـةـ إـلـىـ النـارـ كـمـاـ يـأـمـنـ لـاـبـسـ الـجـنـةـ مـنـ أـذـىـ الضـرـبـ وـالـجـرـحـ ، اـنـتـهـىـ فـانـ مـفـادـهـ كـمـاـ تـرـىـ هـوـأـنـ لـفـظـ الـجـنـةـ مـسـتـعـارـ لـلـاسـتـعـداـدـ الـحـاـصـلـ مـنـ الـزـهـدـ وـالـعـبـادـةـ وـالـمـوـاظـبـةـ عـلـىـ التـكـالـيفـ الـشـرـعـيـةـ .

فـيـتـوـجـهـ عـلـيـهـ حـيـنـيـذـ أـوـلـاـ أـنـ الـاسـتـعـداـدـ المـذـكـورـ لـاـ يـكـوـنـ جـنـةـ لـلـحـكـمـةـ عـلـىـ مـاـذـكـرـهـ ، إـنـمـاـ يـكـوـنـ جـنـةـ لـلـإـنـسـانـ مـنـ الـوقـوعـ فـيـ النـارـ ، وـظـاهـرـ كـلـامـ الـإـمـامـ يـفـيدـ تـلـبـسـهـ بـجـنـةـ الـحـكـمـةـ لـأـجـلـ الـحـكـمـةـ لـأـجـلـ نـفـسـهـ .

وـ ثـانـيـاـ أـنـ الـاسـتـعـداـدـ وـالـتـهـيـيـوـهـ لـلـشـيـءـ قـبـلـ وـجـودـ الشـيـءـ ، فـلـوـ جـعـلـ الـجـنـةـ اـسـتـعـارـةـ لـلـاسـتـعـداـدـ لـلـحـكـمـةـ لـكـانـ مـفـادـهـ كـلـامـهـ عـلـيـهـ الـحـلـلـةـ عدمـ اـتـصـافـ الرـجـلـ الـمـوـصـوفـ

بالحكمة فعلاً .

و بعبارة أخرى يدلّ على تلبسه و اتصفه بالاستعداد فقط لا بالحكمة نفسها مع أنَّ الغرض من الكلام الوارد في مقام المدح إفادة اتصفه بها و كونها حacula له بالفعل لا بالقوّة ، إذ كمال المدح إنما هو في ذلك .

ويدلّ على ذلك أيضاً أي على الاتصاف بالفعل صريح قوله (وأخذها بجميع أدتها) أي أخذ الحكمة على وجه الكمال و قام بآدابها (من الاقبال عليها و المعرفة بها والتقرُّغ لها) يعني أنه لما علِمَ أنه لا خصلة أعظم وأشرف وأرفع وأبهى من الحكمة وعرف أنه من يؤتُها فقد أُوتَى خيراً كثيراً قبل الكلية عليها وقصر همتَه ونهمته فيها وعرف شرها وقدرها ونفاستها وتقرُّغ لها وتخلي عن جميع العالائق الدنيوية التي تضادُّها وتنحي عن كلِّ ماسواها .

(فهي عند نفسه ضالتُه التي يطلبها وحاجتها التي يسأل عنها) ذلك مثل قوله ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ مَنْ يَسْأَلُ﴾ في أواخر الكتاب : الحكمة ضالة المؤمن .

فإن قلت : قوله يطلبها ويسأل عنها صريحة في عدم حصولها له فعلاً فينافي ما استظهرت آنفاً من كلامه ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ السابق .

قلت : لا منافاة بينهما لأنَّه ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ استعار لها لفظ الضالّة و جملة يطلبها وصف للمستعار منه لا للمستعار له ، إذ من شأن الضالّة أن تطلب فهى استعارة مرشحة لا استعارة مجردة ، و الجامع شدة الشوق و فرط الرغبة والمحبّة لا الطلب كما زعمه الشارح البحرياني حيث قال استعار لها لفظ الضالّة لمكان انشاده لها وطلبها كما تطلب الضالّة من الأبل ، نعم قوله ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ : يسأل عنها ظهوره فيما أفاده الشارح ، لكن تأويله على وجه يوافق ما ذكرناه سهل فتأمل ، هذا .

ولا يخفى عليك أنَّ جعل الكلام من باب الاستعارة إنما هو جرياً على مذاق الشارح البحرياني ، وإلا فقد علمت في ديباجة الشرح أنه من باب التشبيه البليغ حيث ذكر المشبهة والمشبّه به وحذف الأداة فيكون الوصف بالطلب ترشيح المتشبيه لا للاستعارة .

(فهو مفترب) يعني هذا الشخص يخفى نفسه ويختار العزلة ، وهو إشارة إلى غيبة القائم عليه السلام (إذا اغتراب الاسلام) أى إذا ظهر الجور والفساد وصار الاسلام غريباً ضعيفاً بسبب اغتراب الصلاح والسداد كما قال رسول الله عليه السلام : بهذه الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدء .

ثم شبه الاسلام بالبعير البارك في قلة النفع والمضعف على سبيل الاستعارة بالكنية فأثبتت له لوازم المشبه به وقال : (و ضرب بعسيب ذنبه) لأن البعير إذا أعمى وتآذى ضرب بذنبه (وألصق الأرض بجرانه) أى مقدم عنقه فلا يكون له تصرف ولا نهوض ، وقل أن يكون له نفع حال بروكه ، هذا .

ولما وصفه عليه السلام بلبسه لجنة الحكمـة وايثاره العزلة والغيبة عن فـه بأنه (بقية من بقايا حاجته) على عباده و (خليفة من خلاف الأنبيائه) في بلاده ، وهذا الوصفان يقويان الظنـ بكون نظره عليه السلام بما أورده في هذا الفصل إلى القائم المنتظر عليه السلام وآباء الطاهرين عليهم السلام .

قال الشارح المعتزلي : فـان قـلت : أـليس لـفـظـ الحـجـةـ وـالـخـلـيـفـةـ مـشـعـرـاـ بـمـاـ يـقـولـهـ الـإـمامـيـةـ أـىـ كـوـنـ الـمـرـادـ بـهـ الـأـمـامـ الـقـائـمـ عليـهـ السـلامـ .

قلـتـ : لـاـ لأنـ أـهـلـ التـصـوـفـ يـسـمـونـ صـاحـبـهـمـ حـجـةـ وـخـلـيـفـةـ وـكـذـلـكـ الـفـلـاسـفـةـ وـأـصـحـابـنـاـ لـاـ يـمـكـنـونـ مـنـ إـطـلاـقـ هـذـهـ الـأـلـفـاظـ عـلـىـ الـعـلـمـاءـ الـمـؤـمـنـينـ فـيـ كـلـ عـصـرـ لـأـنـهـمـ حـجـجـ اللـهـ أـىـ إـجـمـاعـهـمـ حـجـةـ وـقـدـ اـسـتـخـلـفـهـمـ اللـهـ فـيـ أـرـضـهـ لـيـحـكـمـوـهـ بـحـكـمـهـ .

أـقـولـ : فـيـهـ أـوـلـاـ مـنـ صـحـةـ اـطـلـاقـ حـجـةـ اللـهـ وـخـلـيـفـهـ عـلـىـ غـيرـالـأـنـبـيـاءـ وـالـأـوـصـيـاءـ إـذـ الـعـصـمـةـ مـنـحـصـرـةـ فـيـهـمـ فـيـخـتـصـ الـحـجـيـةـ وـالـخـلـيـفـةـ بـهـمـ لـمـكـانـ الـعـصـمـةـ الـتـيـ فـيـهـمـ ، وـأـمـاـغـيـرـهـمـ فـلـيـمـ بـمـعـصـومـ بـالـتـقـافـ فـلـيـكـونـ قـولـهـ وـفـعـلـهـ حـجـةـ ، وـحـجـيـةـ إـجـمـاعـ الـعـلـمـاءـ أـيـضاـ باـعـتـبـارـ دـخـولـ قـولـ الـمـعـصـومـ فـيـ جـمـلـةـ أـقـوـاـهـمـ لـاـ مـنـ حـيـثـ إـنـ كـلـاـ مـنـ الـعـلـمـاءـ مـنـ حـيـثـ إـنـهـ عـالـمـ قـولـهـ حـجـةـ .

و ثانياً على فرض التنازل والتسليم لصحة اطلاقه على غيرهم أن أمير المؤمنين عليه السلام ليس بمعترض المذهب ولا صوفي المذاق ولا فلسفى المسلط ، فلا يحمل لفظ الحجة وال الخليفة في كلامه عليه السلام على اصطلاحاتهم وإنما يحمل على المعنى الغالب إرادتهم من هذه اللقطة في كلماتهم عليه السلام ، وغير خفي على المتتبع بأحاديثهم وكثيراً ما يطلقون لفظ الحجج ويريدون به الأئمة الاثني عشر ، وقد يطلقونه ويريدون به سائر المعصومين من الأنبياء والأوصياء ويطلقون لفظ الحجج أيضاً أحياناً بالقرابين على العقل والقرآن ، ولم نر إلى الآن أن يطلق هذا المفهوم في كلامهم على العارف أو العالم غير المعصوم أو أحد الأبدال المصطلح في لسان الفلاسفة والمعتزلة والمتصوفة .

وعلى ذلك فحيث ما اطلق لفظ حجة الله في كلامهم خالياً عن القرابين فلا بد من حمله على المعنى الكثير الدوران في مستنتهم وهو الامام ، لأنّه الظن يلحق الشيء بالاعم الا غلب .

و من هذا كله ظهر ما في كلام الشارح البحرياني أيضاً فاته بعد ما جعل قوله عليه السلام قد ليس للحكمة جنحتها إشارة إلى العارف مطلقاً ونفي ظهور كونه إشارة إلى الامام المنتظر عليه السلام قال في شرح هذا المقام : قوله: بقيّة من بقایا حججه ، أي على خلقه إن العلماء والعارفون حجج الله في الأرض على عباده ، وظاهر كونه خليفة من خلفاء الأنبيائه لقوله عليه السلام العلماء ورثة الأنبياء ، انتهى .

ويرد عليه مضافاً إلى ما مرّ أن استدلاله على خلافة العلماء والعرفاء بقوله : العلماء ورثة الأنبياء واستظهاره من ذلك كون المراد بال الخليفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام هؤلاء لا وجه له .

أما أوّلاً فالآن الدليل أخص من الدعوى لفادةه وراثة العلماء فقط دون العرفاء مع أن المدعى أعم .

وثانياً إن قوله عليه السلام العلماء ورثة الأنبياء لم يرد به الوراثة الحقيقية قطعاً وإنما هر من باب التشبيه والمجاز يعني أن علومهم انتقل إليهم كما أن أموال المورث ينتقل

إلى الوارث فكانوا بمنزلة الورثة .

وعلى ذلك فأقول : إن " وراثة العلماء للأُنبياء وخلافتهم عنهم على سبيل المجاز والاستعارة ، ووراثة الإمام المنتظر عليه السلام وخلافته على سبيل الحقيقة ، فلابد من حمل لفظ الخليفة في كلامه عليه لا على العالم ، لأن اللفظ إذا دار بين أن يراد منه معناه الحقيقي ومعناه المجازي فالاصل الحقيقة كما برهن في علم الأصول .

(ثم) أخذ عليه في نصح المخاطبين وموعظتهم وتذكيرهم وتوبيخهم و (قال عليه أيها الناس إني قد بشّرت) أى نشرت وفرّقت (لكم المواتع التي وعظ بها الأُنبياء أُممهم) وهي المواتع الجاذبة لهم إلى الله ومعرفته وطاعته و القائدة إلى النهج القويم والصراط المستقيم (وأديت إليكم ما أددت الأووصياء إلى من بعدهم) من الأسرار الإلهية والتکاليف الشرعية .

قال الشارح المعتزلي : والأوصياء الذين يأتمنهم الأُنبياء على الأسرار الإلهية وقد يمكن أن لا يكونوا خلفاء بمعنى الإمارة والولاية ، فإن مرتبتهم أعلى من مراتب الخلفاء ، انتهى .

أقول : غرض الشارح من هذا الكلام اصلاح مذهب الفاسد ، فان كلامه عليه لما كان ظاهراً في وصيته المساواة للخلافة والولاية كما هو مذهب الشيعة الامامية أراد الشارح صرفه عن ظاهره وأوله بما يوافق مذهب الاعتزال .

ومحصل تأويله أن الوصاية عبارة عن الائتمان على الأسرار الإلهية وهو غير ملازم للخلافة والولاية ، فلا يكون في الكلام دلالة على خلافته عليه وكونه أولى بالتصرف ، وإنما يدل على كونه وصيّاً مؤتمنا على الأسرار فقط .

وفيه أولاً أن النبي صلی الله علیه وسَلَّمَ إذا اعتمد الوصيّ على الأسرار و الأحكام و علمه إياها ، فاما أن يكون غرضه من ذلك أداء وصيّة تلك الأسرار و الأحكام إلى أمته وإبلاغها اليهم .

أو يكون غرضه منه كونه فقط عالما بها ومكلفاً في نفسه على العمل بذلك .

الأحكام والقيام بوظائف هذه الأسرار من دون أن يكون مأذوناً في الأداء إليهم .
وظاهر كلامه عليه السلام بل صريحة كون وصايتها على الوجه الأول وإلما جاز
أن يؤدى ما أوصى به إلى المكلفين فحيث أداء إليهم علم منه كونه مأذوناً في الأداء
ومكليفاً به ، وحيث كان مكليفاً بد وجوب عليهم اطاعته وإلكان الأداء عيناً ، ولا ريب
أنَّ الوصيَّ بهذا المعنى أى المؤمن على الأُسرار والأُحكام والمكلَّف على أدائه
إلى الأمة وواجب على الأمة قبول قوله وطاعته ملزماً بل مرادف للتخلية والأَمير
والولي .

نعم الوصاية على الوجه الثاني غير ملائم للخلافة والولاية إلا أنه غير مراد في كلامه عليه قطعاً لما ذكرنا .
و ثانياً أنّ ما ذكره من أنّ "الوصيّ" أعلى مرتبة من الخليفة أى الأمير والوليّ فغير مفهوم المراد .

لأنه إن أراد بالخلافة والأمارة والولاية المعنى الذي يقول به الشيعة ويصفون
أدمنتهم به أعلى النيابة عن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه والسلطنة الإلهية والأوليوية بالتصريف فلأنه
أن الوصاية وهي الاعتناء بالأسرار أعلى رتبة منها بل الأمر بالعكس ، لأن الوصاية
بالمعنى المذكور من شؤونات الولاية المطلقة ، والأولياء مضافا إلى كونهم مؤمنين
على الأسرار أولو الأمر والنبي وأولى بالتصريف في أموال المؤمنين وأنفسهم .

وإن أراد بها المعنى اللغوي أعني الإمارة على السرايا مثلاً والولاية أي كونه
واليا على قوم أو بلد ونحوه فككون رتبة الوصاية أعلى من ذلك مسلم وغني عن البيان
لأنَّ الاطلاع والإيمان على الأُسرار الالهية لانسبة لهما قطعاً إلى أمارة جيش وولاية
فهي إلا أنَّ الإمامة حيث يطلقون هذه الألفاظ في مقام وصف الأئمة عليهم السلام لا يريدون
بها تلك المعاني قطعاً، فلا داعي إلى ماتتكلفه الشارح ولا حاجة إليه فافهم جيداً، هذا.
وقد مضى في شرح الفصل الخامس من المختار الثاني عند شرح قوله عليه السلام:
ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصيَّة والوراثة، ما له مزيد نفع في هذا المقام
فليرجع ثمة.

وقوله (وَأَدْبَتُكُمْ بِسُوطِي) الظاهر أنَّه كناية عن تأدبيه لهم بالاقوال الغير الملمة (فلم تستقيموا) على نهج الحق (وَحدَوْتُكُمْ بِالزَّوْاجِرِ) أي بالنواهي والابعادات (فلم تستوسقوا) أي لم تجتهدوا على التمكين والطاعة (لَهُ أَنْتُمْ) أي تعجبوا منكم (أَنْتُوْقُونَ إِمَامًا غَيْرِي) استفهام على سبيل التقرير لغرض التقرير أو على سبيل الانكار والتوبیخ .

فإن قلت : إن الاستفهام الذي هو للانكار التوبیخي يقتضي أن يكون ما بعده واقعاً مع أنهم لم يكونوا متوقعين لامام غيره إذ قد علموا أنه لا إمام وراء .
قلت : نعم انهم كانوا عالمين بذلك إلا أنهم لما لم يقوموا بمقتضى علمهم ولم يمحضوا الطاعة له لِكَلَّا لَهُ نِزَّ لهم منزلة الجاهم المتوقع لامام آخر ، فأنكر ذلك عليهم ولا مهم عليه .

وقوله لِكَلَّا لَهُ (يَطْلُبُكُمُ الْطَّرِيقُ) أي يذهب بكم في طريق النجاة (وَيَرْشِدُكُمُ السَّبِيلُ) أي يهديكم إلى مستقيم الصراط (أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً) وهو الملاحم والرشاد الذي كان في أيام رسول الله وَالْمُلْكُ لِلَّهِ أو في أيام خلافته لِكَلَّا لَهُ فيكون إشارة إلى قرب ارتحاله من دار الفناء (وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مَدْبِراً) وهو الضلال و الفساد الذي حصل باستيلاء معاوية على البلاد (وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ) أي عزم على الرحمة إلى دار القرار (عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ وَبَاعُوا) أي استبدلوا (قليلاً من الدُّنْيَا ليبقى بكثير من الآخرة لا يفبني) .

لا يخفى ما في هذه العبارة من اللطافة وحسن التعبير في التنفير عن الدُّنْيَا و الترغيب إلى الأخرى ، حيث وصف الأولى مع قلتها بالفناء ، و وصف الثانية مع كثرتها بالبقاء ومعلمون أن العقلاه لا يرضون الأولى بالثانية بدلًا .

وأكَّدَ هذا المعنى بقوله (ما ضر إخواننا) المؤمنين (الذين سفكوا دمائهم بصفتين إلا يكونوا اليوم أحياء) مثل حياتنا (يسوغون الغصص) ويتجرون عون الهموم من توارد الآلام (ويشربون الرنق) أي الكدر من كثرة مشاهدة المنكرات .
ولما نفني تضر رهم بعدم الحياة نبه على ما حصل لهم من عظيم المفعة بالممات

فقال ولـ (قد واثه لقوا الله فوفاهم أجورهم) بغير حساب (وأحلهم في دار الأمان) مفتحة لهم الأبواب (بعد خوفهم) من سوء المال وفتنه أهل الضلال .

ثم استفهم توجعاً وتحسراً عن السلف الصالحين وقال (أين إخوانى الذين ركبوا الطريق) أى جادة الشريعة (ومضوا على الحق) أى المعرفة والولاية .

ثم استفهم عن بعض من مضى بعيته وسماته بخصوصه لكونه من أعيان الصحابة وأكابرهم فقال (أين عمار) وهو ابن ياسر المعروف وأبوبه عربي فحطاني وأمه أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ولدت عماراً فاعتقه أبو حذيفة فمن هناك كان عمار مولى لبني مخزوم .

قال الشارح المعتزلي : وللخلاف والخلاف الذين بين بني مخزوم وبين عمار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم على عثمان حين نال من عمار غلام عثمان ماناً لا من الضرب حتى انتفق له فتنة زعموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، فاجتمعوا بنو مخزوم فقالوا : والله لئن مات لاقتلناه أحداً غير عثمان .

قال أبو عمرو بن عبد البر : كان عمار بن ياسر ممن عذّب في الله ثم أعطاهما ما أرادوا بلسانه مع اطمئنان قلبه فنزل فيه « إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ » وهذا مما جمع عليه أهل التفسير وهاجر إلى أرض العبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الأوّلين وشهد بدرًا المشاهد كلّها وأبلى بلاء حسناً ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضاً ويومئذ قطعت أذنه .

وقال ابن عباس في قوله تعالى « أَوْمَنَ كَانَ مِيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ » أنه عمار بن ياسر « كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » أبو جهل ابن هشام .

وروى أبو عمرو عن عائشة أنها قالت : ما من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أقول فيه لقلت للأعمام بن ياسر ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه ملئ إيماناً إلى أخص قدميه .

قال أبو عمرو ومن حديث خالد بن الوليد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أغض

عماراً أبغضه الله .

قال : و من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام إن عماراً جاء يستأذن رسول الله صلوات الله عليه وسلم يوماً فعرف صوته فقال : مر حبا بالطيب المطيب ، يعني عماراً .

قال : ومن حديث أنس عن النبي صلوات الله عليه وسلم اشتاقت الجنة إلى أربعة : علي صلوات الله عليه وسلم وعمار ، وسلمان ، وبلال .

قال أبو عمرو : وفضائل عمار كثير يطول ذكرها .

أقول : وقد مضى جملة من فضائله موجهاً له بصفتين وكيفية شهادته رضي الله تعالى عنهه هنا لك في تذليل المختار الخامس والستين وكان سنّه يوم قتل نيفاً وسبعين .

(وأين ابن التيهان) واسمه مالك واسم أبيه مالك أيضاً ، وقال أبو نعيم : أبو القيثم بن التيهان اسمه مالك واسم التيهان عمرو بن الحارث كان «رض» أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرأ والأكثر على أنه أدرك صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وقتل بها ، وقيل : توفى في حياة رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، قال أبو عمرو : وهذا القول لم يتبع عليه قائله ، وقيل : توفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين .

(وأين ذو الشهادتين) وهو خزيمة بن ثابت الأنصاري يكنى أبا عمارة شهد بدرأ وما بعدها من المشاهد وشهد صفين مع علي عليه السلام فلما قتل عمار بن ياسر قاتل (د) حتى قتل حسبما عرفته في تذليل المختار الخامس والستين .

وانه القبّب بذو الشهادتين لما رواه الصدوق في الفقيه بسنده عن عبد الله بن أحمد الذّهلي قال : حدثنا عمارة بن خزيمة بن ثابت أنّ عمّه حدثه هو من أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم أن النبي صلوات الله عليه وسلم ابتعى فرساً من أعرابي فأسرع النبي صلوات الله عليه وسلم المشي ليقضيه ثم فرسه فابطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترون الأعرابي فيساومونه بالفرس وهم لا يشعرون أن النبي صلوات الله عليه وسلم ابتعاه ، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السّوّم على الثمن فنادي الأعرابي فقال : إن كنت مبتاعاً لهذا الفرس فابتعه وإلا بعثه ، فقام النبي صلوات الله عليه وسلم حين سمع الأعرابي فقال : أليس قد ابتعته منه ، فطفق الناس يلوذون بالنبي صلوات الله عليه وسلم وبالأعرابي وهما يتشارjan، فقال الأعرابي : هل شهيداً يشهد أنّي قد بايعتك ، ومن جاء من المسلمين قال للإعرابي إن النبي صلوات الله عليه وسلم لم يكن ليقول إلا حقاً حتى

جاء خزيمة بن ثابت فاستمع لمراجعة النبي ﷺ والأعرابي فقال خزيمة إنني أشهد أنك قد بادعته ، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : بم تشهد ؟ قال : بتصديقك يا رسول الله فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بن ثابت شهادتين وسماه ذو الشهادتين وروى هذه القصة في الكافي بنحو آخر عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن معاوية بن وهب قال : كان البلاط حيث يصلي على الجنائز سوقاً على عهد رسول الله ﷺ يسمى البطحاء يباع فيها الحليب والسمن والأقط وأنّ أعرابياً أتى بفرس له فأوثقه فاشترى منه رسول الله ﷺ ، ثم دخل ليأتيه بالشمن فقام ناس من المناقفين فقالوا : بكم بعت فرسك ؟ قال : بكلّا وكذا ، قالوا : بئس ما بعثت ، فرسك خير من ذلك وأنّ رسول الله ﷺ خرج إليه بالشمن وأفياطيماً ، فقال الأعرابي : ما بعثتك والله ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله بلى والله لقد بعثتني ، وارتقت الأصوات فقال الناس : رسول الله ﷺ يقاول الأعرابي ، فاجتمع ناس كثير فقال أبو عبد الله (١) ومع النبي ﷺ إذ أقبل خزيمة بن ثابت الأنباري فخرج الناس بيده حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقال : أشهد يا رسول الله لقد أشتريته منه ، فقال الأعرابي : أشهد ولم تحضرنا ، وقال له النبي ﷺ : أشهدتنا ؟ فقال له : لا يا رسول الله ولكنّي علمت أنك قد اشتريت أفال صدقك بما جئت به من عند الله ولا أصدقك على هذا الأعرابي الخبيث ! قال : فعجب له رسول الله ﷺ فقال له : يا خزيمة شهادتك شهادة رجلين .

(وأين نظراً لهم) وأشياهم (من إخوانهم الذين تعاقدوا) وتعاهدوا (على المنية) وجدّ واجي المقاتلة حتى قتلوا بصفتي كابن بديل وهاشم بن عتبة وغيرهما ممن تقدم ذكره في تذليل المختار الخامس والستين (وابره برؤوسهم إلى الفجرة) أي أرسلت رؤوسهم مع البريد للإشارة بها إلى الفسقة الطعام من أمراء الشام .

(١) هكذا في نسخة الكافي والظاهر انه وقع فيه تعريف وسقط لابد من الرجوع الى نسخة صحيحة إن ساعدنا التوفيق إنشاء الله تعالى « منه ز » .

أقول : في الكافي المطبوع أخيراً من ٤٠٠ و ٤٠١ ج ٧ الحديث هكذا : فقال أبو عبد الله (ع) ومع النبي « ص » أصحابه « الخ » وزاد في أوله : عن يونس ، بعد قوله : عن محمد بن عيسى ، وذكر في آخره : وقال ، بدل قوله : فقال له . وفي الوااني قال : كما على عن العبيدي عن يونس عن ابن وهب ، ثم ذكر العدید . « المصحح »

(قال) الرّاوي (ثم ضرب ظليله يده إلى لحيته فأطّال السّيّاه) من تقلّب الزّمان وفقد الأخوان وترأكم الأهموم والأحزان (ثم قال) توجّعاً وتحسّراً .
 (اوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه) أى أحسنوا تلاوته ومبانيه وفهموا مقاصده و معانيه و عملوا بمقتضاه و ممدوّاه (وتدبروا الفرض فأقاموه) أى تفكروا في عمل الواجبات وأسرار العبادات فواطّبوا عليها وقاموا بوطايفها تحصيلاً للغرض الأقصى منها وهو الزلفى إلى الله والقربى إلى رضوان الله الذى هو أشرف اللذات وأعلى الدرجات و (أحياوا السنة)

يحتمل أن يكون المراد بها المستحبّات فيكون ذكرها بعد القرآن والفرض نظير ما روى عن النّبى صلوات الله عليه وآله وسلامه إنما العلم ثلاثة : آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهنّ فهو فضل .

أى العلم النافع آية محكمة أى واضحة الدّلالة أو غير منسوخة فإنّ المتشابه و المنسوخ لا ينفع بهما غالباً ، و فريضة عادلة أى الواجبات المصنونة من الإفراط و التفريط ، وسنة قائمة أى المندوبات الباقيه غير المنسوخة ، و على هذا الاحتمال فالمراد باحياء السنة الاتيان بها والمراقبة عليها .

إلا أنّ الآثار بقرينة المقابلة بينه وبين قوله : (وأماتوا البدعة) أن يراد بالسنة مقابل البدعة ، يعني السنة التي سنّها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه والشريعة التي شرعاها .
 روى في البخار من معاني الأخبار مرفوعاً قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرني عن السنة والبدعة وعن الجماعة وعن الفرقـة ، فقال أمير المؤمنين السنة ما سن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ، والبدعة ما أحدث من بعده ، والجماعة أهل الحق و إن كانوا قليلاً ، و الفرقـة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً .

وعلى هذا فالمراد باحياء السنة أخذ أحكام الشرع والعمل عليها .

روى في البخار من المحسّن عن أبي جعفر عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه من تمسّك بستي في اختلاف أمتي كان له أجر مائة شهيد .
 والمراد باماتة البدعة إبطالها وتركها والاعراض عنها وعن أهلها .

روى في البحار من تفسير علي بن إبراهيم قال في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليهما السلام في قوله تعالى : «والذين كسبوا السينات جزء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم» هؤلاء أهل البدع والشبهات والشهوات يسوسون دين الله وجوههم ثم يلقونه .

وفيه من ثواب الأعمال عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام .

(دعو للمجاهد فأجابوا) ونهضوا إليه (ووتقوا) أى اطمأنوا واتسلاوا (بالقائد) أراد به نفسه الشريف لكونه قائداً لهم إلى سبيل الحق (فاتبعوه) .
 (ثم) إلهي على لما رغب المخاطبين ورحب ووعظهم وذكر وبشرهم وأنذر وتوجّع من مفارقة أصحابه وتحسّر تخلص إلى أصل غرضه .

و (نادى بأعلا صوته : الجهاد الجهاد عباد الله) أى اسرعوا إليه و انهضوا به (الأولي معسّر في يومي هذا) أى جامع للعساكر في المعسّر (فمن أراد الروح إلى الله) أى الذهاب إلى الفوز برضوانه أو إلى لقاءه تعالى بالشهادة (فليخرج) (قال نوف : و عقد للحسين عليهما السلام) راية (في عشرة آلاف ولقيس بن سعد) ابن عبادة (في عشرة آلاف) و كان سعد أبو قيس رئيس الخزرج ولم يبايع أبابكر ومات على عدم البيعة والمشهور أئمّتهم قتلوا لذلك وأحالوا قتله على الجن وافتروا شعراً من لسان الجن كما مر في المقدمة الثالثة من مقدمات الخطبة الثالثة وفي التبيه الأول من شرح المختار السابع والستين .

وقال الشارح المعتزل : سعد هو الذي حاول إقامته في الخلافة بعد رسول الله عليهما السلام ولم يبايع أبابكر حين بويع وخرج إلى حوران فمات بها ، فييل قتله الجن لأنّه بالقائم في الصحراء ليلاً ورووا بيته شعر قيل إنّهما سمعاً ليلة قتله ولم ير قاتلهما نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميـناه بـسـهمـين فـلمـ يـخـطـ فـؤـادـه ويقول قوم : إنّ أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلاً وهو خارج إلى الصحراء بـسـهمـين فـقتـلـهـ لـخـرـوجـهـ عـنـ طـاعـتـهـ ، وقد قال بعض المتأخرـينـ :

أَلَارْبَمَا صَحَّحَتْ ذِنْبِكَ بِالْعَذْرِ
وَلَكِنْ سَعْدًا لَمْ يَبَايِعْ أَبَا بَكْرَ
وَمَا صَبَرَتْ عَنْ لَذَّةِ الْفَهْرِ وَالْأُمْرِ
وَكَانَ فَيْسَ مِنْ صَحَّابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَبَارُ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ طَوَالًا
جَوَادًا شَجَاعًا شَهَدَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِرْوَبَهُ كُلُّهَا ، وَكَانَ مُخْلِصًا فِي اعْتِقَادِهِ
ثَابَتِ الرَّأْيِ فِي التَّشْيِيعِ وَالْمُحَبَّةِ .

وَقَدْ مَرَّ فِي التَّنبِيَّهِ الثَّانِي مِنْ شَرْحِ الْمُخْتَارِ السَّابِعِ وَالسَّيْطِينِ مَا يَفْصِحُ عَنْ جَلَالِهِ
شَأنَهُ وَرَفْعَةُ مَقَامِهِ وَأَحْبِبَتْ أَنْ أُورَدُهُنَا رَوَايَةً مُفَيِّدَةً لِخَلُوصِ عَقِيدَتِهِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ
مَعْ تَفْضِيلِهَا لِأَعْجَازِ غَرِيبِ لَا مِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَأَقُولُ : رُوِيَ فِي الْبَحَارِ مِنْ كِتَابِ إِرْشَادِ الْقُلُوبِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ
وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ قَالَا : كَنَا جَلُوسًا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ فِي وَلَيْتِهِ وَقَدْ أَضْحَى النَّهَارُ وَإِذَا
بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمُخْزُومِيِّ قَدْ وَافَى فِي جَيْشِ قَاتِلِهِ وَكَثُرَ صَهْيَلُ أَهْلِ خِيلِهِ،
وَإِذَا بِقطْبِ رَحْمَةِ مُلْوَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَنْقِهِ قَدْ قُتِلَ فَتَلَاقَ فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ عَنْ جَوَادِهِ وَدَخَلَ
الْمَسْجِدَ وَوَقَفَ وَقْفَ بَيْنِ يَدَيِ أَبِي بَكْرٍ فَرَمَقَهُ النَّاسُ بِأَعْيُنِهِمْ فَهُمْ مُنْظَرُهُ .

ثُمَّ قَالَ : أَعْدَلْ يَا ابْنَ أَبِي قَحَافَةَ حِيثُ جَعَلْتَ النَّاسَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي لَمْ يَتَّسِعْ
لَهُ أَنْتَ بِأَهْلِهِ ، وَمَا ارْتَقَعْتَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ إِلَّا كَمَا يَرْتَقِعُ الطَّافِي مِنَ السَّمِكِ عَلَى
الْمَاءِ، وَإِنَّمَا يَطْفُو وَيَعْلُو حِينَ لَا حَرَاكَ بِهِ، هَالِكٌ وَسِيَاسَةُ الْجَيُوشِ وَتَقْدِيمُ الْعَسَارِ
وَأَنْتَ بِحِيثُ أَنْتَ مِنْ دَنَائِهِ الْحَسْبُ وَمِنْ قُوَّصِ النَّسْبِ وَضَعْفِ الْقَوَى وَقَلَّةِ التَّحْصِيلِ
لَا تَحْمِي ذَمَارًا وَلَا تَضْرِمْ نَارًا فَلَا جُزِيَ اللَّهُ أَخَا ثَقِيفٍ وَوَلَدُ صَهَّابَ خَيْرًا .

إِنِّي رَجَعْتُ مُتَسْكِفًا مِنَ الطَّايِفِ إِلَى جَدَةَ فِي طَلَبِ الْمُرْتَدِينَ فَرَأَيْتُ عَلَى بْنِ
أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ عَتَّا مِنَ الدِّينِ حَمَالِيَّقَ شَزَرَاتٍ أَعْيُنُهُمْ مِنْ حَسْدِكَ وَبَدْرَتْ حَنَقَّا
عَلَيْكَ وَقَرَحَتْ آمَافِهِمْ لِمَكَانِكَ ، مِنْهُمْ ابْنُ يَاسِرِ وَالْمُقَدَّادِ وَابْنُ جَنَادَةِ أَخْوَغَفَارِ وَابْنِ
الْعَوَامِ وَغَلَامَانِ أَعْرَفُ أَحَدَهُمَا بِوْجَهِهِ، وَغَلَامٌ أَسْمَرُ لِعَلَّهُ مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ أَخِيهِ .
فَقَبِيْنَ لِي الْمُنْكَرَ فِي وِجْهِهِمْ وَالْحَسْدَ فِي احْمَرَارِ أَعْيُنِهِمْ ، وَقَدْ تَوَشَّحَ عَلَى

بدرع رسول الله ﷺ ولبس رداءه السحاب ولقد اسرج له دابته العقاب ، ولقد نزل على علی عین ماء اسمها رؤية ، فلما رآنی اشمأز وبربر وأطرق موحشا يقبض على لحمة .

فبادرته بالسلام استكفاء واتقاء وحشة ، فاستغمنت سعة المناخ وسهولة المنزل
فنزلت ومن معى بحثت بزلوا اتقاء عن مراؤته ، فبدانى ابن ياسر بقبيح لفظه ومحض
عداوه فقر عنى هزوا بما تقدّمت به إلى بسوء رأيك .
فالتفت إلى أصلع الرأس وقد ازدحم الكلام في حلقة كهرمة الأسد أو كفعقة
البر عد فقال لي بغضب منه : أو كنت فاعلا ياباسليمان ؟

فقلت له : إِيَّاَكَ وَأَقْوَامٍ عَلَى رَأْيِهِ لَضَرِبَتِ الْذِي فِيهِ عَيْنَاكَ ، فَأَغْضَبَهُ قَوْلِي
إِذْ صَدَقَتْهُ وَأَخْرَجَهُ إِلَى طَبَعَهُ الَّذِي أَعْرَفَهُ بِهِ عَنْدَ الغَضْبِ .

ثم ضرب بيده إلى ترقوتي فنكبسني عن فرسي وجعل يسوقني دعا إلى رحى
للحارث بن كلدة الثقفي ، فعمد إلى القطب الغليظ فهمد عنقي بكلماتاً يديه وأداره في
عنقي ينفل لـ كالعلم المسخن .

وأصحابي هؤلاء وفوف ، ما أغنوها عنّي مخطوطه ، ولا كفوأعنّي شرته فلاجز اهم الله
عنّي خيراً ، فانهم لما نظروا اليه كانوا نظروا إلى ملك موتهم ، فوالذي رفع السماء
بلا اعماد لقد اجتمع على فك هذا القطب مائة « ألف خ » رجل أو يزيدون من أشدّ^١
العرب فما فدوا على فكه فدلتني عجز الناس عن فكه أنه سحر منه أو قوّة ملك
قد ركبته فيه ، ففكه الآن عنّي إن كنت فاكه ، وخذلي بحقّي إن كنت آخذه ، والإله
لتحقت بدار عزّي ومستقرّ مكرمتى ، قد أليسنى ابن أبي طالب من العار ما صرت به
ضحكه لأهل الدّيار .

فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما قرئ إلى ما يخرج من هذا الرجل كأنّ

(ج) (١٠)

قصة إداراته الظليل فطب الرّحى في عنق خالد

(٣٦٧)

ولايتي ثقل على كاهله أوشجي في صدره .

فالتفت إليه عمر فقال: فيه دعابة لا تدعها حتى تورده فلا تصدره «وجهل خ» وحسد قداست حكمها في خلده فجريا منه مجرى الدّماء لا يدعانه حتى يهنا منزلته ويورطاه ورطة الملكة .

ثم قال أبو بكر لهن بحضرته : ادعوا لي قيس بن سعد بن عبادة الْأَنصاري ، فليس لفك هذا القطب غيره .

قال : وكان قيس سيف النبي صلوات الله عليه وسلم وكان رجلا طويلا طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار وكان أشد الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين عليه السلام . فحضر قيس فقال له : يا قيس إنك من شدة البدن بحيث أنت فلك هذا القطب من عنق أخيك خالد .

قال قيس : ولم لا يفكّه خالد عن عنقه ؟

قال : لا يقدر عليه .

قال : فما لا يقدر عليه أبو سليمان وهو نجم عسکركم وسيفككم على أعدائكم كيف أقدر عليه أنا .

قال عمر : دعنا من هزؤك وهزلك وخذ فيما حضرت له .

فقال : لمسألة : تسألونها طوعاً أو كرهاً تجبروني عليه .

فقال له : إن كان طوعاً وإلا فكرها .

قال قيس : يا ابن صالح خذل الله من يكرهه مثلك إنّ بطنك لعظيمة وإنّ كرشك لكبيرة ، فلو فعلت أنت ذلك ما كان منك .

فخجل عمر من قيس بن سعد فجعل ينكث أستانه بـأنا مله .

فقال أبو بكر : وما بذلك منه ، اقصد لما سئلت .

فقال قيس : والله لو أقدر على ذلك لما فعلت ، فدونكم وحدادي المدينة فـفـانهم أقدر على ذلك مني ، فأتوا بـجـمـاعـةـ منـ الحـدـادـينـ فقالـواـ :ـ لاـ يـنـفـتـحـ حتـىـ نـحـميـهـ بالـنـسـارـ .

فالتفت أبو بكر إلى قيس مغضباً ، فقال : والله ما باك من ضعف من فكه ولكنك لا تفعل فعلاً يعييك فيه إمامك وحبيبك أبو الحسن ، وليس هذا باعجوب من أن أباك رام الخلافة ليتغى الإسلام عوجاً فحمد الله شوكته وأذهب نخوته وأعز الإسلام لوليته وأقام دينه بأهل طاعته ، وأنت الآن في حال كيد وشقاق .

قال : فاستشاط قيس بن سعد غضباً وامتلاً غيظاً ، فقال : يا ابن أبي قحافة إنَّ لك جواباً حميماً بلسان طلق وقلب جرى ، لو لا البيعة التي لك في عنقى سمعته مني والله لأن بياعتك يدي لم يباعتك قلبي ولا لسانى ولا حجة لي في علىٰ بعد يوم الغدير ولا كانت بياعتك لك إلا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً ، أقول قولى هذا غير هائب منك ، ولا خائف من معرفتك ، ولو سمعت هذا القول منك بدأة لما فتح لك مني صالحًا :

إن كان أبي رام الخلافة فحقيقة أن يرومها بعد من ذكرته ، لأنَّه رجل لا يقع في الشنان ولا يغمز جانبه كغمز التينة ضخم صنديد وسمك منيف وعز باذن اشوس ، بخلافك أيها النعجة العرجاء والديك النافش لاعن صميم ولا حسب كريم وأيم الله لأن عاودتنى في أبي لا لجمتنك بلجام من القول يمجد فوك منه دماً ، دعنا نخوض في عمایتك ونتردّى في غوايتك على معرفة منا بترك الحقّ واتّباع الباطل .

وأما قولك إنَّ علياً إمامي ما انكر إمامته ولا أعدل عن ولائيه وكيف انقض وقد أعطيت الله عهداً بامامته وولايته يسألني عنه فأنا إنْ ألقى الله بنقض بياعتك أحب إلىٰ من انقض عهده وعهد رسوله وعهد وصيّه وخليله .

وما أنت إلا أمير قومك إن شاؤوا تر كوك وإن شاؤوا عزلوك ، فتب إلى الله مما اجترنته وتندّل إليه مما ارتكبته ، سلم إلاّ مر إلى من هو أولى منك بنفسك ، فقد ركبت عظيمًا بولايتك دونه وجلوسك في موضعه وتسويقتك باسمه ، وكأنك بالقليل من دنياك وقد انقض عنك كما ينقشع السحاب وتعلم أى الفريقين شرّ مكاناً وأضعف جنداً

وَأَمَّا تَعْمِيرُكَ إِيَّاهُ بَاشَهُ مُولَى هُوَ وَاللَّهُ مُولَى وَمُولَى الْمُؤْمِنِينَ
أَجْمَعِينَ آهَ آهَ أَنِّي لَيْ بَنِيَتْ قَدْمَ أَوْ تَمَكَّنَ وَطَأْ حَتَّى الْفَظُوكَ لِفَظِ الْمُنْجَنِيَقَ الْحَجَرَةَ
وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ قَرِيبًا وَتَكْتَفِي بِالْعِيَانِ عَنِ الْخَبَرِ .
ثُمَّ قَامَ وَنَفَضَ ثُوبَهُ وَمَضَى ، وَنَدَمَ أَبُوبَكَرٌ عَمَّا أَسْرَعَ إِلَيْهِ مِنَ القَوْلِ إِلَى
قَيْسَ ، الْحَدِيثَ .

قال نوف (و) عقد (لأبي أيوب الأنصاري) أيضاً (في عشرة آلاف) وأبو أيوب
هو خالد بن زيد بن كعب الخزرجي من بنى النجار شهد العقبة ويدرأ أو ساير المشاهد ،
وعليه نزل رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وشهد مع أمير المؤمنين مشاهده كلها
وكان على مقدمته يوم النهر وان .

(و) عقد (لغيرهم على اعداد اخر وهو عاليٌّ) يريد الرّجعة إلى صفين فمادرات
الجمعة حتى ضربه الملعون) أشقي الأولين والآخرين شقيق عافر ناقفة صالح (ابن
ملجم) المرادي (لعنه الله) حسبما عرفت تفصيل ضربته في شرح المختار التاسع
والستين .

(فتراجعت العساكر) من المعسكر إلى الكوفة قال الرّاوي (فكتنا كاغنام
فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كلّ مكان) كما قال الفرزدق :

ذئاب الأعدى من فصيح وأعجم	فلا غر وللأشراف إن ظفرت لها
وقتل على من حسام مصمم	في حربة وحشى سقت حمزة الرّدى
والمراد من اختطاف الذئاب إمام النهب والقتل والاذلال أو الاغواه والاضلال قال الشارح	
المعتزالى : يقال : إن هذه الخطبة آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين عاليٌّ فائماً .	

وشناختن قدر و منزلت آن و فارغ شدن از برای آن ، پس آن حکمت در پیش آنحضرت بمنزله گم شده او است که طلب مینماید آنرا ، و حاجت اوست که سؤال میکند از آن ، پس آنحضرت اختیار غربت و غیبت کننده است زمانی که غریب شود اسلام ، و بزند اطراف دم خود را و بچسباند بزمین سینه خود را ، آنحضرت بقیه ایست از باقی ماند گان حجت خدا ، و خلیفه ایست از خلیفه های پیغمبران حق تعالی .

پس فرمود آن حضرت : ای مردمان بدرستی که من منتشر کردم از برای شما موعظه ای که موعظه فرمودند با آنها پیغمبران امتهای خودشان را ، و رساندم بسوی شما چیزی را که رساند و صیهای پیغمبران بکسانی که بودند بعد از ایشان ، و ادب دادم بشما با تازیانه خودم پس مستقیم نشدید ، و راندم شمارا بدلا لعل مانعه از راه ناصواب پس منتظم نگشته اید ، تعجب میکنم از شما آیا توقع میکنید امامی را غیر از من که بمردم شمارا بجادة حق ، و ارشاد نماید شمارا بر راه راست .

آگاه باشید بدرستی که ادبار کرده است از دنیا چیزی که اقبال نموده بود ، واقبال کرده است از آن چیزی که ادبار کرده بود ، و عزم بر حملت کردن بندگان پسندیده خدا و عوض کردن قلیل از دنیارا که باقی نخواهد ماند بکثیر از آخرت که فانی نخواهد شد ، ضرر نرساند برادران مارا که ریخته شد خونهای ایشان در جنگ صفين اینکه نشدن امروز زنده که گوارا کنند غصه هارا و بیاشامند آب کدورت آمیز اندوه را بتحقیق قسم بذات حق که ملاقات کردن پرورد گار را پس بتمام و کمال رسانید با ایشان اجرهای ایشان را ، و فرود آورده ایشان را در سرای امن و امان بعد از خوف و هراس ایشان .

کجا یند برادران من که سوارشدند بر راه صدق ، و گذشتند بر طریق حق ، کجا است عمار یاسر کجا است ابی الهیشم بن التیهان کجا است خزيمة بن ثابت ذو الشهادتین و کجا یند امثال ایشان از برادران مؤمنین ایشان که عهد بسته بودند باهم دیگر بر مردن در راه دین ، و فرستاده شد سرهای ایشان با قاصد بسوی فاجر ان پس از آن زد آن حضرت دست خود را به حسن شریف خود ، پس بسیار گوییست بعد از آن فرمود :

آه بربادران من که تلاوت کردند قرآن را پس ممحکم ساختند آنرا ، وتفکر کردند در واجبات پس برپا داشتند آن را ، وزنده کردند سنت پیغمبر را وکشتند بدعت را ، خوانده شدند از برای جهاد پس اجابت کردند ، واعتماد نمودند به پیشوای پس مقابعت کردند اورا .

بعداز آن ندا فرمود آن حضرت با او از بلند و فرمود: بشتابید بسوی جهاد وقتال ای بنده کان خدا ، آگاه باشید که اردود رست کمنده ام در همین روز پس هر که اراده کند توجه نمودن بسوی پرورد کار خود بس باید که خارج بشود باردو گاه .

گفت نوی بکالی: و عقد فرمود حضرت امیر مؤمنان از برای پسر خود امام حسین علیه السلام در ده هزار نفر ، و معین فرمود از برای قیس بن سعد بن عبادة در ده هزار ، و از برای أبو ایوب انصاری در ده هزار ، و از برای سایرین برشمارهای دیگر وارد اهدا شد که بر گردد بسوی صفین پس بر نگردید روز جمعه همان هفته تا آنکه ضربت زد آن بزرگوار را ملعون ابن ملجم مرادی ، خدا لعنت کند اورا پس بر گشتند لشگریان پس شدیم ما بمنزله گوسفندانی که گم کرده باشند شبان خود را در حالتی که بر بایند آذهارا گرگان از هر مکان .

٩ من خطبة له عليه و هي المأة و الثانية و الثمانون من المختار في باب الخطب

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَاةٍ، الْخَالِقُ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْمَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءِ بِجُودِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رَسُولَهُ،

لِيَكْسِفُوا لَهُمْ عَنْ غَطَايَاهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَفْنَالَهَا، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عَيْوَهَا، وَلِيَجْمُوا عَلَيْهِمْ بِعَقْبَرِهِمْ مِنْ تَصْرُفِ مَصَاحِهَا وَأَسْقَامِهَا، وَحَلَالُهَا وَحَرَامُهَا، وَمَا أَعْدَ سُبْحَانَهُ لِلْمُطْبَعَينَ مِنْهُمْ وَالْمُصَاصَةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَكَرَامَةٍ وَهُوَانٍ، أَخْمَدَهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَخْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجْلًا، وَلِكُلِّ أَجْلٍ كِتَابًا.

منها: في ذكر القرآن فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق،
حجّة الله على خلقه، أخذ عليهم ميتاقة، وازتهن عليه أنفسهم، أتم
نوره، وأكرم به دينه، وقبض نبيه عليه السلام وقد فرغ إلى الخلق من
أحكام الهدى به، فظموه منه سُبْحَانَهُ مَاعَظَمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ
عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا رِضِيهِ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَمَلَ لَهُ
عَلَيْهَا بادِيًّا، وَآيَةٌ مُحْكَمَةٌ تَزُجُّ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فِرْضَاهُ فِيهَا بَقِيَّ
وَاحِدٌ، وَسَخْطُهُ فِيهَا بَقِيَّ وَاحِدٌ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخْطُهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،
وَلَنْ يَسْعَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رِضِيهِ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا تَسِيرُونَ
فِي أَثْرِيَّنِ، وَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعٍ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرُّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ

كَفَاكُمْ مَوْلَةً دُنْيَاكُمْ، وَهَنَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَأَفْتَرَضَ مِنْ أَسْبَاتِكُمْ
الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَىٰ وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضاَهُ، وَحاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِينَهُ، وَنَوَاصِيَكُمْ يَدِيهِ، وَتَقْلِبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ،
إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ، وَإِنْ أَعْلَمْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَلَّ بَكُمْ حَفْظَةً كِرَاماً،
لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا، وَلَا يُبْتَهُونَ بِاِطْلَاءٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَقَبَّلُ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفَتَنِ، وَنُورًا مِنَ
الظُّلْمِ، وَيُخَلِّدُهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنَزِّلُهُ مَنْزِلَةَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ
فِي دَارِ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلْلَاهَا عَرْشُهُ، وَبُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُوَارُهَا
مَلَائِكَتُهُ، وَرَفَقاَهَا رَسُولُهُ، فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الْأَجَالَ،
فَإِنَّ النَّاسَ يُوْشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمْلُ، وَمَرْهُقُهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ
عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَنْصَبَتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجُمَةَ مَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارِ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ
أَوْذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْأَزْرِ تَحَالِ، وَأَمْرَتُمْ فِيهَا بِالْزَادِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الْوَقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا
نَفْوَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَبْتُمُوهَا فِي مَصَابِ الدُّنْيَا فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ
مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَنْزَةِ تُذْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ، فَكَيْفَ إِذَا

كَانَ يَنْ طَابِقُنِّي مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَ قَرِينَ شَيْطَانٍ، أَعْلَمْتُمْ أَنَّ
مَا لِكَ إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضَهَا بَعْضًا لِغَضَبِهِ، وَ إِذَا زَجَرَهَا
تَوَثَّبَتْ يَنْ أَبْوَابِهَا جَزْعًا مِنْ زَجْرِهِ، أَشْهَدَ الْيَفْنُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَ
الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَ نَشَبَتِ
الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَادِ.

فَاللَّهُ أَكْبَرُ مَغْشَرُ الْعِبَادِ وَ أَنْتُمْ سَائِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقُمِ،
وَ فِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضَّيقِ، فَاسْعُوا فِي فِكَّاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ
رَهَانِهَا، أَنْسِرُوا عِيُونَكُمْ، وَ أَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَ اسْتَغْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ
وَ أَنْقُشوْا أَمْوَالَكُمْ، وَ حُذِّدُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ مَا تَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
وَ لَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ
وَ يُبَيِّنَ أَقْدَامَكُمْ - وَ قَالَ : - مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ - فَلَمْ يَسْتَنْصِرُوكُمْ مِنْ ذُلِّ، وَ لَمْ يَسْتَقْرِضُكُمْ
مِنْ قُلْ، اسْتَنْصِرُوكُمْ وَ لَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ، وَ اسْتَقْرِضُكُمْ وَ لَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ، وَ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْلُوَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، فَبَادِرُوا
بِأَعْمَالِكُمْ، تَكُونُوا مَعَ جِرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ، رَافِقَ بِهِمْ رَسُولُهُ، وَ أَزْارُهُمْ

مَلِئْتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِينَ نَارِ أَبْدًا، وَصَانَ أَجْسادَهُمْ
أَنْ تَلْقَى لُغُوبَا وَنَصَابَا - ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ - أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ،
وَهُوَ حَسِيبُنَا وَنَمَ الْوَكِيلُ.

اللغة

(نصب) نصبا من باب تعب أعيما و عيش ناصب وذو منصبة فيه كد وجهد ونصبه
الهم أتعبه و (هجمت) عليه هجوماً من باب قعد دخلت على غفلة منه ، و هجمت
على القوم جعلت يهجم عليهم يتبعدي ولا يتبعدي و(المصاح) جمع مصححة مفعلة من الصحة
كمضار جمع مضرة ، والصوم مصححة بفتح الصاد وكسرها أى فيه صحة أو يصح به
و (سخط) سخطاً من باب تعب غضب .

و (رجع قول) قال الشارح البحرياني أى المردود منه ، ولعله وهم لأن الترديد
معنى الترجيع مصد رباب التفعيل ومنه ترجيع الصوت وهو تحريكه ، و ترجيع الآذان
وهو تكرير فصوله ، وفي القاموس الرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه والروث
و كل مردود ولم يذكر في معانى رجع الترديد ، فالظاهر أنه بمعنى النفع من قوله
ليس له منه رجع أى نفع وفائدة قال في القاموس : الرجع النفع ورجع كلامي
فيه أفاد .

و (يوشك) أن يكون كذا بكسر الشين من أفعال المقاربة مضارع أو شك
يفيد الدنو من الشيء ، وقال الفارابي الإيشاك الاسراع ، وقال النحاة استعمال المضارع
أكثر من الماضي و استعمال اسم الفاعل قليل وقد استعملوا ماضيا ثالثيا فقالوا
وشك مثل قرب وشك ، وفي القاموس وشك الأمر ككرم سرع كوشك وأوشك أسرع
السير كواشك ويوشك الأمر أن يكون وأن يكون الأمر ولا تفتح شينه أولغا رديئة

و (رهقت) الشيء رهقاً من باب تعب قربت منه ، قال أبو زيد : طلبت الشيء حتى رهقته وكدت آخذنه أو أخذته ، وقال : رهقته أدركته ورهقه الدين غشيه و (الطابق) وزان هاجر وصاحب روياماً الآجر الكبير ، وظرف يطبخ فيه مغرب تابه والجمع طوابيق و (اليفن) محرّكة الشيخ الكبير و (لغب) لغباً من باب قتل وتعب لغوباً أعيها وتعب .

الاعراب

الباء في قوله يَعْلَمُ : بمعتبر ، للمصاحبة او التعدية ، ومن في قوله : من تصرف بيانية ، وحالها بالجر عطف على تصرف اوعلى أسمامها ، وقوله : وما أعد الله ، إما عطف على معتبر اوعلى عيوبها ، والى في قوله : أحمسه إلى نفسه ، لانتهاء الغاية كما في نحو الأمر إليك أى منه إليك قال ابن هشام : ويقولون أحمد إليك الله ، أى انهى حمسه إليك آه ، وفي قوله كما استحمد إلى خلقه ، لانتهاء الغاية أيضاً أو بمعنى من كما في قول الشاعر :

تقول وقد عاليت بالكور فوقها
أيسقى فلا يروى إلى ابن احمرأ
أى منى ، ومن في قوله : فظumo امنه زايدة أى عظموه ، وما في قوله : ماعظم مصدرية ،
وحاجته بالنصب عطف على منتهى .

وقوله : من أستنكم الذكر ، قال الشارح المعتزلي من متعلقة بمحدوف دل عليه المصدر المتأخر ، تقديره : وافتراض عليكم الذكر من أستنكم .

أقول : وكأنه نظر إلى أن المصدر في تقدير أن الفعل ، وان موصول حرفي لا يتقدم معه عليه فلا يجوز تعلقه بنفس المصدر المذكور إلا أنه يتوجه عليه أن الظرف والجار و المجرور يتسع فيه ما لا يتسع في غيره كما صرّح به المحققون من علماء الأدب ، ومثله قوله تعالى « فلما بلغ معه السعي » فيصح فيهما تعلقهما بال المصدر المذكور ولا حاجة إلى التقدير .

وقوله : ضجيع حجر حال من اسم كان ، وعلى القول بأنّ كان الناقمة وأخواتها

لا تعمل في الحال كما نسب إلى المحققين من علماء الأدبية فلابد من جعل كان تامة بمعنى وجود، وعلى ذلك فيكون قوله : بين طابقين ظرفا لغوياً متعلقاً بكل ، وقوله : فالله الله ، نصب على الأغراء أى اتقوا الله ، وهذا الفعل المحنوف هو متعلق قوله في الصحة أى اتقوه سبحانه في حال الصحة ، وقوله : قبل السقم إما بدل من قوله في الصحة أو حال مؤكدة من الصحة ، وقوله : خذوا من أجسادكم ، حرف من نشوية ، وجملة : وافق بهم رسنه استيفاف بياني " فكانه سهل عن ثمرة الكون مع حيران الله فأجاب بأن ثمerte من افة الرّسل وزيارة الملائكة وغيرهما .

وقوله : ونعم الوكيل ، عطف إما على جملة هو حسينا ، فيكون المخصوص محنوفا ، وإما على حسينا أى هو نعم الوكيل ، فيكون المخصوص هو الضمير المتقدم وعلى التقديرين وهو من عطف الإنشاء على الاخبار ولا بأس به كما صرّح به ابن هشام وغيره .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة الشريفة مسوقة للثناء على الله سبحانه ووصف الكتاب العزيز وموعظة المخاطبين ووعدهم بالجنة ووعيدهم من النار وافتتحها بما هو أحق بالافتتاح .

فقال (الحمد لله) أى الثناء والذكر الجميل حق له سبحانه ومحظى به لاختصاص أوصاف الجمال ونعوت الكمال بذاته وأشار إلى جملة من تلك الصفات فقال (المعروف من غير رؤية) أى معروف بالأيات ، موصوف بالعلامات ، مشهود بما أبده من عجائب القدرة وشواهد العظمة في الأرضين والسماءات ، وليس معروفيته كمعروفة الأجسام والجسمانيات ، وذوى الكيفيات والمهارات بأن يعرف برؤيه العيون بمشاهدة العيان لكونه تعالى شأنه منها عن المقابلة والجهة والمكان ، وغيرها من لواحق الامكان ، وإنما تعرف القلوب بحقائق الایمان على معرفت ذلك كله تفصيلاً وتحقيقاً في شرح المختار التاسع والأربعين والمختار المائة والتاسع والستين .

و (الخالق من غير منصبة) يعني أنه خالق للمخلوقات بلا آلات و أدوات فلا يلحقه ضعف وتعب واعياء ونصب .

وانما (خلق الخالق بـنفس) (قدرته) الباهرة ومشيّته القاهره المضمرة بين الكاف والنون ، فأمّره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (واستعبد الأرباب بعزمته) أي طلب العبودية من المسادات والملوك بقهره وغلبته (وساد العظام بجوده) إذ كل عظيم فهو بمقتضى امكانه داخر عند وجوده مفترى إلى إفاضته وجوده .
 (وهو الذي أسكن الدنيا خلقه) وبث فيها من كل دائمة (وبعث إلى الجن و الانس رسلاً) بمقتضى اللطف والحكمة وواتر إليهم أنبيائه (ليكشفوا لهم عن غطائهم) ويرفعوا عنهم سترها وحجابها ويسفروا عن وجهها نقابها (وليرحذرونهم) منها و (من ضرائهما) وليرغبوا عن الآخرة وفي سرائهما (وليرضوا لهم أمثالها) .
 لأن أكثر الأفهام لما كانت قاصرة عن إدراك ماهيات الأشياء إلا في مواد محسوسة جرت عادة الله سبحانه وتعالى رسلاه وأنبيائه في تبليغ الأحكام وبيان التكاليف والكشف عن ماهيات الأشياء على ضرب الأمثل تقريراً للأفهام حسبما عرفت توسيع ذلك في شرح الفصل الثالث من المختار المأة والاثنين والسبعين .

ولما كان عمدة الغرض من بعث الرسل والأنبياء هو جذب الناس إلى طرف الحق ، وكان حصول ذلك الغرض موقوفاً على التنبير عن الدنيا و الترغيب إلى الأخرى لاجرم أكثرها لها من الأمثل المنفرة ، فشبّهوها في وقارتها وقباحتها بالعجز الشمطاً ، وفي سرعة الفناء والانقضاض بالظلّ الزائل والضوء الأفل ، وفي حسن صورتها وقيمة باطنها بالحقيقة المبين مسها والقاتل سمهما إلى غير هذه من الأمثل المضروبة لها في الكتاب العزيز والأخبار وكلمات الأنبياء والأولياء الأخيار ، وقد مضت جملة من تلوك الأمثل في شرح الفصل الثاني من المختار الثاني والثمانين .

(وليرصروا عيوبها) حتى يشاهدوها معاييها ويروا معاطبها ويعلموا أنها وإن كانت يوحي منظرها إلا أنها يوحي مخبرها مع تضمنها لقرب الزيال وازف الانتقال وعلز القلق وألم المرض وغضض العبرض .

(ولِيَهُجُّوَا عَلَيْهِم بِمَا تَصْرِيفِ مَسَاحَتِهَا وَاسْقَامَهَا) أَى لِيَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ عَلَى حِينَ غَفَلَةِ مِنْهُمْ بِمَا يُوجَبُ عِبَرَتِهِمْ مِنْ تَقْلِيبَاتِهَا وَتَصْرِيفَاتِهَا عَلَى أَهْلِهَا بِالصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ وَاللَّذَّةِ وَالْأَلَّمِ ، فَعَنْ قَلِيلٍ تَرَى الْمَرْحُومُ مَغْبُوطًا وَالْمَغْبُوطُ مَرْحُومًا وَتَرَى أَهْلَهَا يَمْسُونُ وَيَصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى ، فَصَحِيحٌ مَشْعُوفٌ بِهَا مَشْغُولٌ بِزَخَارَفِهَا ، وَمَرِيضٌ مَبْتَلٌ ، وَمَيْتٌ يَبْكِي ، وَآخَرٌ يَعْزَّى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ وَآخَرٌ بِنَفْسِهِ يَعْجُودُ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَذَكُّرَةً وَذَكْرَى وَعِبْرَةً لَا ولَى النَّهَى إِذْ عَلَى أَثْرِ الْمَاضِي يَمْضِي الْبَاقِي ، وَسَبِيلُ السَّلْفِ يَسْلُكُ الْخَلْفَ .

وَقُولُهُ (وَحَالَهَا وَحَرَامُهَا) قَالَ الشَّارِحُ الْمُعْتَزِلِي يَقُولُ عَلَيْهِمْ لِيَدْخُلُوا (١) عَلَيْهِمْ بِمَافِي تَصَارِيفِ الدُّنْيَا مِنِ الصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ وَمَا أَحَلَّ وَمَا حَرَّمَ عَلَى طَرِيقِ الْابْتِلَاءِ بِهِ . وَقَالَ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِي بَعْدَ مَا وَافَقَ الشَّارِحُ الْمُعْتَزِلِي فِي هَذَا الْمَعْنَى : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى أَسْقَامِهَا بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْحَالَ وَالْحَرَامَ مِنْ تَصَارِيفِ الدُّنْيَا ، وَبِيَانِهِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ لِنَبِيِّ " كَانَتْ حَلَالًا مِنْ نَبِيٍّ قَبْلَهُ وَبِالْعَكْسِ ، وَذَلِكَ تَابِعٌ لِمَصَالِحِ الْخَلْقِ بِمَقْتضِيِّ تَصَارِيفِ أَوْفَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمُ الَّتِي هِيَ تَصَارِيفُ الدُّنْيَا . اِنْتَهَى أَفْوَلُ : وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ هَذِينَ الْمَعْنَيَيْنِ وَإِنْ كَانَا يَصْحَّحَانَ كَوْنَ الْحَالَ (٢) وَالْحَرَامِ مَمَاهِجُهُمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَكَوْنُهُمَا (٣) مِنْ تَصَارِيفِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهُمَا عَلَى هَذِينِ لَا يَكُونُانِ مِمَّا يُوجَبُ الْعِبْرَةُ كَمَا لَا يَخْفَى وَفَدَ جَعْلُهُمَا بِيَانًا لِقُولِهِ مَعْتَبِرٌ فَلَابِدُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى دُخُولَهُمْ عَلَى الْأُمْمَ وَتَذَكِيرُهُمْ بِتَصَارِيفِ الْحَالَ وَالْحَرَامِ عَلَى وَجْهِ يَوْجِبِ الْاعْتِبَارِ مِثْلُ أَنْ يَذَكِّرُوهُمْ :

بِأَنَّ الْاِكْتِسَابَ مِنِ الْحَالَ يَوْجِبُ فِي الدُّنْيَا زِيَادَةَ الْمَالِ وَبِرْكَةَ لِهِ ، وَفِي الْآخِرَةِ يَصُونُ مِنْ غَضْبِ الرَّبِّ ، وَالْاِفْتِحَامُ فِي الْحَرَامِ يَوْرُثُ فِي الدُّنْيَا تَلْفَ الْمَالِ وَذَهَابَهُ ، وَفِي الْآخِرَةِ يَعْقِبُ الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ وَالْعَطْبُ .

(١) فَيَكُونُ حَالَهَا عَلَى هَذَا الْاحْتِمَالِ عَطْفًا عَلَى تَصْرِيفِ (مَنْ) :

(٢) هَذَا نَاظِرُ إِلَى الْاحْتِمَالِ الْأَوَّلِ الَّتِي وَافَقَ عَلَيْهِ الشَّارِحُانِ (مَنْ) .

(٣) هَذَا نَاظِرُ إِلَى الْاحْتِمَالِ الثَّانِي الَّتِي تَفَرَّدَ بِهِ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِي (مَنْ رَهْ) .

وبأنَّ الحلال ربما يتبدل بالحرام بالظلم والآثم كمال قال عزَّ من قائل : « فبظلم من الذين هادوا حرّ مما عليهم طيبات أحلّت لهم » وبأنَّ الحرام قد يتبدل بالحالـ اذا اقتضـت الـضرورة كـحـالـةـ الـاضـطـرـارـ وإـلـمـخـمـصـةـ وـنـحـوـ ذـلـكـ مـاـ يـوـجـبـ الـاعـتـبـارـ بـهـماـ وـيـبـعـثـ عـلـىـ الـقـنـاعـةـ بـالـحـالـلـ وـالـكـفـ عنـ الـحرـامـ .

وأبلغ التذكرة والعبرة بتصاريف الحلال والحرام ما نطق به القرآن قال سبحانه « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسدين فجعلناها هكلاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » (وما أعد) الله (سبحانه للطبيعين منهم) أي من الجن والانس (والعصاة من جنة نار) نشر على ترتيب اللف أي جنة للطبيعين ونار للعاصين (وكرامة) ورضوان للأولين وذلة (وهو ان) للآخرين .

(أحـمـدـهـ إـلـىـ نـفـسـهـ) أي أحـمـدـهـ سـبـحـانـهـ مـتـقـرـباـ أوـ مـتـوجـهـاـ بـهـ إـلـيـهـ تـعـالـىـ أوـ مـنـهـياـ حـمـدـيـ إـلـىـ نـفـسـهـ أيـ يـكـوـنـ حـمـدـيـ مـنـتـهـيـاـ إـلـيـهـ وـمـخـصـوصـاـ بـهـ عـزـ وـجـلـ (كما استـحـمدـ إـلـىـ خـلـقـهـ) أيـ يـكـوـنـ حـمـدـيـ إـيـاهـ فـيـ الـكـيـفـيـةـ وـالـكـمـيـةـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـذـيـ طـلـبـ الـحـمـدـ مـوـجـهـاـ طـلـبـهـ إـلـىـ خـلـقـهـ أوـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـذـيـ طـلـبـهـ مـنـهـ وـالـمـالـ وـاـحـدـ ،ـ وـالـمـرـادـ بـيـانـ فـضـلـ الـحـمـدـ وـكـوـنـهـ عـلـىـ وـجـهـ الـكـمـالـ وـخـلـوـصـهـ عـنـ شـوـبـ الـشـرـكـ وـالـرـياـ وـقـوـلـهـ (جـعـلـ لـكـلـ شـيـءـ قـدـرـاـ) كـقـوـلـهـ تـعـالـىـ : قـدـ جـعـلـ اللهـ لـكـلـ شـيـءـ قـدـرـاـ أيـ مـقـدـارـاـ مـعـيـنـاـ مـنـ الـكـيـفـيـةـ وـالـكـمـيـةـ يـنـتـهـيـ إـلـيـهـ ،ـ وـحـدـاـ مـحـدـودـاـ يـقـفـ عـنـدـهـ ذـلـهـ (وـلـكـلـ قـدـرـأـجـلاـ) أيـ لـكـلـ شـيـءـ مـقـدـرـ وـقـتـاـ مـخـصـوصـاـ يـكـوـنـ فـيـ اـنـقـضـاؤـهـ وـفـنـاؤـهـ اـذـاـ بـلـغـهـ (وـلـكـلـ أـجـلـ كـتـابـاـ) أيـ رـقـومـاـ تـعـرـفـهـاـ الـمـلـائـكـةـ وـتـعـلـمـ بـهـ اـنـقـضـاءـ أـجـلـ مـنـ يـنـقـضـيـ أـجـلهـ .

وقـالـ الشـارـحـ الـبـحـرـانـيـ :ـ الـمـرـادـ بـالـكـتـابـ الـعـلـمـ الـالـهـيـ الـمـعـبـرـ عـنـ بـالـكـتـابـ الـمـبـيـنـ وـالـلـوـحـ الـمـحـفـوظـ الـمـحـيـطـ بـكـلـ شـيـءـ ،ـ وـفـيـهـ رـقـمـ كـلـ شـيـءـ ،ـ اـنـتـهـيـ وـالـأـظـهـرـ ماـ قـلـنـاهـ .

قال السيد (ره) (منها) أى بعض فضول هذه الخطبة الشريفة (في ذكر القرآن) وبعض أوصافه ٠

(فالقرآن آمر زاجر) وصفه بهم من باب التوسيع والمجاز لأن الآمر والنافي هو الله سبحانه لأن القرآن لما كان متضمناً لأمره ونفيه اطلق عليه لفظ الآمر والنافي من باب اطلاق اسم السبب على المسبب كما قاله الشارح البحرياني، أؤمن بباب سيفقاتل وإنما القاتل الفارب كما قاله الشارح المعتزلي يعني تسمية الآلة باسم ذات الآلة. أقول: لاما كان القرآن مظهراً لاً آمر يتهمه زاجر رب سبحانه يكفي هذا المقدار من العلاقة والارتباط في صحة التجوز، ولا حاجة إلى تمثيل إدخالها في إحدى العلائق المعروفة، وقد عرفت تحقيق ذلك في ديباجة الشرح ٠

(وصامت ناطق) وصفه بالصمت لأنَّ كلام مؤلف من حروف وأصوات صامدة لأنَّ العرض يستحيل أن يكون ناطقاً، لأنَّ النطق إنما يحصل بالأداة والمهوات والكلام والحراف يستحيل أن يكون ذا أدأة تنطق بالكلام ٠

ويحتمل أن يكون وصفه به من باب المجاز إن قلنا إنَّ الصمت عبارة عن عدم النطق عمَّن من شأنه أن يكون ناطقاً لأنَّ يكون النسبة بينهما مقابلة العدم والملكة، وعلى هذا فيكون وصفه به من باب الاستعارة تشبيهاً له بالحيوان الغير الناطق ٠

وأما وصفه بالنطق فهو من باب الاستعارة التبعية أو المكنية مثل قولهم نطقت المال بكذا و الحال ناطقة بكذا، وقد عرفت شرحه في ديباجة الشرح في المسألة السابعة من مسائل المجاز، وفي التقسيم الثاني من تقسيمات الاستعارة فليراجع ثمة ٠

(حجَّة الله على خلقه) لأنَّ الله سبحانه يتحجَّج على العباد بما أتاهم وعرَّفهم به وبالقرآن عرف الأحكام وأبان مسائل الحلال والحرام وأزال العذر به عن نفسه في عقاب العاصين أن يقولوا يوم القيمة إنْ تَكُنَّا عن هذا غافلين ٠

وأضافه ومحاجة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ في صدقها «كذا» النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ قد بعث رسوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ

ليهلك من هلك عن بيته ويحيى من حي عن بيته ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

(أخذ عليهم ميثاقه) أي أخذ الميثاق والعهد من المكلفين على العمل به وبأحكامه ، والمراد به ما ورد في بعض الآيات وصدر عن لسان النبوة من الحديث والتزكية عليه والأمر باجلاله وإعظامه والقيام بمعالمه وأحكامه .

قال الشارح المعتزلي : ومن الناس من يقول : المراد بذلك قصة الدرية قبل خلق آدم عليهما السلام كما ورد في الأخبار وفسر قوم عليه الآية انتهى ، والأولى ما قلناه . (وارتنهن عليه أنفسهم) لما كان ذم المكلفين مشغولة بما تضمنه القرآن من التكاليف والأحكام وكان اللازم عليهم الخروج عن عهدة التكليف وتحصيل براءة الذمة شبههم بالعين المرهونة لدين المرتهن ، فأن فك رهانتها موقوف على أداء حق صاحب الدين فكذا فك رهانة هؤلاء موقوف على عملهم بالتكاليف الشرعية والأوامر المطلوبة .

وهو نظير قول النبي ﷺ في الخطبة التي خطب بها في فضيلة شهر رمضان أيسها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكواها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من ذنوبكم فخففوا عنها بطول سجودكم .
(أتم نوره) أي جعل نوره تاماً كاملاً .

أما كونه نوراً فلا نور عقلٍ ينكشف به أحوال المبدء والمعاد يهتدى به في ظلمات بر الأجسام وبحرب النفوس قال الله عز وجل « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور » وأمامات ماضيته فلكونه أكمل أسباب الهدایة أما في بدء الإسلام فلكونه أقوى المعجزات الموجبة لخروج الناس من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام ، وأماماً بعده فليقائده بين الأمة إلى يوم القيمة واهتدائهم به إلى معالم الدين و منهاج الشرع المبين يوماً في يوماً .

(و) بذلك الاعتبار أيضاً (أكرم به دينه) أي جعله مكرماً معززاً به (وبغض نبيه عليه السلام وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به) يجوز أن يكون الأحكام بكسر الهمزة أي فرغ من جعل الهدایة بالقرآن محكمة أي متقنة مثبتة في قلوب المؤمنين لكن المضبوط فيما رأيته من النسخ بفتحها، فيكون المراد فراغته في العقول من أحكام الهدایة أي من التكاليف التي يتوقف الهدایة به عليها ، مثل قراءته وتعليمه وتفسير معانيه وتوضيح مبانيه ، والالتزام على العمل باحكامه ونحو ذلك مما يحصل به الاهتمام .

وكيف كان فالمراد أن النبي عليه السلام لم يمض من الدنيا إلا بعد هداية الناس بالقرآن إلى معالم الإسلام .

روى في الكافي عن عبد العزيز بن مسلم عن الرضا عليه السلام أنه قال : إن الله لم يقبض نبيه عليه السلام حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء يبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كاماً فقال عزوجل : « ما فرق طنا في الكتاب من شيء » وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره نبلاً وشططاً : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديننا وأمر الإمامة من تمام الدين ولم يمض حتى يبين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركتهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم علينا إماماً وما ترك شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بيته ، فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فهو كافر .

وقد مر تمام تلك الرواية في شرح الفصل الخامس من المختار الثالث .
 (فعظّموا منه سبحانه ما عظم من نفسه) أي عظّموه عزوجل مثل تعظيمه لنفسه ، والمراد به وصفه بصفات الجلال والاعظام وأوصاف الكمال والاكرام التي نطق بها الكتاب ، وأفصحت عنها السنة النبوية .

وعلى عليه وسلم وجوب تعظيمه بقوله : (فانه لم يخف عنكم شيئاً من دينه) وعلة ذلك باعتبار أن الشرعيات مصالح المكلفين وإذا فعل الحكيم سبحانه بهم ما فيه

صلاحهم فقد أحسن إليهم ، ومن جملة الشرعيات ما هو مقرب إلى الثواب مبعد من العقاب ، وهذا أبلغ ما يكون من الاحسان والمحسن يجب تعظيمه وشكره بقدر الامكان لاسيما إذا كان إحسانه بالنعم العظام والعطايا الجسم .

(و) أكد عدم إخفائه شيئاً من دينه بأنه (لم يترك شيئاً رضيه) وأدى إلى ثوابه (أو كرهه) وقرب من عقابه (إلا) وعمره وبيته (وجعل له علمًا باديا) أي علامة ظاهرة (وآية محكمة) واضحة (تزجر) وتنهى (عنه) لكونه مكروها (أو) تامر و (تدعوه إليه) لكونه مرضيّا .

ولما ذكر أنَّ الله سبحانه قبض نبيه صلوات الله عليه وآله وسلامه بعد ما فرغ من بيان الأحكام وأنَّه لم يخف شيئاً من مراسيم الدين ومعالم الإسلام فرَّع عليه قوله : (فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما باقي واحد) يعني أنَّ مرضيَّة فيما باقي واحد وسخطه فيما باقي من الأحكام بين الأمة بعد مضي النبوي صلوات الله عليه وآله وسلامه واحد ، وكذلك مسخطه فيه واحد . وهذا هو مذهب أهل الصواب من المخطئة القائلين بأنَّ الله سبحانه في كل واقعة حكماً معيناً واحداً وأنَّ المصيب إليه من المجتمعين واحد وغيره خاطئ . خلافاً لأهل الخطأ من المصوبة القائلين بمتعدد الأحكام وكثيرتها واختلافها على اختلاف آراء المجتمعين ، وقد عرفت تفصيل الكلام في تحقيق التخطئة والتصويب في شرح المختار الثامن عشر المسوق في ذم اختلاف العلماء في الفتوى ، وهناك فوائد نفيسة نافعة لتوسيع المقام .

ولماذا كرَّ حكم الله سبحانه واحد بالنسبة إلى الأشخاص نبيه على اتحاده بالنسبة إلى الأزمان فقال (واعلموا أنَّه لن يرض عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم) يعني أنَّ ما كان محررًا على السالفين الحاضرين في زمان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فهو محرر على الغابرين العامين « الغائبين ظ » ، وما كان واجباً على الآتين فواجب على الآخرين ، لأنَّ شرع محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه مستمرٌ إلى يوم القيمة وحكمه على الواحد حكم على الجماعة ، فلا يجوز تغيير الأحكام الثابتة بالكتاب

والسنة بالآراء والمقاييس واستحسانات العقلية .

وهذا الكلام نظير ما تقدم منه ^{يختلاه} في الفصل الثاني من المختار المأة والخامس والسبعين من قوله : واعلموا عباد الله أنَّ المؤمن يستحبُ العام ما استحلَّ عاماً أَوْ لَـ وَيَحْرُمُ العام ما حرمَ عاماً أَوْ لَـ وإنَّ مَا أَحدَثَ النَّاسُ لَا يَحْلِّ لَكُمْ شَيْئاً مَا حرمَ عليكم ولنكنْ الحالاً ما أَحَلَّ اللَّهُ وَالحرام ما حرمَ اللَّهُ ، وقد مضى منافي شرح هذا الكلام ما يوجب زيادة البصيرة في المقام هذا .

وقد اضطرب أنظار الشارح البحرياني والمعتزلي في شرح هذه الفقرة والفقرة السابقة عليه وقصرت يدهما عن تناول المراد كما يظهر ذلك لمن راجع إلى شرحهما ثم إنَّه بيَّن اشتراك المخاطبين مع السابقين الأُولَـين في التكاليف والأحكام وأنَّه تعالى لا يرضي منهم إلَـ بما كان رضيه عنهم ولا يسخط عليهم إلَـ بما سخط به عن الأُولَـين أَكَدَ ذلك بقوله (وإنما تسيرون في اثربَـين وتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم) وهو جملة خبرية في معنى الأنشاء .

يعني إذا كان تكاليفكم متَّحداً مع السابقين فلا بدَّ لكم أن تسلِّمُوا منه جهم وتحذوا حذوهم وتسيروا في آثارهم البيينة الرشاد وتعلموا بما علموا من الأحكام الواضحة من الكتاب والسنة ، وأن تتكلموا بقول نافع قد قالوه قبلكم وتنطقوا بكلام يعود منفعته وفائدة إلينكم وإلى غيركم .

وهو كُلَّ كلام يفضي إلى الحق ويهدى إلى الصراط المستقيم والنهج القويم ، وتخصيصه بكلمة التوحيد أى لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ كما ذهب إليه الشارح المعتزلي لدليل عليه مع افتضاء الأصل عدمه فمحض المراد بالجملتين أمر المخاطبين بموقفة السلف الصالحين فعلاً وقولاً .

(قد كفَاكم مؤنة دنياكم) قال الشارح البحرياني : وتلك الكفاية إما بخلقها وإيجادها ، وإما برزقه بكل ما كتب في اللوح المحفوظ .

أقول : الظاهر هو الثاني وهو نظير قوله ^{يختلاه} المتقدم في الفصل الأول من المختار التسعين : عياله الخلق ضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم ، وقد تقدم في شرحه

فوائد نافعة هنا .

وأقول مضافا إلى ما سبق قال الإمام سيد العابدين وزين الساجدين عليه السلام دعائه التاسع والعشرين من الصحيفة الكاملة :

وأجعل ما صرحت به من عدتك في وحيك واتبعته من قسمك في كتابك فاطعا لاهتماما بالرزق الذي تكفلت به، وحسما للاشتغال بما ضمنت الكفاية له ، فقلت وقولك الحق الأصدق وأقسمت وقسمك الأبر الأوفي «وفي السماء رزقكم وما توعدون» ثم قلت: «فورب السماء والأرض إنّه لحق مثل ما أنسكم تنتظرون» .

قوله : «وفي السماء رزقكم» أي أسباب رزقكم بأن يرسل سبحانه الرحيم فتشير السحاب فيبسطه في السماء فينزل الغيث والمطر فيخرج به من الأرض أنواع الأقوات والملابس والمعايش .

وقيل: وفي السماء تقدير رزقكم أي ما قسمته لكم مكتوب في ألم الكتاب الذي هو في السماء .

وفي حديث أهل البيت عليهم السلام: أرزاق الخالق في السماء الرّبعة تنزل بقدر وتبسط بقدر .

وقال الصادق عليه السلام الرّزق المطر ينزل من السماء فيخرج به أقوات العالم وقوله : «وما توعدون» قال الصادق عليه السلام هو أخبار القيمة والرّجعة والأخبار التي في السماء ، وقيل : هو الجنة فوق السماء السابعة وتحت العرش ، ثم أقسم سبحانه بأنّ ما ذكره من أمر الرزق الموعود لحق مثل ما أنكم تنتظرون ، قال الزمخشري وهذا كقول الناس إنّ هذا الحق كما أنك ترى وتصنّع ومثل ما أنك هنا ، قيل إنّه لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلّك بنو آدم أبغضوا الرّب حتى أفسم لهم على أرزاقهم

و نقل في الكشاف عن الاصمعي قال أقبلت من جامع البصرة وطلع أعرابي على قعود فقال : من الرّجل ؟ قلت : منبني اصم ، قال : من أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرّحمن ، قال : اتل على ، فتلّوت : والذاريات ، فلما بلغت

قوله « وفي السّماء رزفكم وما توعدون » قال : حسبيك ، فقام إلى ناقته فنحرها ووضعها على من أقبل وأدبر ، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولّي . فلما حججت مع الرشيد طفت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق ، فإذا أنا بالأعرابي قد نحل وأصفر فسلام على واستقر السورة فلما بلغت الآية صاح وقال : قد وجدنا ماما وعد ربّنا حقاً ، ثم قال : وهل غير ذلك ؟ فقرأت « فورب السيماء والأرض أنت لحقٌ مثل ما أنكم تنتظرون » فصاح وقال : يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدق قوه بقوله حتى أجاوه إلى اليمين ، قال لها ثلاثة وخرجت معها نفسه .

(وحشكم على الشكر) لطفا بكم ورأفة لكم ورحمة عليكم ، لأن شكره سبحانه موجب لزيادة نعمته كما أن كفر انما موجب لنقصانها قال عز من قائل : « لمن شكرتم لا زيدتكم ولمن كفرتم إن عذابي لشديد » .

(وافتراض من ألسنتكم الذكر) أي أوجب عليكم أن تذكريه سبحانه بألسنتكم كما قال « فاذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » وقال « واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة دون الجهر من القول بالغدو والآصال » وقد مضى تفصيل الكلام في ذكره تعالى والأدلة الواردة في فضله والمحث والترغيب عليه في التنبية الثاني من شرح الفصل السادس من فصول المختار الثاني والثمانين .

(وأوصاكم بالتقوى) في قوله « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله » وغيرها من الآيات التي تقدمت في شرح المختار الرابع والعشرين .

(وجعلها منتهى رضاه) فأنسها لما كانت موصولة إلى الله سبحانه مؤدية إلى رضوانه موجبة لمحبته ورضاه صح بهذا الاعتبار جعلها منتهى رضاه من خلقه كما قال عز وجل « إن الله يحب المتقين » وقال « للذين اتقوا عند ربّهم جنات تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد » . (و) جعلها (حاجته من خلقه) استعار لفظ الحاجة لتأكد الطلب أى طلبه

المؤكّد فانه سبحانه لما بالغ في الحث والغض عليه او تكرر رمته تعالى طلبها والا أمر بها في غير واحدة من الآيات شبهها بالحاجة التي يفتقر إليها المحتاج ويبالغ في تحصيلها والوصول إليها والجامع المطلوبية المتأكدة .

ولما نسبه على كونها سبباً للوصول إلى رضوانه وغاية المطلوب من خلقه عقبه بالأمر بها فقال (فاقتوا الله الذي أنتم بعینه) أى بعلمه فاطلق العين . وأريد العلم مجازاً من باب تسمية المسبب باسم السبب ، أو اللازم باسم الملزوم إذ رؤية الشيء سبب للعلم به ومستلزم له .

وفي الآيات بالوصول تأكيد الغرض المسوق له الكلام ، فإنه لما أمر بالتقوى وكانت التقوى حسبما قاله الصادق عليه عبارة عن أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يرك حيث نهاك ، أتى بالجملة الموصولة الوصفية تنبئها على أن الله عالم بكم خبير بأحوالكم بصير بأعمالكم سماع لأقوالكم ، ومن كان هذا شأنه فلا بد أن يتبقى منه حق تقاته إذ لا يعزب عنه شيء من المعاصي ولا يخفى عليه شيء من الخطايا كما يخفى على سائر الموالي بالنسبة من عبادهم .

وأكده أخرى بقوله (ونواصيكم بيده) يعني أنه قاهر لكم قادر عليكم متمنكم من التصرف فيكم كيف شاء وأتى نحو أراد لاراد لحكمه ولا دافع لسخطه ونواصيكم بيده قدرته ، لا يفوته من طلب ولا ينجو منه من هرب .

وأكده ثالثة بقوله (وتقلبكم في قبضته) أى تصرّفكم في حزواتكم وسكناتكم تحت ملكه وقدرته واختياره .

وقوله (إن أسرتم علمه وإن أعلنتم كتبه) هو أيضاً في معنى التأكيد وإن غير الأسلوب على اقتضاء التفهّم ، يعني أنه عالم بالسرائر خبير بالضماءر سواء عليه ما ظهر عنكم وما بطن لا يحجب عنه شيء مما يسر وما يعلن كما قال عز من قائل : «سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار» هذا ويدل قوله : إن أعلنتم كتبه بمفهومه على أنه لا يكتب مالا يعلم وإن كان يعلمه ، فيفيد عدم المؤاخذة على نية المعصية بمجردها ، وقد منى تحقيق الكلام

فيه في شرح الفصل الخامس من المختار الثالث فليمذكر .

وبذلك ظهر ما في قول الشّارح المعتزلي حيث قال : إِنْ قَوْلَهُ عَلَيْكُمْ إِنْ أَسْرَرْتُمْ آهَ لَيْسَ يَدْلِيُ عَلَى أَنَّ الْكِتَابَةَ غَيْرُ الْعِلْمِ ، بَلْ هُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ وَالْكُفَّارُ مُخْلِفُ اِنْتَهِيَ فَتَدْبِرُ .

وعقب قوله : كتبه بقوله (قد و كل بكم حفظة كراماً) من باب الاحتراض فإنه لما كان بظاهره متوهّماً لكونه تعالى شأنه بنفسه كاتباً أتا بهذه الجملة دفعاً بذلك التوهّم ، وتنبيهها على أنَّ الموكِّل بذلك الملائكة الحافظون لأعمال العباد .

قال تعالى « وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ » وهم طائفتان ملائكة اليمين للحسنات وملائكة الشمال للسيئات قال عز وجل « إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لِدِيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » هذا .

وفي وصف الحفظة بالكرام (١) وتعظيمهم بالثناء تفخيم لما وَكَلُوا به وأنه عند الله تعالى من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام ، وفيه من التهويل من المعاصي ما لا يخفى .

ولهذه النكتة أيضاً وصفهم ثانياً بقوله (لا يسفطون حقاً ولا يثبتون باطل) أي لا يسقط من قلمهم ما هو ثابت له أو عليه ، ولا يكتبون مالاً أصل له ، ومن المعلوم أنَّ المكلف إذا التفت إلى ذلك وتنبهَ على شدة محفظة الحفظة عليه وعلى أنهم لا يتركون شيئاً مما هو له أو عليه كان ذلك أقوى داعياً له على الازعاج عن المعاصي والافلاع عن السيئات .

قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : استعبدُهم الله أَئِي الكرام الكاتبين بذلك ، وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد للازمتهم إِيَّاهُمْ أَشَدَّ عَلَى طاعة الله مواطبة و عن معصيته

(١) المستفاد من روایة علل الشرایع عن الصادق (ع) أنَّ الملائكة الحفظة غير الكرام البررة قال (ع) في حدیث المراجج إنما سميت سدرة المنتهى لأنَّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما يرفع إليهم من أعمال العباد

أشدّ انتقاضاً ، وكم من عبدهم بمعصيته فذكر مكانهم فارعوى ، وكيف فيقول ربى يراني وحفظتني على بذلك تشهد ، هذا .

ولما امر بالتقوى وأرده به بذكرا ما يحذر من ترکها عقبه بذكرا ما يرحب في الملازمة عليها فقال (واعلموا أنَّ من يتقَّ الله يجعل له مخرجا من الفتنة) الموجبة للشلال (ونوراً من الظلم) أى من ظلمات الجحالة ، وهو اقتباس من الآية الشريفة في سورة الطلاق قال سبحانه : « ومن يتقَّ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

روي في الصافي عن القمي عن الصادق عليه السلام قال : في دنياه ، ومن المجمع عن النبي عليه السلام أنه أقر أهلاً فقال : مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدايد يوم القيمة وعنده فَلَمَّا إِنِّي لَا عُلِمَ آيَةً لِوَأْخُذَ بِهَا النَّاسُ كَفْتُهُمْ « ومن يتقَّ الله » الآية ، فما زال يقولها ويعيدها .

(ويخلده فيما اشتهرت نفسه) وهو أيضاً اقتباس من الآية في سورة الإنجيل قال تعالى « وهم فيها اشتهرت أنفسهم خالدون لا يحزنون الفزع الأكبير وتنطلقهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » .

(وينزله منزل الكرامة عنده) أى في منزل أهله معززون مكرمون عنده سبحانه (في دار اصطنه لها لنفسه) أى اتخذها صنعته وخاصته واختصها بكرامته كما قال سبحانه لموسى بن عمران : « واصطنتك لنفسي » قيل : هو تمثيل لما أعطاه الله من التقريب والتكرير .

قال الشارح البحرياني : والدار التي اصطنه لها لنفسه كناية عن الجنة ونسبها إلى نفسه تعظيمًا لها وترغيبًا فيها ، وظاهر حسن تلك النسبة فإنَّ الجنة المحسوسة أشرف دار رتبة لأشرف المخلوقات ، وأما المعقولة فيعود إلى درجات الوصول والاستغراق في المعارف الإلهية التي بها السعادة والبهجة والمذلة التامة ، وهي جل مع الاعتبار العقلي لمنازل أولياء الله وخصائصه ومقامات ملائكته ورسله ، ومن المتعارف أنَّ الملك العظيم إذا صرف عن ذاته إلى بناء دار يسكنها هو وخصائصه أن يقال إنه تختص

بالمملك وانه بنها .

وقوله : (ظلّها عرشه) يدل على أنَّ الجنة فوق السموات وتحت العرش
واليه ذهب الاكثر .

قال الرّازي في تفسير قوله عزّ وجلّ : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والأرض » : وهبنا سؤالات « إلى أن قال »
السؤال الثالث أنتم تقولون إنَّ الجنة في السماء فكيف يكون عرضاً
لعرض السماء .

والجواب أنَّ المراد من قولنا أنها في السماء أنها فوق السموات وتحت
العرش قال في صفة الفردوس : سقفها عرش الرحمن ، وقال : وسئل أنس بن مالك
عن الجنة في الأرض أم في السماء ؟ قال : فأى أرض وسماء قسم الجنة ، قيل :
فأين هي ؟ قال فوق السموات السبع وتحت العرش .

وقال العالمة المجلسي (ره) في البحار بعد ذكر الآيات والأخبار في وصف
الجنة ونعيها :

اعلم أنَّ الإيمان بالجنة والنار على ما وردتا في الآيات والأخبار من غير تأويل
من ضروريات الدين ومنكرهما أو ماؤلهما بما أولت به الفلسفه خارج من الدين .
وأما كونهما مخلوقتان لأنَّ فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلا شرذمة من المعتزلة ،
فإنهم يقولون : سيخلقان يوم القيمة ، والآيات والأخبار المتواترة دافعة لقولهم من زيفه
لمذهبهم والظاهر أنه لم يذهب إلى هذا القول السخيف أحد من الإمامية إلا ما ينسب
إلى السيد الرّضي رضي الله عنه

وأمما كانهما فقد عرفت أنَّ الأخبار تدل على أنَّ الجنة فوق السموات السبع
والنار في الأرض السابعة ، ونقل عن شارح المقاصد أنه قال : لم يرد نقل صريح في
تعيين مكان الجنة والنار ، والأكثرون على أنَّ الجنة فوق السموات السبع وتحت
العرش تشبّثاً بقوله تعالى « عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » وقوله ﷺ :
سقف الجنة عرش الرحمن ، والنار تحت الأرضين السبع ، والحقّ تقويض ذلك إلى علم

العلماء الخبراء انتهى .

وذهب بعضهم إلى أنها في السماء الرابعة نسبة الطبرسي في مجمع البيان
إلى صحيح الخبر ، والله أعلم .

(نورها بهجته) قال الطريحي والبهجة الحسن ومنه جل ذو بهجة والبهجة السرور
ومنه الدّعاء : وبهجة لاتشبه بهجات الدّنيا ، أى هسنة لاتشبه مسرات الدّنيا ، وفيه :
سبحان ذي البهجة والجمال ، يعني الجليل تعالى انتهى .

أقول : فعلى المعنى الأول فالمراد أن نور الجنّة أى من رهاجم المسبحان
عظمته التي تضمهنّا ، فأهل الجنّة مستغرقة في شهود جماله ، و نقوسهم
مشرقه باشراق أنوار كماله كما قال عزّ من قائل « الله نور السموات والأرض »
أى منورهما ، فان كل شيء استئنار لهما واستئنافه بقدرته وجوده وفضله .

روى في البخاري من تفسير علی بن ابراهيم القمي عن أبيه عن ابن أبي نجران
عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَام قال : إنَّ اللَّهَ كرَّمَةٌ فِي عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ
يَوْمٍ جَمِيعَهُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجَمِيعِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنِ مَلِكًا مَعَهُ حَلَّةً فَيُمْتَهِنُ إِلَى بَابِ
الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : أَسْتَأْذِنُ نَوَالِي عَلَى فَلَانٍ ؛ فَيُقَالُ هَذَا رَسُولُ رَبِّكَ عَلَى الْبَابِ فَيَقُولُ
لَا زَوْجَهُ أَيْ شَيْءٍ تَرِينُ عَلَى أَحْسَنِ ، فَيُقْلِنُ يَا سَيِّدَنَا وَالَّذِي أَبَاحَكَ الْجَنَّةَ مَا رَأَيْنَا
عَلَيْكَ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ هَذَا بَعْثَ إِلَيْكَ رَبِّكَ فَيُتَزَّرُ بِواحِدَةٍ وَيَعْطَفُ بِالْأُخْرَى فَلَا
يَمْرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَضَاءَ لَهُ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى الْمَوْعِدِ فَإِذَا اجْتَمَعُوا تَجْلِي لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارِكَ
وَتَعَالَى فَإِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِ خَرَّ وَسَجَّدَ ، فَيَقُولُ عِبَادِي ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لَيْسَ هَذَا يَوْمُ
سُجُودٍ وَلَا يَوْمٌ عِبَادَةٌ قَدْ رَفَعْتُ عَنْكُمُ الْمُؤْنَةَ ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّ وَأَيْ شَيْءٍ أَفْضَلُ مَمَّا
أُعْطَيْنَا ، أُعْطِيْنَا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ لَكُمْ مِثْلُ مَا فِي أَيْدِيْكُمْ سَبْعِينَ ضَعْفَةً ، فَيَرْجِعُ الْمُؤْمِنُ
فِي كُلِّ جَمِيعِ سَبْعِينِ ضَعْفَةٍ مِثْلَ مَا فِي يَدِيهِ وَهُوَ قَوْلُهُ « وَلَدِينَا هَرَيْدَ » وَهُوَ يَوْمُ الْجَمِيعِ
إِنَّ لِيْلَهَا لِيْلَةَ غَرَّاءً وَيَوْمَهَا يَوْمُ أَذْهَرٍ فَأَكْثَرُوهَا فِيهَا مِنَ التَّسْبِيحِ وَالْتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ
وَالشَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ وَالصَّلَاةَ عَلَى مَحْمُودٍ آلهَ .

قال فيمر المؤمن فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتمي إلى أزواجه ، فيقلن والذي أباخنا الجنة ياسيد نمارأيماك قط أحسن منك الساعة فيقول: إني قد نظرت بنور ربى الحديث .

قال العلامة المجلسي (ره) قوله - تجلّى لهم الرّب - أى بأنوار جلاله وآثار رحمته وأفضاله - فإذا نظروا إليه - أى إلى ماظهر لهم من ذلك وعلى المعنى الثاني فالمراد أنّ نور الجنة وأهلها ابتهاج الله سبحانه بها وبهم أما وصفه سبحانه بالابتهاج والبهجة فلما قال الحكماء والمتكلمون المثبتون له تعالى اللذة العقلية من أنّ أَجَلَ مبت Hwy هو المبدء الأوّل بذاته لأنّ الابتهاج واللذة عبارة عن إدراك الكمال فمن أدرك كمالاً في ذاته ابتهج به والتذكرة كماله تعالى أَجَلَ الكمالات و إدراكه أقوى الادراكات فوجب أن يكون لذاته أقوى اللذات .

قال صدر المتألهين : أَجَلَ مبت Hwy بذاته هو الحق الأوّل ، لأنّه أشدّ إدراكاً لاعظم مدرك له الشرف الأكمل والنور الأنور والجلال الأرفع ، وهو الخير الممحض وبعده في الخيرية والوجود والأدراك هو الجوهر العقلية والأدوات النورية والملائكة القدسية المبت Hwyون به تعالى ، وبعد مرتبتهم مرتبة النفوس البشرية والسعادة من أصحاب اليمين على مراتب ايمانهم بالله .

وأما المقربون من النفوس البشرية وهم أصحاب المعارج الروحانية فحالهم في الآخرة كحال الملائكة المقرب بين في العشق والابتهاج به تعالى .

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ ابتهاج الله بمخلوقاته راجع إلى ابتهاجه بذاته ، لأنّه لما ثبت أنه أشدّ مبت Hwy بذاته لمalle من الشرف والكمال كان ذاته أحبّ الأشياء إليه ، وكلّ من أحب شيئاً أحبّ جميع أفعاله وآثاره لأجل ذلك المحبوب ، وكلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ إليه وابتهاجه به أكمل .

فتثبت بذلك أنّ الله سبحانه مبت Hwy بالجنة وأهلها لأنّها دار كرامته ورحمته وأقرب المجعلات إليه ، وكذلك أهلها لأنّهم مقربون حضرته ومحبوبون إليه ومكرّمون لديه كما أنّهم مبت Hwyون به سبحانه ومحبوبون إليه .

وأما أَنْ بِهِ جَهَنَّمْ تَعَالَى نُورُهَا أَلَّا هُلُّهَا فَلَكُون مَحْبَبَتِهِ وَابْتِهَاجَهُ سَبَبًا لِاستِنَارَةِ نُفُوسِهِمْ بِمَا يَغْضَبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْوَارِ الْمُلْكُوتِيَّةِ الَّتِي تَغْشَى أَبْصَارَ الْبَصَارِ وَيَسْتَغْرِقُ فِي الْابْتِهَاجِ بِهَا الْأُولَاءِ الْمُقرَّبُونَ، وَعَلَى ذَلِكَ فَتِيسِمَيَّةُ الْبَهْجَةِ بِالنُورِ مِنْ بَابِ تِسْمَيَةِ السَبِبِ بِاسْمِ الْمُسْبِبِ، هَذَا .

وَانَّمَا خَصَّ بِهِ جَهَنَّمَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا حَسِبَتْ مَعْرُوفًا مَلَازِمَةً لِلْمَحْبَبَةِ، وَمَحْبَبَتِهِ تَعَالَى لِهِمْ وَرِضْوَانُهُمْ أَعْظَمُ الْخَيْرَاتِ وَأَفْضَلُ الْكَمَالَاتِ .

روي في البخار عن العياشي عن ثوير عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : إذا صار أهل الجنة في الجنة ودخل ولی الله إلى جنانه ومساكنه ، واتکي كل مؤمن منهم أزيكته حفته خدامه وتهدمت عليه الشمار وتفجرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزرابي ، وصفقت له النمارق وأنته الخدام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك قال : ويخرج عليهم الحور العين من الجنان فيما يكتشون بذلك ماشاء الله ، ثم إن الجبار يشرف عليهم فيقول لهم : أولئك وأهل طاعتي وسكن جنتي في جواري الأهل انبئكم بخير مما أنتم فيه ؟ فيقولون : ربنا وأى شيء خير مما نحن فيه ؟ نحن فيما اشتهرت أنفسنا ولذت أعيننا من النعم في جوار الكريم ، قال : فيعود عليهم بالقول ، فيقولون : ربنا نعم ، فأتنا بخير مما نحن فيه ، فيقول لهم تبارك وتعالى : رضى عنكم ومحبتي لكم خير وأعظم مما أنتم فيه ، فيقولون : نعم يا ربنا رضاك عننا ومحبتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا ، ثم قرأ علي بن الحسين عليهما هذه الآية « وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدَنَ وَرِضْوَانَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ». (وزو ارهاما لائكته) يعني أن الملائكة يزورون ساكنيها تعظيمًا لهم وتشريفًا وتكريراً حسبما عرفت الاشارة إليه في الرواية التي رويناها من روضة الكافي في شرح الفصل التاسع من المختار الأول .

(ورقاؤها رسلاه) كما قال عز من قائل « ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً »

رغب الله تعالى وكذا أمير المؤمنين أهل الطاعة والتقوى بهذا الوعد وما أحسن من وعد وهو كونهم رفيق النبيين الذينهم في أعلى عليةين والصديقين الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم ، والشهداء المقتول أنفسهم وأبدانهم بالجهاد إلا كبر والأصغر والصالحين الذين صلحت حالهم واستقامت طريقتهم .

روى في الصافي عن الكافري عن الصادق عليهما السلام : المؤمن مؤمن : مؤمن وفي الله بشرطه التي اشترطها عليه فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وذلك ممتن يشفع ولا يشفع له ، وذلك ممتن لا يصيبه أهواك الدنيا وأهواك الآخرة ، ومؤمن زلت به قدم فذلك كخاتمة الزرع كيما كفته الربيع انكفى ، وذلك ممتن يصيبه أهواك الدنيا وأهواك الآخرة ويشفع له وهو على خير . وفيه من الكافي و العياشي عن الصادق عليهما السلام لقد ذكر كم الله في كتابه فقال : « أولئك مع الذين أنعم الله الآية ، رسول الله عليهما السلام في الآية النبوون و نحن في هذا الموضع الصديقون والشهداء وأئتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله ، هذا .

ولجزء الله هذا الوعد أعني مرافقة النبيين عقب الله تعالى قوله « وحسن أولئك رفيقا » بقوله « ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » وقد مضى بعض الكلام في وصف الجنة ونعيمها في شرح الفصل الثالث من المختار الثامن والمائة ، رزقنا الله نيلها بمنته وجوده .

ثم إنه عليهما السلام لما أمر بالتقوى ونبه على فضلها وعظم ما يتربّ عليها من الثمرات الدنيوية والأخروية رتب عليه قوله (فبادروا المعاد وسابقو الأجال) أي سارعوا إلى المعاد بالمغفرة والتقوى لأنّها خير الزاد واستبقوا إلى الأجال بالخيرات وصالح الأعمال .

والمراد بالمعاد هو العود إلى الفطرة الأولى بعد الانتقال منها والنزول إلى الدنيا فالإشارة إلى الابتداء بقوله تعالى « فطرة الله التي فطر الناس عليها » وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » والإشارة إلى الانتهاء « كل شيء هالك إلا وجهه »

« وكلّ من عليهما فان ويفقى وجه ربّك ذي الجلال والاكرام » فالبدو والرّجوع
 متقابلان قال تعالى « كما بدهنا أولاً خلق نعيده » فالعدم البخاش الأول للإنسان
 هو الجنة التي كان فيها أبوانا آدم عليهما السلام وأمّنا حواء ، والوجود بعد العدم هو الهايوط
 منها إلى الدنيا « اهبطوا منها جميعاً » والعدم الثاني من هذا الوجود هو الفناء في
 التّوحيد ، والأول هو النزول والهايوط ، والثاني هو العروج والصعود ، والبداية
 المنزول عن الكمال إلى النقص ، والنهاية المعاد من النقصان إلى الكمال واليه الاشارة
 بقوله « ارجعني إلى ربّك راضية مرضية فادخلني في عبادي وادخلني جنتي » هذا .
 ولما أمر عليهما بالمبادرة إلى المعاد والمسابقة إلى الآجال علّمه بقوله (فان
 الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ويرهقهم الأجل) يعني أنه تقريب انتهاء طاع آمالهم
 الخادعة ومفاجاة آجالهم المستوره (و) أن (يسد عنهم باب) الانابة و (التوبة)
 ومن كان هذا شأنه فلابد أن يتّقى ربّه وينصح نفسه ويقدم توبته ويغلب شهوته
 ويستغفر من خططيته ويستغفّل من معصيته ، فانّ أجله مستور عنده وأمله خادع له ،
 والشيطان هو كُلّ به يزين له المضدية لير كيدها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى يهجم
 منيته عليه أغفل ما يكون عليها .

(فقد أصبحتم في مثل ما سأّل إليه الرّجعة من كان قبلكم) أي أصبحتم
 في حال الحياة والصحة وسلامة المشاعر والقوى والبنية وسائر الأسباب التي يعتمد
 من كان قبلكم الرّجعة إليها لتدارك ما فات واصلاح الزلات والهفوات ، وقال : رب
 ارجعون لعلى أعمل صالح فيما تركت ، ولكنكم قد حيل بينهم وبين ما يشتهرون وقيل
 كلاما إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون .

فالآن والختان مهملا ، والروح مرسل ، في راحة الأجساد ، وباحة الاحتشاد
 وانتظار التوبة ، وانفساح الحوبة ، لابد من اغتنام الفرصة والانابة من الخطيئة قبل
 الضنك والضيق ، والروع والرهوّق ، وقبل أن يروع من الرّجعة ويعظم الحسرة

(وأنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم) شبههم بأبناء السبيل تنبئها على أن كونهم في هذه الدار بالعرض وأن وطنهم الأصلي هو الدار الآخرة وأنهم مسافرون إليها .

(و) قوله (قد أودنتم منها بالارتحال وأمرتم فيها بالزاد) قد تقدم في شرح المختار الثالث والستين وغيره توضيح معنى الفقرة الأولى ، ومترجم موأة أن المراد بالزاد الذي أمروا بأخذها هو التقوى قال عز وجل « وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى » والغرض من هاتين الفقرتين وسابقتهما التنفير عن الدنيا والترغيب إلى الأخرى وتنبيه المخاطبين من نوم الغفلة والجهالة وإرشادهم إلى الاستعداد وتهيئة النزول لسلوك الآخراة .

وبيان ذلك بلسان الرمز والاشارة أن الله تعالى عالمين : عالم الدنيا وعالم الآخرة ونشأتين : الغيب والشهادة والملك الملوك ، وأن الناس في ميده تكونهم مخلوقون من مواد العالم الأسفل ولهم الارقاء بحسب الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها إلى جوار الله سبحانه قاله سبحانه برحمته وعنايته ، خلق الأنبياء وبعثهم ليكونوا هداة الخلق إلى معادهم وقادتهم في السفر إليه وسابقوهم إلى منازلهم ، كرؤساء القوافل وأنزل الكتب ليعلّمهم ويبين لهم كيفية السفر والارتحال وأخذ الزاد والراحلة وتعريف الآحوال عند الوصول إلى منازلهم في الآخرة .

والخلق ماداموا في الدنيا ولم يصلوا إلى أوطانهم الأصلية ، فهم في الظلمات على حالات متفاوتة مختلفة ، فمنهم نائمون ، الناس نيام إذا ما توا انتبهوا ، الدنيا منام والعيش فيها كالاحلام ، ومنهم متوفى لقوله تعالى « أموات غير أحياء » .

فمن مات عن هذه الحياة المجازية الموسومة باللَّعب واللَّهو كما قال تعالى « إنما الحياة الدنيا اللَّعب واللَّهو » فقد انتبه عن نوم الغفلة وحى بالحياة الآبدية .

فإنّ الموت على ضر بين أحدهما الإرادي المشار إليه بقوله تعالى : موتا قبل أن تموتوا ، والآخر الطبيعي وإليه الاشارة بقوله تعالى : « أيّماتكُنوا يدرّكم الموت » .

فكل من مات بالموت الارادى أى قلع قلبه عن العلايق والامنيات ونهى نفسه عن الهوى والشهوات فقد حى بالحياة السريرية الطبيعية .

قال أفالاطن : مت بالارادة تحيى بالطبيعة ، وكلّ من مات بالموت الطبيعي فقد هلك هلاكاً أبداً عقلاً وضلّ ضلالاً بعيداً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، هذا .

ولما أمر **الملائكة** بالتقوى وبشر بما رتب عليها من الثواب وحسن المآب أردف ذلك بالانذار والوعيد من أليم السخط والعذاب فقال (واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار) التي قعرها بعيد ، وحرّها شديد ، وشرابها صديد ، وعذابها جديد ، ومقامعها حديده ، لا ينفك عذابها ، ولا يموت ساكنها ، كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها يذوقون العذاب إنَّ الله كان عزيزًا حكيمًا .

روى في البخار من تفسير علي بن ابراهيم عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : قلت له : يا بن رسول الله خلّه خوفي فان قلبي قد قسى ، فقال : يا باباً محمد استعد للحياة الطويلة ، فان جبرئيل جاء إلى رسول الله عليهما السلام وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متباشم ، فقال رسول الله عليهما السلام : يا جبرئيل حشنتي اليوم قاطباً فقال : يا محمد قد وضعت منافع النار ، فقال عليهما السلام : وما منافع النار يا جبرئيل ؟ فقال : يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنوار فنفع عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم نفع عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم نفع عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة لو أن قطرة من الضريح قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتفها ، ولو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها ، ولو أن سريراً من سرابيل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه .

قال **عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ** فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبرئيل ، فبعث الله إلية ملكاً فقال لهما: ربكم يقرئكم السلام ويقول قد امنتكمما أن تذنبنا ذنبنا أعدكم علىه فقال أبو عبد الله **البيهقي** : فما رأى رسول الله ﷺ جبرئيل متسبحاً بعد ذلك .

ثم قال : إن أهل النار يعظمون النار ، وإن أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم وإن جهنم إذا دخلوها هروا فيها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا عالها قمعوا بمقامع الحديد ، فهذه حالتهم وهو قول الله عز وجل « كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم ، قال أبو عبد الله عليه السلام حسبك ؟ قلت : حسبي حسبي .

(فارحموا نفوسكم) إلى مصير هذه النار التي علمت وصفها وعرفت حال أهلها (فانكم قد جرّبتموها في مصائب الدنيا) ولم تصرروا على أهون مصائبها وأحرق آلامها (أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه والعترة تدميه والرضا) أي الأرض الشديدة الحرارة (تحرقه فكيف) حاله وتحمله (إذا كان بين طابقين من نار) يغشיהם العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (ضجيع حجر) أشير إليه في قوله : « وقودها الناس والحجارة » قال ابن عباس وابن مسعود : إنها حجارة الكبريت لأنها أحر شيء إذا احمررت وقيل إنهم يعبدون بالحجارة المحمية بالنار .

(وقرين شيطان) وهو المشار إليه في قوله سبحانه « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقىض له شيطانا فهو له قرين ، وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد » قال ابن عباس وغيره : أي شيطانه الذي أغواه وإنما سمى قرينه لأنه يقرن به في العذاب .

وفي البخار من تفسير علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليهما السلام في قوله تعالى « وإذا النفوس زوجت » قال عليهما السلام أما أهل الجنة فزوجوا الخيرات الحسان وأما أهل النار فمع كل إنسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشياطين فهم قرنة لهم .

(أعلمتم أن مالكا) وهو اسم مقدم خزنة النار والملائكة الموكلين لا مرها قال تعالى « عليهما مائة غلاظ شداد » روى عن رسول الله عليهما السلام أنه قال : والذي نفسي

يده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بـألف عام فهم كل يوم يزدادون قوّة إلى قوّتهم .

وفي البحار من تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام في خبر المراجع قال : قال النبي عليه السلام : فصعد جبرئيل وصعدت حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا وهو ضاحك مستبشر حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقا منه كريمه المنظر ظاهر الغضب فقال لي مثل ما قالوا من الدعا إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه الاستئثار ما رأيت من من ضحك من الملائكة فقلت : من هذا يا جبرئيل ؟ فأنى قد فزعتن منه ، فقال : يجوز أن تفزع منه فكلنا نفزع منه إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاد الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعده لضحك إليك ، ولكنك لا يضحك فسلمت عليه فرد السلام على وبشرني بالجنة .

فقلت لجبرئيل وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله « مطاع ثم أمين » : إلا تأمره أن يريني النار ؟ فقال له جبرئيل : يا مالك أر محمدأ بن عبد الله النار ، فكشف منه أغطائه وفتح باباً منها فخرج منها هب ساطع في السماء وفارت وارتقت حتى ظفت ليقناولني مهارة يت ، فقلت : يا جبرئيل قل له : فليرد عليه أغطائه ، فأمرها فقال لها : أرجعى فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه ، الحديث ، فقد علم به زيادة قوته وشدة غيظه وغضبه .

(إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه) أى أكله أو كسره ومنه الحطمة اسم من أسماء جهنم قال تعالى « لينبذن في الحطمة » أى ليطرحن فيها قال مقاتل وهي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ولتفخيم أمرها قال تعالى « وما أدريك ما الحطمة نار الله الموقدة » المؤججة أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنها ليست كثيرة ان الدنيا .

(وإذا زجرها توبيت بين أبوابها جزعاً من زجرته) ولما حذر من أهواه الجحيم وأفزعهم بذكر وصف مالك خازنها حذرهم بأسلوب آخر وأيّهم بقوله : (أيّها اليقين) أي الشّيخ (الكبير الذي قد لاهه) أي خالقه (القtier) والمشيب ، وتخسيصه بالخطاب من بين سائر المخاطبين لكونه أولى بالحذر والاقلاع عن المعصية والخطاء لشرف عمره على الزوال والانقضاء وقرب تورّطه في ورطات الأخرى .

(كيف أنت) استفهم على سبيل التقرير تجريعاً على المعصية (إذا التحتمت) أي التصقت وانضمت (أطواق النار بعظام الأعناق) كما قال تعالى «فسوف يعلمون إذا الإغلال في أعناقهم والسلالس يسحبون في العجيم ثم في النار يسجرون ». (ونسبت الجواب) أي علقت الأغلال الجامدة بين الأيدي والأعناق (حتى أكلت لحوم السّواعد) قال تعالى في سورة الرحمن «يعرف المجرمون بسمائهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام » قال الطبرسي أي تأخذهم الزّبانية فيجتمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغلّ ، وفي سورة الفرقان « وإذا القوا منها مكاناً ضيقاً مقرّبين دعوا هنالك ثبوراً لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً » قال الطبرسي مقرّبين أي مصطفدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال .

(فالله الله) أي اتقوه سبحانه يا (معشر العباد وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم) أي في زمان صحتكم قبل أن ينزل بكم السّقم (وفي الفسحة قبل الضيق) إى في سعة الأعمار قبل أن تبدل بالضيق (فاسعوا في فناك رقابكم) من النار بالتوبية والتقوى (من قبل أن تغلق رهائهما) أصل غلق الرّهن عبارة عن بقاءه في يد المرتهن لا يقدر راهنه على انتزاعه .

قال ابن الأثير وكان من فعل الجاهليّة أنّ الراهن إذا لم يؤدّ ما عليه في الوقت المعين ملك المرتهن الرّهن فأبطله الإسلام .

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ ذمم المكلفين لكونها مشغولة بالتكليف الشرعيّة المطلوبة منهم فكأنّ راهم عليها ، وكما أنّ انتزاع الرّهن من يد المرتهن والتمكن من التصرف فيه موقوف على أداء الدين ، فكذلك تخلص الرّقاب موقوف على

الخروج من عهدة التكاليف ، فمن أجل ذلك أمر عليه السلام بالسعي في فكها واستخلاصها وعلى ذلك فالاضافة في رهانها من قبيل إضافة المشبه به إلى المشبه وذكر الغلق ترشيح للتشبيه .

ولما أمر بالسعي في الفك إجمالاً أشار إلى ما به يحصل الفك تفصيلاً ولكم بالاتصال بين الجملتين ترك العاطف فقال:

(أشهروا عيونكم) أى بالتهجد وصلاة الليل وساير النوافل وقد تقدم بعض الأخبار في فصلها في شرح الفصل السادس من المختار الثاني والثمانين .
وأقول هنا مضافاً إلى ما سبق : روى الصدوق في ثواب الأعمال عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : شرف المؤمن صلاة الليل وعز المؤمن كفه عن الناس .

وفيه عن معاوية بن عمارة عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : عليكم بصلاح الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطردة الداء عن أجسادكم .
وبهذا الاستناد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام صلاة الليل تبيض الوجه وصلاح الليل تطيب الريح ، وصلاح الليل تجلب الرزق .

وفيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن علي عليه السلام قال : قيام الليل مصححة للمبدن ، ورضاء الرب ، وتمسك بأخلاق النبيين ، وتعرض لرحمته تعالى .

وعن إبراهيم بن عمرو رفعه إلى أبي عبد الله في قول الله عز وجل «إن الحسنات يذهبن السينيات» قال : صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار .

وفيه عن أبيه قال : حدثني سعد بن عبد الله عن سلمة بن الخطاب عن محمد بن الليث عن جعفر بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام أن رجلاً سأله أمير المؤمنين عليه السلام عن قيام الليل بالقرآن ، فقال له عليه السلام أبشر :

من صلى من الليل عشر ليالٍ لله مخلصاً يتغاء ثواب الله يقول الله عز وجل لملائكته أكتبوا العبدى هذا من الحسنات عدد ما انبت من النباتات في النيل «الليل خ» من حبة

وورقة وشجرة وعدد كل قصبة وخوطه (١) ومرعى .
ومن صلّى تسع ليله أعطاء الله عشر دعوات مستجابات وأعطيه كتابه بيمينه
يوم القيمة .

ومن صلّى ثمن ليله أعطاء الله عزّ وجّلّ أجر شهيد صابر صادق النّية وشفع
في أهل بيته .

ومن صلّى سبع ليله خرج من قبره يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى
يمر على الصراط مع الآمنين .

ومن صلّى سدس ليله كتب مع الأَوَابِين وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر .
ومن صلّى خمس ليله زاحم إبراهيم خليل الله في قبرته .
ومن صلّى ربع ليله كان أول الفاييزين حتى يمر على الصراط كالريح العاصف
ويدخل الجنة بغير حساب .

ومن صلّى ثلث ليله لم يلق ملكاً لم يبق ملك خـ إلا غبطه بمنزلته من الله عزّ وجّلّ
وقيل له ادخل من أيّ أبواب الجنة الثمانية شئت .

ومن صلّى نصف ليله فلواعطى ملاه الأرض ذهباً سبعين ألف مرّة لم يعدل
أجره ، وكان له بذلك أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل .
ومن صلّى ثلثي ليله كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل
أحد عشر مرّات .

ومن صلّى ليلة تامة تاليأ لكتاب الله عزّ وجّلّ ذكره راكعاً وساجداً وذاكراً
اعطى من الثواب أدناها أن يخرج من الذنوب كما ولدته أمّه ويكتب له عدد ما
خلق الله من الحسنات ومثلها درجات ، ويبث النور في قبره وينزع الائم والحسد
من قلبه ، ويجار من عذاب القبر ويعطى براءة من النار ويبعث من الآمنين ويقول
الرب تبارك وتعالى لملائكته : ملائكتي انظروا إلى عبدي أحبي ليله ابتغاء مرضاتي
أسكنوه الفردوس وله فيها مأة ألف مدينة في كل مدينة جميع ما يشتهي الأنس

(١) الخوط بالضمّ الفصن الناعم أو كل قصب (من) .

وتلذّل الأَعْيُن وما لا يخطر على بال سوى ما أَعْدَت له من الْكِرَامَة والمُزِيدُ والقربة .
 (وأَصْمِرُوا بِطُونَكُم) أَيِّ بالصِّيَامِ والجُوعِ وَقَدْ هُنَى الْأَخْبَارُ فِي فَضْلِ الصُّومِ
 فِي شَرْحِ المختارِ المأةِ والتاسعِ (وَاسْتَعْمَلُوا أَقْدَامَكُمْ) أَيِّ فِي الْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ
 أَوْ مُطْلِقِ الْقُرُبَاتِ كَاسْتَعْمَالِهَا فِي تَشْيِيعِ الْجَنَائِزِ وَالسَّعْيِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَالْمَشْيِ إِلَى
 الْمَشَاهِدِ الْمَشْرُفَةِ وَنَحْوِهَا .

روى في ثواب الأَعْمَالِ بِاسْنَادِهِ عَنِ الْأَصْبَحِ بْنِ نَبَاتَةِ قَالَ : قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 تَلَاقَكُمْ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيَهُمْ أَنْ يَعْذِّبَ أَهْلَ الْأَرْضِ جَمِيعاً حَتَّى لَا يَتَحَشَّى مِنْهُمْ
 أَحَدٌ إِذَا عَمِلُوا بِالْعَاصِي وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الشَّيْبِ نَاقِلِي أَقْدَامِهِمْ
 إِلَى الصَّلَاةِ وَالْوَلَدَانِ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ رَحْمَهُمْ فَأَخْرَذَ لَكُمْ عَنْهُمْ .

(وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَكُمْ) أَيِّ فِي الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ وَصَنَاعَيِ الْمَعْرُوفِ ، وَقَدْ عَرَفَتْ
 فَضْلُّ هَذِهِ كَلِمَّهَا فِي شَرْحِ المختارِ المأةِ والتاسعِ أَيْضاً (وَخَدُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجَوَدُوا
 بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) وَهُوَ كَنْيَةٌ عَنِ إِتَّعَابِ الْأَبْدَانِ إِذَا نَبَتَهَا بِالْعِبَادَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ
 وَسُلُوكِ مَسَالِكِ الْخَيْرَاتِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَخْذَ مِنَ الْأَجْسَادِ بِهَذِهِ الْقُرُبَاتِ جَوْدَهَا عَلَى
 النُّفُوسِ دُلْذِلْكَ قَالَ : جَوْدُوا بِهَا عَلَيْهَا (وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا) ثُمَّ اشْتَهِدَ عَلَى هَارَامِهِ
 بِكَلَامِ الْحَقِّ سَبِيحَانَهُ وَقَالَ :

(فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سَبِيحَانَهُ) فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ تَلَاقَكُمْ (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيَثْبِتُ
 أَقْدَامَكُمْ) قَالَ فِي مَجْمِعِ الْبَيَانِ أَيِّ إِنْ تَنْصُرُوا دِينَ اللَّهِ وَنَبِيِّ اللَّهِ بِالْقَتَالِ وَالْجَهَادِ
 يَنْصُرُكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ وَيَثْبِتُ أَقْدَامَكُمْ إِذَا يَشْجُعُكُمْ وَيَقُولُ لَكُمْ لَتَمْبَقُوا ، وَقَيْلَ :
 يَنْصُرُكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَيَثْبِتُ أَقْدَامَكُمْ عِنْدِ الْحِسَابِ وَعَلَى الْصَّرَاطِ ، وَقَيْلَ : يَنْصُرُكُمْ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَثْبِتُ أَقْدَامَكُمْ فِي الدَّارِينِ وَهُوَ الْوَجْهُ .

قَالَ فَتَادِهِ : حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَنْصُرَ مَنْ نَصَرَهُ لِقَوْلِهِ : إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ
 وَأَنْ يَزِيدَ مَنْ شَكَرَهُ لِقَوْلِهِ : لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأُزِيدَنَّكُمْ ، وَأَنْ يَذَكِّرَ مَنْ ذَكَرَهُ لِقَوْلِهِ
 فَإِذَا كَرُونِي أَذْكُرْ كُمْ .

(ج)

في الحث على العمل

(٤٠٥)

(وقال) في سورة الحديد (من ذا الّذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاunge له وله أجر كريم) ونحوه في سورة البقرة إلاّ أنّ فيها بدل قوله : وله أجر كريم : أضعافاً كثيرة .

قال في مجمع البيان : ثمّ حث الله سبحانه على الإنفاق فقال « من ذا الذي يقرض الله » أي ينفق في سبيل الله وطاعته ، والمراد بالأمر « قرضاً حسناً » والقرض الحسن أن ينفق من حلال ولا يفسد به من « ولا أذى » ، وقيل : هوأن يكون محتمباً طيباً به نفسه ، وقيل : هوأن يكون حسن الموقع عند الإنفاق فلا يكون خسيساً ، والأولى أن يكون جاماً عالله هذه الأمور كلّها فلا تنافي بينها « فيضاunge له » أي يضاعف له الجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة « وله أجر كريم » أي جزاً خالص لا يشوبه صفة نقص ، فالكريم الذي من شأنه أن يعطى الخير الكثير فلما كان ذلك الأجر يعطى النفع العظيم وصف بالكريم والأجر الكريم هو الجنة .

ولما كان ظاهر النصرة موهمًا لكونها من الذلة ، وظاهر القرض موهمًا الكونه من القلة أردف ذلك من باب الاحتراض بقوله (فلم يستنصركم من ذلّ ولم يستقرضكم من قلّ) أي ليس استنصره واستقرضه من أجل الذلة والقلة حسبما زعمته اليهود وقالوا : إنما يستقرض منّا ربّنا عن عوز فانما هو فقير ونحن أغنياء فأنزل الله سبحانه « لقد سمع الله قول الذين قالوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءٌ » بل سمعت نصرة دينه ونبيه نصرة له وإنفاق في سبيله قرضاً تلطّفاً للدعاء إلى فعلهما وتأكيدها للجزاء عليهما ، فان النصر يوجب المكافأة والقرض يوجب العوض .

وإليه أشار بقوله (استنصركم ولهم جنود السّموات والأرض وهو العزيز الحكيم) يعني أنه عزيز في سلطانه أي قادر قادر لا يتمكّن أحد أن يمنعه من عذاب من يريده عذابه ، ذو قدرة على الانتقام من أعدائه ، وانه حكيم في أفعاله واضح كلامه في مقام صالح له ولائق به .

(واستقرضكم ولهم خزائن السّموات والأرض وهو الغني الحميد) يعني غنيٌ بمقتضيه عن غيره غير مفتقر إلى شيء من مخلوقاته ومحمود في أفعاله وصناعاته وأحكامه .

وأوامره .

(وإنما أراد) باستقراره واستئصاله (أن يبلوكم أيسكم أحسن عملا) وقد مر في شرح المختار الثاني والستين معنى بلاء الله سبحانه أى ابتلائه واختباره .
 (فبادروا بأعمالكم) إلى آجالكم (تكونوا مع جيران الله في داره) والمراد بهم أولياؤه المتقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، واستعمار لفظ الجيران لهم باعتبار شمول الألطاف والعنایات الخاصة الإلهية لهم كما أن العجار ينال الكرامة من جاره والاضافة فيه وفي تاليه للتشريف والتكرير .

(رافق بهم رسلمه وأزارهم ملائكته) حسبما عرفت ذلك في شرح هذه الخطبة وغيرها (وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبدا) كما قال عز من قائل « إن الذين سبقت لهم منا الحسنة أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهرت أنفسهم خالدون » .

قال الطبرسي أى يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذي يحس .

روى في الصافي من المحاسن عن النبي عليه السلام إنه قال لعلي عليه السلام يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقوون من أحبابكم وتمعنون من كرههم وأنتم الآمنون يوم الفزع الاكبر في ظل العرش يوم يفزع الناس ولا تقزعون ، ويحزن الناس ولا تحزنون ، وفيكم نزلت هذه الآية « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُوكُمْ مِّنْ أَهْلِ الْحَسَنَىٰ مِمَّا رَأَيْتُمْ وَمَا لَمْ تَرَ

قال : إن الله يبعث شيعتنا يوم القيمة على ما فيه من الذنب أو غيره مبيضة وجوههم مستوردة عوراتهم آمنة روعتهم قد سهلت لهم الموارد وذهبت عنهم الشدائدين ، يربكون نوقا من ياقوت فلا يزالون يدورون خلال الجنة عليهم شرك من نور يتلاءم توضع لهم الموائد فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب وهو قول الله تبارك وتعالى « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُوكُمْ مِّنْ أَهْلِ الْحَسَنَىٰ مِمَّا رَأَيْتُمْ وَمَا لَمْ تَرَ

وصان أجسادهم أن تلقى لغوبا ونصبا) كما قال سبحانه حكاية عنهم « وقالوا الحمد لله الذي أذهب عننا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلى دار المقامات من

فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب .

قال في مجمع البيان أى أنزلنا دار الخلود يقيمون فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون عنها « من فضله » أى ذلك بتفضله وكرمه « لا يمسنا فيها نصب » لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة « ولا يمسنا فيها لغوب » أى ولا يصيبنا فيها إعياً ومتعبة في طلب المعاش وغيره .

وفي الصافي عن القمي قال : النصب العناء واللغوب الكسل والضجر ودار المقاممة دار البقاء ، وقال صاحب الصافي : النصب التعب واللغوب الكلال إذ لا تكليف فيها لا كدّ اتبع نفي النصب بنفي ما يتبعه مبالغة .

(ذلك) المذكور من النعم العظيمة (فضل الله) أى تفضل منه سبحانه (يؤتى به من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) يتفضل بما لا يقدر عليه غيره ويعطي الكثير بالقليل (أقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وأنفسكم) في حفظها عن متابعة الهوى والشهوات وقايتها من المعاصي والهفوات (وهو حسبي ونعم الوكيل) ونعم المعين ونعم النصير .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن وصی مختار ولی پروردگار است میفرماید:
 حمد و ثنایاً من خداوندی را سزا داشت که شناخته شده بدون رویت ، و خلق فرموده بدون رنج و مشقت آفرید مخلوقات را بقدرت کامله خود ، و طلب بندگی نمود از سلاطین و ملوك باعزّت قاهره خود ، و مالک واجب الاطاعة شد بر بزرگان بابخشش فراوان خود ، و اوست آنکسیکه ساکن فرمود در دنیا آفریدگان خود را ، و معموث کرد بسوی جنّوانس پیغمبران خود را ، تاینکه کشف کنند هر ایشان را از پردهای دنیا ، و بقراستاند ایشان را از پریشانیهای دنیا ، و بیان کنند از برای ایشان مثلثهای آن را ، و بنمایند بر ایشان عیبهای آن را ، و تا هجوم آور بشوند بر ایشان با چیزی که باعث عبرت ایشان بشود از صحنه های آن و بیماریهای آن ، و حلال آن و حرام آن

و با آنچه که مهیا فرموده خداوند تعالی از برای اطاعت کنندگان اذیشان، و معصیت کنندگان ایشان از بهشت و جهنم، و عزت و خواری.

حمد میکنم اورا درحالیکه قصد تقریب میکنم بسوی او چنان حمدی که طلب کرده از مخلوقات خود گردانید از برای هر چیزی اندازه معینی، واژ برای هر اندازه مدت مخصوصی، واژ برای هر مدت نوشته مشخصی.

بعضی دیگر از این خطبه در ذکر قرآن کریم است میفرماید:

پس قرآن امر کننده است و نهی کننده، و ساکت است بحسب ظاهر و ناطق است بحسب باطن، حجت پروردگار است بر خلقان اوأخذ فرموده است برا او عهد ویمان ایشان را، و رهن کرده است در مقابل او نفسهای ایشان را، تمام فرمود نور آنرا و گرامی داشت با آن دین خود را، و بعض فرمود نبی خود را درحالی که فارغ شده بود بسوی خلق از احکام هدایت با آن.

پس تعظیم نمائید از حق سبحانه و تعالی مثل تعظیم کردن او ذات خود را، پس بدرستیکه پنهان نداشته است حق تعالی از شما چیزی را از دین، و فرو نگذاشته چیزی را که پسندیده یا ناخوش گرفته مگر اینکه گردانیده از برای آن علامتی ظاهر و آیه محکم که منع نماید از آن یا دعوت کند بسوی او پس رضای خدا در چیزی که باقی مانده یکی است و سخط و غضب او در چیزی که باقی مانده یکی است. و بدانید که حق تعالی هر گز راضی نمیباشد از شما بچیزی که دشمن گرفته است آنرا بر کسانی که بودند پیش از شما، و هر گز غصب نمیکند بر شما بچیزی که رضا داشته با او از کسانی که بودند پیش از شما، و جز این نیست که باید سیر نمائید در آثر واضح گذشتگان، و تکلم نمائید بکلام با منفعت که گویا شدند با آن مردانی که پیش از شما بودند.

بتحقیق که کفایت کرده خداوند عالم معیشت دنیای شمارا، و تحریص فرمود شمارا بر شکر، و واجب کرده از زبانهای شما ذکر را، ووصیت فرمود شمارا

بمقوی و پرهیز کاری ، و گردانید آنرا منتهی خوشنودی و حاجت خود از خلق ، پس بپرهیزید از خدایی که شما در پیش نظر او نماید ، و پیشانیهای شما در ید قدرت او است و گردیدن شما در قبضه اقتدار او است ، هر گاه پنهان دارید چیزی را در قلب خود تان میداند آنرا ، و اگر اظهار نمائید أعمال خود را نویسد آنرا ، بتحقیق موکل فرموده با آن نوشتن ملائکه که حافظانند با کرامت در حال تیکه اسقاط حق نمیکنند و اثبات باطل نمینمایند ، یعنی چیزی بی اصل را نمینویسند .

وبدانید بدرستی که هر کس بترسداز خدا و صاحب تقوی باشد قرار میدهد خدا از برای او بیرون آمدنی از فتنها ، و روشنی از ظلمتهای ، و مخلّد مینماید اورا در چیزی که خواهش دارد نفس او ، و نازل میفرماید اورا در منزل کرامت در نزد خود درخانه که اختیار فرموده آنرا از برای خود ، چنان خانه که سقف آن عرش او است ، و نور آن جمال او است ، و زیارت کنند کان آن ملکهای او است ، و رفیقهای آن پیغمبران او است .

پس بشتابید بسوی معاد ، و سبقت کنید بسوی أجلها از جهت اینکه مردمان نزدیکست که بربده شود از ایشان آرزوها ، و دریابد ایشان را أجلها ، و بسته شود بروی ایشان در توبه .

پس بتحقیق که صباح کردید در مدل چیزی که سؤال کردند بر گشتن بسوی آنرا اشخاصی که بودند پیش از شما ، و شما أبناء السبيل هستید بر شفر کردن از خانه که نیست خانه شما ، بتحقیق که اعلام کرده شدید بکوچ کردن از آن ، و مأمور شدید در آن بأخذ کردن توشہ .

وبدانید بدرستی که نیست مراین پوست لطیف را صیر کردن بر آتش سوزان پس رحم نمائید نفسهای خود را پس بدرستی که شما تجریه نمودید نفوس خود را در مصائب و صدمات دنیا ، پس دیده اید جزع و فزع یکی از شمارا از خاری که بر سد باؤ بالغزیدنی که خون آلود سازه اورا ، یا زمین بسیار گرمی که بسوزاند اورا ، پس

چگونه باشد حال اوزمانی که بشود در میان دو تابه یاد و طبقه از آتش که هم خوا به سنگ سوزان باشد و همنشین شیطان، آیاد استه اید اینکه مالک خازن جهنم هروقت غصب نماید بر آتش بشکند بعضی از آتش بعضی دیگر را، و هر گاه زجر کند آتش را بر جهد شراره آن از میان درهای دوزخ از جهه جزع کردن آن از زجر او.

ای پیر بزرگ سار که آمیخته است باؤ پیری و سنتی چگونه است حالت تو زمانی که متصل شود و پیوند گردد طوفهای آتش باستخوانهای گردنهای، و فرو روند غلهای جامعه آتش در اعضاء، تا اینکه بخوره گوشتهای بازو هارا پس بترسید از خدا ای بندگان خدا در حالتیکه شما سلامت هستید در زمان صحبت پیش از بیماری و در فراغی و وسعت پیش از تنگی، پس سعی نمائید در گشادن و فک نمودن گردنهای خودتان پیش از اینکه بسن شود گروهای گردنهای، بیدار کنید چشمای خود را با توجه و قیام، و تهی سازید شکمها خود را با گرسنگی و صیام، واستعمال نمائید قدمهای خود را در خیرات، و انفاق کنید مالهای خود را در زکاة و صدقات، وأخذ نمائید از بدنها خودتان تا بخشش نمائید با آنها بر نفسهای خود و بخل نورزید با آنها.

پس بتحقیق که فرموده است حق تعالی در کلام مجید خود «إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أفادكم» یعنی اگر یاری کنید خدا را یاری میکند خدا شما را و ثابت میفرماید قدمهای شمارا در مواضع لغزیدن.

و باز فرموده «من ذا الذي يفرض الله فرضًا حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم» یعنی کیست آنکسی که قرض دهد خدا را فرض دادن نیکو پس زیاده گرداند آنرا از برای او و مر اور است اجر با کرامت.

پس یاری نخواست خدای تعالی از شما از بابت ذلت، و قرض طلب نکرد از شما از جهت کمی و قلت، یاری خواست از شما در حالتیکه از برای او است لشکرهای آسمانها و زمین و حال آنکه او است صاحب عزّت و حکمت، و طلب قرض نمود از شما در حالتی که از برای او است خزانهای آسمانها و زمین و حال آنکه او است بی نیاز و ستوده،

وجز این نیست که اراده فرموده که امتحان نماید شما را که کدام از شهانیکوتر است از حیثیت عمل.

پس مبادرت نمائید بسوی عملهای خودتان تاباشید باهم سایهای خدا درخانه خدا که رفیق ساخته ایشانرا باین غم بران خود، و بزیارت ایشان أمر نموده فرشته گانرا و گرامی داشته گوشهای ایشانرا از یافته بشنوند آواز آتش را هر گز، و نگهدارش جسد های ایشانرا از آنکه بر سر بمشققت و کسالت، این فضل و احسان خدا است که عظامی فرماید آنرا بهر کس که میخواهد از بند گان خود، و خداوندان است صاحب فضل عظیم، من میگویم چیزی را که میشنوید و خدا است یاری خواسته شده، یعنی از او استعانت میکنم بر نفس خودم و بر نفس های امارة شما، واوست کفايت کننده ما و چه خوب و کیل است.

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ وَهُوَ الْمَأْةُ وَالثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَ

قاله للبرج بن مسهر الطائي وقد قال له بحیث یسمعه : لا حکم إلا الله

وكان من الخوارج :

أَسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَشْرَمْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلًا
شَخْصُكَ، حَفِيَّاً صَوْنُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمَتْ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.
اللغة

(البرج) بضم الباء الموحدة والراء المهملة ثم الجيم و (مسهر) بضم الميم و كسر الهاء و (قبحك الله) بالتحقيق والتشدید أى نحّاك وقيل : من قبحت الجوزة كسرتها و (الشرم) بالفتح سقوط الاسنان و (ضئيل) الرجل بالضم ضئولة نحّف

(٤١٢)

المختار المأة والثلاث والشّمانتون

(ج) ١٠

وحقر ، وضؤل رأيه صغر و (الماعز) واحد المعز من الغنم اسم جنس وهو خلاف الصّان .

الاعراب

جملة قبحك الله دعائيم لا مدخل لها من الاعراب قوله : كنت فيه ضئيلا

شخصك :

يجوز أن يكون كان ناقصة اسمها تاء الخطاب ضئيلاً خبرها وفيه متعلقاً به مقدماً عليه للتتوسيع وشخصك بالرفع فاعل ضئيلاً قام الضمير الرابط للجر إلى الاسم من أجل اضافته إلى كاف الخطاب الذي هو عين الاسم وأنه بدل من اسم كان . ويجوز أن تكون تامة وضئيلاً حالاً من فاعلها وشخصك فاعل الحال وبإضافته إلى كاف الخطاب استغنى أيضاً عن الرابط للحال أو أنه حال من شخص مقدم على صاحبه وشخصك بدل من فاعل كان ، وهذا مبني على ما هو الأصح من مذهب علماء الأدبية من أن العوامل النطقية كلها تعمل في الحال إلاَّ كان وأخواتها وإنما فيجوز على تقدير كون كان ناقصة جعل ضئيلاً حالاً أبداً فيكون فيه خبرها ويكون ظرفاً مستقراً ، ففهم جيداً .

المعنى

اعلم أن هذا الكلام حسبما أشار إليه السيد (قاله للبرج بن مسهر الطائي) على وجه التعریض والتحقیر (وقد قال له) البرج بشعار الخوارج (بحیث یسمعه لا حکم إلاَّ الله) أى لا لك ، وفي نسخة الشارح البحرياني لاحکم إلاَّ الله أى لا أنت (وكان) البرج ذلك (من الخوارج) من شعرائهم المشهورة .

فقال عليه السلام (اسكت قبحك الله) أى تحارك عن الخير أو كسرك (يا أترم) أى الساقط الثانية دعا بهاته إهانة وتحقيراً كما هو العادة في تقميص صاحب العاهات وإهانتهم ، فيقال : يا أعور ويا أغurge ونحو ذلك (فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه) أى في ظهور الحق وقوّة الاسلام وزمان العدل (ضئيلاً شخصك) أى حقيراً خامل الذكر (خفيّاً صوتك) كناية عن عدم التفات أحد إلى أقواله وعدم الاستماع والتوجّه

إليها (حتى إذا نعر الباطل) أى صاح .

قال الشارح البحرياني استعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة لشبهه في قوله وظهوره بالرجل الصالح بكلامه عن جرأة وشجاعة .

(نجمت نجوم قرن الماعز) أى طاعت بلا شرف ولا سابقة ولا شجاعة ولا قدم ، بل بغتة وعلى غفلة كما يطلع قرن الماعز ، والغرض من التشبيه توهين المشبهة وتحقيره حيث شبهه بأمر حقير .

الترجمة

ازجمله کلام آن والامقام است مر برج بن هسیر الطائی را وبتحقيق گفت آن ملعون مر آنحضرت را بحیثی که میشنوایند اورا که : هیچ حکم نیست مگر خدای را و بود آن ملعون ازجمله خوارج نهروان آنحضرت فرمود : ساکت باش دور گرداند خدا تورا ازخیر ای دندان افتاده ، پس قسم بخدا که بتحقيق ظاهر شد حق پس بودی تو در آن حقیر و نحیف ، شخص تو خفی ، و پنهان بود آواز تو تاینکه نعره زد باطل طلوع کردی و ظاهر شدی مثل ظاهر شدن شاخ بز .

هذا آخر المجلد العاشر من هذه الطبعة الجديدة القيمة، وقد وفق لتقديره
وقرئيبيه وتمديبيه العبد - الحاج السيد ابراهيم الميانجي - عفى عنه وعن
والديه ، في اليوم الرابع عشر من شهر ربیع الاول سنة - ١٣٨٣ -
وسیلیه انشاء الله الجزء الحادی عشر واوله :
«المختار المأة والرابع والثمانون »
والحمد لله رب العالمين

فهرس الجزء العاشر من شرح نهج البلاغة

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٣٧	تكلمة في كلامه عليه مع عثمان ومحاجته إياب .	٢	المختار المأة والواحد والستون قاله عليه في جواب من قال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ لطيفة
٣٩	الترجمة المختار المأة والرابع والستون وشرحه في ضمن فصلين الفصل الأول في ذكر بدايه خلقة الطاووس .	١٠	في ذكر كلام للشارح المعتزلي بعد الفراغ من شرح هذا المختار وسؤاله عن استاذه التقى به من مقصود الامام عليه السلام بهذا الكلام وجوابه .
٥١	ذكر حديث مفضل عن الصادق عليه السلام في بدايه خلقة الطيور وأسرارها .	١٥	١٤ في نقل المختار على رواية غير السيد «ره» الترجمة المختار المأة والثانية والستون
٥٥	في سفاد الطاووس وانه هل يكون على نحو القناح أم لا ؟	١٦	في الثناء على الله سبحانه وتعظيمه وتمجيده بذكر جملة من نعمت جماله وصفات جلاله .
	وصف أجنحة الطاووس وكيفية مشيه وضحكه وقنزعته وعنقه والخط الأبيض عند محل سماعه وتعديلاته وغيرها مما هو محل الاعتبار في	٣٧	١٧ الترجمة المختار المأة والثالث والستون قاله عليه لعثمان حين أرسله الناس اليه وسائله أن يكلمه .
٥٥	حكمة الصانع وقدرتها .		
٥٩	تميم في نوادر وصف الطاووس .		
٦٠	الترجمة		

العنوان	الصفحة
على حقوقه .	٩٣
أمر ^{عليه} بالمبادرة على الموت وأخذ الزاد .	٩٥
حق البهائم على صاحبها . تمامة	٩٦
في ذكر المختار على رواية غير السيد «ره»	٩٧
الترجمة المختار المأة والسابع والستون في اعتذاره ^{عليه} من معاقبة الشّاعرين	٩٧
على عثمان .	٩٨
ذكر هاء السكت وفاء التنبية .	١٠٠
الترجمة المختار المأة والثامن والستون خطبته ^{عليه} عند مسيرة أصحاب الجمل	١٠٥
إلى البصرة	١٠٦
الترجمة المختار المأة والتاسع والستون كلامه ^{عليه} مع رسول أهل البصرة .	١١١
رسالة من عاشرة إلى أمير المؤمنين ^{عليه} واهتمام الرسول ببركة	١١٢
وجوده ^{عليه} .	١١٤
رسالة من طلحة والزبير إلى أمير المؤمنين عليه السلام واهتمام الرسول بيمن وجوده	١١٦
الشريف .	

العنوان	الصفحة
الفصل الثاني منها في صفة الجنة .	٦٦
تبصرة في ذكر بعض الآيات والروايات الواردات	٦٨
الترجمة المختار المأة والخامس والستون .	٧٣
يذكر في ضمن فصلين .	٧٣
الفصل الأول في الاشارة إلى ما به انتظام امور المسلمين .	٧٦
الفصل الثاني في الاشارة إلى اختلاف شيعته ^{عليه} و أصحابه من بعده .	٧٧
الأول في قصة قوم سبا وسائل الجنستان .	٨٠
الثاني في قصة تيهبني إسرائيل .	٨٣
الترجمة ديباجة المجلد الخامس حسب تجزأة المصنف «قد» على ما في الطبعة الأولى .	٨٦
المختار المأة والسادس والستون في فضل كتاب الله المجيد والاشارة	٨٩
إلى بعض حقوق المسلم على المسلم .	٩٠
ذكر بعض الأخبار الواردات في وجوب مراقبة حرمة المسلم والمحافظة	

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
استحالة قتل جيش البصرة كله لو أصابوا من المسلمين رجلاً واحداً معتمدين لقتله و كلام الشارحين في ذلك .	١٣٥	المختار المأة والسبعون دعاً دعاه في اليوم الرابع من وقعة صفين سبع شهور صفر من سنة سبع وثلاثين .	١١٨
تنبيهان : الاول في ذكر كلام للمشارح المعتزلي في شرح قوله : اللهم إني أشتعديك على فريش « الخ » وأمثال ذلك .	١٤٠	في أن الدعاء يدفع البلاء وقد ابرم إبراً .	١١٩
التنبيه الثاني في ذكر خروج عاشرة وطلحة والزبير إلى البصرة وقتلهم فيها طائفة من المسلمين صبراً وطائفة غدراؤذ ذكر كيفية وقعة الجمل إجمالاً .	١٤٣	في اختلاف الليل والنهار .	١٢٣
الترجمة المختار المأة والثاني والسبعون	١٥٤	ذكر المختار على روایة غير السيد « ره »	١٢٥
ومدار هذه الخطبة على فصول :			
الفصل الاول في نبذ من ممادح الرّسول ﷺ .	١٥٨	الترجمة المختار المأة والواحد والسبعون	١٣٦
الفصل الثاني في الاشارة إلى بعض وظائف الخلافة .	١٥٨	هذا المختار يدور على فصول ثلاثة	١٢٧
الفصل الثالث في ذكر أصحاب الجمل والتنبيه على ضلالهم .	١٣٢	الفصل الاول في تحميد الله تعالى وتمجيده	١٢٩

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
المحاطبين في الطاعات و تحذيرهم عن السيئات.	١٨٩	والإشارة إلى أحكام البعثة .	١٦١
في التنبية على فضائل كتاب الله الكريم وبيان ممادحه .	١٩٥	ذكر الأئمّة الواردة في فضيلة الصبر ذكر أقسام الصبر .	١٦٢
في تجسس القرآن يوم القيمة بصورة إنسان في أحسن صورة .	١٩٩	الترجمة المختار المأة والثالث والسبعون قاله عليه السلام حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة .	١٧٠
في أمره عليه السلام بملازمة الأعمال الصالحة	٢٠٤	الترجمة المختار المأة والرابع والسبعون ومدار هذا المختار على فصلين	١٧٢
الترجمة	٢٠٨	الفصل الأول	١٧٦
الفصل الثاني		في ايقاظ الغافلين و تنبية م٤٤ عن رقدة الغفلة .	١٧٧
في التحذير عن تهذيع الأخلاق الملازم للتفاق .	٢١١	الفصل الثاني	
في الأمر باختزان اللسان وذكر بعض الأخبار الواردة فيه .	٢١٦	في الاشارة إلى بعض مناقبه الجميلة ومقاماته الجليلة .	١٨٠
في شرح قوله عليه السلام لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه .	٢١٧	تبصّرة	
في النهي عن متابعة البدع والتنبيه على بطالة العمل بالرأي والمقاييس .	٢٢٠	في إخباره عليه السلام عن الغيوب .	١٨٣
ذكر ممادح القرآن وأئمّة حبل الله المقيمين .	٢٢٥	الترجمة المختار المأة والخامس والسبعون	١٨٧
في الظلم وأقسامه وأنّها ثلاثة .	٢٢٨	وشرحه في فصلين :	
الإشارة إلى مظلوميّته عليه السلام وأن		الفصل الأول	
		في الموعظة والنصيحة وترغيب	

الصفحة	العنوان	الترجمة
٢٥٦	المختار المأة والثامن والسبعون	قاله <small>عليه السلام</small> في جواب من سأله : هل رأيت ربك ؟ يذكر فيه جملة من صفات كماله تعالى .
٢٥٧	تنبيه	في تحقيق الكلام في متكلميته تعالى وأن كلامه سبحانه حادث أو قديم
٢٦٣	تكميلة	في نقل المختار على روایة غير السيد «ره» .
٢٧٠	الترجمة	المختار المأة والتاسع والسبعون في ذم أصحابه <small>رض</small> وتوبيخهم .
٢٧٣	المختار المأة والثامن والسبعون	قاله <small>عليه السلام</small> وقد أرسل عبد الله بن قعین يعلم لعلام قوم من جند الكوفة قد هموا بالمحاق بالخوارج فلما رجع وعاد قاله <small>عليه السلام</small> له .
٢٧٧	الترجمة	المختار المأة والثمانون ذكر تفصيل إرساله <small>عليه السلام</small> عبد الله بن قعین .
٢٩١		

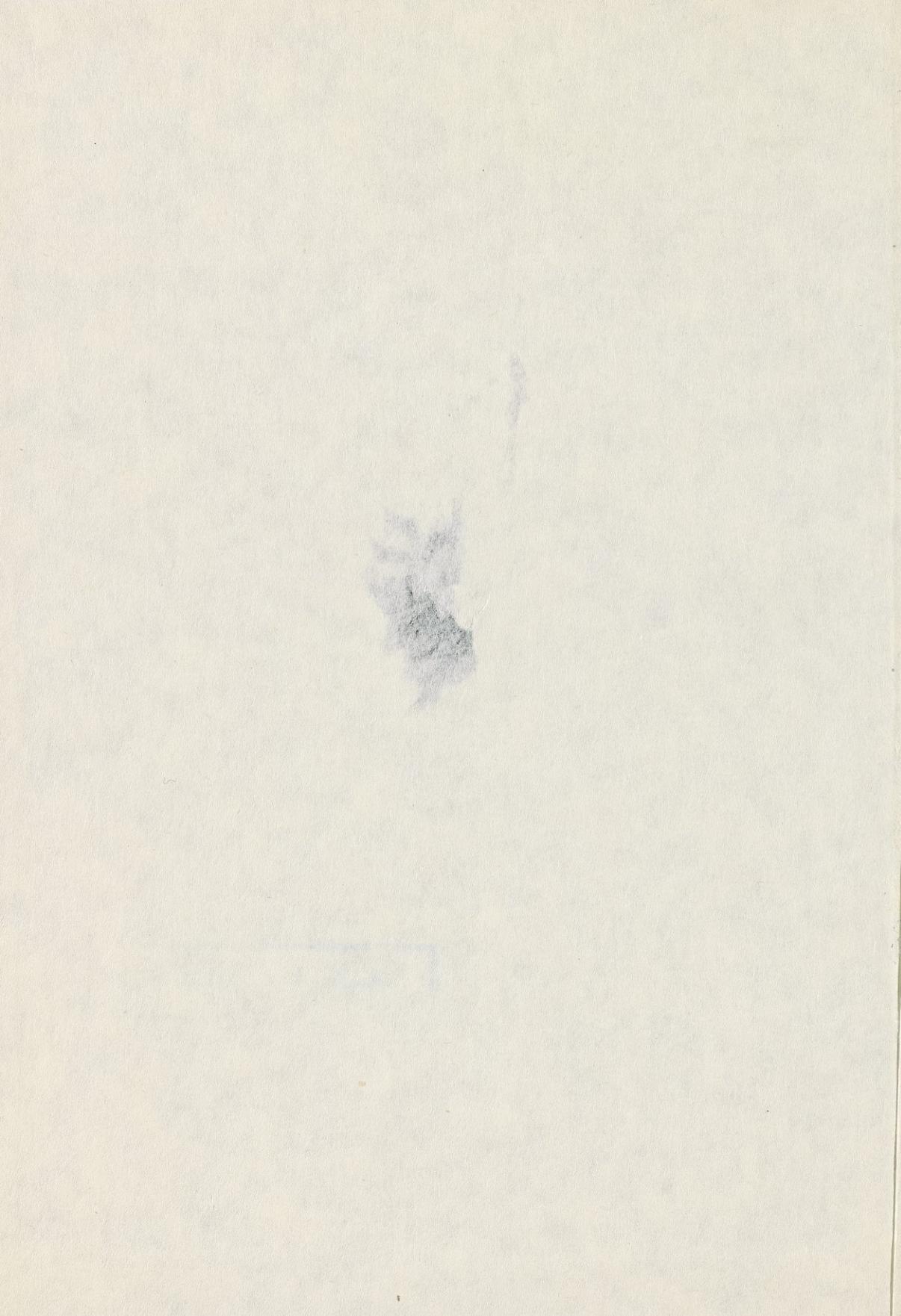
الصفحة	العنوان
٢٣٣	الظلم الذي وقع في حقه ليس بحيث يترك ويرفع عنه اليدوايره بعض ما ورد فيه من الأخبار .
٢٣٦	تحذير <small>عليه السلام</small> عن التلوّن في الدين الملازم للنفاق والتفرق .
٢٣٩	الترجمة
٢٤٢	المختار المأة والسادس والسبعون في معنى الحكمين وكلامه <small>عليه السلام</small> مع الخارج .
٢٤٤	الترجمة
٢٤٥	المختار المأة والسابع والسبعون ومدار هذا المختار على فصول أربعة :
٢٤٧	الفصل الأول في تنزيه الله سبحانه وتمجيده بذكر جملة من أوصاف الجلال وصفات الجمال .
٢٥٢	الفصل الثاني في الشهادة بالتوحيد والرسالة .
٢٥٣	الفصل الثالث في تنبيه الراكعين إلى الدّنيا وايقاظ الغافلين عن العقبي .
٢٥٣	الفصل الرابع في التنبيه على وجوب شكر النعم

(٤١٩)

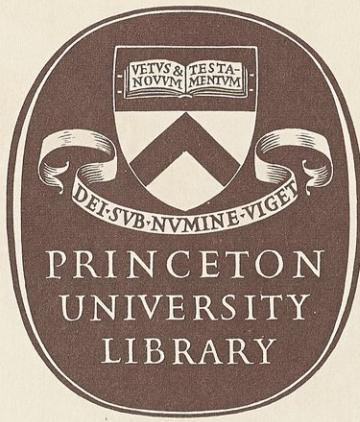
الصفحة	العنوان
٣٢٩	النبي ﷺ .
٣٣٠	شرح حال العمالقة .
٣٣٣	في ذكر نوادر أخبار ملك سليمان النبي (ع) .
٣٣٩	في بناء بيت المقدس وذكر بقية نوادر أخبار ملك سليمان عليه السلام في بيان مداين الرس وقصة أصحابها .
٣٤٦	الترجمة
	الفصل الثالث
٣٤٧	في وصف الحكمة والاشارة إلى القائم عليه السلام وفي شرح حال نفسه الشريفة وشرح حال جملة من أصحابه الذين سفكت دمائهم .
٣٥١	وصف الحكمة وشرحها وأن رأسها مخافة الله تعالى .
٣٥٥	في أن ل فقط الحجۃ والخلفية لا يطلق إلا على الأنبياء والأوصياء .
٣٥٧	في معنى الوصاية .
٣٥٩	ذكره بِرْبَرِ أصحابه الذين سفكت دمائهم بصفتين .
٣٦٠	ذكر عمار وابن التيهان وذو الشهادتين قصة إدارته قطب الرمح في عنق خالد .
٣٦٩	الترجمة

الصفحة	العنوان
٢٩٧	الترجمة
	المختار المأة و الواحد والثمانون
	وشرحه في فصول :
	الفصل الأول
٢٩٨	في حمد الله سبحانه وذكر جملة من أوصاف العظمة والجلال وتزييه تعالى باعتبارات سلبية هي غاية وصف الواصفين ومتى درك الموحدين ذكر جملة من شواعد خلقه تعالى وآيات قدرته منها خلق السماوات موطنات وجعله نجومها علامات يسمى بها الحيران .
٣١١	في حقيقة الرّعد وتسبيحه .
٣١٣	علمه سبحانه بنزول قطرة وسقوط ورقة وما يكفي البعوضة من قوتها تزييه تعالى باعتبارات سلبية .
٣١٥	تكليمه تعالى موسى عليه السلام تكليمًا .
٣٢١	تنبييه على عجز القوى البشرية عن وصف كماله تعالى .
٣٢٢	الترجمة
٣٢٤	الفصل الثاني
	في الوصية بتقوى الله والتنبيه على فناء الدنيا وزوالها .
	مجيء ملك الموت لقبض روح سليمان

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
الجنة ووصف نعيمها والترغيب إليها	٣٩٠	المختار المأة والثانية والثمانون	
فضل يوم الجمعة ووصف الجنة ونعيمها	٣٩٢	في حمد الله سبحانه و الثناء عليه ووصف	
في الترهيب والانذار من أليم السخط		الكتاب العزيز وموعدة المخاطبين	
وعذاب النار .	٣٩٨	ووعدهم بالجنة ووعيدهم من النار .	٣٧١
في فضيلة صلاة الليل والبحث على العمل	٤٠٢	في حمد الله سبحانه و الثناء عليه .	٣٧٧
الترجمة	٤٠٧	في ذكر القرآن وبعض أوصافه .	٣٨١
المختار المأة والثالثة والثمانون		موعدة المخاطبين وذكرهم وتخويفهم	٣٨٣
قاله عليه للبرج الطائى .	٤١١	وصدار اصطنهما الله تعالى لنفسه وهي	
الترجمة	٤١٣		



گندم ل شد



PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

